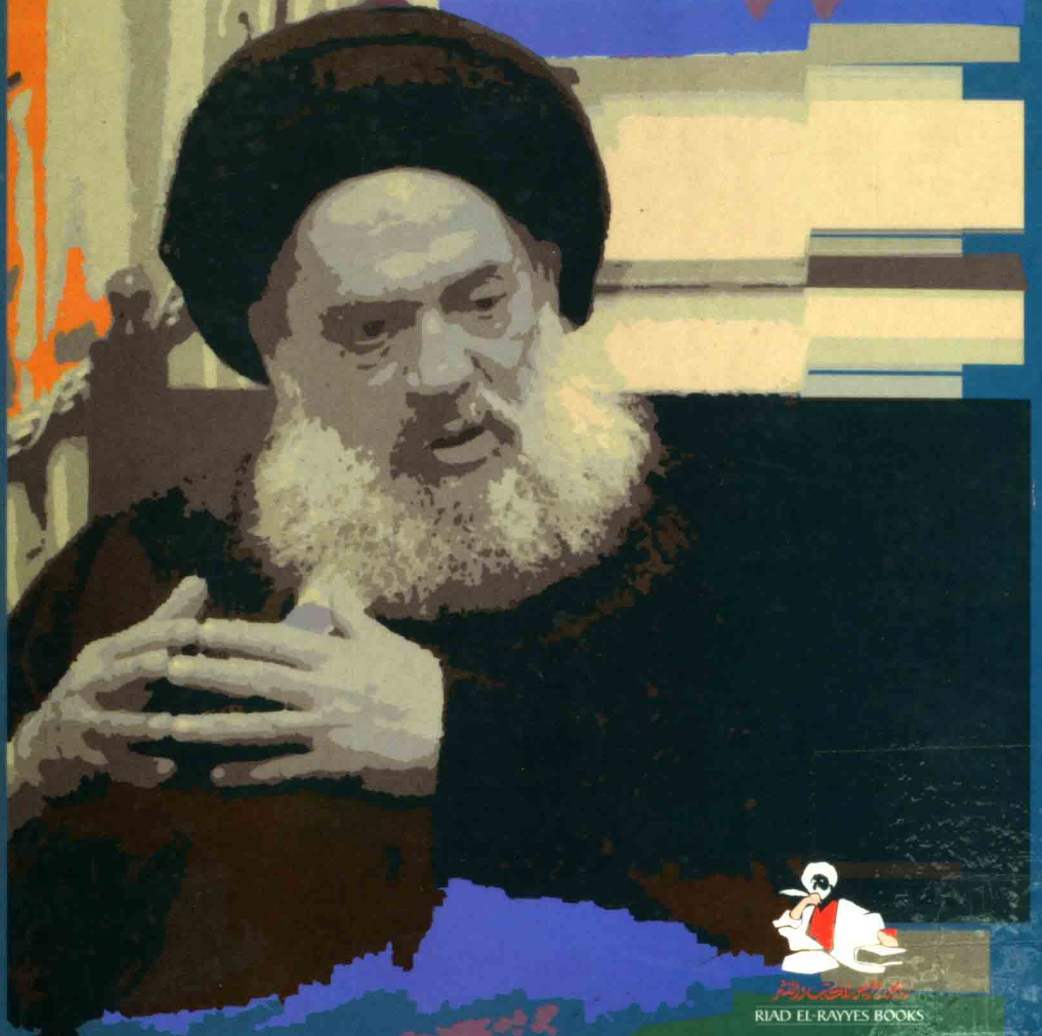
السيد محمد حسين فضل الله

المدنّس والمقدّس

أميركا وراية الإرهاب الدولي



رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

THE UNSACRED VERSUS THE SACRED

America and the Banner of International Terrorism

By Sayyed Mohammed Hussein Fadlallah

First Published in June 2003

BEIRUT- LEBANON

elrayyes@terra.net.lb . www.elrayyes-books.com
. www.elrayyesbooks.com

ISBN 97 89953 21137 4

تصميم الغلاف: محمد حمادة

الطبعة الأولى: حزيران/ يونيو ٢٠٠٣

المحتويات

القسم الثالث:
الأمبراطورية المجنونة

القسم الرابع:
العراق في المحرقة الأميركية

المقدمة

تتصدر مفردة الإرهاب معظم لافتات الحرب التي ابتدعتها الولايات المتحدة وبريطانيا منذ مطلع القرن الواحد والعشرين، بحيث تحول هذا الشعار إلى مفتاح سحري لدخول غمار المواجهات المتعددة الأبعاد مع كل الدول والتنظيمات والجهات التي تعارض توجهات وسياسات الولايات المتحدة في أربع رياح العالم.

وإذا كان مفهوم الإرهاب قد تطور من مفهوم العنف الذي كان مستخدماً إبّان النظام العالمي البائد، فإن تحديد أبعاد هذا المفهوم فضلاً عن ماهيته لا يزال ممتنعاً أو هو ممنوع من الخروج من حيّز الاستخدام السياسي الذائع الرواج إلى حيز التموضع المفهومي ـ الذي تعارض الولايات المتحدة أي توصيف نهائي له من أي جهة أتى.

لا شك في أن تمويه المفاهيم المستخدمة أميركياً ناتج من قصد فعلي وتعمد إرادي، فإخراج العمليات التحويلية للمفاهيم من حيزّها السياسي إلى حيزّها المعرفي سوف يضيّق بشكل كبير مساحة الاستخدام والتوظيف الذي تعمد إليه الولايات المتحدة خلال تركيب اللوائح التي

تدرج فيها أسماء أعدائها. لذلك فإن كل ما تقوم به الولايات المتحدة هو إضفاء الإرهاب كصبغة وصفية لأعدائها، مستفيدة من إيحاءات السلب التي تشتمل عليها معاني الإرهاب في قواميس لغات الأمم والشعوب على تنوعها واختلافها.

وبهذا الشكل، تعمد الولايات المتحدة إلى ترك فضاء المعنى لمفردة الإرهاب مفتوحاً على مصراعيه، وخصوصاً حينما تبتعد عن الخوض في النقاش حول المفهوم. فتأثير مقولة الإرهاب على القطاعات الشعبية في شرق العالم وغربه لا يمكن إلاّ أن يأتي بحمولة معنوية سلبية، وقد تتجاوز المخيلة الشعبية النظر إلى المفهوم باعتباراته السلبية، فتستحضر له صوراً بشعة من ذاكرتها وتاريخها وما تعايشه في حاضرها وتتأمله في ضميرها. وفي مطلق الأحوال، فإن المحصّلة النهائية للمتخيل الشعبي عن الإرهاب يأتي في السياق الذي تهدف إلى الإيحاء به الاستخدامات الأميركية.

من هنا سعت الولايات المتحدة إلى افتعال مسافة انفصال بين المفهوم ومصاديقه الانطباقية، فما يوصف من وجهة نظر أميركية بأنه إرهاب ـ إذا طاولها ـ لا يوصف بأنه إرهاب إذا جاء بفعل يدها، وبذلك تموه أميركا أعمالها الإرهابية بتوجيه النظر إلى أعمال العنف عند غيرها، فيصبح العنف الأميركي المستخدم من قواتها بكثافة كماً ونوعاً، قوة خير تتصدى من خلاله لمواجهة قوة أضعف وأقل لياقة تدميرية عند غيرها وباعتبارها قوى شرّ. وبالتالي ما يختلف في الحقيقة ليس الفعل العنفي المتبادل وحجم هذا الفعل نفسه إلاّ بالوصف السياسي، فيأتي في الجهة الأميركية استخداماً للقوة لإحقاق الحق والعدالة بينما في الجهة المقابلة هو إرهاب لا بد من اجتثاثه.

إن الإشكال الأساسي الذي يطرحه موضوع الإرهاب يضرب عميقاً في اللغة والمعنى والدلالة والتوظيف. وقد يتعدى كل ذلك ليطاول القاموس المفهومي للمعاني برمّته، وخصوصاً في ظل السعي الأميركي للتفرد

بالعالم. فهذه المحاولات الأميركية الانفرادية لا يبدو أنها تكتفي باعتبار القوة والسطوة من المشرّعات الأميركية للسيطرة على العالم فحسب بل إن تفردها يجب أن ينسحب على مجمل مساحة الوعي والمعرفة بحيث تدفع أميركا بكل دول العالم وقطاعاته وعلمائه ومثقفيه، إلى القراءة بقاموسها هي. وهذا الأمر لا تدعو إليه أميركا بشكل اختياري بل هي تكره العالم عليه بذريعة القول إن على العالم، كل العالم، أن يتجه في مساره الثقافي والتاريخي مجرى العالم المتحضر الذي تتزعمه، وتقف على رأسه أميركا.

الاستئثار الأميركي بالقوة والسياسة ووسائل التواصل والاتصال جعلها تفكر جدياً بالاستئثار باللغة العالمية أيضاً، وهذا ما تسعى إلى تمريره في ظل ترويجها للعولمة التي لم تحدد أبعادها بالكامل أيضاً، وهذا ما يجعلنا نعتقد أن عصرنا الحاضر قد يغرق في المفاهيم الضبابية التي تمنح صاحب القوة والسيطرة الحق في أن يملأها بالطريقة التي يراها مناسبة. وبمعنى أوضح، تسعى أميركا إلى تجويف المفردات من معانيها الأصيلة عبر جعلها آنية فارغة تملأها بمقتضى ما ينسجم من معانٍ مع مصالحها، وهذا ما لحظناه منذ أن بدأت أميركا تثبيت دعائم قطبيتها الأحادية في العالم.

بالطبع، فإن من يدفع الثمن هم دائماً القوى المستضعفة في العالم، وهذه الأثمان تتنوع بحيث تطاول الأرض والسيادة والثروة والإمكانات بل وكرامات الشعوب وأديانها أيضاً.

سماحة السيد فضل الله من رجال الفكر القلائل في العالم الذين يتسلحون بترسانة معرفية وخبرة ميدانية قلّ نظيرها. وبالتالي فهو سعى منذ بداية الاستخدام التراجيدي الأميركي لمقولة الإرهاب إلى إعادة توجيه البوصلة باتجاه المعنى الحقيقي للإرهاب عبر إعادة تظهير حيّة للمساحة الفعلية التي يجري تحريك المفهوم على مداها.

فالسيد أول من طالب قوى المجتمع الدولي بالمبادرة إلى وضع تحديد

معرفي لمفهوم الإرهاب، لأنه كان يعلم أن أميركا تريد إبقاء هذا المفهوم ضبابياً ومائعاً بحيث تستطيع أن تعطيه شكل الآنية المجوفة التي تضعه فيها. لذلك دعا سماحته إلى ضرورة التمييز بين ثلاث مقولات قد يشتبه في استخدامها، وهي العنف والمقاومة والإرهاب، إذ دعا سماحته إلى التمييز بين هذه المفاهيم لكي يصبح ممكناً التعرف في ضوء ما نميّز به المفهوم إلى القوى التي يمكن وصفها بالمقاومة أو الإرهابية أو المستخدمة للعنف بالمطلق.

في هذا الكتاب، نحن في صدد إعادة تعريف للإرهاب وإعادة وصف من وجهة نظر إسلامية لما تسميه أميركا أعمالاً إرهابية، وإعادة تصويب لمجمل مسيرة المواجهات التي حصلت منذ ١١ أيلول بين الولايات المتحدة والقوى الإسلامية والعربية على اختلافها وتنوعها وصولاً إلى الحرب على العراق ومروراً بالحرب على فلسطين، إضافة إلى أنها تشكل نوعاً مميزاً من تفسير الأحداث وتحليلها وإعطاء الرأي الإسلامي فيها.

ويضاف إلى كل ذلك أن سماحة السيد قام باستعراض كل معطيات الحدث العالمي، وفنّد مزاعم أميركا من أنها دولة الخير الذي يسعى إلى إنهاء بؤر الشرّ في العالم. وقام بقراءة نقدية موضوعية للأنشطة الإسلامية التي اشتملت على العنف، وصنّف إيجابيات وسلبيات أنشطة الحركة الإسلامية الأصولية وخصوصاً الموقف من تفجير مبنيي مركز التجارة العالمي.

وقد قام سماحته بإعادة توكيد تمييزه بين موقف الإسلام من الإدارات الاستكبارية الغربية التي تريد مصادرة الإرادة والثروة والسياسة والاقتصاد والأمن، وبين الشعوب الغربية التي لا تختلف عن الشعوب الأخرى من حيث كونها مجتمعات إنسانية يجب كسبها إلى جانب قضايا الحق العادلة بعد فضح الدعاية الاستكبارية التي تريد دفع هذه الشعوب إلى وحول سياساتها المعادية والإرهابية.

أيضاً، يدعو سماحة السيد في هذا الكتاب إلى إحلال لغة الحوار بين

الدول والشعوب بدل العنف والإرهاب، مؤكداً أنه لا بدّ من وقفة عالمية صادقة تعيد وضع الأمور الدولية في سياقها الحقيقي وتمنع طغيان القوى العظمى لمجرد أنها قادرة على استخدام القوة الغاشمة في مواجهة الشعوب المستضعفة دون رادع.

هذا الكتاب عبارة عن مجموعة من المواقف المركّزة من جملة الأحداث والتطورات التي حصلت جراء المواجهات المتبادلة بين قوى إسلامية وعربية من جهة وأميركا من جهة أخرى. وقد تم جمع مضمونها من نخبة محاضرات وندوات ولقاءات تحدث فيها سماحته بصراحة وعمق عن وجهة نظره من أحداث هزت العالم في مطلع هذا القرن والمنهجية التي استخدمها سماحة السيد في معالجة مضمون ما جاء في هذا الكتاب فيها من الموضوعية ما يمكن أن يجد فيه القارئ الشرقي والغربي ضالته لأنه يبتعد عن الميول العاطفية التي تعودنا أن نراها خلال تناول موضوعات شبيهة تكون لصيقة بقضايا انتماء المؤلف.

نجيب نور الدين

القسم الأول:

العدالة المزيفة

صناعة مبررات العدوان

١٩

١

الإدارة الأميركية تعيش حالة انعدام الوزن

إثر الضجيج الكبير الناجم عن حادث الهجوم على برجي مبنى التجارة العالمي في نيويورك ومبنى وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون)، خص المرجع الإسلامي الكبير السيد محمد حسين فضل الله جريدة «اللواء» بأول حوار صحافي ينشر له بعد هذا الحادث الحدث، الذي مس هيبة وكيان ودور أقوى دولة في العالم سياسياً وعسكرياً واقتصادياً. والسيد عندما يتحدث وهو العالم المرجع، يقدم رؤية إسلامية لما يجري من زاوية الدفاع عن مصالح العرب والمسلمين وحقهم في الحياة بعيداً عن العنصرية والانتقاص من شأنهم ودورهم في المجتمع المعاصر.

إن ما حدث في أميركا من هجوم على برجي مبنى التجارة العالمي ومبنى الكونغرس الأميركي تكمن وراءه طبيعة السياسات الأميركية في العالم ولا سيما في الشرق الأوسط، فهي عمدت إلى محاصرة أكثر من بلد عربي وإسلامي بما لم تقم به ضد أي بلد آخر حتى ولو كانت الاتهامات هي الاتهامات نفسها، ثم هذا التأييد المطلق لإسرائيل بالشكل الوقح وهذا ما نتمثله في الإدارة الأميركية الحاضرة التي أعطت شارون كل الحرية بأن يقوم بما يشبه عملية الإبادة

جريدة «**اللواء**» ١٧ أيلول ٢٠٠١، أجرى الحوار الزميلان شلحا والملا.

للشعب الفلسطيني، بحيث منحته الغطاء السياسي لكل أعماله إلى درجة جعلت منه الضحية ومن الفلسطينيين المجرم.

وحول قضية اتهام أسامة بن لادن بالحادث قال السيد فضل الله: أرادوا أن يشغلوا العالم بالعنوان العربي والإسلامي الذي استهلكه الإعلام الأميركي والكثير من الإعلام الأوروبي باعتبار أنه المسؤول عن الإرهاب، وذلك كي تهيئ الرأي العام العالمي للضربة المرتقبة التي تعمل لتوجيهها إلى أفغانستان عندما تريد أن تستعرض عضلاتها.

وبخصوص شرعية العملية التي استهدفت مبنيي التجارة العالمي في نيويورك قال فضل الله: من الناحية الشرعية فإننا لا نجد مبرراً شرعياً لهذا العمل الذي حدث في نيويورك بقدر ما يتعلق الأمر بالمدنيين الذين قتلوا في الطائرات الأربع أو في مركز التجارة العالمي لأنه لا علاقة لهم بالسياسة الأميركية وجرائمها، ولذلك نرى أن هذا العمل انتحاري وليس استشهادياً خلافاً لما يحصل في فلسطين أو كما حصل سابقاً في لبنان.

وقال فضل الله: إن توقيت العملية ليس ملائماً وإن النتائج كانت سلبية على المستوى السياسي وعلى مستوى المنطقة، فكما أعطيت أميركا تأييد العالم بما فيه الدول العربية والإسلامية وحتى المؤسسات الدينية والثقافية، جعلت إسرائيل المستفيدة من الكثير من العناوين التي طرحت ولا سيما عنوان الإرهاب، فقدمت نفسها كدولة ضحية للإرهاب، ونعتقد أن الإسلام يرفض الإرهاب، بمعنى الإساءة إلى الأبرياء والمدنيين وإلى أي جهة انتموا، من خلال دوافع ذاتية خاصة وعنصرية، فالإسلام يفرق بين الإرهاب وبين حركة التحرر.

علينا ألاّ نسكت أمام هذه الحملة الإرهابية التي تقودها أميركا وبعض دول أوروبا وإسرائيل ضد الإسلام والمسلمين وضد العرب والعروبة. وأضاف: إن ما حصل من اعتداءات طالت بعض العرب والمسلمين في أميركا وبينهم طالبات مدارس، يدل على عنصرية تربى عليها الكثير من الناس في هذه البلاد، إنهم عاشوا العنصرية ضد الإسلام كله. وتساءل فضل الله: هل يبررون للمسلمين

ردات فعل مضادة على أعمال أميركا ضد رعايا أميركا أو كندا أو أستراليا؟ فحينها سيلصقون تهم الوحشية والإرهاب بالمسلمين. فالاعتداء على الفتيات المحجبات يدل على عنصرية وليس على حالة حضارية، ورد الفعل هذا من بعض الأميركيين أو الكنديين أو الأستراليين ضد العرب والمسلمين هناك، ربما يخلق رد فعل ضد الأميركيين أو الكنديين أو الأستراليين في البلاد العربية والإسلامية.

وأضاف فضل الله: «أميركا الآن تريد أن تعيد هيبتها وعنفوانها، ونريد أن نقول للعالم الذي بدأ يتحدث إشفاقاً عن العجز الأميركي في حماية أقوى المواقع في نيويورك وواشنطن، فالعالم رأى أن هذا الكيان الكبير تحول خلال ثماني ساعات إلى دولة تعاني من انعدام الوزن». وأشار إلى أن الحلف الأطلسي سوف يبحث عن تصفية أكثر من حساب مع أكثر من دولة عندما تنتهي الظروف الحالية، عندما يتحرك الغرب والحلف الأطلسي بأسلحته الصاروخية لضرب أفغانستان. فإن هذا البلد لا يملك ذات الأسلحة للمواجهة، ولكن ذلك سيخلق جرحاً جديداً في كل الشارع الإسلامي.

الحوار مع السيد فيه الكثير من المواقف الواضحة والجريئة التي تؤكد على الثوابت القومية والإسلامية.

وجاءت وقائع الحوار على الشكل التالي:

■ **سماحة السيد محمد حسين فضل الله. كيف تقرأ ما حدث في الولايات المتحدة الأميركية يوم الثلاثاء الماضي؟**

عندما تقرأ حدثاً ما كهذا الحدث الكبير، فإن عليك أن تدرس، في دولة كبرى تتصل مفاصلها السياسية والاقتصادية والأمنية بكل مواقع العالم، وأن تقرأ سياسة هذه الدولة من خلال ما تنتجه من حالات القهر والإحباط وحركية الظلم الذي تفرضه على واقع الدول في العالم الثالث سواء على الصعد الاقتصادية أو السياسية أو الأمنية، مما ولّد حالة من الكراهية لدى الكثير من المستضعفين في العالم سواء من المسلمين أو غير المسلمين. وإذا كان البعض يطرح اسم المسلمين في الواجهة الآن فلا يعني ذلك أن نستبعد التظاهرات والاجتماعات التي قام بها الكثيرون في أميركا وأوروبا وكندا ضد الدول الكبرى وفي مقدمها أميركا، كاجتماعات العولمة وغيرها، خصوصاً لجهة العنف الذي لم

نشاهد مثله في الاندفاعات الموجودة في الشرق الأوسط، ما يعني أن هناك حالة من العنف الرافض لسياسات الدول الكبرى والتي تتزعمها أميركا على أنها من الناحية شبه الرسمية وفي الأعلام قائدة العالم ـ كما تتحدث هي عن نفسها.

الشعوب المقهورة

ومن الطبيعي أن شعوب العالم الثالث التي هي كالشعوب المقهورة في داخلِ أميركا وفي أوروبا، بدأت تأخذ الكثير من خبرات التكنولوجيا والخبرات الأمنية، مما يمكن فئة قليلة هنا أو هناك من القيام بمثل هذه الأعمال مع دقة في التخطيط والتنفيذ. ولذلك فإنني أتصور أن ما حدث في أميركا تكمن في خلفياته طبيعة السياسات الأميركية في العالم ولا سيما في الشرق الأوسط، ونلاحظ أولاً أن أميركا عملت على محاصرة أكثر من بلد عربي وإسلامي بما لم تقم به ضد أي بلد آخر حتى لو كانت الاتهامات هي نفس الاتهامات. فهي لا تزال تحاصر ليبيا لمجرد وجود شخص واحد متهم (بعد تبرئة المتهم الثاني) بتفجير طائرة فوق لوكربي، والنتيجة الآن عقاب شعب كامل بسبب شخص واحد. كما أنها تحاصر العراق بالطريقة نفسها بحيث حولت شعب العراق إلى شعب جائع في الداخل ومشرد في الخارج يبحث عن مكان هنا وهناك. كما أنها تحاصر الجمهورية الإسلامية في إيران سياسياً واقتصادياً وإعلامياً.

من الطبيعي أن مثل هذه السياسة الأميركية لا بد أن تخلق حالة من الرفض وإحساساً بالقهر، مما قد يدفع بعض الجهات حتى ولو لم تكن من داخل هذا البلد إلى القيام بمثل هذه الأعمال التي حصلت. يضاف إلى ذلك هذا التأييد الأميركي المطلق لإسرائيل بهذا الشكل الوقح، وهذا ما نتمثله في الإدارة الأميركية الحاضرة التي أعطت شارون كل الحرية بأن يقوم بما يشبه عملية الإبادة للفلسطينيين بحيث إنها منحته وما زالت تمنحه الغطاء السياسي لكل أعماله بالمستوى الذي جعلت منه الضحية وجعلت من الشعب الفلسطيني مجرماً. حتى إن بعض أعضاء الكونغرس الأميركي اعترض على طريقة استخدام الأسلحة الأميركية الممنوحة لإسرائيل لأنها تبتعد في استعمالها عن القانون الموضوع لجهة استعمالها، وكان الجواب من وزير الخارجية الأميركية تبريراً لاستعمال هذه الأسلحة بالقول: إننا لا نجد أي خرق من إسرائيل لقانون استعمال الأسلحة الأميركية. علماً أن إسرائيل تقوم بعملية تدمير كل البنية التحتية الفلسطينية بشكل غير متكافئ مع ما يقوم به الفلسطينيون من عمليات خفيفة هنا أو كمين مسلح هناك أو عملية استشهادية هنالك.

لذلك فإن هذا التأييد لإسرائيل لا بد أن يخلق في نفوس كل العالم العربي والإسلامي، وحتى العالم الثالث الذي ليس هو عربياً ولا إسلامياً، ممن يتعاطفون مع الشعب الفلسطيني الكثير من الحالات الرافضة.

بلد الإرهاب

وهناك نقطة أخرى هي أننا نعرف أن أميركا هي بلد الإرهاب، أنا لا أتحدث عن إرهاب الدولة المنظم لأنه يدخل في الحديث الاستهلاكي الذي اعتادته اللغة السياسية، بل أتحدث عن حجم الجريمة في المجتمع الأميركي على مستوى الاغتصاب والقتل، حتى أصبحت جرائم قتل التلاميذ الأطفال لزملائهم الأطفال في المدرسة ظاهرة من ظواهر المجتمع الأميركي، وباتت هذه الظاهرة مشكلة في أميركا بسبب حرية استخدام الأسلحة وبيعها.

كما أن أميركا تعيش واقع تفشي ظاهرة المنظمات غير المعقولة التي يمكن أن تقوم بأعمال خطيرة وكبيرة ومعقدة، وهو ما عرفناه في تفجير أوكلاهوما، حيث اتهم به العرب والمسلمون في البداية، ثم تبين أن الذي قام بهذا التفجير هم جماعة أميركية متطرفة في ذهنيتها الدينية.

توزيع الاتهامات

■ **كيف تفسر توجيه الاتهام إلى العرب والمسلمين فور شيوع نبأ التفجير في إطار حملة إعلامية منظمة؟**

هناك نقطتان: الأولى هي أن الإعلام الأميركي سواء المكتوب أو المسموع أو المرئي، يخضع للسياسة الصهيونية بشكل كبير جداً، سواء من خلال اللوبي اليهودي الذي يمسك بمفاصل الإعلام الأميركي أو من خلال الشخصيات الأميركية المتأثرة باليهود أكثر من اليهود أنفسهم، كما هو الحال في شخص نائب الرئيس الأميركي تشيني.

فهذا الإعلام الموجه أراد أن يطرح اسماً مستهلكاً في الإعلام العالمي هو أسامة بن لادن، كما طرح بشكل خافت لم يثبت أمام النقد اسم الجبهة الديموقراطية لتحرير فلسطين، ما جعل الإنسان الأميركي وكل المتابعين للإعلام الأميركي يتوجهون إلى بن لادن أو إلى الجهات العربية والإسلامية، لا سيما أن مثل هذه العمليات التي تسمى استشهادية في العمل الجهادي وتسمى انتحارية في غير العمل الجهادي، باتت تعرف بأنها من أعمال

العرب والمسلمين كما يحصل الآن في فلسطين، وكما حصل قبلها في لبنان، مع الإشارة إلى أن الذي أطلق هذه الإشارة هو شارون الذي تحدث عن الإرهاب الإسلامي الذي تعاني منه إسرائيل وأميركا في هذا المجال.

أما النقطة الثانية: فإنها تكمن في أن المسؤولين الأميركين ولا سيما الأمنيين، الذين كانوا يشعرون بأن الإنسان الأميركي ومعه الرأي العام العالمي كان يطلب الكشف عن هوية منفذي العمليات خصوصاً أن الاستخبارات المركزية الأميركية تعرّف عن نفسها بأنها أقوى الاستخبارات في العالم كونها تمثل الأخطبوط الذي يمد كل أذرعه إلى كل مكان في العالم.

من هنا أراد هؤلاء الأمنيون أن يشغلوا العالم باسم وبعنوان عربي وإسلامي مستهلك أميركياً وأوروبياً وإسرائيلياً، ولعل ذلك جعل الإعلام يسير في هذا التجاه علماً أن الإدارة الأميركية حفظت خط الرجعة فحاولت أن تتحدث عن اتهامات أخرى للتخفيف من قوة التأثيرات التي قد تحاصرها في المستقبل الذي قد يكشف حقائق دامغة مغايرة كلياً للاتهامات المستهلكة، كما حصل في تفجير أوكلاهوما، وهي بذلك تهيئ الرأي العام العالمي للضربة المرتقبة التي تنوي توجيهها إلى أفغانستان عندما تريد أن تعرض عضلاتها العسكرية لضربة قوية هنا أو هناك ولتأخذ حريتها في التحقيق والتفتيش.

المسألة الشرعية

■ **أين تضعون الأعمال التي تعرضت لها أميركا مؤخراً من الناحيتين الشرعية والسياسية؟**

من الناحية الشرعية لا نجد مبرراً شرعياً لهذا العمل بقدر ما يتعلق الأمر بالمدنيين الذين قتلوا خلال الهجمات على مركز التجارة العالمي، لأنهم لا علاقة لهم بالسياسة الأميركية من قريب أو بعيد.

■ **يبدو أنك استثنيت قتلى البنتاغون؟**

دع الأمر الآن... وحتى لو كان بعض الموظفين في هذه الدائرة الاقتصادية أو تلك، فليس من الضروري أن يكون مسؤولاً عن جرائم الإدارة الأميركية، خصوصاً أن هؤلاء الضحايا كانوا من جنسيات وأديان مختلفة مما لا يوجد أي مبرر شرعي للقيام بعمل

يقضي عليهم جميعاً، لأن الفكرة التي تقول إن بإمكاننا أن نسقط مدنيين إذا كانت الأهداف كبيرة إنما تتحرك عندما تكون هناك حرب حامية تفرض آلياتها وظروفها القيام بعمل قد يطال الأبرياء دون أن تقصدهم.

أما أن تقصد الأبرياء بالاستهداف لمجرد وجود معارضة سياسية لدولة ما قد لا يكون كل أبنائها معنيين بما تقوم به دولتهم، فإن ذلك ليس له مبرر شرعي، ولذلك قلنا إن ما حصل هو عمليات انتحارية وليست استشهادية، لأن العمليات الاستشهادية هي التي تنطلق من أجل قضايا كبرى على مستوى قضايا الشعوب، كما يحدث الآن في فلسطين، وكما حدث سابقاً في مواجهة الاحتلال الإسرائيلي للبنان.

أما في الجانب السياسي، فإننا لا نتصور أن هناك أية فائدة سياسية من هذا العمل بقدر ما يتعلق الأمر بالواقع العربي والإسلامي، باعتبار أن هذه المسألة أعطت أميركا في إدارتها الحالية دعم العالم، بما فيه الدول العربية والإسلامية، حتى المؤسسات الدينية والسياسية والثقافية، لأن كل هذا الضجيج الذي أثارته هذه العملية في العالم حجب السياسات الأميركية المعادية للشعوب عن وجدان الناس في العالم، حيث استغرق الناس في هذه المأساة الأميركية وشغلوا عن المآسي التي تقوم بها أميركا في العالم.

ورغم الهزائم القاسية التي لحقت بأميركا جراء هذه العمليات، إلا أنها استفادت من دعم العالم لها، وهي قادرة على تجاوز الضربة في المستقبل لما تملكه من مواقع القوة والنفوذ، خصوصاً عندما ينضم إليها الاتحاد الأوروبي والصين والدول العربية والإسلامية، وها هي اليوم تطرح التحالف الدولي على مكافحة الإرهاب.

الثور الجريح

ربما يفكر البعض بأن الصدمة الكبرى تحدت أميركا في موقعها الأمني والسياسي والتجاري، وعندما تغير أميركا سياستها تجاه الشعوب جراء ذلك، فإن هذه الصدمة قد تكون لها نتائج إيجابية، لأن أميركا التي تعيش طغيان القوة وتتحول فجأة إلى ما يشبه الثور الجريح، فسوف تزداد عنفاً وطغياناً في ردة فعلها لاستعادة هيبتها كما فعلت في قصف مصنع الدواء في السودان بعد تفجير سفارتيها، والمسألة في ذلك تهدف إلى ضرب الضعيف بقوة ينخلع لها قلب القوي.

مجتمع الحرب

■ **ما هو الفارق بين استهداف مدنيين في إسرائيل وبين استهداف المدنيين مؤخراً في أميركا؟**

الفرق كبير. ففي فلسطين كل العمليات التي ينفذها المجاهدون هي مسألة دفاع عن النفس لأن إسرائيل تملك أقوى الأسلحة وتستعملها في تدمير الشعب الفلسطيني في إنسانه المدني والعسكري وفي المؤسسات الرسمية والشعبية، بما يمثل حجم الحرب التي تستهدف إبادة الشعب الفلسطيني بشكل تدريجي ليقبل بأي شيء تفرضه إسرائيل عليه في دولة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة وتكون الدولة الفلسطينية مجرد محمية إسرائيلية، والفلسطينيون لا يملكون في مواجهة هذه الحرب المدمرة، السلاح المقاوم للسلاح الإسرائيلي، ولذلك فإن الوسيلة الوحيدة لإدخال الإسرائيليين في المأزق الأمني هي العمليات الاستشهادية، حيث لا يبقى أي أمن لأي إسرائيلي في كل مكان، وهذه العمليات تمثل الضرورات العسكرية التي لا مجال للتماسك بين الشعب الفلسطيني إلا بها، تماماً كما في قول الله تعالى: ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه﴾ فالفلسطينيون شعب لا يحب الدماء ويريد العيش بسلام. ومن جهة ثانية فإن المجتمع الإسرائيلي هو مجتمع عسكري ومجتمع حرب، ولا نعتبر أن في إسرائيل في المنطقة المحتلة يوجد مدنيون، لأن المستوطين احتلوا أرضاً فلسطينية وكل إنسان يحتل أرضاً فلسطينية أو يسكن في بيت فلسطيني هو إنسان محارب، وبالتالي فإن المستوطنين محاربون وتراهم كيف يحاربون الفلسطينيين بشكل علني.

■ **لماذا برأيك حمّل الإعلام المسؤولية للعرب والمسلمين؟**

إن العرب والمسلمين لا يحملون عقدة بالمعنى الإنساني ضد الغرب. وإننا نرى هجرة المسلمين إلى الغرب بالملايين ويحصلون على العمل والحرية والعلم وكل شيء إنساني، وقد ساهم المسلمون في عملية التقدم الغربي على صعد الاكتشافات العلمية والطبية وهم كثر، كما أن كثيراً من المسلمين دخلوا إلى النسيج الاجتماعي الغربي، ما يعني أن المسلمين لا يتعقدون من الإنساني الغربي، ولكن المسلمين لا يحملون كغيرهم من الشعوب عقدة من السياسات الغربية على الصعد السياسية والاقتصادية والأمنية، وهم قد يحملون مثل هذه العقد تجاه روسيا في حربها ضد المسلمين الشيشانيين، ولذلك أتصور أن الغرب هو الذي يحمل العقدة تجاه العرب والمسلمين سواء على صعيد الإدارات الرسمية أو على صعيد الكثير من الشعوب والجماعات التي تختزن الحقد والعنصرية

الفكرية والدينية والإنسانية ضد المسلمين، بهدف تحويل المجتمع الإسلامي والعربي إلى سوق استهلاكي، ولذلك فإن أي حركة إسلامية أو قومية تعمل على تكريس الاكتفاء الذاتي، تعتبر بنظر الغرب بمثابة الحرب على اقتصاده، وهكذا هو الغرب في صراعاته الغربية ـ الغربية، أما في صراعاته مع الدول العربية أو الدول الشرقية، فهو يعيش العقدة ضد الإسلام الحركي والسياسي حتى لو لم يكن أصولياً، أي الإسلام الذي يقول للمسلم كن حراً كن منتجاً، وهذا ينسحب على كل شعوب العالم الثالث.

التعرض للعرب والمسلمين

فالعنصرية الغربية ضد العرب والمسلمين قائمة، وهذا ما كان واضحاً بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، حين قالت رئيسة وزراء بريطانيا السابقة مارغريت تاتشر الإسلام هو العدو الجديد، في حين أن الاعتداءات التي طاولت العرب والمسلمين في معظم دول الغرب هي نتيجة التربية العنصرية التي تربى عليها بعض المجتمع الغربي الذي عاش العنصرية ضد الإسلام ككل، وفقدوا بذلك كل معنى للحضارة وانكفأوا إلى كهوف التخلف والعقم الفكري المتحجر.

أسامة بن لادن

فلو سلّمنا جدلاً أن أسامة بن لادن وراء التفجيرات، فما هو دخل المسلمين في أميركا وكندا وأستراليا لكي تمارس ضد المسلمين كل هذا الحقد العنصري، ولو كان الأمر معهم، هل سيبررون هجوم المسلمين على مواطنيهم؟ طبعاً لا، بل سيتحدثون عن المسلمين بأنهم وحوش وإرهابيون وما شابه. وهذا ما نشاهده في مجتمعاتنا عندما أشار الأمين العام للحلف الأطلسي آنذاك إلى أن الإسلام هو العدو المحتمل للغرب، ولذلك فإن كل أجهزة الغرب الأمنية والتربوية والاقتصادية تهدف إلى تدمير الإسلام في نفوس المسلمين.

نحن نعتقد بأن الإسلام يرفض الإرهاب بمعنى الإساءة إلى المدنيين والأبرياء، وهو يفرق بين الإرهاب وبين حركة التحرر والدفاع عن النفس، وعلينا أن لا نسقط أمام هذه الحملة الإرهابية الإعلامية التي تقودها أميركا وإسرائيل وبعض دول أوروبا ضد الإسلام والعرب. علينا أن نتماسك ونقول لسنا إرهابيين بل نحن مجاهدون ندافع عن حقنا.

تحذر أميركا مواطنيها في العالم أن يأخذوا الحيطة والحذر من أي مهاجمة ضدهم انتقاماً

من السياسة الأميركية، ومع ذلك لم نر أي اعتداء ضد الأميركيين في أي دولة من دول العالم العربي أو الإسلامي، بينما شاهدْنا البعض في دول الغرب يضطهد المسلمين والعرب لمجرد اتهام شخص واحد باتهامات غير ثابتة، ولقد جاء في الكثير من الأخبار عن اعتداءات طاولت النساء المتحجبات في الغرب لمجرد أنهن من المسلمات، وكذلك فإن بعض المسلمين خافوا من أداء صلاة الجمعة في دول غربية تحسباً لاعتداءات قد تطالهم.

ونحن ندعو أبناءنا المسلمين في الغرب إلى توخي الحذر من هجمات واعتداءات ضدهم، وعليهم أن يتوجهوا إلى العقلاء من الغربيين وإعلامهم بخطر هذه الاعتداءات على الجميع، لأن الفعل يستدعي ردة الفعل، ونحن نرفض الفعل كما نرفض ردة الفعل.

مؤتمر دوربان والعنصرية

لقد بادر الرئيس بوش وبعض الدوائر الغربية إلى طلب عدم التعرض للمسلمين لأن ذلك يعطي وجهاً وحشياً همجياً للإنسان الأميركي والأوروبي ويزيل عن وجدان العالم الصورة الحضارية وقضية حركة الحريات، ويعيد فكرة العنصرية الدينية ضد الدين الآخر، ولا يزال مؤتمر دوربان الذي تحدث عن العنصرية ماثلاً للعيان. وهذا الطلب ليس لسواد عيون المسلمين، بل ليكون الغربيون منسجمين مع أنفسهم في تبجحهم في الدفاع عن الحريات.

الخطاب العربي

■ **ألا ترون أن الخطاب العربي والإسلامي غائب عن التعامل مع الغرب؟**

إن مشكلة الخطاب العربي على المستوى الرسمي هو أنه يعيش الخوف والقلق والعجز المطلق أمام الغرب، لأن أغلب هذه الأنظمة خاضعة بشكل مطلق للغرب، بل إن الكثيرين من القائمين عليها موظفون لدى الاستخبارات المركزية الأميركية التي تستطيع أن توظف شخصاً في موقع رئاسي أو غير رئاسي.

أما بالنسبة إلى الواقع العربي والإسلامي، فإن فيه أقلاماً وأصواتاً صادقة تعرف كيف تخاطب الغرب، إنما مشكلة العربي والإسلامي تبقى داخل المجتمع الإسلامي والعربي، ومعظم الفضائيات العربية والإسلامية أن تتحدث بلغة الغرب بما لا يجتذب المشاهد الغربي.

ساحة المعركة المحتملة

■ **أين تتوقع أن تكون ساحة المعركة التي تنوي أميركا خوضها لاستعادة هيبتها في العالم؟**

إنني أتصور أن أميركا تعرف أنها لا تستطيع أن تقضي على ما تسميه الإرهاب مهما فعلت، لأن قضية الإرهاب ليست لافتة أو بيتاً هنا أو مجموعة صغيرة هناك، بل إن هذه القضية تتحرك في عملية إنتاج وتوالد مكثف متكاثر تبعاً لكل الضغوط التي تمارسها الدول الكبرى ضد الشعوب المستضعفة، هذا إضافة إلى الإرهاب الفردي الذي لا تزال تعاني منه كل الدول من خلال إحصائيات الجريمة الداخلية.

المهم أن أميركا الآن تريد أن تعيد هيبتها وأن تعيد عنفوانها وأن توحي للعالم الذي بدأ يتحدث بإشفاق عن العجز الأميركي في حماية أقوى المواقع التي تمثل مكامن القوة في أميركا في مركز التجارة العالمي والبنتاغون والبيت الأبيض الذي كان مهدداً بالتفجير أيضاً، وتحولت خلال ٨ ساعات إلى دولة تعاني من انعدام الوزن وكان كبار المسؤولين حتى لو على مستوى الرئاسة يختبئون في الملاجئ خشية أن يلاحقهم التفجير. لذلك ستبحث أميركا عن عدو تضربه كيفما كان، ولا سيما العدو الضعيف الذي تضربه بشكل ينخلع له قلب الكبير والقوي.

الأطلسي وتصفية الحسابات

من هنا أنا لا أتصور أن يحصل شيء لباكستان، ولكن أفغانستان ـ حتى الآن ـ هي الضحية المحتملة، وربما تتحرك التحقيقات إلى توجيه التهمة إلى بعض الدول التى ترى أميركا في ذلك فرصة لاحتوائها أو ضربها أو لتصفية حسابات معها.

وأعتقد أن الحلف الأطلسي يبحث الآن عن طريقة لتصفية أكثر من حساب لأكثر من دولة، ونحن لا نريد أن ندخل في النبوءات أو الرجم في الغيب، بل يجب أن نكون حذرين وأن لا نسقط أمام كل تهاويل الإعلام الأميركي.

سوبرمان الإرهاب

وعندما يتحرك الغرب بأسلحته الصاروخية، فإن أفغانستان غير قادرة على المقاومة، ولكن ذلك سوف يخلق جرحاً عميقاً في كل الشارع الإسلامي رغم تعقيد هذا الشارع من

حركة طالبان، وسوف تكون هناك ردة فعل قوية تماماً كما حصل في حرب الخليج رغم التعاطف مع الكويت ضد النظام العراقي. قد لا تنزل أميركا جيشها على الأرض، وربما يكون الهجوم هجوماً جوياً صاعقاً، وقد وضعت أفغانستان في الواجهة، واعتبرت أميركا أن بن لادن هو سوبرمان الإرهاب العالمي.

■ **ما هي برأيك العقيدة التي أقنعت الطيارين المحترفين بالانتحار، هل هي عقيدة دينية أم سياسية؟**

لا أستطيع أن أحكم لأنني لا أعرفهم، ولكن حتى الإنسان الذي لا يلتزم بدين، يحمل رواسب دينية في أعماق نفسه، وسألني سابقاً البعض عن تفسير العمليات الاستشهادية التي يقوم بها الماركسيون، فقلت إنهم لا يؤمنون بالله في الصدر، ولكن الإيمان بالله يعيش في أعماق قلوبهم.

■ **ما هو المطلوب عربياً وإسلامياً في هذه المرحلة؟**

على مستوى الأنظمة، فإن المطلوب تحركها بما يشبه حالة الطوارئ لمواجهة هذه الهجمة الإعلامية والسياسية وربما الأمنية، وأن لا تعيش في ذهنية عقدة الذنب، كمن يشعر في نفسه بالجريمة ويريد أن يقدم اعتذاره للطرف الآخر، بل أن يشعروا بأنهم مظلومون في هذه الهجمة، وإذا حصلت أي هجمة ضد أي بلد عربي أو إسلامي فستكون الظلامة أكبر، لأنه لا يجوز أن يعاقب بلد بكامله إذا قام بعض أفراده بجريمة معينة، وعلى الدول العربية والإسلامية أن تجتمع وتتدارس المرحلة الصعبة التي سوف تقبل عليها المنطقة، وتخطط للتحرك المستقبلي الذي لا يجوز أن يكون تحركاً من موقع الضعف، بل من موقع العقل الذي يختزن معاني القوة.

كما على الشعوب العربية والإسلامية أن لا تشعر أنها في موقع الاتهام، بل عليها أن تقف وقفة فاعلة وتقول للغرب لسنا إرهابيين، بل طلاب حرية وعدالة وسلام. أما إذا استمر اتجاه العرب والمسلمين بهذه الجرائم، فمن الطبيعي أن يتحرك رد الفعل في المواقع العربية والإسلامية بشكل قد لا يكون مبرراً من الناحية الأمنية ولا السياسية.

حشد العالم

■ **هل تستطيع أميركا أن تحشد معها العالم ضد أفغانستان أو أي دولة قد تثبت**

إدانتها، كما فعلت عندما حشدت العالم إبان غزو العراق للكويت؟
عندما انطلقت الحادثة اجتمع العالم بأجمعه للتعاطف مع أميركا والاستعداد لمساعدتها، ولكن عندما بدأ العالم يستعيد طبيعة الأمور، سمعنا بريطانيا تقول لا يمكن أن نساعد أميركا بشكل مطلق، وسمعنا الدانمارك تقول لا يمكن أن نساعد أميركا، فالذين تحمسوا لأميركا يقولون الآن إذا كان الغرب هو المستهدف فإننا نقف مع أميركا مائة بالمائة، ولكن إذا كانت أميركا هي المستهدفة فلدينا تحفظات لأن الدول ليست جمعيات خيرية، ولأن الصداقات الدولية هي مصالح متبادلة، وكل دولة تعيش مصالحها، وخصوصاً في الصراع الخفي بين أوروبا وأميركا، وبين الصين وأميركا، وبين روسيا وأميركا. إن القوي قد يكون قوياً في ما يملكه من أسلحة وتكنولوجيا، ولكنه عندما يدخل في السياسة والاقتصاد مع الآخرين تضعف كثيراً مواقع قوته. وسابقاً قلت إن في القوي نقاط ضعف وفي الضعيف نقاط قوة، وعلينا أن نقبل القوي في نقاط ضعفه بنقاط قوتنا.

عندما تهدأ الضجة ويدفع الناس إلى عقولهم لأن العالم لا عقل له، وعندما يبدأ العقل تبدأ الحسابات الدقيقة ويعرف الناس لماذا كان ما حصل، وسيعرف الناس أن الذين فجروا أنفسهم إنما فجروها نتيجة قهر جعلهم يفجرون أنفسهم في من قهرهم، لأن هذا التفجير هو تفجير لعنفوان أميركا في العالم.

٣

أميركا لا تعرف معنى العدالة

رأى سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله أن الإدارة الأميركية تلقفت إشارات إسرائيلية عملت بها لاتهام العرب والمسلمين في الهجمات على أميركا.

وأكد أن الخطة الأميركية تعمل على ابتزاز أكثر من دولة عربية وإسلامية لتخويفها والتهويل عليها، وخصوصاً لبنان وسورية، لتقديم تنازلات في مسألة المقاومة ضد الاحتلال الإسرائيلي. وطالب بتسليم المسؤولين الأميركيين الذين خططوا لمتفجرة بئر العبد باعتبارهم مسؤولين عن أعمال إرهابية. جاء ذلك في حوار تلفزيوني مع سماحته على الشكل التالي:

حاجة أميركا لاستعادة هيبتها

■ **ما هي الصفة التي تعطونها لهذه الحرب؟ وكيف ترونها؟**

إنني أتصور في العمق الذي نتمثل فيه القاعدة التي تتحرك فيها السياسة الأميركية، أن هذه الحرب هي حرب على كل الذين يرفضون السياسة الأميركية وأسلوبها في إدارة

مقابلة أجراها تلفزيون لبنان مع سماحته بتاريخ ٢٠٠١/٩/٢٤م

قضايا العالم، ولا سيما قضايا الشرق الأوسط، تحت عنوان الحرب على الإرهاب، لأن فهم أميركا للإرهاب يختلف عن معنى هذه الكلمة في بعدها الإنساني، لأننا نفهم الإرهاب أنه كل عمل يستهدف المدنيين الأبرياء بشكل مباشر تحت عناوين سياسية أو شخصية دون أن يكون هناك حرب تفرض ذلك. ولهذا فإن أميركا تعتبر الانتفاضة في فلسطين إرهاباً، لأنها تستهدف الاحتلال الإسرائيلي الذي يعتبر أن الأرض التي يطالب بها الفلسطينيون هي أرضه التاريخية، وهي أرض متنازع عليها، سواء في القدس أو الضفة الغربية وغزة، وهكذا لاحظنا أن إسرائيل كانت تعتبر المقاومة في لبنان مقاومة إرهابية، بينما تعتبر أن كثيراً من الأعمال التي يقوم بها الشعب ضد حكامه حرباً تحريرية، فهي كانت تعتبر أن الشعب الذي كان يقوم ضد حاكم يوغسلافيا كان يقوم بعمل تحريري ونحو ذلك.

إنني أعتقد أن الحرب التي أثارتها أميركا الآن قد انطلقت من حاجة أميركا لاستعادة هيبتها وعنفوانها في العالم، لتفرض على العالم سياستها، في الوقت الذي لا تقف فيه مدافعة عن الشعوب المحتلة والشعوب المظلومة، وهو ما لاحظناه في مؤتمر «دوربان» عندما انسحبت من المؤتمر لمجرّد أنها رأت أن المؤتمر قد يناقش قضيّة الاحتلال الإسرائيلي. وهذا عمل ليس ديموقراطياً على مستوى العالم، لأن الديموقراطية تفرض أن من حق الدول والشعوب أن تعبّر عن رأيها تجاه أيّة سياسة في هذا البلد أو ذاك. إننا نعتقد أنها حرب أميركا الأميركية، وليست حرب العالم ضد الإرهاب، لأن هذه المسألة لا تعالج بهذه الطريقة، «إما أن تكونوا معنا أو تكونوا مع الإرهاب»؟!.

إن الكثير من الدول، سواء الأوروبية أو العربية والإسلامية أو روسيا والصين التي عندما بدأت تتعقّل الأمور طلبت أن يبحث هذا الأمر تحت مظلة الأمم المتحدة، التي لا نثق بها لأنها واقعة تحت السيطرة الأميركية، ولكنهم تحدثوا عن الشرعية الدولية، التي لم توافق أميركا عليها حتى الآن، بل إنها أمسكت العصا لتهدّد الدول كلها حتى المتحالفة معها لتخوفها مما سيحدث لها في المستقبل.

ومع عدم انسجامنا مع حركة طالبان التي نتحفّظ على فهمها المتخلّف للإسلام، وخصوصاً بالنسبة للمرأة، فنحن لا نعتبر أسامة بن لادن القائد الإسلامي العظيم، ولكن أميركا بقولها إن أسامة بن لادن مشتبه به، دون أن تقدّم أي دليل قطعي على علاقته

بالموضوع، نتساءل ما هو المبرّر لهجومها على أفغانستان الذي يسقط تحت تأثيره الكثير من المدنيين والأبرياء، والشعب الأفغاني الجائع الذي لا يزال يعيش تحت ضغط التخلف والحرب والمعاناة؟

أهداف الحرب الأميركية

إنّي أتصور أن حرب أميركا تستهدف أمرين: أولاً استعادة ثقة الشعب الأميركي بالإدارة الأميركية، وبجهاز الاستخبارات وبالرئيس الأميركي، لأن هذا الحادث دلّل على فشل هذه الإدارة في حماية الشعب الأميركي، ثم ثانياً: محاولة استعادة هيبة أميركا في العالم لتصل إلى نتائج إيجابية لمصلحة سياستها التي لم تستطع تنفيذها في الحالات العادية.

- **لماذا اتهم المسلمون مباشرة بما حدث في أميركا، مع العلم أنه برز ضلوع أصابع إسرائيلية بهذه التفجيرات؟**

إننا نتساءل بدقة حول هذا، ولكننا نعتقد أن هناك خضوعاً للإدارة الأميركية لإسرائيل، لأن أول من أطلق كلمة الإرهاب الإسلامي موجّهاً الاتهام إلى المسلمين هو شارون، وقد تلقفت الإدارة الأميركية والاستخبارات ذلك، وحاولت طرح بعض الأسماء والكذب في أكثر من موقع من المواقع في هذا المجال، وقد صرح وزير الداخلية السعودي أن سبعة من هذه الأسماء التسعة عشر هم أحياء يرزقون وموجودون في السعودية يمارسون أعمالهم العادية، وما يدرينا أن تكون الأسماء الأخرى أسماء مزوّرة، أو أنها أكذوبة، وأخذت من خلال بعض شركات الطيران؟ فحتى الآن لم تستطع أميركا تقديم دليل قاطع على علاقة المسلمين بذلك، وهناك أكثر من علامة استفهام على أن هناك أكثر من جهة قد تكون أميركية أو إسرائيلية قد قامت بهذا العمل، لأن المستفيد من هذه المسألة إنما هم في الدرجة الأولى الإسرائيليون، ولأن المسلمين لن يستفيدوا ولم يستفيدوا من هذه المسألة. صحيح أنها أسقطت عنفوان أميركا، ولكن النتائج السياسية والاقتصادية والأمنية تتحرك لحساب أميركا في العالم، لأنها استطاعت أن تحرك العالم ليتعاطف مع أميركا، وأن تجمّد الكثير من القضايا الحيوية للشعوب والتي كانت تعاني من السياسة الأميركية، واستطاعت أن تجمّد الانتفاضة في حركتها السياسية والإعلامية في العالم، وتفسح المجال لإسرائيل للقيام بالهجوم المتحرك في أكثر من مدينة فلسطينية والضغط على الانتفاضة.

لهذا نقول: عندما نريد أن نتهم أية جهة، فعلينا معرفة المستفيد من هذه المسألة، وأعتقد أن أميركا أرادت إعادة ثقة الشعب الأميركي والعالم بالاستخبارات المركزية الأميركية، وأنها قادرة على أن تكتشف المتهمين، ولهذا بادرت بطريقة عشوائية إلى إلقاء التهمة وانطلقت تفتش عما يثبتها. فالتهمة كانت حاضرة سلفاً لتحقيق ما تريد، ثم بعد ذلك بدأت التفتيش عمّا يؤيد هذه التهمة من أشخاص دخلوا الولايات المتحدة بطريقة غير شرعية ـ كما قيل ـ أو أشخاص يتعلمون في مدارس الطيران وهم من العرب والمسلمين.

إن أميركا تبحث عمّا يؤيد التهمة التي أطلقتها جزافاً. لهذا فإن القضية ليست منطلقة من خلال العدالة إذ يسخر الإنسان من هذا الشعار الذي أطلقته أميركا «عدالة بلا حدود»، لأن أميركا لا تعرف معنى للعدالة، وأية عدالة في ما تتحرك أميركا فيه ضد الشعوب المضطهدة ولا سيما الشعب الفلسطيني؟!

أميركا تريد إكمال الطوق حول المنطقة

■ **ألا تشكّل خيرات أفغانستان عنصر جذب للولايات المتحدة؟**

أتصور أن من سياسة الولايات المتحدة استكمال استراتيجيتها في السيطرة على تلك المنطقة والتي يتواجد فيها الاتحاد الروسي، والصين، لتستكمل قواعدها العسكرية الموجودة في العالم، خصوصاً أنها تريد إكمال الطوق المحيط بإيران وأكثر من دولة هناك. فالقضية أن أميركا تحاول تنفيذ استراتيجيتها العسكرية والاقتصادية والسياسية في خدمة مصالحها، وهو ما يفسّر بعض التحفظات الروسية في بعض مواقع الحركة الأميركية في تلك المنطقة لأننا نعرف أن المنطقة ملأى بالثروات المختزنة في داخلها، وتعمل أميركا على استكمال سيطرتها على المواقع الاقتصادية في العالم، وهذا ما يفسّر حركة أميركا في أفريقيا، والتي تعمل على أساس تمزيق أفريقيا، وإخراج أوروبا منها، لتستطيع أن تملك أفريقيا بثرواتها كلها ـ والتي لم تكشف عنها ـ غنيمةً باردة.

أميركا تبتزّ لبنان وسورية

■ **هل تعتقد أن هناك ابتزازاً للبنان في موضوع الإرهاب؟**

إن الخطة الأميركية تحاول ابتزاز أكثر من دولة ولا سيما العربية والإسلامية من أجل تخويفها والتهويل عليها من الحرب القادمة، انطلاقاً من بعض علامات الاستفهام حول

ما حدث في الماضي أيام الحرب اللبنانية وما يمكن أن يتحرك الآن به في حرب المقاومة ضد إسرائيل.

إن أسلوب أميركا هذا هو أسلوب ابتزاز للبنان ولسورية لتقديم المزيد من التنازلات ولإثارة أجواء الخوف أكثر، وليخضعا للشروط الأميركية في أكثر من موقع سياسي في المنطقة، ولا سيما بما يتصل بموقع العلاقات مع إسرائيل إن عاجلاً أو آجلاً. وإلا فإن لبنان يعيش الآن مرحلة التقاط الأنفاس ليركّز سلْمه الأهلي، وليبعد كل الأوضاع الأمنية التي يمكن أن تجعل منه ساحة متفجرة في وجه أكثر من سياسة في العالم، وهو ما حدث عندما لاحقت الحكومة اللبنانية أحداث «الضنية» وغيرها من الامتدادات في المنطقة ـ بصرف النظر عن الصواب والخطأ في هذا المجال ـ مما يعني أنه ليس هناك في لبنان إلا المقاومة من الناحية العسكرية، فإذا كانت المقاومة إرهاباً فمعنى ذلك أن أميركا ستحاول تسجيل نقطة حمراء على لبنان في هذا المجال.

استراتيجية القوة وعرض العضلات

■ **هل تتوقعون تغييراً في السياسة الأميركية تجاه الشرق الأوسط؟ ولا سيما في ما يتعلق بقضية عملية السلام؟**

المشكلة في أميركا أنها تقوم على استراتيجية عنصر القوة وعرض العضلات في العالم، وأن السياسيين الأميركيين فقدوا الذهنية السياسية الموضوعية العقلانية التي تحترم حريات الشعوب، وأصبحت المسألة عندهم أن على الشعوب أن تخضع للسياسة الأميركية وأن تلتزمها وأن تنسجم معها وحدها لتتعقد ضد مواقع السياسة الأوروبية، لا سيما في الاقتصاد أو في مواقع السياسة الصينية أو الروسية ونحوهما..

ولهذا فإن الإحساس بالقوة المفرطة، باعتبار أنهم يرددون كلمة أنهم قادة العالم، ويمسكون بقيادة العالم، هو ما تمثّل بشكل واضح في خطابات الرئيس الأميركي ومسؤولي الإدارة الأميركية منذ التفجيرات حتى الآن، والذي يدلّ على أن أميركا تحاول استعراض عضلاتها حتى مما فقدت فيه الأسلوب الدبلوماسي الذي تستعمله الدول عندما تنفتح وتتحدث مع دول أخرى.

إن هذا يمنع أميركا من تصحيح سياستها، ولو فرضنا أن أميركا كانت جادة في حربها

ضد الإرهاب فعليها أولاً أن تتساءل لماذا الإرهاب؟ لماذا ينطلق بعض الناس ليفجروا أنفسهم، ولماذا ينطلق هؤلاء أياً كانوا ممن يفجّرون أنفسهم في الطائرات، ويفجرون غيرهم؟ هل هي قضية غسل دماغ؟ أو مسألة نفسيّة، أو أن هناك خلفيات سياسية من خلال القهر الذي يعيشه هؤلاء هنا وهناك؟ مما يفرض على أميركا أن تدرسه دراسة جيّدة. وعند ذلك لن تحتاج إلى حرب عالمية ضد الإرهاب وقد تستطيع الضغط على الكثير من عمليات الإرهاب، لتتفرغ بعد ذلك لدراسة الخلفيات السياسية لحركة الإرهاب التي لم يصفق أحد في العالم لها، لإنها تسيء إلى المدنيين ولا تنفع أحداً.

الحرب هي لحساب المصالح الأميركية

■ **هل سيتغير وضع المنطقة إذا حصلت الحرب المتوقعة؟**

أي حرب عسكرية حارّة حتى ضد العراق في الظروف الحالية لن تكون لها شعبية لدى الشعوب العربية والإسلامية، وحتى لدى الأنظمة العربية والإسلامية والتي تعرف نبض شعوبها في هذه المسألة، الأمر الذي يعقد السياسة الأميركية أكثر مما هي معقّدة. وقد تحاول أميركا استعادة هيبتها وعنفوانها بضربة لأفغانستان بطريقة وأخرى، ولكني أرى أن كل همّ أميركا هو استكمال السيطرة السياسية والاقتصادية على العالم. هذه هي مسألة الحرب على الإرهاب. إنها حرب أميركية لحساب المصالح الأميركية، لا لحساب أية فئة في العالم، لأننا نجد أنه ليس هناك مشاكل إرهابية لأكثر الدول في العالم بما في ذلك الدول الأوروبية. وإذا كانت هناك مشكلة إرهابية للدول الأوروبية فهي مشكلة إيرلندا، وإلا لم تتعرض أية دولة أوروبية لأي عمل إرهابي لا شرق أوسطي ولا غيره، وهذه الدول الأوروبية تعرف أنها ليست خاضعة لحركة الإرهاب ضدها، وأن المشكلة مشكلة إسرائيل في مواجهة الشعب الفلسطيني. لذلك فلو مورستْ سياسة أميركية أو أوروبية محايدة ـ ولا نقول لحساب العرب ـ بالنسبة للفلسطينيين، فإني أعتقد أن من الصعب أن نجد شيئاً إسلامياً أو عربياً أو غير ذلك يتحرك بأساليب الإرهاب التي رأيناها في الولايات المتحدة الأميركية.

أطالب بتسليم المسؤولين عن متفجرة بئر العبد

■ **في هذه الحرب المعلنة ضد الإرهاب، ألا تعتقدون أن للبنان مطالب مثلاً بتسليم الإرهابيين الذين حاولوا تنفيذ عمليات إرهابية في لبنان؟ وسماحتكم ممن تعرّض لهذه العمليات؟**

لقد طالبت بذلك، وقلت إني أطالب بتسليم الذين قاموا بالتخطيط لمتفجّرة بئر العبد التي قتلت ما يقارب المئة شخص من الأجنّة والأطفال والنساء والشباب والعمال، وجرحت الكثيرين من الناس الأبرياء، وهي خطة أميركية باعتراف «وليم كايسي» مدير الاستخبارات المركزية الأميركية آنذاك.

وهكذا بالنسبة إلى كثير من عمليات التفجير الأميركية التي كانت خلفياتها أميركية وإسرائيلية؟ ثم ما الذي ينقص شارون من الإرهاب والإجرام لتقديمه كأول إرهابي في العالم، أو شمعون بيريز الذي ارتكب مجزرة قانا، علماً أن شارون مرتكب مجزرة صبرا وشاتيلا؟

ولكن المشكلة أن كل شخص ينسجم مع السياسة الأميركية هو الذي يمثل حقوق الإنسان، وكل شخص يختلف مع أميركا هو إرهابي حتى يثبت العكس. لذلك نقول هي حرب استكبارية ضد المستضعفين في العالم باسم الحرب على الإرهاب.

وقد كنا نتمنى على «البابا» أن تكون كلمته أكثر حرارة في مواجهة الأسلوب الأميركي الذي تريد أميركا فيه استعراض عضلات القوة أمام الشعوب المقهورة، لأن السيد المسيح(ع) كان مع المستضعفين، ونريد للصوت المسيحي كما الإسلامي أن يكون مع المستضعفين دائماً ضد الاستكبار والمستكبرين، لأن الاستكبار شيطاني، ولأن واقع المستضعفين هو تحت رحمة الله تعالى.

٣

أميركا تبحث عن ضحية

أكد سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله أن الإدارة الأميركية تبحث عن ضحية، أي ضحية لتغطية فشلها الاستخباراتي في اكتشاف الهجمات الأخيرة وتداعياتها، وأن القضية ليست قضية عقاب مجرم تثبت جريمته.

وتساءل سماحته: لماذا تكون القضية أنه إذا اعتدي على أميركا فعلى العالم - وحتى العالم الإسلامي - أن يستنفر لمساعدتها، بينما لا تكون المسألة كذلك إذا اعتدي على شعب أعزل كالشعب الفلسطيني؟ وأكد أن المسألة ليست مسألة محاربة الإرهاب، لأن أميركا تساعد أكثر من موقع إرهابي في العالم ولا سيما إرهاب الكيان الإسرائيلي.

سئل سماحته في حديث تلفزيوني عن مرتكزات الفتوى التي أطلقها بتحريم مساعدة أميركا إذا شنت حرباً على أي بلد أو جهة إسلامية، فأجاب:

لقد لاحظنا في متابعتنا للإدارة الأميركية في هذه المسألة وتوجيهها الاتهام، منذ بداية الحدث، للجهة الإسلامية، من دون الدخول في تدقيق قضائي يضع المسألة في نصابها

الشرعي والقانوني الطبيعي، بل إنّها أثارت جوّاً من الكراهية ضد المسلمين لأنها كانت تشعر بالحاجة إلى البحث عن ضحية ـ أيّة ضحية ـ لتغطية الفشل الاستخباراتي في اكتشاف خلفيات هذا الحدث وتداعياته، ونحن نلاحظ في طريقة الولايات المتحدة للتحالف وإعلان الحرب على الحرب، وتقديم أسامة بن لادن كشخصية أسطورية ضخمة، والدعوة إلى الهجوم على أفغانستان وعلى أكثر من موقع باعتبار أنه «يأوي الإرهاب»، فهذا يمثل حركة أميركية لإضعاف أكثر من موقع إسلامي لا علاقة له بالإرهاب بشكل أساسي، ولكنّ علاقته تقوم على معارضة السياسة الأميركية في ضغطها على حقوق الشعوب، ولا سيما في ما يتّصل بالمسألة الفلسطينية.

ولذلك نحن نعتقد أن القضية ليست قضية عقاب مجرم تثبت جريمته بالطريقة القضائية، بل هي مسألة يراد من خلالها تنفيذ أكثر من مخطط سياسي. ولهذا فإننا نجد أن المسلمين في مواقعهم معرّضون لهجمة أميركية باسم التحالف في «الحرب على الإرهاب» دون أية أسس قانونية يمكن أن يقتنع بها النّاس. لهذا رأينا أن علينا تحذير المسلمين من ذلك وتحميلهم المسؤولية.

■ **سماحة العلامة المرجع: إذا كان هناك إثباتات وأدلّة حسيّة على تورّط دولة أو جهة إسلاميّة في الاعتداءات على الولايات المتحدة، ما هو موقفكم من هذه المسألة؟ وهل تعتبر الفتوى لاغية في هذه الحالة؟**

إننا نعتقد أن هذه المسألة تتصل بالولايات المتحدة، وهذه الدولة أو الجهة التي تذكرها مثلاً إذا ثبت أنّها مدانة بهذه العمليات، ولكن لماذا يقف المسلمون لمساعدة الولايات المتحدة في هذا المجال، إنّنا نتساءل: إن الولايات المتّحدة تُساعد إسرائيل مساعدة مطلقة في حرب الإبادة التي تشنها ضدّ الشعب الفلسطيني، ومع ذلك فإنّ الدول الأخرى لا تساعد الفلسطينيين على مواجهة هذا الإرهاب الإسرائيلي؟ لم نجد دعوة لا من الاتحاد الأوروبي ولا روسيا ولا الصين ولا أية دولة أخرى لمساعدة الشعب الفلسطيني وإنقاذه من الإرهاب الإسرائيلي؟! لماذا تكون القضية أنه إذا اعتدي على أميركا فعلى العالم وحتى الإسلامي منه أن يستنفر لمساعدتها بينما إذا اعتدي على شعب أعزل كالشعب الفلسطيني فليس من الضروري أن ينطلق العالم لمساعدته؟ إن المسألة تتحرك في هذا الاتجاه، إذا كانت هناك فئات إرهابية تسيء للمدنيين في أي بلدٍ فعلى هذا البلد الإسلامي أو العربي أن يتدبر أمره لمعالجة مشاكله الخاصة، أمّا أن

يستنفر العالم لمساعدة الولايات المتحدة فإنّ هذا منطق لا يقبله العقل ولا الوجدان.

- **وعما إذا كان هناك تحالف دوليّ لمحاربة الإرهاب، ألا توافقون على مشاركة المسلمين فيه؟**

إننا لا نفهم خطّ هذا التحالف، وإنّنا نعرف أن الدول الكبرى تضغط على الدول الصغرى وخصوصاً العربية والإسلامية ودول العالم الثالث، إن المسألة ليست قضيّة تحالف ولكنها فرض هذا التحالف، وهو ما لاحظناه في الشروط السبعة المقدّمة من أميركا للدول، ومنها إمّا أن تكونوا معنا وإلا فسوف نعزلكم ونعاقبكم وغير ذلك!! فالمطلوب ليس التحالف الخاضع للشرعية الدولية ولدراسة موضوعية دقيقة لكلّ المشاكل التي يمكن أن تحصل لهذه الدولة أو تلك حين تأخذ بأسباب هذا التحالف، بل إن القضية أن الولايات المتحدة ـ ولأجل إعادة هيبتها وإعادة عنفوانها وتطمين الشعب الأميركي ـ تريد إدخال العالم كله في هذه الزنزانة الأمنية، ولهذا فنحن نعتقد أنّ المسألة ليست محاربة الإرهاب في العالم، لأن أميركا تساعد أكثر من موقع إرهابي في العالم ولا سيّما إرهاب الكيان الصهيوني، بل إنّ المسألة هي استعادة هيبة الدولة الأميركية حتى لا يستطيع أحد في العالم أن يرفع رأسه ويعارض السياسة الأميركية أو المصالح الأميركية والتي تقوم على حساب مصالح الشعوب، لأنّه سيُتّهم بالإرهاب هنا وهناك.

إنّنا ندعو إلى وعي سياسيّ عميق يستنكر هذه العمليات التي سقط فيها الكثيرون من المدنيين من سائر انحاء العالم، ولكنه في الوقت نفسه لا يصادر قضايا الشعوب على حساب هيبة الولايات المتحدة.

وسئل سماحته: ألا تتعارض فتوى اليوم مع الموقف الصّادر عن سماحتكم غداة التفجيرات التي استهدفت واشنطن ونيويورك؟

أجاب: ليس هناك أيّة منافاة بين الفتوى وبين استنكارنا لهذه التفجيرات، لأننا لا نزال نستنكر التفجيرات الحاصلة اليوم وغداً وبعد غد كما نستنكر التفجيرات التي يمكن أن تحصل في أماكن أخرى، وإنّنا استنكرنا ولا نزال كل التفجيرات التي يتحرّك بها الإسرائيليون بالأسلحة الأميركية ضدّ الفلسطينيين، ولكنّنا نقول: أيّها المسلمون لا تساعدوا أميركا على ضرب شعب مسلم كالأفغان الذي يعد شعباً جائعاً مشرداً مسكوناً بالفتنة والتشريد بكل معنى الكلمة، لأنّ أميركا تحاول تجريب عضلاتها في الشعب

الأفغاني البائس والذي يعيش مشكلته من خلال الحكم المسيطر عليه، واللعبة الدولية التي لا تزال تحاصره من كل جانب.

إننا نريد أن نقول للمسلمين إنّ أميركا لا تساعدكم في حل مشاكلكم، بل تحاول استغلال مشاكلكم لحساب مصالحها، فلا تساعدوها في ضغطها على هذا الشعب المسلم وذاك الشعب بحجة أنّه يأوي الإرهابيين وغيرهم.

ولذلك فإنّ الفتوى تريد أن تصحّح مسار القضية التي أريد لها مصادرة كل القضايا السياسية في معارضة السياسة الأميركية باسم إنكار هذه التفجيرات وما سوى ذلك.

٤

أتهم أميركا بالإرهاب

في الأول من أيلول اتفقنا مع المكتب الإعلامي لسماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، أن تكون إطلالة سماحته الليلة ليشرق معنا بأفكاره الغنية والكبيرة كالعادة حول مسائل يمرّ بها لبنان العربي والإسلامي، لكنَّ تطورات الحادي عشر من أيلول وما تلاها فرضت نفسها علينا وعلى مواضيع اللقاء والنقاش مع سماحة السيد.

ـ هل من علاقة بين الإسلام والإرهاب؟

ـ من له الحق بالدعوة إلى الجهاد؟

ـ وما هو معيار التكفير؟

وهل المسيحيون واليهود كفّار؟

ـ هل هناك ميزان جديد في العلاقات الدولية؟

ـ أين لبنان في ضوء ما يجري؟

ـ مسار التسوية السلمية أين أصبح؟ وهل ما جرى من شأنه التسريع نحو الانفجار أو نحو التسوية؟..

مقابلة مع LBC حاوره مرسيل غانم.

أطالب بتسليم المخططين لمتفجرة بئر العبد

■ **تحدث البعض عن ورود اسمكم على لائحة الإرهاب التي وضعتها الولايات المتحدة ـ كما أشار السيد وليد جنبلاط ـ فهل هذا يخيفكم أم يشرّفكم؟**

عندما ننطلق إلى مفهوم أميركا للإرهاب، بأن كل من يعارض السياسة الأميركية هو إرهابي، فإني أتشرف بهذا اللقب، لأني أعارض السياسة الأميركية في مواجهتها لحقوق الشعوب ومصالحها، وأحترم الشعب الأميركي وأدعو إلى صداقته، وفي الوقت نفسه، أتهم أميركا بالإرهاب في ما قامت به، على الأقل الاستخبارات المركزية الأميركية في محاولة اغتيالي في متفجرة بئر العبد سنة ١٩٨٥، والتي قتل فيها الأطفال والأجنة والنساء والعمال من الشيوخ والشباب. وقد اعترف بهذه الجريمة مدير الاستخبارات المركزية الأميركية «وليم كايسي» في تخطيطه لتنفيذ هذا الموضوع مع بعض السفراء العرب، وبعض المسؤولين اللبنانيين، ولقد قلت إن أميركا إذا كانت تثير مسألة ضرورة تسليم المتهمين بالإرهاب في الأحداث الأميركية في هذه المرحلة، فإني أدعوها أن تسلم لبنان المتهمين بالإرهاب في متفجرة بئر العبد التي كانت أحداثها مشابهةً لأحداث أميركا في تفجير مركز التجارة العالمي، مع الفارق في عدد الضحايا.

اعترافات وليم كايسي

■ **هل لديكم إثباتات رسمية أخرى غير اعتراف وليم كايسي، في متفجرة بئر العبد، وتورط أميركا مباشرة بها؟**

ليست هناك إثباتات مباشرة إلا ما نشرته «الواشنطن بوست» وما نشر في مذكرات وليم كايسي، ومن الطبيعي أنه يمثل قمة الهرم في الاستخبارات المركزية الأميركية، وأي اعتراف أكثر رسمية من اعتراف مدير الاستخبارات المركزية الأميركية!

دفاتر قديمة

■ **هل تأكدت إن كانت أميركا جددت طلبها من الحكومة اللبنانية تسليمها السيد محمد حسين فضل الله، حسب لائحة أميركا التي وضعتها؟**

وفق معلوماتي التي لا أضمن أنها دقيقة، أنه لم يطرح اسمي بشكل رسمي في ما قدم إلى اللبنانيين، ولكن ربما كانوا يستعيدون الدفاتر القديمة.

■ **هل طرح هذا الاسم بشكل غير رسمي؟**

ليس لدي معلومات.

أنا إنساني ولست إرهابياً

■ **هل أنتم إرهابيون بالكلمة فقط، وليس بالعنف؟**

أنا لست إرهابياً، إنني إنساني، وعندما أكون إنسانياً فلا بدّ أن أتفاعل مع كل آلام الإنسان، سواء أكان عربياً أم غير عربي، وسواء أكان مسلماً أم غير مسلم، لأن إنسانيتي تفرض علي أن أعيش في إنسانية الآخر، ولذلك فإني أعتبر أن الدول الكبرى، ولا سيما أميركا، تعمل على إسقاط إنسانية الإنسان بإسقاط حريته باسم الدفاع عن الحرية، وفي مصادرة مصالحه تحت عناوين متعددة، فكيف يمكنني أن أتحدث عن أميركا التي تطالب بحقوق الإنسان، وأنا أرى أميركا تغطي إسرائيل وتزودها بمختلف الأسلحة التدميرية، لتتحرّك في عملية الإبادة للشعب الفلسطيني؟! وتتحدث عن أن إسرائيل تقوم بعملية الدفاع عن النفس، وأن إسرائيل لم تخرق قوانين استعمال الأسلحة الأميركية.

أميركا وإسرائيل والإرهاب

إننا عندما نعرف أن إسرائيل احتلت أراضي الفلسطينيين على الأقل في الضفة الغربية وغزة. هذه الأراضي، بعد أن قرّر مجلس الأمن أنها أراضٍ محتلة، كما قرر أن القدس الشرقية أراضٍ محتلة.. أخذت أميركا تتحدث عن أنها أراضٍ متنازع عليها، ولا تعترف أميركا أن إسرائيل هي دولة احتلال، ونحن نعرف أن إسرائيل تستعمل كل الأسلحة الأميركية التي لا تستعمل إلا في الحروب الكبيرة، وتجرف البساتين، وتدمر البيوت، وتشرد أهلها، وتقتل المدنيين، وتغتال السياسيين بقرار رسمي حكومي، ولا يمثل ذلك ـ بنظر أحد ـ أية مأساة! ولكن إذا قام استشهادي بعملية استشهادية، فإن أميركا تدعو بالويل والثبور وعظائم الأمور لأن هذا عمل إرهابي، في الوقت الذي لا تعتبر أميركا نفسها إرهابية عندما أسقطت القنبلة على هيروشيما.

إسرائيل لم تترك للفلسطينيين الخيار

■ **ما الفرق بين الاستشهاد والانتحار؟ وهل العمليات في فلسطين التي يسقط فيها أبرياء هي عمليات استشهادية؟**

في فلسطين حرب ضد المحتل، وحرب المحتل ضد الشعب الذي فقد وطنه وهو يعيش في وطنه، وفقد حريته واستقلاله، واستعملت في الحرب ضد هذا الشعب كل الأسلحة

الأميركية التي قدمتها أميركا لإسرائيل، ولم يكن هناك بيد الفلسطينيين في الدفاع عن أنفسهم، وفي الضغط على المحتلّ، إلا السلاح الخفيف والحجارة، ولهذا فإن الإسرائيليين قد حشروا الفلسطينيين في حصارهم الاقتصادي والجغرافي وعملية الإبادة في زنزانة الزاوية، ولم يكن هناك أي سلاح للفلسطينيين كي يسيطروا على هذا النحو من حرب الإبادة إلاّ أن يتحولوا إلى قنابل موقوته ومتفجرة في الواقع المدني الإسرائيلي، لتشعر إسرائيل أن حربها ضد الشعب الفلسطيني لا يمنحها الأمن، وأن شعار حكومة إسرائيل الحالية في إعطاء الأمن للإنسان الإسرائيلي هو شعار غير واقعي، مع ملاحظة أخرى، وهي أننا نعتبر أن كل يهودي سكن في بيت فلسطيني أو صادر أرضاً فلسطينية، هو محارب وإرهابي، لأننا نعتبر أن من أنواع الإرهاب أن تحتل بيت إنسان وتطرده منه أو أن تصادر أرض إنسان وتمنعه من استثمارها والبناء فيها، ولذلك نعتبر أن كل يهودي ويهودية هو جندي احتياط لأنه إرهابي باحتلاله لأرض الآخرين.

اليهود والاحتلال

■ **نحن نتحدث عن اليهود في فلسطين، أليس كذلك؟**

نحن نعترف باليهود الذين كانوا في فلسطين قبل الـ ١٩٤٨ فهؤلاء مواطنون فلسطينيون لهم ما للمواطنين الفلسطينيين من المسيحيين والمسلمين وعليهم ما عليهم، أما اليهود الذين قدموا من سائر أنحاء العالم تحت تأثير مسألة، لو عرضها العالم المتحضر على الوجدان الثقافي لديه لرآها تدعو إلى السخرية، فأن يعيش شعب قبل ثلاثة آلاف سنة في أرض لتجعل لهذا الشعب حقاً في هذه الأرض وتجعل المقيمين في هذه الأرض منذ آلاف السنين محتلين، فهذه أسطورة لا يقبلها أي منطق حضاري.

الضرورات العسكرية

■ **هل أفهم من كلامكم ـ سماحة السيد ـ حلّية قتل كل يهودي في فلسطين المحتلة؟**

أنا لا أتحدث عن فتوى بتحليل قتل كل يهودي بالدم البارد، فربما يكون بعض اليهود من المغشوشين الواقعين تحت تأثير هذه الأسطورة، ولكن أقول: عندما تكون هناك حرب فإن طبيعة الضرورات العسكرية قد تبرّر ما حدث في فلسطين، تماماً كما تبرر كل الحروب ما يحدث من سقوط المدنيين هنا وهناك عندما تدعو الضرورات العسكرية. إن الحرب في طبيعة مفرداتها غير إنسانية، ولذلك فإنك لا تستطيع أن تقيس الحرب في

مفرداتها بالمنطق الإنساني على أساس السنتمتر، فهذا لا يمكن، لأن القضية هل هذه الحرب شرعية أو غير شرعية؟ هذه هي المسألة! وحرب الفلسطينيين ضد المحتل هي حرب شرعية، أمّا حرب الإسرائيليين ضد الفلسطينيين فليست شرعية.

استشهادية أم انتحارية

■ **هل تعتقدون أنّ ما جرى في أميركا هو عمليّات استشهادية أو انتحارية؟**

ليست استشهادية لسبب بسيط:

أولاً: لأن العمليات الاستشهادية من الناحية الفقهية هي فيما إذا كانت في ساحة معركة شرعية مقبولة إنسانياً وسياسياً، وتوقفت حركة هذه الحرب على بعض العمليات الاستشهادية، لأنه ليس هناك فرق بين أن تقاتل العدو ليقتلك العدو، أو تقتل العدو بأن تقتل نفسك.. هذه آلية الحرب تماماً، لأن الجندي عندما ينطلق في ساحة الحرب فمن الطبيعي أنه ينتظر أن يقتل ويقتل، فلا فرق في آلية القتل، وهذه ليست انتحاراً، وإلا كانت كل عملية جهادية انتحاراً، أن تنتحر بيدك أو تنتحر بيد الآخر فلا فرق في هذا المقام. وثانياً: ألا يكون هؤلاء الذين تقتلهم بمثل هذه العمليات في دائرة الحرب بالمعنى الذي تفرض الحرب عليك فيه أن تقتلهم دون أن تتعمد ذلك بأن تقصد هذا أو ذاك.

إنّنا عندما واجهنا مسألة التفجيرات، فإننا واجهنا في البداية ركاب الطائرات الذين يمثلون حنسيات مختلفة، وقد لا يكون للكثير منهم ـ خصوصاً من ذوي الجنسيات غير الأميركية ـ أية علاقة بالسياسة الأميركية، وقد يكون الأميركيون منهم معارضين للسياسة الأميركية، لأنه ليس كل الأميركيين يقبلون بهذه السياسة، فلذلك أن تفرض على هؤلاء الركّاب أن يتحوّلوا إلى قنابل موقوته متفجّرة لتهدم مركز التجارة العالمي، حتى تحتج على أميركا وتسقط عنفوانها، إنّي أعتبر أن هذه الوسيلة لا تتناسب مع طبيعة الغاية، مع ملاحظة أخرى وهي: أن مركز التجارة العالمي قد يكون له بالمعنى السياسي عنوان متصل بإسقاط العنفوان الأميركي، ولكن الذين يتواجدون في مركز التجارة العالمي من سائر أنحاء العالم لا ذنب لهم إذا كنت تريد تسجيل نقطة ضد العنفوان الأميركي لتقتلهم جملةً وتفصيلاً.

سؤال افتراضي

■ **لديَّ سؤالان افتراضيان، الأول: لو فرضنا أنّ بين ركّاب الطائرات أميركيين**

موافقين على السياسة الأميركية، فهل هذه العملية استشهادية؟
لقد قلت في أول بيان صدر عنّي، إنّ أميركا لا تقاتَل بهذه الطريقة، وإن مجرّد موافقة قسم من الأميركيين على سياسة أميركا لا يجعلهم مُدانين بالشكل الذي يبرّر قتلهم.

الاحتلال مرفوض من أي جهة

■ **لو فرضنا، بالعودة إلى مسألة فلسطين المحتلة ـ واعذرني على هذا السؤال ـ لو فرضنا أنّ المحتلّين لفلسطين هم مسيحيون، فهل تجيزون قتلهم أيضاً؟**
أنا لا أعتقد أنّ المسألة تطرح بهذه الطريقة، فليست المسألة والقضيّة أن تقتل هذا أو ذاك، فحتى لو كان المسلمون قد احتلوا بيوت الآخرين فقولنا إن الغصب حرام، سواء كان الغاصب مسيحياً أو مسلماً أو يهودياً أو ملحداً.. ولقد وجّه إليّ سؤال في الصحافة ومنذ مدة طويلة بأنه لو فرضنا أن اليهود دخلوا في الإسلام وأصبحت إسرائيل دولة إسلامية فماذا تقول؟ قلت: أقول اخرجوا من فلسطين لأنه لا يجوز للمسلم أن يحتل بيت المسلم دون رضاه.

فالقضية ليست أن تنظر إلى هذا اليهودي فتقتله ليهوديته، فقد عاش اليهود كما عاش المسيحيون مع المسلمين في المنطقة الإسلامية، ولم يصادرهم أحد ولم يضغط عليهم أحد ليتراجعوا عن دينهم، بل كانت المسألة تعيش في جو التسامح الديني، وما حدث على المسيحيين أو اليهود، ربما حدث على المسلمين من أهل دينهم أكثر من ذلك، لطبيعة الأوضاع المعقَّدة التي تعيش هنا وهناك.

إنّي أقول إنَّ القضية ليست أن تأتي إلى هذا لتقتله في هذا البيت أو المقهى، إن المسألة أنّ هناك حرباً لا يقصد أيّ استشهادي أن يقتل هذا أو ذاك، إنّما يقصد أن يقتل الأمن الإسرائيلي، ولأن إسرائيل صادرت كل أمن الفلسطينيين الغذائي والإنساني والاقتصادي والتربوي وغيره.. فليس المقصود بالقتل المرأة والطفل والشيخ، بل المقصود قتل الأمن الإسرائيلي وفي إطار الحرب على الأمن الإسرائيلي يسقط الأبرياء إن كان هناك أبرياء.

أختلف عن طالبان وبن لادن:

■ **أين يلتقي السيد محمد حسين فضل الله مع أسامة بن لادن وأين يفترقان؟**
الواقع أني لا أملك الكثير من المعرفة حول تفاصيل أفكار الرجل المقصود، ولكني عندما

ألاحظ أنه يلتزم الخط الفكري في فهم الإسلام لحركة طالبان، فإنّي أختلف مع هذا المنهج الفكري بشكل كبير جداً، لأنني أرى أنه منهج لا يحمل إشراقة المفاهيم الإسلامية في الجانب الإنساني، لا سيما في موضوع المرأة.. لأنني أتصور أن الطريقة التي تتحرك بها حركة طالبان، وأسامة بن لادن، تمثل اضطهاداً للمرأة وإساءة إسلامية إنسانية لها، لأنّ الإسلام يعتبر أن المرأة كالرّجل في المعنى الإنساني، وأنّ من حقها الانطلاق في الحياة لتفجّر كل طاقاتها الإنسانية، تماماً كما هو الرجل، وإذا كانت المرأة تخضع لضوابط أخلاقية، فإن الأخلاق ليست ضريبة مفروضة على المرأة، بل الأخلاق للرجل والمرأة معاً.

إنّنا لا نوافق على الكثير مما يفكرون به، وهو ما لاحظناه في مسألة الضجّة التي أثيرت حول تحطيم تمثال بوذا، فلقد رأينا أنه لا يمثل الصنمية، على الأقل بما يتعلق بالمجتمع المسلم الموجود في أفغانستان.

أما في رفض بن لادن لخط السياسة الأميركية في اضطهادها للشعوب، فنحن نتفق معه في المبدأ، ولكننا لا نوافق على الأسلوب.

خط ثالث

- **هل ما ذكرتموه في «خطبة الجمعة» من أن أميركا تمارس إرهاباً في أفكارها، وهذا الإرهاب سياسي واقتصادي على العالمين العربي والإسلامي، يمثل تحريضاً غير مباشر ضد الأميركيين؟**

إني أتصور أن أميركا قامت بعملية تحريض على الشعوب، لأنها عندما تقول إن أية دولة لا تدخل في هذا التحالف سوف تعزل اقتصادياً وتعاقب اقتصادياً، وتعزل وتعاقب سياسياً، أو من الممكن اتهامها بالإرهاب أو بكونها داعمة للإرهاب أو ما إلى ذلك، فإن أميركا تقوم بعمل تحريضي واضح إضافة إلى عرض عضلاتها الاقتصادية والسياسية على العالم. فما معنى أن يقف الرئيس الأميركي بوش ليقول: إمّا أن تكونوا معنا وإمّا أن تكونوا مع الإرهاب، فلماذا لا يكون هناك خط ثالث: أن لا نكون مع أميركا في سياستها وأن لا نكون مع الإرهاب بحسب مفهومنا للإرهاب؟ ولماذا تعتبر أميركا نفسها قيّمة على العالم في سياسته ونظرته للأشياء؟ هذه هي المسألة. ولماذا تعلن أميركا الحرب على أفغانستان لمجرّد أنها تتهم بن لادن ومن معه بضلوعهم في عملية التفجيرات وهي

لا تزال تقول إنه ليست لدينا أدلة قاطعة على ذلك، كقول وزير الخارجية الأميركي أن هذا هو المشتبه الأول؟ وما معنى أن تطلب دولة من دولة أخرى أن تسلم متهماً بجريمة ضدها لتحاكمه حسب قضائها؟ ولو فرضنا أنّنا أردنا أن نأخذ بالمنطق الأميركي، فلا بدّ لأية دولة أن تملك الحق في أن تطلب من أميركا أن تسلمها ـ بقطع النظر عن اتفاقية تسليم المجرمين والمتهمين ـ أن تسلمها هذا المتهم لتحاكمه عندها، وهذا أمر لا يقبله أحد. إنّ أميركا تتدخل في أمور الدول الخاصة حتى في القضاء، لأن لكل دولة قضاءها الخاص، ولماذا يطلب أن يكون المتهم من أفغانستان أو باكستان أو مصر مطلوباً للمحاكمة في أميركا؟

بقطع النظر عن الصواب والخطأ، لقد طُلب من أميركا أن تقدم إلى حكومة افغانستان الأدلة والإثباتات التي تدين بن لادن لتحاكمه على ذلك. ولكن أميركا لم تقبل ذلك، وهي تتصور نفسها ضد كل القوانين وفوق كل الدول، وأن الإساءة إلى أميركا يجب على العالم تحملها، ولكن إساءة أميركا إلى أي بلد فهو أمر لا يجوز لأحد بحثه.

المفهوم الإسلامي للعنف

■ **بوصفكم مرجعية إسلامية كبرى وعليا في العالم الإسلامي، كيف تحددون المفهوم الإسلامي للعنف؟**

إن المفهوم الإسلامي للعنف هو نفسه المفهوم الإنساني في الحضارات كلها في العالم، فلنبدأ من الجوانب الفردية، حيث لا يجوز للإنسان أن يضرب أي إنسان آخر سواء أكان ولداً أم لا، من دون سبب، ولا يجوز ضرب من يسبّك أو يشتمك، ولا يجوز لك ضرب أي إنسان أو قتله أو جرحه إلا في حالات الدفاع عن النفس، كما لا يجوز لك البدء بقتال أي إنسان إلا في حالة الدفاع عن النفس.

إن بعض الغربيين يعتقدون إن الإسلام يطلق كلمة الجهاد بدون شروط أو ضوابط، فما هي هذه الكلمة: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾، ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين..﴾ ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾؟ لذلك فإن منطلق قراءتنا لتعامل المجتمع المسلم مع غير المسلمين هو قوله ـ تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم، أن تبروهم وتقسطوا إليهم إنّ الله يحب المقسطين، إنّما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا

على إخراجكم أن تولّوهم﴾. فإنّ كل إنسان مسالم لك ولدينك هو إنسان من حقه أن تبره وتقسط معه وتؤدي حقه وأمانته.

الدعوة للجهاد

■ **انطلاقاً من هنا، وقبل الانتقال للتعريف الثاني في موضوع الإرهاب، من الضروري جداً أن نعرف من سماحتكم: من له الحق في إعلان الجهاد، لاسيما أن دعوات عدة قد ترددت في الفترة الأخيرة ردّاً على التهديدات الأميركية لأفغانستان بالدعوة للجهاد؟**

عندما تكون هناك دولة إسلامية تملك الشرعية الإسلامية فمن الطبيعي أن رئيس الدولة هو الذي يملك الحق في إعلان الحرب على الآخرين، تماماً كأي رئيس دولة في العالم، أمّا في حالات عدم وجود دولة إسلامية بالمعنى الشرعي للدولة.

دعوة للحرب على الاستكبار

■ **مقاطعاً: عفواً هل أفغانستان دولة إسلامية اليوم؟**

إننا عندما نختلف معها في مفهومها للإسلام فقد لا نعترف بشرعية هذا المفهوم. لهذا فإن مسألة الإفتاء بالجهاد لا تنطلق الآن بالمعنى التنفيذي للآليات الواقعية العملية، إنما تنطلق كالدعوات الهادفة إلى ضرورة أن تكون هناك حرب على الاستعمار، والاستكبار.. فإن العلماء الذين أفتوا بالجهاد أرادوا أن يقولوا: أيها المسلمون إن هناك حرباً على الإسلام والمسلمين في اقتصادهم وسياستهم وأمنهم وعليكم الاستعداد لمواجهة هذه الحرب بحرب مماثلة، ولهذا فإنّ دعوات الجهاد هي وبحسب طبيعة الظروف الموضوعية التي تحيط بهذه الطروحات تمثل حالة الدفاع عن النفس، وحالة الدفاع عن النفس لا تحتاج إلى فتوى في هذا المقام، تماماً كدفاعك المباشر عن نفسك إذا هوجمت في بيتك، ولهذا نجد أن عملية الثورة على الديكتاتوريات والثورة على الاستعمار هي مسألة دفاع عن النفس.

غاية ما هناك، أن المجتهد الذي يملك شرعية الفتوى يحدد للناس طبيعة الخطوط الشرعية لحركتهم في خط المواجهة.

بين فتوى بوش وفتوى عمر

■ **انطلاقاً من هنا، وبغض النظر عن شرعية الجمهورية الإسلامية في أفغانستان، هناك**

شعب أفغاني يقول إنه في حالة الدفاع عن النفس، ولي الحق أن أكون في حالة الجهاد؟

من الطبيعي أن من حق الشعب الأفغاني إذا هاجمته أميركا، أو الجيش الأميركي أن يدافع عن نفسه، وإنني أسأل: إن أميركا الآن تعدّ نفسها لعملية «جهاد» وهي تستعرض عضلاتها ضد كل أعدائها، فلماذا يؤخذ على المسلمين الأفغانيين أو غيرهم إذا أرادوا أن يواجهوا الهجوم الأميركي الذي لا حقّ لأميركا فيه؟ وبمجرد وجود جماعة تعارض أميركا أو تجرم في حق أميركا ـ على سبيل الفرضية ـ دون أن يقتنع الأفغانيون بالمعطيات الأميركية في هذا المجال، فمن الطبيعي أن حقهم الرئيسي أن يدافعوا عن أنفسهم، كما تعدّ أميركا نفسها الآن أنها تمارس نوعاً من الدفاع عن النفس، حين تعلن الحرب على الإرهاب في العالم، لأن الإرهاب بنظرها قد استهدفها، فأي فرق بين الطرفين؟ وغاية الأمر أن فتوى الجهاد يطلقها الملاّ عمر، وفتوى الجهاد الأميركية يطلقها الملاّ بوش (مبتسماً).

ليس هناك فتوى للجهاد الابتدائي

■ **قلتم إن من يملك إطلاق دعوة الجهاد قد يكون رئيساً للجمهورية الإسلامية الشرعية، ومن جانب آخر من يملك شرعية إطلاق الدعوة للجهاد؟**

من الطبيعي أن الرئيس الشرعي للجمهورية الإسلامية في إيران هو السيد علي الخامنئي الذي بإمكانه أن يعلن الجهاد، ولكنّي في مناقشتي للمسألة أريد التوضيح: لم تصدر عن أية سلطة فقهية إسلامية فتوى بالجهاد ليحمل المسلم السيف ويحارب العالم، فكل ما صدر في العصر الحديث سواء في العراق سنة ١٩٢٠ ضد الإنكليز، أو غيرها من الفتاوى التي صدرت إنّما كان للدفاع عن الناس الذين احتلهم المستعمر أو المستكبر أو الذين ضغط على حرّيتهم أو حاول ظلمهم واستغلالهم، فلهذا لم تصدر هناك عن أية جهة إسلامية في العصر الحديث وفيما قبله أي فتوى بالجهاد الابتدائي تدعو المسلمين أن اهجموا على هذا البلد أو ذاك المسالم لمجرّد الاختلاف معكم في الدّين أو نحو ذلك.

■ **إذا اتخذ الهجوم على أفغانستان حالة الهجوم على المسلمين، فهل يمكن للسيد محمد حسين فضل الله دعوة المسلمين في أفغانستان والعالم العربي والإسلامي إلى الجهاد؟**

نحن ندعو للدفاع عن هذا البلد الإسلامي. وأستطيع القول أكثر من ذلك، لو فرضنا أن اليهود هجموا على لبنان الذي يجمع المسلمين والمسيحيين، وهم احتلوا في الجنوب

بلداتٍ وأراضي إسلامية ومسيحية.. فإن موقفنا هو الدعوة لمقاتلة اليهود للدفاع عن المسلمين والمسيحيين معاً.

إننا عندما نعيش في مجتمع مختلط، ونحن جزء من هذا المجتمع، وجزء من هؤلاء المواطنين الذين اتفقنا معهم في عهد مدني يقضي بأن يحفظ أحدنا الآخر، وأن يدافع أحدنا عن الآخر، فإننا نقاتل المحتل لأرضنا سواء سكنها المسلمون أو المسيحيون، وهذا ما فعلناه في لبنان ولا نزال نفعله عندما ندعو لقتال إسرائيل التي احتلت منطقة بنت جبيل وما حولها من البلدات المسيحية من رميش وعين إبل ودبل وكونين وغيرها..

■ **اتصال من سمير البابا**
لماذا يصان الإرهاب الصهيوني في جميع أنحاء العالم؟

نحن نرفض صون المواقع الصهيونية والسلاح الصهيوني الموجه نحو الشعوب المستضعفة والتي تريد الصهيونية السيطرة عليها، ولذلك نعتبر أنفسنا في حرب مع إسرائيل في أي موقع إسرائيلي في العالم.

الإسلام لا يشجّع على العنف

يروِّج البعض أن الإسلام يشجّع على الإرهاب، كما في الآية الكريمة ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوَّكم﴾.

إنّ هذه الآية الكريمة تتحدّث أنّ على الإنسان أن يقوم بعمل وقائي، وذلك بأن يعد العدّة لأي مواجهة أو اعتداء عليه أو على المسلمين، تلك القوة العسكرية التي إذا عرفها العدّو فإنه يخاف ويمتنع عن الهجوم والاعتداء، وهو ما تفعله الدول كلها بمن فيها أميركا الآن، والتي تستعرض كل عضلاتها القوية في العالم، وتعلن أنها ستنتصر وتهزم أعداءها، لأنها تملك أقوى قوة في العالم.. إنّ المسألة تتحرك في سياق تعبير الآية الكريمة عن الجانب النفسي، فأعدوا لهم هذا حتى يخافوا ويحذروا جانبكم، فإذا حصل ذلك امتنعوا عن الهجوم عليكم.

نحن ضد الإرهاب كما نفهم الإرهاب

■ **إذا كان الإسلام يرفض الإرهاب إلى هذا الحدّ، فلماذا لا توافقون على شنّ حرب واسعة ضد هذا الإرهاب؟**

نحن نوافق على شن حرب واسعة ضد الإرهاب بالمعنى الذي نفهم فيه الإرهاب، بأنه الحرب على المدنيين وعلى الأبرياء في غير ضرورات الحرب، أما أميركا فإنها تعتبر الانتفاضة والمقاومة في لبنان إرهاباً، ونحن لا نوافق على ذلك، لأننا نعتبر أن هذه الحركات هي حركات تحرّر وليست إرهابية، ونحن نقرأ في كل هذه الحركة الأميركية الدولية التي تضغط على كل الدول الكبرى والصغرى، أن أميركا تحاول أن تجعل من شعار الحرب على الإرهاب وسيلة من وسائل تنفيذ كل مخططها السياسي والذي لم تستطع أن تنفذه في الحالات العادية. ولعلّنا قرأنا في تصريح المسؤول الأميركي، أنّ على التحالف أن يتحرّك لتحقيق هذه المهمة وليس لإرباكها. ومعناه أن على العالم كله مساعدة أميركا لتنفيذ كل مخططها السياسي الذي لم تستطع تنفيذه.

حرب على آسيا الوسطى

إننا نقرأ ولو على سبيل الاحتمال، أنّ توجه أميركا إلى منطقة أفغانستان بكل هذه الوسائل المعقدة يستهدف إكمال القواعد العسكرية الأميركية في العالم، لأن تلك المنطقة هي من المناطق التي تختزن الكثير من الثروات التي لم تكشف، ولأنّ تلك المناطق هي مناطق الوجود الروسي والصيني مع المتفرعات من إيران وغيرها، ولهذا فإن هذه الحرب ليست حرباً على بن لادن، ولكنها حربٌ على كل الواقع السياسي والاقتصادي في تلك المنطقة. على الأقل هذا ما يملك الإنسان قراءته ولو على سبيل الاحتمال الظنّي.

تجريب القنبلة الذرّية باللحم الحي

- **كيف ينظر الإسلام إلى الأبرياء في الحرب؟ هل هم ضحايا عاديون أم ضحايا الضرورة كما في هيروشيما؟**

إنّ علينا أن نحدّد الضرورة، لأننا لا نعتبر أن أميركا عندما قصفت هيروشيما كانت في موقع الضرورة، ولكنها كانت تريد أن تبرز عنفوانها في الحرب، وكانت تريد تجريب القنبلة الذريّة باللحم الحيّ، لأنّ التجارب السابقة لم تستطع أن تحقّق لها النتائج الحيّة على مستوى الإنسان. لهذا إنّي أعتقد أن علماء الذرة الأميركيين وبعد أن أسقطوا القنبلة الذريّة على هيروشيما عكفوا على دراسة التأثيرات من الناحية العلمية تماماً كأية تجربة على فئران التجارب، ولعلّ اليابانيين كانوا فئران التجارب الأميركية.

إنّ الحرب الشرعية، ومعنى الشرعية خضوعها للمنطق الحضاري والإنساني والفقهي كل

بحسبه، إنّها عندما تكون كذلك، فمن الطبيعي أنه قد لا يمكن تحقيق أهداف الحرب المشروعة إلا إذا فرضنا أنك هدمت بيتاً لم ترد أن تهدمه، أو قتلت إنساناً كان في الطريق أو ما إلى ذلك.

أميركا تجاوزت عنوان الإرهاب

■ **اتصال من شوقي دلال مدير المحترف الفنّي التشكيلي في راشيا ـ الوادي: ألا يرى سماحة العلامة المرجع أن أميركا تتجاوز بطموحاتها عنوان الإرهاب الذي تريده كشعار، وذلك للدخول المباشر إلى أفغانستان والمنطقة للسيطرة على ثرواتها وإمكاناتها؟ وهل من الاستهدافات غير المعلنة للحرب التحكم بالقنبلة النوويّة في باكستان ليصار إلى تفكيكها مستقبلاً؟**

أتصور أن المرحلة الحاضرة للحركة الأميركية في باكستان لا تستهدف هذه المسألة إذ ليس هناك أي خطر من امتلاك باكستان القنبلة الذرية، لأن باكستان مهما شرقت وغربت فهي من تفاصيل السياسة الأميركية، وعلينا أن نعرف أن أميركا تنظر إلى الصين بعين وإلى الهند بأخرى لأن الهند مهما اقتربت من أميركا فإنها لا تزال تقف في خط التوازن مع السياسة الأميركية، وقد كنا نعرف أن الهند كانت أقرب إلى الاتحاد السوفياتي من أميركا، وهكذا بالنسبة للصين. إني أرى على سبيل الاحتمال أن أميركا يهمها أن تبقى القنبلة الذرية الباكستانية لتحقيق نوع من التوازن الإقليمي في تلك المنطقة، ولكنّ أميركا التي قدّمت الرشوة لباكستان في البداية، تعمل الآن على إيجاد حالة من الاهتزاز الباكستاني من خلال أن ما قدمته لباكستان وضغطت عليها فيه لا بد أن يخلق مشكلة، تماماً كما في صندوق النقد الدولي الذي يعطي بعض القروض للدول فارضاً عليها الشروط الاقتصادية التي تُدخلها في كثير من الزنزانات الدولية السياسية، لا سيما حين يُطلب رفع الدعم عن الأشياء الحيوية وغيرها من الأمور.

ضغوط على باكستان

■ **هل ستقدر باكستان على مقاومة الشارع الباكستاني الغاضب جداً ولو تم إعفاؤها من الديون وغيرها من قبل أميركا؟**

صحيح أن الشارع الباكستاني كان غاضباً ولا يزال، ولكنني أعتقد أن اللعبة السياسية الباكستانية والأسلوب الذي اتخذته الحكومة الباكستانية قد أوجد نوعاً من الإرباك السياسي في وجدان الإنسان الباكستاني، لأن رئيس باكستان العسكري قدّم المسألة

على أنّ هناك ضغوطاً هائلة كبيرة سوف تجعلنا تابعين وتجعل الهند تسيطر علينا، ونحن نعرف حساسية العلاقة الهندية ـ الباكستانية عند الشعب الباكستاني، لهذا قدمت باكستان نفسها لشعبها على أنها تحاول أن تسبق الهند إلى الانسجام مع السياسة الأميركية ومع خط التحالف الذي يهدد العالم، ومنها باكستان، قبل أن تسبقها الهند وتدور الدائرة على باكستان وخصوصاً في مسألة كشمير.

إنّنا نتصور أن هذا الجوّ الإعلامي والسياسي مع الانقسام الموجود في الشارع الباكستاني، بين حزب الشعب من جهة والجماعات الإسلامية من جهة أخرى، وانقسام الشارع الباكستاني على هذا الأساس قلّل من حجم الضغط على الحكومة الباكستانية في هذه المرحلة.

الضغط يولدّ الانفجار

■ **ما هي أسباب الإرهاب؟ هل هي الغطرسة الأميركية؟ هل هو الفقر؟ هل له دوافع دينية؟**

من الطبيعي أن أيّ إنسان لا يقوم بعمل يهدد حياته، سواء كان بتفجير نفسه أو بوسائل أخرى، إلاّ إذا كان هناك شيءٌ كبير في وجدانه، طبعاً هؤلاء هم غير الأشخاص الذين يستعملون الإرهاب للسرقة والاغتصاب..

إنّ الإرهاب السياسي ـ إن صحّ التعبير ـ أو ما يسمى بالإرهاب السياسي، يخضع دائماً لرد الفعل من الضغوط السياسية التي تجعل جماعة من الناس، وتجعل الشعب يشعر بفقدان حريته، وتجعله يشعر بأنه محاصر في اقتصاده وأمنه، وحتى في دينه مثلاً.. وعندما ندرس ما يسمى بالعمليات الإرهابية ضدّ هذا النظام أو ذاك، فإننا نجد أن الضغط على الحريات يدفع الناس إلى العنف، سواء كان عنفاً يصل إلى نهايته أو يقف عند حدود معينة. إن القانون المعروف هو أن شدّة الضغط تولد الانفجار، وهذا الانفجار يختلف حسب درجة الضغط.

■ **هل هناك دعوة مباشرة للأنظمة؟**

لقد دعونا بعض الأنظمة العربية والإسلامية التي كانت تعاني مما تسميه الإرهاب، أن يمنحوا الناس أو غيرهم من الإسلاميين الحريات السياسية ويضبطوا خطوط هذه الحريّة، تماماً كما هي الحريات التي أعطوها للأحزاب الأخرى.

تخلف الإعلام الإسلامي

■ **اتصال من الإعلامي رفيق نصر الله:**

لديّ ثلاث نقاط على شكل تساؤل:

١ ـ إذا كان الغرب يتعاطى بشيء من سذاجة الموقف، فما هي صورة المسلم لديه؟ ألا نتحمل أيضاً، وأقصد التيار الإعلامي الإسلامي، مسؤولية التقصير في توضيح الأحداث وخلفياتها.

٢ ـ هل وصلنا إلى مرحلة الأسئلة الصعبة في قضيّة الإسلام والحوار مع الغرب؟

٣ ـ أمام أيّ غبار تحولٍ نحن الآن بعد أن ينقشع غبار كابول، ويترك الأميركيون حطام ضرباتهم على كتف الشرق الأوسط؟ وماذا سنحمل من أسئلة لمرحلة ما بعد هذا الصخب إسلامياً وعربياً وإنسانياً؟ وأيضاً أمام أيّ غرب جديد سنكون؟ وشكراً.

إنّ هذه الأسئلة تبدو جلية من إعلامي فتح من خلالها الباب العريض على كثير من القضايا الواسعة..

مسؤولية الإعلام الإسلامي سماحة السيد، ماذا تقول عنها؟

أتفق معه على أن الإعلام الإسلامي لا يزال متخلفاً بدرجة كبيرة، ولا سيّما أن هذا الإعلام لا يفسح المجال إلا لفئة من الناس قد لا يملك الكثيرون منها الوعي الثقافي العميق للإسلام أمام تحديات العصر، هذا بالإضافة إلى أن الإعلام الغربي، ولا سيما المتداخل مع الإعلام الصهيوني أو اليهودي، يملك الكثير من الوسائل ومن مواقع الثقافة القادرة على تزوير الإعلام الإسلامي وتزوير الفكر الإسلامي، ولا سيما الواقع الإسلامي.

لهذا علينا العمل لتطوير الإعلام الإسلامي، وللنفاذ إلى مواقع الثقافة في الغرب، وخصوصاً الجامعات ودور النشر وغيرها. بتقديري قد نتمكن من ذلك، ولا سيما لدى الذين يعيشون هناك في الغرب من المثقفين المسلمين.

بدأت الأسئلة الصعبة

أعتقد أن الأسئلة الصعبة بدأت، وأصبح هناك أكثر من موقع فكري في الواقع الإسلامي يواجه الأسئلة الصعبة، وهو ما يفسر الكثير من حرب التكفير والتضليل والتفسيق من الذين لا يملكون احترام الفكر الآخر، أو لا يملكون حركية الحوار في القضايا الفكرية،

إنني أعتقد أننا بدأنا في ذلك، وهذا ما يفسر تنوع الخطوط الفكرية التي تناقش ما يسمى بالمحرّمات، وتتحدّى الكثير مما يسمى بالمسلَّمات بعيداً عن مسألة الصواب والخطأ في هذا المجال. إني أتصور أن الزمن لا بد أن ينفتح على التجارب الجديدة هنا وهناك.

وأما ما بعد هذا الحدث، فإني لا أرى أن هناك تطوراً كبيراً صارخاً في العالم، يجعل العالم يتغيّر بعد ١١ أيلول عمّا كان عليه قبله، لأن هناك نقطة مهمة حيوية وهي أن لكل دولة مصالحها الاقتصادية والسياسية والثقافية، وأنّ لكل محور علاقات بهذه الدول في هذه المنطقة أو تلك. ولهذا فإن الجوّ المأساوي العاطفي، أو الجو العشائري الدولي الذي رأينا كيف انطلق فيه الاتحاد الأوروبي وروسيا واليابان وغيرها مع أميركا، إنّ هذا الجو العشائري القبلي الدولي الذي انطلق على وقع الصرخة الأميركية: يا للناس، يا للغرب، إنّ العالم المتخلّف الإرهابي يحاول أن يسيء إلى العالم المتحضّر ويهجم عليه، فأيها المتحضرون تعالوا إلينا، تماماً كما هي العشائر عندما تتنادى مع بعضها البعض، ولكننا سمعنا بعد ذلك، وإن بدرجات متفاوتة، رئيساً غربياً يقول إنه لا بدّ من التعقل، وآخر يقول: لا بد من دراسة الأمور، وثالثاً يقول: لا بد من عرض الأمر على الشرعية الدولية وغيرها. إنني أعتقد أنها تمثل حالة عاطفية مأساوية يمكن أن تجذب إلى مرحلة معينة هذه الأحاسيس والمشاعر، والحالات الانفعالية المتحركة، لتهجم على مسلم هنا وعربي هناك، ولكن الضجة سوف تهدأ، ويرجع كل بلد إلى مصالحه الاقتصادية، وإني لا أريد نفي المسألة بالمطلق، فسوف تحدث التحالفات باسم الحرب على الإرهاب، ولكنها ليست تحالفات جديدة، فالحلفاء تحت الطاولة سوف يبرزون فوقها بفعل تهديد هنا وهناك، ولذلك فلن يتغيّر العالم، فالصين ستبقى تفكر بمصالحها، وتبقى روسيا تفكر بالشيشان، واليابان، بـ«ينّها» الياباني، وكيف يمكن أن يتماسك هذا الينّ أمام الدولار. فتّش عن المصالح الاقتصادية في العالم، فليس هناك صداقات دائمة، ولا عداوات دائمة، ولكن مصالح متحركة دائمة.

أميركا وقيادة العالم؟

■ **ألا ترون سماحة السيد أننا بعد مرحلة ١١ أيلول قد دخلنا في مرحلة قيادة أميركية شاملة للعالم؟**

ربما كانت القيادة الأميركية قيادة معترفاً بها كأمر واقع، لأنّ العالم كان يتحرك بين قيادتين، باعتبار أن أوروبا كانت على هامش أميركا ولم يكن للصين دور، بل كانت

على ضفاف الاتحاد السوفياتي مع بعض التحفظات، وكانت اليابان على يمين أميركا، فلهذا لم تكن مسألة القيادة الأميركية جديدة ـ على الأقل ـ بحسب الواقع بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، حين لم يبق إلا أميركا، لكننا لاحظنا أنه بعد سقوط الاتحاد السوفياتي بدأ الاتحاد الأوروبي يبحث عن نفسه، وإن بطريقة تحتاج لوقت ما، وبدأت الصين تناور بين أن تنجذب إلى أميركا في موقع لتبتعد عنها في موقع آخر، وبدأت روسيا تفكر كيف يمكن أن تتخلص من هذا الضغط الأميركي لتبدأ رحلة جديدة في استعادة العنفوان الروسي.

إنّ أميركا لا تملك كل الأوراق، ولهذا فإن علينا أن نعرف أن أميركا التي تحوّلت في ساعات معدودات إلى «نمرٍ من ورق»، كما يقول ماو تسي تونغ، سوف تتحرك لتكون نمراً من خشب تارة، ومن نحاس أخرى وغيرها، لأن العالم يتقدم والدول الكبرى تشيخ، وربما تبدأ أميركا في مرحلة الكهولة ثم الشيخوخة، ثم الموت.

قيادة جماعية للعالم!

■ **سماحة السيد، هل تعتقد أنّنا مقبلون على قيادة جماعية للعالم بعد الأحداث الأميركية؟**

إن تحرك أميركا ولهاثها لاستثارة الاتحاد الأوروبي، ليقوم بالنيابة عنها بجولة شرق أوسطية أو غيرها، ليقنع من يراد إقناعه، وليضغط على من يراد الضغط عليه، هذا من جهة، ولعل التوسل بروسيا يندرج في هذا السياق بطريقة وبأخرى، في حين أن الصين لا تزال خارج دائرة الضوء.

إن اضطرار أميركا لرشوة باكستان الدولة المهشَّمة الضعيفة اقتصادياً وإدارياً، لتقبل السير مع أميركا، يعني أن العصا الأميركية ليست وحدها هي التي يمكنها قيادة العالم. ولكن هناك «الجزرة» الأميركية من جهة والعصا من جهة أخرى، ولعلّ بعض «الجزرات» قد تأتي من هذه الدولة أو تلك وهي أكثر «فيتاميناً» من غيرها.

مشهد الحركات الإسلامية

■ **سماحة السيد: يصفك البعض أنك ضابط الإيقاع السياسي والفكري والديني للإسلاميين، وخصوصاً عند الأزمات العاصفة التي يتعرّضون لها، كيف تنظر إلى**

مشهد الحركات الإسلامية في الوقت الراهن؟ ألا تعتقد أن صورتها بدأت تهتز؟ وأنها على وشك أن تدفع ثمناً باهظاً؟

أعتقد أن هناك تنوعاً في الحركات الإسلامية، فهناك الحركات الإسلامية العقلانية، التي تحسب حساب الخطوط الفكرية المتوازنة، كما تحسب حساب الخطوط السياسية الحذرة، وهناك حركات إسلامية ربّما تصفها بالبدائية والمتخلفة والتي قد لا تملك من الإسلام إلا اسمه، ولعلّ هذا ما يمكن أن تصف به بعض من يسمون أنفسهم بالإسلاميين في الجزائر.

إني أتصور أن الحركات الإسلامية، ورغم كل السلبيات التي تحيط بها والتحديات التي تتحداها، أصبحت رقماً صعباً في العالم، وهذا ما يفسر وضع الحركات الإسلامية في الواجهة، حين يُتحدَّث عن الإرهاب صواباً أو خطأً.. ما يعني أن أميركا عانت من هذه الضربة الموجعة الساحقة والتي أصابت العنفوان الاقتصادي والعسكري وكادت أن تصيب بالضربة القاضية قوتها السياسية لولا إسقاط الطائرة ـ كما يقولون ـ. إن أميركا اعتبرت أن الحركة الإسلامية والتي تسمها بالإرهاب هي العدو الذي تخافه، وتطلب من العالم خوف هذا العدو.

لهذا فإن الرئيس بوش تحدث عن أننا عندما نعلن الحرب على الإرهاب، أو عندما ندعو إلى هذا التحالف الدولي، فإننا ندعو إلى إنقاذ البشرية، لأن المسألة لا تمس أميركا بالذات، ولذلك حذر الأوروبيين من أنّ ما نال أميركا الآن سينالهم غداً، إننا نعتقد أن الحركات الإسلامية عندما خرجت من القمقم فإنها لن تعود إليه، ولكن ربّما تحاصر هنا وتضعف هناك، وأشك في أنّ أحداً يستطيع أن يسقطها..

الفرق بين الحركة السياسية والمرجع

■ **على هامش هذا السؤال: لاحظنا تردداً في موقف بعض الأحزاب الإسلامية التي ما لبثت أن لحقت بكم، واتخذت موقفاً قريباً من موقفكم. هل يعني ذلك وجود اختلاف سياسي سماحة السيد؟ أم أن هناك اختلافاً في القواعد الفكرية والعقائدية؟**

إنني لا أتصور أن هناك اختلافاً في القواعد الفكرية أو السياسية، ولكن هناك فرق بين أن تتحدث منظمة في أمر سياسي، وبين أن يتحدث مرجع في أمر سياسي، ومن

الطبيعي أن المنظمة لا بد أن تحسب حساباتها السياسية في علاقاتها الإقليمية أو في حذرها الدولي أو المحلي مما قد لا يكون وارداً لدى مرجعية إسلامية.

بين الإفتاء الديني والمدني

■ اتصال من جو حجّار:

سماحة السيد، إنكم تستمدون سلطتكم من الشعب، أمّا الحكومات فإنها تأخذ سلطتها من نفسها، إنكم تفتون والجميع يفقه، وهي تفتي والحكومات تسمع، وأنتم لكم الحق بالإفتاء ولكن ماذا لهم؟ الرجاء دون ذكر أن هذا إفتاء ديني أو مدني، وشكراً؟

لهم الضغط على الشعب باللعبة السياسية تارة وبالإرباك الذي يتحركون فيه من خلال علاقاتهم الدولية السلبية هنا وهناك، ونحن لا نريد اتهام الحكومات كلها، ولكننا نقول إن مشكلة الحكومات في منطقتنا على الأقل في العالم الثالث، أنها جاءت من فوق ولم تأت من القاعدة. ومشكلة الكثيرين الذين يملكون القوة الرسمية أنهم جاءوا موظفين، ليكون بعضهم ملكاً وبعضهم أميراً، وآخر رئيساً وغيرهم.. هذه هي المشكلة، ولهذا كنا نقول ولا نزال إنكم عندما تنطلقون من عمق إرادة الإنسان في شعوبكم، فإن هذا الإنسان قادرٌ على حمايتكم وحماية نفسه بالتكامل معكم، ولكن لا حياة لمن تنادي.

عدالة بوش؟!

■ اتصال من محمد عنّان:

إن الإرهاب الذي تمارسه إسرائيل على ما تبقّى من أرض فلسطين يعتبر من أعتى وأشرس أنواع الإرهاب في العالم، فالرئيس بوش عندما أعلن بداية الحرب أطلق عليها اسم العدالة المطلقة. فأين هي العدالة في أن يتفرج الرئيس بوش على ما يجري داخل الأرض الفلسطينية المحتلة ويرى بعينه القتلى والأطفال والمجازر بحق ما تبقى من الشعب الفلسطيني في حين تدخلت أميركا ومعها الحلف الأطلسي في إنهاء حرب الكروات مع الصّرب، والألبان مع صرب كوسوفو، أين هي العدالة التي كان يتحدث عنها بوش؟ وهل صحيح أن الرئيس بوش وعد العالم العربي والإسلامي معاً بأنهم إذا وقفوا إلى جانبه في محاربة الإرهاب سيحل القضية الفلسطينية على طريقة عادلة، ويعطي الفلسطينيين دولة؟ وأين العروبة والإسلام؟ ومتى ستتحرك العروبة والإسلام في هذه الوقائع، وماذا ينتظرون؟

أحبّ التعليق بداية على مسألة العدالة المطلقة أو المحدودة الأميركية، إنني أفهم أن مقياس العدالة الأميركية هو بمقدار اتصال الموضوع بالمصالح الأميركية على حساب الشعب، وبقدر ما يتصل الأمر بقيادة أميركا غير العادلة للعالم، ولذلك فإننا عندما ندرس أية حركة سياسية أو عسكرية أميركية، فإننا نجد أنّ أميركا ليست دولة العدالة ولكنها دولة المصالح التي تسحق مصالح الشعوب ومقدراتها تحت تأثير المصالح الأميركية. ولهذا فإن مسألة شعار «عدالة بلا حدود» هي مسألة شعار «سيطرة بلا حدود»، وهذا هو مفهوم أميركا للعدالة.

أية عروبة وأي إسلام؟!

وأما مسألة أين العروبة وأين الإسلام، فالمشكلة أن العروبة والإسلام أصبحتا عنواناً للذين يسيطرون على مقدرات المسلمين، والذين يشكلون حالة التبعية للسياسة الأميركية ويخضعون لها. فالمشكلة هي في العجز العربي في الجامعة العربية، والعجز الإسلامي في منظمة المؤتمر الإسلامي. ولكننا نتصور أن العروبة موجودة في الشارع العربي والإسلامي اللذين لا يزالان ينبضان بحيوية أكثر، ولكن المشكلة هي أن هذين الشارعين يخضعان لمصادرة سياسية تمسك على الشعب أنفاسه. وهذا ما يوضح ويفسر وقوف كثير من الأنظمة ضد التظاهر لدعم الشعب الفلسطيني. أية عروبة هي عروبة هؤلاء؟ وأي إسلام هو إسلام هؤلاء؟

الوحدات.. ممنوعة في عالمنا

- **سماحة السيد، كيف يواجه العرب ما يخطط لهم إذاً وما يحاك لصورتهم وحضارتهم وثقافتهم؟ وهل يجب التفكير بنظام عربي جديد ووحدة اقتصادية عربية كما قيل؟**

إنّنا ندعو في البداية الطليعة العربية والإسلامية إلى أن تفكر تفكيراً واقعياً لا يبتعد عن المثال، أو تفكيراً مبدئياً لا يبتعد عن الواقع، لتدرس ما حولها ومن حولها، وتحاول النفاذ من خلال أكثر من ثغرة هنا وثغرة هناك من أجل إيجاد الواقع الجديد على أسس لا تخضع للانفعال الذي خضعنا له منذ الخمسينات، ودخلنا في كهوف وفي دهاليز مظلمة خيّل إلينا أنها تؤدي بنا إلى دائرة الضوء، ولكنها أغرقتنا في أكثر من كهفٍ جديد ودهليزٍ جديد.

أمّا مسألة النظام الاقتصادي العربي فإنّ هذا النظام قد يغري الإنسان بالحكم ولكنه

يحتاج إلى توقيع الإدارة الأميركية أيّاً كان. وأقول إنّ المشكلة عندنا في هذا العالم العربي والإسلامي أنّ الوحدات ممنوعة: الوحدة الوطنية، والوحدة القومية، والوحدة الإسلامية، وحتى الوحدة الدينية الإسلامية ـ المسيحية، ولهذا نجد أنّنا نواجه بكل حالة بفتنة هنا وفتنة هناك.

شحن سياسي وإعلامي ضد المسلمين

اتصال من علي حرب ـ الشياح:

- **سماحة السيد، ما هو تعليقكم على الاعتداءات التي تطال المسلمين والمساجد وسمعنا أنّ بعض المسلمين اضطروا لينزعوا حجاب بناتهم خوفاً؟ وماذا توجه لهم وشكراً؟**

لقد تحدّثنا أكثر من مرّة بأن هذه النماذج التي لا تزال موجودة في أكثر من موقع غربي، لا تزال تعيش التخلف والبدائية والعنصرية ضدّ كلّ ما هو عربي وإسلامي، ولو على مستوى الشكل، لأننا لاحظنا أنهم اضطهدوا بعضاً من «السيخ والهنود»، وقتلوا شخصاً سيخياً لمجرد أنّ له لحية تشبه اللحى العربية والإسلامية، وله عمامة تشبه العمائم الإسلامية.

إنني أعتقد أنّ الشحن السياسي الثقافي الإعلامي الذي درج الكثيرون من مفكري الغرب، ومن المشرفين على المسألة الإعلامية والسياسية فيه، على تعقيد الإنسان الغربي العادي ضدّ الإسلام وضد العروبة هو المسؤول عن ذلك. فعندما سقط الاتحاد السوفياتي وقفت رئيسة الوزراء البريطانية مارغريت تاتشر وهي تتحدث عن العدو الجديد الذي ينبغي للحلف الأطلسي أن يتجه إليه، وقالت إنه «الإسلام» وعقّب على ذلك أمين عام الحلف الأطلسي وقال إنه الإسلام، ومن هنا رأينا أن الإعلام الغربي، ولا سيما الصهيوني، يحاول أن يلتقط بعض المفردات السلبية في الواقع الإسلامي في الجزائر وغيرها، وحتى أنه بدأ يترصّد بعض العمليات الاستشهادية في لبنان وفلسطين ليصورها أنها الإرهاب، وما إلى ذلك، ما عمّق مفهوم الإرهاب في وجدان الإنسان الغربي ضد المسلمين، ولكننا في الوقت نفسه نعتقد أنه ليس كل الغربيين كذلك، فهناك، كما قرأنا في الإعلام المتنوع، كثيراً من الغربيين كانوا يعبرون عن رفضهم لهذه الأعمال، كما كانوا يقفون للدفاع عن بعض المسلمين من جيرانهم هنا وهناك..

ليس كل الأميركيين معادين

إن علينا ألا نقف موقفاً شاملاً من كل ما هو غربي في هذا المجال، لأن واجبنا أن نبقى في الغرب، وأن تبقى الجاليات الإسلامية والعربية هناك، وأن نقنع الإنسان الغربي العادي بأنّ وجود جماعة إسلامية أو عربية تقوم بارتكابات معينة هو تماماً كوجود أميركيين من هذا النوع، كما في تفجير «أوكلاهوما»، وهناك أميركيون حتى من الأطفال يقتلون زملاءهم في المدارس، ونقرأ أن الأميركيين قد ارتفعت إحصائية الاغتصاب عندهم إلى أعلى مستوى موجود في العالم، وكذلك بالنسبة للقتل. فهل نقول إنّ أميركا والشعب الأميركي كله يمارس ذلك، أم نحاسب أصحاب العلاقة؟!!

إنّ علينا أن نبقى ندعو إلى العقلانية، وأن نبقى في مواقعنا بقوّة، وأن نشعر الآخرين بأنهم مخطئون في نظرتهم تلك. وأتصور أن التحرك الذي قامت به الجمعيات الإسلامية والعربية في أميركا مع حاجة الإدارة الأميركية لتعاطف العرب والمسلمين استطاع أن يحقق شيئاً موزوناً في هذا الاتجاه.

تفسير غير واقعي

■ **ولكن ـ عفواً سماحة السيد ـ ألا تعتقد أنّ هناك جانباً من الممارسات التي يقودها بعض المسلمين أيضاً، هو سبب إضافي لهذا العداء؟**

إنني لا أرى أن بعض التصرفات التي يقوم بها المسلمون في هذا البلد الغربي أو ذاك تصل إلى مستوى يؤدي إلى هذه النتائج الكبيرة، بل إنّ ما يقوم به الغربيون من أميركيين وبريطانيين وفرنسيين من الأعمال الإرهابية ضد مواطنيهم، وإن لم تعط العنوان السياسي، هو أكثر بكثير مما يقوم به المسلمون..

الغرب يسرق ثرواتنا الطبيعية

■ **ولكن ـ عفواً ـ سماحة السيد، البعض يعتبر أن سرقة اليهودي ـ مثلاً حلال..؟**

كما نجد أن الغربيين يسرقون كلّ البترول وكلّ ثرواتنا الطبيعية؟ ما الذي يشكو اللصوص الأميركيون منه؟ أو يشكو منه اللصوص البريطانيون في بلادنا وبلادهم؟ ليحدِّثْك رجال الأعمال العرب الذين يذهبون إلى بريطانيا عن كيفيّة تهديدهم بالقتل وغيره حينما يأتي اللصوص المحترفون إليهم.. إنّ المافيا لم تولد في البلاد العربيّة، والألوية

الحمراء كذلك.. وكذلك في كولومبيا وغيرها، ومشاريع تبييض الأموال لم تولد في البلاد العربية.. نحن نقول لأميركا وغيرها.. «من كان بيته من زجاج ـ لا سماكة له ـ فلا يرمِ الناس بالحجارة».

كل مسالم دمه وعرضه محترم

■ **ولكني أعرف سماحة السيد أنّك أمرت بحكم أن يعيد أحد المسلمين مالاً كان قد سرقه من أحد المسيحيين؟**

إنني أفتي بأن كل إنسان مسالم فماله ودمُهُ وعرضه محترم، وقد أرسلت إلى أكثر من مكان في العالم تسكنه الجاليات العربية والإسلامية في أوروبا وأميركا وكندا وأستراليا والبرازيل وأفريقيا، أنه يحرم التعرض لأموال الناس أيّاً كان دينهم..

لكل إنسان فهمه للنص الديني

■ **سماحة السيد، نسمع دائماً منكم خطاباً منفتحاً على المسيحيين وحتى على اليهود، فلماذا نسمع خطاباً مختلفاً في مواقع أخرى؟ فقد صدرت مواقف عن بن لادن وطالبان تعتبر المسيحيين واليهود أعداء وكفّاراً؟ فلماذا هذا التناقض، مع أنّ الكلّ يبرر آراءه بآيات قرآنية وأحاديث إسلامية؟**

من الطبيعي أن لكل إنسان فهمه لما يختاره من النصوص الدينية بطريقته الخاصة، وإنني أعتقد أن هذا ليس مختصاً بالإسلام والمسلمين، فنحن نجد حتى في المواقع المسيحية من يتحدث عن المسلمين بشكل سلبي، ولكنه لا يمثل المسيحية كلها. ونجد أيضاً في اليهود من يتحدث عن أن العرب حشرات وأفاع وثعابين وعقارب، وهناك من يتحدث بطريقة متوازنة معقولة، ولذلك فإن المسألة أن علينا ألا نحمّل الناس، وأن نعرف أن الناس يختلفون في فهمهم للدين كما يختلفون في فهمهم للنصوص الأدبية وما إلى ذلك. وعلينا الانطلاق، ولا سيما في المجتمع المختلط، سواء المختلط الصغير كما في لبنان، أو الكبير من المجتمعات على مستوى العالم، بالتفتيش عن الإيجابيات لا عن السلبيات التي ينبغي علينا دراستها لمعالجتها ومحاصرتها، أمّا الإيجابيات فهي التي توحّدنا وتشير لنا إلى القضايا المشتركة هنا وهناك.. وهذا ما أرجوه لكلٍّ أهلنا ومواطنينا في لبنان الذي يحاول المخلصون فيه أن يبقى ساحةً للتنوع الديني والفكري والحضاري على أساس الوصول للوحدة في التنوع أو التنوع في الوحدة، وأن لا نركز على إثارة النقاط السلبية التي تباعد بيننا.

اتصال من جوزف مكرزل ـ مدير مجلة «الدبور»:

■ **السؤال يتعلق بالمسلمين واتهامهم بالإرهاب، كما نسمع الآن. نعلم أنّ الإرهاب لم يرتبط بالإسلام حصرياً، فهل ربطه بالإسلام عمداً، هو لحدّ الانتشار الإسلامي في العالم، والذي بدأ يزعج الغرب، هل هو للجم الإسلام في البلاد العربية؟ هل هو لخلق فتنة شيعية ـ سنية من خلال باكستان وأفغانستان على حدود إيران، ولا شك أن هناك خلافات مهمة، فهل هذا لإعادة الفتنة؟**

إنني أتصوَّر، ومن خلال موقعك الإعلامي أنّك تعرف لعبة السياسة في الإعلام، وأن هناك الكثير من المواقع الإعلامية السياسية التي تحاول قلب الصورة، وأن تلتقط النقاط السلبية أو مواقع الضعف من أجل تحريكها في محاربة خصومها السياسيين. إنّ الإدارات الغربية، ولا سيما الأميركية الخاضعة للمنظمات اليهودية، تعمل على أساس تعقيد الواقع العالمي للرأي العام ولا سيما الغربي، من الإسلام، لارتباط المسألة اليهودية بالمسألة الإسلامية مما يعرفه اليهود من الخطر عليهم. وهكذا في ارتباط المسألة الإسلامية بالمصالح الغربية التي تحاول مصادرة الثروات الطبيعية لحساب الرخاء الغربي. ومن الطبيعي أن يدخل في ذلك كله من حيث تفاصيل الاستغلال في وقت الحرب بعض الثغرات في المسألة السنية ـ الشيعية، أو بعض فجوات الجانب القومي أو العرقي بين المسلمين، تماماً كما عشنا هذا في المسألة الطائفية بين الإسلام والمسيحية. فالمشكلة أن الإعلام أصبح علماً ينطلق من المقارنة بين الأديان وبين المذاهب وعادات الشعوب ومشاكلها. وهذا ملخّص ما أردت إجابته..

مَنْ له الحق بتكفير النَّاس؟؟

■ **سماحة السيِّد، من له الحق بتكفير النّاس؟ من هم الكفّار وما هو معيار التكفير؟**

الكفر هو مسألة ثقافية؟

■ **كيف؟**

لأن الكفر والإيمان يتحرّكان في الموضوع الذي تقبله أو ترفضه، فنحن نؤمن بالله ونكفر بالطاغوت، وهناك من يؤمن بالله ولكن يكفر برسول الله، وهناك مثلاً من يؤمن بالله بطريقة معيّنة ويكفر بغير هذه الطريقة، كالذي يؤمن بأن الله هو المسيح بطريقة التجسد مثلاً ويكفر بالذين يعتبرون المسيح نبياً.. لهذا فمسألة الكفر والإيمان هي مسألة نسبية، فمثلاً متى تكون مسلماً؟ عندما تؤمن بالله وبرسوله وباليوم الآخر. فإذا جحدت أحد

هذه المفاهيم الثلاثة صرت كافراً، لأنك لم تؤمن بكل العناصر الأساسيه للإسلام.

■ **هذا في ما يتعلق بالمسلم؟**
نعم، فكل من يؤمن بهذه الأمور يعتبر مسلماً، وكلّ من يكفر بها من المسلمين يعتبر كافراً. أما من غير المسلمين، فمثلاً من لا يؤمن بنبوّة النبي محمد هو كافر بالرسول وليس كافراً بالله، ولهذا قلت إنّ الكفر نسبي، فقد تكون مؤمناً بالله وكافراً بالرسول، وقد تكون كافراً باليوم الآخر مؤمناً بالله وبالرسول، وهكذا..

الكفر نسبي

■ **ما هو العمل ـ سماحة السيد ـ إذا اعتبر بن لادن المسيحيين كفّاراً؟**
المسيحيون كفّار بالرسول، لأنهم لا يؤمنون بأن محمداً هو رسول من قبل الله، وإنما هو مصلح عربي اجتماعي بليغ وهكذا.. وهذه هي عقيدتهم، فيمكن أن يقال مثلاً بحسب الواقع وبعيداً عن الحساسيات للكلمة: هم يؤمنون بالله ولكن يكفرون برسالة رسول الله، ولهذا فإن القرآن حين خاطب أهل الكتاب من اليهود والنصارى: ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾، اعتبر أن توحيد الله مع الاختلاف في الخطوط التوحيدية، هو كلمة سواء بين المسلمين واليهود والنصارى.. وفي آية أخرى: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾.

من هنا نقول يمكن أن تطلق على المسيحيّ بالمصطلح الإسلامي أنه مؤمن بلحاظ إيمانه بالله، ولكنه كافر بلحاظ جحوده لرسالة الرسول، ولكن الحساسية أصبحت من خلال كلمة الكفر بالمطلق، أيّ أنه يقول إنه كفر بالله مع أن القضية ليست كذلك.
ففي المصطلح السياسي، ألا تقول أنا أكفر بالاستعمار، وبكل القيم الخبيثة.

المسيحيون موحّدون

■ **ألا يكفّر المسلمون المسيحيين لأنهم يعتبرون المسيح هو الله؟**
نعم، ولكنهم يرون أن المسيحيين موحّدون، ولكن هناك خطأ في فهم التوحيد، كما أن المسيحيين يرون أن المسلمين كفّار لأنهم لا يؤمنون بتجسّد المسيح.

لقد قلت إنّنا حين نأخذ الكلمة في مضمونها الثقافي، فإنّنا لن نتعقد من كلمة كافر، فلو فرضنا أن هناك بعض الاتجاهات الموجودة كالماركسية التي لا تؤمن بالله، فنحن إذا قلنا لشخص ماركسي إنّك كافر يتعقد، لماذا؟ مع أنك تقول إنه إذا كان يؤمن بالعقيدة الماركسية فالعقيدة الماركسية لا تؤمن بالدين كليّة ولا تؤمن بالغيب كلية. فالحساسية التي صارت تعيش في مجتمع الأديان هي أن الكفر عندما يقال بالمطلق فكأنه كافر بالله، لا فهذا أمرٌ نسبيّ كما ذكرنا..

الاستكبار ضد الله

طرح هذا الأمر بالتداول سماحة السيد نقلاً عن بعض مسؤولي «عصبة الأنصار»: أن الحرب اليوم هي بين الله وأميركا؟ فهل فعلاً أننا اليوم في انقسام بهذا الشكل؟

لم تطرح القضية في عناوينها بهذا الشكل، ولهذا نجد أن الرئيس بوش ذهب مع المسلمين واليهود والنصارى وصلّوا عن روح الذين قتلوا في عمليات التفجير، وغاية ما هناك أن الاستكبار، سواء كان في أميركا أو في غيرها هو ضد الله، لأن الله يريد للإنسان أن يعيش إنسانيته.

الدولار يوحّد الشتات الأميركي

- **هل تعتقدون أن أميركا تسعى دائماً لخلق عدوّ تواجهه، وتالياً هل تحتاج إلى ذلك في صناعتها السينمائية وفي سياستها الواقعية؟**

أعتقد أن أميركا لا تمثل مجتمعاً واحداً، فهي تمثل مجتمعات عديدة هائلة، ولم تستطع أن تصهر الأميركيين في مجتمع واحد إلا من خلال الدولار الذي يمثل عمق النظام الرأسمالي، وهو يمثل الشخصية الأميركية. ولذلك فإنّي أتصور أن ما يصدر عن أميركا لا يصدر دائماً من خلال قاعدة فكرية تخطط لكل شيء، يتحرك من خلال غيرها، فلا ننسى أن لليهود دوراً من خلال خطّتهم اليهودية في إرباك العالم، وهذا يتمثل في سيطرتهم على هوليوود وعلى الإعلام والاقتصاد وغيره..

وقد نجد في أميركا الكثيرين من المسيحيين المؤمنين بالمسيحية، والمسلمين وغيرهم، فأميركا ليست واحداً، وحين يسقط الدولار فسوف تتمزق أميركا.

وأذكر أن آخر سفير يوغسلافي زارني قبل التطورات التي حصلت في يوغسلافيا قال

لي: إننا لسنا شيوعيين، ولكنّ النظام الشيوعي هو الذي يوحّدنا، فإذا سقط النظام الشيوعي تمزّقنا. وهذا ما حدث.

وأعتقد أن ما يوحّد أميركا إنما هو النظام الرأسمالي، أو الدولار في طريقته المعقدة، وإذا سقط الدولار توزّعت أميركا في هذا المجال، فليس هناك ما يوحد الشعب الأميركي، ولهذا نجد أن كل جالية في أميركا تعيش عاداتها وتقاليدها وأوضاعها بشكل وبآخر.

وأمّا ما يتحدث به البعض من أن أميركا هي بلد الحريّات وغير ذلك، فصحيح أنها بلد الحريات، ولكن من يوجّه تلك الحريات!!. إنّها الشركات الاحتكارية الكبرى، وإلا فهل يستطيع أي أميركي أن يشكك في المحرقة اليهودية؟ أو في أعداد اليهود الذي قتلوا؟ إنه يرمى بمعاداة السامية وينطلق القانون الأميركي ليعاقب ذلك الشخص كما انطلق القانون الفرنسي ليعاقب روجيه غارودي لأنه كتب كتاباً يشكك فيه بذلك، فكيف نفهم الحقيقة؟

حرب على الشعب الأفغاني

- اتصال ومداخلة الأستاذ رشاد سلامة:

أحيّيك يا سماحة العلامة، وإنني من المعجبين بموقفك الوطني وبرؤيتك، وإنني من الساعين دائماً إلى مجلسك، وكل ذلك يشفع لي لدى سماحة السيد، لأني أريد العودة قليلاً إلى بداية الحلقة لأصف رأيي في موضوع معيّن.. وهو أن الوسيلة التي استعملت في الاعتداء على الولايات المتحدة الأميركية سخّرت ركّاب طائرات أبرياء واستهدفت مدنيين، وهو ما يعني جرماً ضد الإنسانية.. ولهذا السّبب، فحين يحكى اليوم عن مكافحة الإرهاب ويقال إنّ مكافحة الإرهاب مسؤولية تقع على الإنسانية جمعاء، فإنّني أعتبر أن هذا الكلام مبرّر بمعزل عن وسائله، سواء كانت عسكرية أو دبلوماسية، أو كانت الدبلوماسية ربما أكثر جدوى من الوسائل العسكرية، أو بوسائل التنمية التي ألمحت إليها والتوعية، لأن الجهل والحاجة هما فعلاً البيئة التي ينمو الإرهاب بامتياز فيها.

ما أحب التأكيد عليه هو أنّه بقدر ما تبدو الحملة ضرورية ضد الإرهاب لحماية الإنسانية، يهمني التأكيد أيضاً أنّ مكافحة الإرهاب يجب ألا تأخذ منحى الصليبية

ولا الجهاد المقدّس، ولا معنى الصدام بين الأديان والحضارات حتى ولا معنى الصّراع بين الخير والشر بالمعنى اللاهوتي لهذا الكلام، وأيضاً يجب أن لا يتم الخلط قطعاً خلطاً عشوائياً بين الإرهاب بما هو إرهاب، وبين ما هو حقّ للشعوب في مسألة المقاومة والتحرير. إنني أعتقد أن هذه الأمور مجموعة من المسلّمات التي تتوافق عليها الشعوب والدول والمجتمعات الحريصة على القيم بمعزل عن هويّاتها القومية وبمعزل عن دياناتها وطوائفها ومذاهبها.

وسؤالي المركَّب وبعضه ورد في سياق الأسئلة، أننا شاهدنا جماعات في المراحل الأخيرة وحشوداً تدعو إلى اعتبار أي تصد لأعوان قاعدة بن لادن أو لنظام طالبان وكأنه اعتداء على المسلمين والإسلام، فهناك بعض التنظيمات والجماعات قد بدأت تلح على خطاب معيّن مؤدّاه أن الحملة الأميركية التي تسعى اليوم لاكتساب غطاء دولي هي بالنتيجة عدوان يستهدف المسلمين، كما لو كان تنظيم القاعدة ونظام طالبان يتطابقان مع حقيقة الإسلام. والسؤال لسماحة العلامة المرجع: ألا تعتقدون أنه كان ينبغي للفقه الإسلامي أن يقول كلمته في دعوة بن دلان، وللدول الإسلامية الشرعية اتخاذ الموقف الواضح من التنظيم ونظام طالبان، كي لا ينسحب هذا الاتباع السائد على الرأي العام؟ وهل فات الأوان لمثل هذا الإجراء؟ وهل يوافق الدين الإسلامي القويم على نظرية «تنظيم القاعدة» التي مؤداها أن الدين يأمر بجعل العالم كله عالماً للمسلمين بحيث لا يوجد فيه الإنسان إن لم يكن مسلماً؟ وأعتقد أن بعض الجواب قد ورد بذلك على لسان سماحة العلامة السيد؟ وأخيراً من المؤكد أن الرئيس بوش أخطأ حين قال إمّا أن تكونوا مع أميركا أو أنتم ضدها؟ ولكن أوليس من الخطأ أيضاً أن يقول نظام طالبان وغيره للعالم: إما أن تكونوا ضد أميركا أو أنتم ضد الإسلام؟

أولاً لقد أعلنت منذ بداية المسألة أننا ضد هذه الأعمال التي لا يقبلها عقل ولا شرع ولا دين، وأن الذين قاموا بهذا قاموا بجريمتين؛ ضد ركاب الطائرة وضد الناس المتواجدين في هذا المركز أو ذاك.

ولكن إنما سجلنا تحفظاتنا على الشعار الأميركي، لأننا استحضرنا الكلمة التي قالها الإمام علي(ع): «كلمة حق يراد بها باطل»، لأننا في الوقت الذي نؤكد فيه شعار مكافحة الإرهاب، كما نفهم الإرهاب في بعده الإنساني السلبي، لكننا نعرف أن الدول الكبرى

استغلت الكثير من العناوين العامة لإسقاط الشعوب واستغلالها، مثل مسألة الاستعمار، فقد قدموا بحجة تعمير بلدنا وثقافتنا، ولكنهم جاءوا ليخربوا كل حياتنا في هذا المجال.

ولقد ذكرنا في أكثر من تصريح، وكذلك علماء المسلمين، أنهم يرفضون الجانب الثقافي المتمثّل في «فكر التنظيم» وبن لادن أو طالبان، ولكن المسألة التي طرحت في هذا المجال هي أن أميركا لم تقدم دليلاً قاطعاً على أن بن لادن أو القاعدة هي التي قامت بهذه العملية. ولهذا قلنا إنه لا بد إذا كانت أميركا تطرح العدالة بدون حدود، فإن العدالة لا بدّ أن تمارس بعقل بارد، والعقل البارد يقتضي السؤال عن المعطيات والإثباتات القضائية وغيرها... فلم تكن المسألة أننا نعتبر الحرب على طالبان أو القاعدة حرباً على الإسلام والمسلمين، ولكن الحرب هي على الشعب الأفغاني، فأميركا حين تثير كل هذا السلاح العسكري والهمروجة العسكرية فهي تثيرها ضد الشعب الأفغاني، فيمكن أن يكون «تنظيم القاعدة» قليلاً بأشخاصه، ويمكن ملاحقته بطريقة أمنية أو ما أشبه ذلك، ولكنْ هناك مسألتان نختصرهما: أولاً أنه لا إثباتات قضائية، وثانياً أن الحرب هي حرب على الشعب الأفغاني كله.

الوحل الأفغاني

■ **تبدو طبول الحرب متراجعة شيئاً فشيئاً، فما هي توقعاتك للمرحلة المقبلة سماحة السيد؟ وهل أميركا توشك أن تغرق بالوحل الأفغاني؟ فهل تعتقدون أنها ستنجح في المكان الذي فشل فيه الاتحاد السوفياتي؟ وكيف ستتوقعون المرحلة المقبلة على الصعيد العسكري؟**

تاريخ الأفغانيين هو تاريخٌ للمواجهة العنيفة، ولكن حتى الآن لم تستكمل كل عناصر الصورة، لأن أفغانستان حين وقفت ضد الاتحاد السوفياتي كانت مدعومة من أكثر من جهة. الوضع الآن مختلف، ولكنني أعتقد أن أميركا استعجلت العنوان من جهة استعادة العنفوان، ومن جهة رفع معنويات الشعب الأميركي وغيرها.. فمن الممكن جداً أن تغامر أميركا ولكن القضية تحتاج للمراقبة، ولا يمكن للإنسان أن يعطي حكماً حاسماً في هذا الموضوع.

الموقف السعودي

■ **بالنسبة للموقف السعودي سماحة السيد: فالملاحظ سحب الاعتراف بطالبان،**

والملاحظ رفض إدراج «حزب الله» و«حماس» و«الجهاد الإسلامي» على لائحة للإرهاب؟ ما هو رأيك بالموقف السعودي؟

إنّ التزام الحكومة السعودية، ولا سيما باعتبار عنوانها الإسلامي الكبير، من حيث إنها دولة تنفذ الشرع الإسلامي حسب طريقتها الخاصة، وباعتبار أنها هي تحتضن مكة والمدينة أيضاً، وهما من مقدّسات المسلمين، فهي تلتزم القضية الفلسطينية وتلتزم القضية في موضوع المواجهة ضد الاحتلال الإسرائيلي في لبنان، فهي تعتبر أن هذه المنظمات تحرّرية وليست منظمات إرهابية في هذا المجال، ولا بد عند ذلك أن تتحدّث بهذه الطريقة.

صدام أم حوار حضارات؟

■ **هل تعتقد أن العالم يتجه إلى صدام حضارات، أم إلى حوار حضارات؟**

أنا لا أعتقد أن هناك صدام حضارات، ولكن هناك العناوين التي تحرّكت، سواء في المسألة الثقافية أو فيما يهيَّأ من خطط ودراسات ثقافية ركّزت على المواقع الإسلامية من خلال اللغة السياسية والإعلامية المطروحة، ربّما أنها تهيئ لتأكيد خلفيات مستقبل صدام الحضارات، ولكن لا أعتقد أن المسألة الآن في مستوى صدام الحضارات، فالمسألة هي صدام السياسات. كما أنه ليس حوار حضارات لأن أميركا عندما تطلب من الدول العربية والإسلامية أن تكون معها فهي لا تريد محاورتها، بل الفرض عليها «إما أن تكونوا معنا أو تكونوا مع الإرهاب»، فاللغة ليست لغة حوارية، ولكنها لغة غطرسة وسيطرة ومصادرة لكل فكر آخر مغاير.. ليس هناك صدام حضارات ولا حوار حضارات، بل هناك فوضى مصالح دولية قد تتفق هنا وتتناقض هناك...

موقع الانتفاضة مما يحدث

■ **سماحة السيد، برأيكم هل يمكن تصنيف الانتفاضة الفلسطينية من الخاسرين بالنسبة لهذا الحدث، فيما يعتبر بعض آخر أن القضية الفلسطينية سوف تدخل ميدان الحل بعد الحرب القادمة؟ ما هو رأيكم؟**

إن القضية الفلسطينية ربحت من جهة وخسرت من جهة أخرى، فالخسارة أن الحدث الأميركي شغل العالم عن الانتفاضة، وربّما استغلت إسرائيل هذا الوضع بعض الشيء في حملتها الوحشية على الفلسطينيين ومحاولتها تقديم الفلسطينيين في البعد العربي والإسلامي على أنهم هم الذين حركوا هذا الأسلوب المتمثّل في التفجيرات الأميركية، لأن هذا مماثل لما جرى في فلسطين.

أمّا الربح فلأن أميركا شعرت أنها لن تستطيع أن تدعو الأنظمة والدول العربية والإسلامية للدخول في التحالف الدولي ضد الإرهاب كما تسمّيه، إلا إذا حركت القضية الفلسطينية ـ على سبيل الفرض ـ بطريقة وبأخرى، وإلا إذا عملت ـ كما يصرّح «باول» ـ لحلّ المسألة الفلسطينية ـ اليهودية، وكلنا نتصور أن أميركا ليست مالكة للحل بل إنها تحاول تبرير القضية، وهو ما يمثل الخطر على القضية، وكذلك الخطر على الانتفاضة باعتبار أن الانتفاضة والقيمين عليها قد لا يستطيعون أن يعارضوا في هذه المرحلة بالطريقة التي عارضوا فيها سابقاً، لأن التهمة بالنسبة للإرهاب وغيره جاهزة كالعادة، لكننا نعتقد أن الشعب الفلسطيني الذي استطاع في مدى هذه السنة ـ كما في مدى السنين السابقة ولأكثر من نصف قرن ـ أن يبقى صامداً قوياً، سوف يتمرّد على كل الحواجز التي توضع أمامه، وستستمر الانتفاضة، لأنه لا خيار للشعب الفلسطيني الحرّ المجاهد الأبي إلا مواصلة الانتفاضة، لأن المسألة هي أن العدوَّ أمامكم ولكنّ الانهيار وراءكم.

المكاسب العربية!

■ **ألا تعتقدون سماحة السيد، أن الدول العربية والإسلامية سوف تحصل على مقابل بالنسبة للقضية الفلسطينية لقاء التحالف ضدّ التطرّف على غرار ما حصل في مؤتمر مدريد ورغم ما آل إليه؟**

إنني أخشى أن المسألة قد تصبح تنازلاً عربياً لأن يحصلوا على مسخ مشوّه كما حصلوا في مدريد، ليفرضوا على الفلسطينيين بالتحالف في مشروع التحالف الدولي مسخاً مشوهاً قد يسمى حلاً وقد يسمى تجميداً، ولكني أعتقد أن شعبنا الفلسطيني وأهلنا في فلسطين أصبحوا يقرأون ما وراء السطور وما بينها ويعرفون خلفيات المشاريع وليس عندهم ما يخسرونه إلا قيودهم.

أين لبنان من كل ما يجري؟

■ **سماحة السيد، أين لبنان في ضوء ما يجري؟ هل سيبقى ساحة ضغط؟ هل يمكن للبنان أن يستمر قادراً على مواجهة الضغوطات الدولية حياله، خصوصاً في المرحلة المقبلة بما يتعلق بتبييض الأموال، وما يحكى عن منظمات إرهابية، وأشخاص وأفراد؟ وهل يبقى لبنان بمنأى عن كل هذه المتغيرات العالمية الجديدة؟**

مشكلة لبنان هم اللبنانيون، لأننا نعرف جميعاً أن الآخرين أرادوا للبنان أن يكون متنفساً

لمشاكل المنطقة أو للعالم بحجم المنطقة، أو أن يكون محرقة يحترق فيها اللبنانيون بكل خلافاتهم الطائفية والمذهبية والسياسية. ومشكلة لبنان أن اللبنانيين يحدقون في الخارج لا في الداخل، إنهم يتساءلون دائماً كيف هي أميركا أو فرنسا، أو كيف هي هذه الدولة أو تلك القريبة أو البعيدة، فعندما يشعر اللبنانيون أن عليهم المحافظة على وطنهم، فإن عليهم الكفّ عن الكلمات المتقاطعة، التي من الصعب جداً أن تنفذ الحروف في دوائرها بدقّة. إنّنا نتحدث دائماً ما هي حقوق المسلمين وما هي حقوق المسيحيين؟ وكيف آخذ من خانة هؤلاء لهؤلاء كما لو كنا دولتين منفصلتين ترتبطان بحدود معيّنة. إن المسألة أنني لم أسمع أحداً يقول ماذا أخذ من اللبنانيين بقطع النظر عن صفة اللبناني، إنني أدعو اللبنانيين إلى عقلنة الخطاب السياسي، لا عقلنته في صيغته الخطابية، ولكن عقلنة العقل السياسي، وعقلنة الحسّ الديني، أن لا يكون غريزة بل عقلاً، يرتفع إلى الله الذي أراد للعقل أن يكون مشرقاً دائماً ولا يريد له أن يخضع للتراكمات الطائفية التي تتحرك من خلال كل وحول الشتاء التي لا يستطيع أحد أن يصرّفها في شوارع لبنان. المسألة هي أنّنا في لبنان نسلّط الوحول كي نزحف باتجاه الينابيع الصافية لنلوثها، ومشكلتنا أننا في لبنان الجميل جمال الجبل والسهل والشاطئ، ولكننا نريد أن نرجم كل هذا الجمال بكل قبح العلاقات الإنسانية التي فرّغناها من كل معنى الإنسان. مشكلة لبنان في كل هذا الشموخ الذي ينطلق في جباله ويرتفع حتى يقارب السماء في كل تسابيح الطيبين الذين يعيشون مع الله، ولكننا نحاول أن ننطلق إلى كل المغاور والكهوف لتختبئ فيها كل عقدنا المظلمة..

إن الشمس تشرق دائماً في لبنان، ولم يستطع الضّباب أن يحجبها مهما كان كثيفاً، والبحر في امتداداته الصّافية وفي أمواجه الشاعرية التي قد تصخب ولكنها تعطي الجمال في صخبها.. في لبنان إنسانٌ طيب، هذا الإنسان الفلاح الذي ينطلق من أجل أن يغازل البذرة لتتحوّل إلى شجرةٍ تعطي أكلها كلّ حين.. في لبنان العامل الذي تنطلق كل عضلاته من أجل أن تصنع الأعاجيب. هذا اللبنان هو لبنان إنسان العقل الذي فتشوا في كل المنطقة على أن يجدوا له بديلاً ولكنهم لم يجدوا مثل إنسانه.

أيها الإنسان الإنسان كُن الإنسان! كن إنسان العقل، إنسان الروح، إنسان الصّفاء، إنسان الطيبة، كن إنسان المستقبل. أيها اللبنانيون كونوا المستقبليين ولا تغرقوا في الماضي ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عمّا كانوا يعملون﴾،

لقد صنعوا لنا تاريخاً مضرّجاً بالدّماء، فلنصنع تاريخاً مضمَّخاً بكل عطر الورود، وبكل صفاء السماء، وبكل صفاء الينابيع، وبكل معنى يعطي الإنسان مهما كان إنسانيته، ولن يكون هناك في لبنان شيء اسمه الإرهاب، ولا شيء اسمه الفوضى، ولا شيء اسمه الوحل السياسي.

«لم ولن أجد أجمل من هذا الختام الذي نطق به سماحة العلامة، المرجع السيد محمد حسين فضل الله، وعسى أن نخرج جميعاً إلى المستقبل إلى النور، ونخرج من الوحل السياسي اللبناني».

٥

عقدة حضارية ضد العرب والمسلمين

رأى سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله أن أميركا في حربها على ما تسميه الإرهاب تحاول رشّ القلق في المنطقة لتخويف وإرباك من يراد تخويفه وإرباكه، وأكدّ أن التطمينات التي يسمعها لبنان من بعض المسؤولين العرب هي تطمينات واقعية حتى مع النفي الأميركي.
وشدّد سماحته على أن أي عمل عسكري أميركي ضد سورية أو لبنان سوف يحسب ـ عربياً وإسلامياً ـ لحساب إسرائيل.. وتساءل: لماذا تكره أميركا استقلالنا وحريتنا وأمننا واقتصادنا ومستقبلنا؟ ولفت إلى أن أميركا عندما تنفتح على حقوق الشعوب من جديد فسيصفق لها الجميع. جاء ذلك في حديث تلفزيوني مع سماحته وأبرز ما جاء فيه:

فعل يخطط تحت ردة فعل

حول موقفه إزاء الأحداث والتطورات الجارية قال سماحته:
الواقع أنّ الإنسان الذي يراقب الأحداث لا يغضب، ولكنه يتأمل ويلاحق الحدث ليفهمه، وليرتب أفكاره على أساس استنتاج النتائج التي تمسّ واقع الأمة كلها، لأن مثل

جرى هذا الحوار على شاشة NBN الزميل سعيد غريب، بتاريخ ١٧ تشرين الأول ٢٠٠١م.

هذه الأحداث تمثل حركة يراد منها أن تخلق زلزالاً سياسياً وأمنياً واقتصادياً يخيّل للناس أنه أمر طبيعي من خلال أنّ التحدّي في هذه المرحلة جاء إلى أميركا في العمق، وفي المنطقة التي لم تفكّر فيها على مستوى القيادة والشعب أن تتلقّى مثل هذه الضربة. لذلك فقد يخيّل للناس أن هناك زلزالاً طبيعياً ينطلق من كل عناصر الاهتزاز لأميركا. ولكن أميركا التي اهتزّت وفقدت الكثير من عنفوانها وهيبتها وثقة الشّعب بإدارتها واستخباراتها على مستوى الداخل، وهكذا فقدت هذا العنفوان في الخارج، تحاول أن تستفيد من هذا الجوّ الذي دفع بالعالم إلى الحيرة والتساؤل: ماذا تفعل أميركا؟ وعملت أميركا كأية دولة كبرى على توظيف هذا الحدث لأكثر من خطة، ولأكثر من تنفيذ خطة سياسية، لتمرير وتنفيذ بعض المشاريع السياسية أو العسكرية، في الحصول على قواعد عسكرية في المناطق التي لم تساعدها الظروف على إقامة القواعد العسكرية فيها، أو ربط المخابرات الدولية بالمخابرات المركزية الأميركية لتتحرّك في خطة يتكامل فيها الجميع للمصلحة الاميركية، باعتبار أنّ أميركا تتحرّك تحت عنوان مصلحة البشريّة، وهكذا فإنّ هناك عيناً تحدق بكل آسيا، وبكل التعقيدات الموجودة في آسيا، روسيا من جهة، والصين من جهة، إيران، بحر قزوين، باكستان والهند، لذلك كله فإن المسألة أكثر من أن تكون ردّة فعل ولكنها فعل يخطط تحت عنوان ردّة الفعل.

الرئيس الأميركي يفقد توازنه

وقال: من الطبيعي أن أميركا لم تنتظر مثل هذا الحدث رغم أنها كأية دولة كبرى تضع الخطط من أجل أن تنتظر أيّة فرصة لتنفيذها. ولكن هناك مسألة في هذا السياق الأميركي للحدث وهي أن أميركا فقدت في بداية الحدث حالة التوازن، فعاشت في مرحلة انعدام الوزن ولعدّة ساعات، ولذلك فقد الرئيس الأميركي توازن كلماته ومواقفه، حتى حين أطلق التحالف في الحرب على الإرهاب لم تكن لديه أية صورة واضحة حول مفردات هذا التحالف وخطوطه، لأننا نعرف أنه الحرب على الإرهاب هي مسألة تتحرّك في النسبيّة لا في المطلق، باعتبار أن لكل منظمة إرهابها، ولكل دولة مفهومها في الإرهاب، ولكل دولة مصالحها وحتى الدول الكبرى. ولهذا كانت المسألة شعاراً يبحث عن الأرضية الصّالحة ولا يزال الشعار يتحرك شرقاً وغرباً دون أن يستقرّ على قاعدة.

أميركا فقدت أمنها

ورداً على سؤال قال سماحته: إنّ أميركا قد فقدت أمنها وحرّيتها منذ الحدث لأنها

شعرت بأن كلّ التخطيط الأمني الذي كان موجّهاً لحماية أميركا في الخارج كان يغفل حماية أميركا من الدّاخل، وهنا كانت مسألة اهتزاز الثقة بالمخابرات الاميركية التي كانت تمثل الأخطبوط الذي يمّد أذرعه إلى كل مكان في العالم. وتابع: إنّ أميركا خاضت حرباً ضدّ هدف قد لا تملك الكثير من الفرص الواقعية لتحقيقه.

وحول المزاوجة بين الإسلام والإرهاب قال سماحته: إني أعتقد أن المسألة لا تنطلق من حدث عفوي بل تنطلق من خطة مدروسة ورواسب تاريخية. أمّا الرواسب التاريخية فهي الشحن الثقافي والديني الذي عاشه الإنسان الغربي ضدّ الإسلام من خلال أكثر من صوت ومن بحث وتحليل وأكثر من حرب، ممّا جعل هناك لدى الغربيين الأوروبيين وليس الأميركيين عقدة حضارية ضد الإسلام، وهذا ما نلاحظه في أيّ حدث سياسي أو ثقافي أو اقتصادي أو اجتماعي، فإنّك تشعر أنّ هناك شيئاً يطفو على السطح من خلال الإنسان العادي. أمّا الخطّة المدروسة فإنّنا نلاحظ أن هناك دائرتين يحرّكانها:

خطة إسرائيلية لعزل الغرب عن المسلمين

الأولى: هي الدائرة الصهيونية المسيطرة على كثير من مفاصل الإعلام في العالم، وعلى كثير من مواقع السياسة، وقد اعتبرت معركتها مع الإسلام، وهو ما لاحظناه في إعلامها وحركتها السياسية، باعتبار أن الإسلام قد واجه إسرائيل كدولة في فلسطين على أنّها دولة غاصبة وأنها لا تملك الشرعية مطلقاً. ولهذا فإن إسرائيل كانت تخطط من أجل أن تعزل العالم الغربي عن الإسلام والمسلمين لتستفيد من تأييده ودعمه وعدم تجاوبه مع الحركات الإسلامية والواقع الإسلامي.

والثانية هي دائرة الغرب الذي اعتبر الإسلام عدّوه الأول بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، وهو ما أقرّه حلف شمالي الأطلسي، لأن للغرب مصالح في العالم الإسلامي، وأيّة صحوة أو حركة في العالم الإسلامي تضع مسألة الحرية والاستقلال والاكتفاء الذاتي في عناوينها الرئيسة تمثل خطراً على مصالح الغرب في المنطقة..

لماذا تكرهون المسلمين؟

وتعليقاً على الطرح السائد في الغرب بالنسبة لكره المسلمين للغرب أضاف سماحته: إنّ السؤال الآن يوجّه إلى الغربيّين: لماذا تكرهوننا؟ لماذا تكرهون مواطنيكم من المسلمين؟

لماذا تكرهون مواطنيكم الذين عاشوا في بلادكم بكلّ أمنٍ وطمأنينة وإخلاص لبلادكم في كل هذه الفترة الماضية سواء في أميركا وأوروبا وغيرهما.

إن الجواب هو لأن بعض هؤلاء هدّدوا أمننا ومواقعنا الاقتصادية وعنفواننا، ولو في هذه المرحلة. إنّنا ننقل هذا الانطباع الموجود لدى فريق كبير من الرأي العام الغربي إلى الواقع الإسلامي. فلماذا يكره العالم الإسلامي والعربي وحتى من غير المسلمين يكرهون أميركا، وقد كان العالم الإسلامي ومعه العالم العربي يحب أميركا قبل الحرب الثانية، لأنّه كان يرى أن أميركا هي دولة الحريّة وأنها الدولة التي لم تستعمر العالمين العربي والإسلامي، بل طرحت العناوين الإنسانية الحضارية في قضايا الحرية والاستقلال. فلماذا تحوّل هذا الحبّ إلى كره؟ لأن أميركا أعطت إسرائيل التأييد المطلق حيث شعر العرب والمسلمون بأن أميركا لا سياسة لها في الشرق الأوسط، بل إنّ سياستها هي السياسة الإسرائيلية، وأعطت إسرائيل كل الدعم على حساب كلّ دول المنطقة، إن أميركا ضد كل الذين يصادرون حرية وحقوق الإنسان، ولكن هل الاحتلال لأي بلد يمثل انسجاماً مع حقوق الإنسان؟ لماذا تتحفّظ أميركا عندما تطالب سورية بالانسحاب الإسرائيلي من الجولان؟ لماذا كانت أميركا طيلة المدّة المعينة لا تعطي بالاً واهتماماً للقرار «٤٢٥» ولولا أن المجاهدين أدخلوا إسرائيل في زاوية وجعلوا احتلالها مأزقاً سياسياً وأمنياً لها لما تدخلت أميركا في ذلك؟ لماذا عاقبت أميركا بطرس غالي لأنه أصّر على تقديم التقرير عن مجزرة قانا؟ لماذا باركت أميركا شارون صاحب مجزرة صبرا وشاتيلا والتي أدانها العالم؟ واستقبلته في إدارتها الحالية مرّتين، ومستعدة لذلك أكثر، ولم تستقبل عرفات؟.. إن أميركا حاصرت العراق وهي القوّة الأساسية الحامية للنظام العراقي لمصلحتها في ذلك، فهي تحاصر الشعب العراقي، والسودان، وإيران، فهل السؤال لماذا نكره أميركا؟ السؤال هو لماذا تكره أميركا استقلالنا وحرياتنا وأمننا واقتصادنا ومستقبلنا.. قلنا لأميركا فلتنفتح على حقوق الشعوب من جديد، ولترجع لتستوحي تمثال الحرية، وعندها سيصفق لها الجميع.

إسرائيل هي ضمير أميركا!

وقال: إنّ إسرائيل تمثل ضمير أميركا، ولقد دخلت إسرائيل في عمق العقل الأميركي، حتى أن المسيحيين الأميركيين البروتستانت أصبحوا متحمسين للصهيونية من خلال فهمهم للعهد القديم أكثر من تحمس اليهود لمسألة إسرائيل. لقد استطاعت إسرائيل من

خلال اليهودية وتوزيع مواقعها في أميركا أن تكون عمق أميركا، حتى يخيل للمراقب أنّ أميركا خاضعة لإسرائيل وليس العكس..

وعن حاجة أميركا لإيران قال سماحته: إنني أتصور أن إيران في الاستراتيجية الأميركية تمثل موقعاً حيوياً تعمل أميركا على اجتذابه ولكنها تنتظر الفرصة المناسبة، لأنّ إيران تعتبر دولة كبرى في منطقتها، وإن أيّ اهتزاز في الأمن الإيراني سوف يحرق كل الاستقرار في الخليج وربما في المنطقة، ولهذا فإن أميركا تتحرّك في سياستها مع إيران على طريقة «العصا والجزرة» وإيران لا تقبل «العصا» ولا تلهث وراء «الجزرة».

أميركا لا تملك حرية تنفيذ ما تريده

وبالنسبة للسؤال عن لبنان وبقائه بمنأى عن الخطر الأميركي علّق قائلاً:
إنّ أميركا في سياستها المعلنة في الحرب على الإرهاب تحاول رشّ القلق على المنطقة لتخوّف من يراد تخويفه وتربك من يراد إرباكه، ولعلّ بعض المعلومات تقول إن ممثّلي أميركا في لبنان ـ السفير الأميركي ـ يطوفون على السياسيين ليخوّفوا هذا ببعض تاريخه وليهدّدوا ذاك وليلمّعوا شخصيّة هذا وذاك..

لهذا، فإن أميركا لا تملك الكثير من الحرية لتنفيذ ما تريده من مطالب، لأن لها مصالح في المنطقة تختلف عن موقع أفغانستان، وهي تعرف أن المطالبة بتسليم أيّ شخص في أي بلد سوف تخلق مشاكل في داخل هذا البلد وتسبب فتنة واهتزازاً أمنياً يخرب كل السيناريو الذي تريد أميركا تنفيذه، ومن جهة ثانية فإنّ أيّ عمل عسكري في سورية أو في لبنان أو في أيّ بلد يحيط بفلسطين سوف يحسب عربياً وإسلامياً لحساب إسرائيل وهذا ما لا تريده أميركا ـ على الأقل في المرحلة الحاضرة ـ لأنها تحاول ومعها أكثر من دولة أوروبية أن تغازل الذهنية العربية والإسلامية، بأنها تعمل لحل المشكلة في الشرق الأوسط، وتوحي لإسرائيل ألا تتدخل وألا تكون في الواجهة، إنّ أية ضربة عسكرية أميركية للبنان أو لسورية تعني أن أميركا دخلت في الواجهة مع إسرائيل ضد العالم العربي والإسلامي، وهذا ما يسقط الهيكل على رؤوس الجميع فيما أميركا تحاول الحفاظ على هيكل الأنظمة المتحالفة معها حتى الآن على الأقل. لهذا فالتطمينات التي نسمعها من المسؤولين العرب هي واقعية حتى مع النفي الأميركي، لأن أميركا تريد بقاء القلق في المنطقة..

اغتيال الوزير الصهيوني كان متوقعاً

وعن أنه توقع ما حصل من اغتيال لأحد المسؤولين الصهاينة، وعن وضع الفلسطينيين ونضوج الدولة الفلسطينية على نار أفغانستان أجاب سماحته:

إنّ هذا الحدث الذي توقعته منذ اغتيال «أبو علي مصطفى»، باعتبار أنّ الصدمة التي حصلت للواقع الفلسطيني كانت تجتذب في وعي كل القهر الفلسطيني والرفض الفلسطيني صدمة أخرى في مستوى مسؤول في هذا الحجم، ولهذا فلم أفاجأ بما حدث. أمّا تأثير هذه الصّدمة على الواقع الإسرائيلي، فربما حاولت إسرائيل وتحاول إثارة الهلع في نفوس الفلسطينيين، باعتبار أن المسألة سوف تثير الحريق بشكل غير عادي، إنّ هذا من باب التهويل، لأن إسرائيل لم تترك شيئاً من وحشيتها ضدّ الفلسطينيين أرضاً وشجراً وإنساناً وكياناً ألا وجرّبته.. وخاطب سماحته الانتفاضة والشعب الفلسطيني قائلاً:

أيها الفلسطينيون ليس لديكم ما تخسرونه

لم يعد لديكم ما تخسرونه، فلقد استطعتم دخول التاريخ من أوسع أبوابه، ولقد استطعتم في مدى السنين الماضية صنع التاريخ لأمّتنا، لقد سقط الكثيرون أمام التحديات والتطورات وبقيتم في الساحة، بقي الطفل الفلسطيني يعيش معنى فلسطين في ملاعبه، والشاب الفلسطيني والصبية الفلسطينية يعيشان فلسطين في أحلامهما المستقبلية، والشيخ والعجوز يعيشان فلسطين في تاريخهما المطلّ على صناعة المستقبل.. ولقد منحتم الأمة العنفوان حتى تلاحق كل نهركم المتدفق بالدماء وتعيش كل القوة والشموخ والعملقة، وهي تراقب انطلاقتكم للعزّة والعلى، وإذا كان الزمن قد أعطى إسرائيل فرصة، فإن المستقبل سوف يعطي الفرصة لكم، للشعب الفلسطيني.

يا أحباءنا وأهلنا وإخواننا: الوحدة الوحدة، لا تتركوا العدو يعبث بوحدتكم، وأقول للسلطة الفلسطينية: لقد استطاع الشعب الفلسطيني أن يصمد فلا تخضعوا لكل الوسائل الأميركية الضاغطة، والأوروبية والإسرائيلية والعربية لتعطوا إسرائيل في هذه المرحلة ما لم تستطع أخذه في المراحل الأخرى، ليعيش الفلسطينيون انقساماً جديداً، واهتزازاً جديداً فالأرض الصلبة تحتاج لشعب صلب والشعب الصلب يحتاج لقيادة صلبة، فالصلابة الصلابة والثبات الثبات، كونوا المستقبليين كما كنتم عندما عاش الكثيرون في الماضي، وازرعوا المستقبل في كل البساتين التي جرفها الاحتلال، وفجّروا المستقبل، وأطلقوه في واقع الأمّة لأنها معكم دائماً..

٦

الحرب الأميركية على الشعب الأفغاني فتحت جرحاً عميقاً في جسد الأمة

للعلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله رؤية سياسية واسعة وتحليلية قائمة على معطيات الأرض وعلى الأحداث اليومية، ومن خلالها يستقرئ المستقبل العام للمنطقة العربية والإسلامية، ويعطي رأيه بانسياب الأفكار وبمنطقية القارئ والمطلع استناداً إلى معطيات الواقع، مخضعاً إياها لرؤياه الفكرية على خلفية الحكم الشرعي.

من هنا، سوف نقرأ موقفه مما يجري في أفغانستان من الوجهة القانونية التي أطلقتها الولايات المتحدة الأميركية، فبالنسبة للسيد، ما تفعله أميركا هو عدوان بصيغة القانون الوضعي.

المرجع السيد لا يوافق «نظام طالبان» ولا يقبل بوجهة نظرهم في فهم الإسلام، وكذلك الأمر بالنسبة لأسامة بن لادن، كون ما جرى ضد المدنيين في أميركا غير مبرر إسلامياً. وفي الوقت ذاته، ما تفعله أميركا ضد المدنيين الأفغان غير مبرر إسلامياً، بل وإنسانياً، وحتى حسب القانون الوضعي. وما تفعله الولايات المتحدة مغاير لطروحاتها، وهي لم تقدم الدليل للإدانة، فنصبت نفسها المدعي والقاضي والمنفذ للحكم.

«الديار»، حاوره: ياسر الحريري. ٢٢ تشرين الأول ٢٠٠١م.

ويرى العلامة أن سورية ولبنان غير معنيين بما يجري في العالم، وأن أمنهما واستقرارهما مطلب دولي، وأن أي حركة إسرائيلية ضدهما سوف تسقط الهيكل وتغير المعطيات العربية والإسلامية حتى على مستوى الأنظمة.

كما يرى أن لبنان بمسيحييه ومسلميه متفق على مواجهة الفتنة، وما جرى ضد الكنائس مرفوض، كما هو مرفوض ما جرى ضد المساجد. وكما هو غير مبرر إسلامياً ما جرى ضد المدنيين في أميركا، كذلك غير مبرر ما يجري ضد المدنيين في أفغانستان.

وحول موقف الإسلام ورده على ما يجري.. يقول سماحة المرجع السيد إن الإسلام يتحدث عن القتال والجهاد وليس عن العنف، وحق الدفاع عن النفس مشروع ونصرة المظلوم حق.

مع المرجع السيد محمد حسين فضل الله نستعرض ما يجري في العالم وفلسطين والنتائج الأولية لهذه الأحداث والعمليات في حوارنا معه:

أميركا تخوّف العالم بأفغانستان

■ **ما هي قراءتكم للنتائج الاستراتيجية للعمليات العسكرية الأميركية ضد أفغانستان حتى الآن؟**

ربما كانت متابعتي للأحداث توحي بأن الاستراتيجية الأميركية في المواجهة هي استعادة لمنطق القوة الأميركي للسيطرة على السياسة العالمية بكل أبعادها الاقتصادية والسياسية والأمنية، سواء كان ذلك في سيطرتها على العالم الثالث لتمنع أي معارضة لسياستها ومصالحها، أو تحت تأثير الاضطهاد الأمني، أو في مواجهتها للسياسة الدولية بما يتصل بالاتحاد الأوروبي أو بروسيا أو الصين من أجل جعلها تتحرك في مجرى المصالح الأميركية بالمستوى الذي يجعل أي عدوان على أميركا أو أي إساءة لمصالحها مسؤولية دولية على أساس اندراجها تحت البند الخامس من ميثاق الحلف الأطلسي، أو في العلاقات المشتركة كما في روسيا والصين وعنوان الإرهاب الذي ربما يتدخل في أكثر من مصلحة. وربما كانت أفغانستان الدولة الأضعف التي يمكن لأمريكا أن تجرب فيها أسلحتها المتطورة وتحرك فيها عضلاتها العسكرية التي تريد أن تخوف فيها المراد تخويفه

وتربك من تريد أمريكا إرباكه. ولعل إقحام بعض دول أوروبا في الحرب بشكل وبآخر أو بالتنسيق مع روسيا لتشكيل بعض مواقعها في الحرب، ولا سيما في ما يحتسب من الدول الإسلامية التي كانت خاضعة للاتحاد السوفياتي السابق، أو من خلال الضغط المباشر إلى حد التهديد والتخويف لباكستان التي تمثل حاجة حيوية لأميركا في سعيها للحرب على أفغانستان، لتتحرك في تهيئة مواقعها العسكرية وحقوقها السياسية الضاغطة على طالبان أو بما تستقبله الحرب من هموم للضغط، حيث إن أميركا لا تريد أن تغامر مغامرة أخرى بجيشها في الرمال المتحركة الأفغانية، بل ربما تعتمد ـ كما صرح الرئيس بوش حسب تعبيره ـ على أصدقائها من الباكستانيين أو الأفغان.

أميركا تثأر من طالبان

لهذا فإن الحرب على أفغانستان تمثل عنصراً ثأرياً من طالبان التي تمردت على أمريكا بعد أن كانت صنيعتها، ولم تسلّم بن لادن وقاعدته والذين تتهمهم بأنهم كانوا وراء التفجيرات، ما يمثل امتصاص الحالة النفسية لدى الشعب الأميركي الذي أصيب بعنفوانه وباسترخائه الأمني كصدمة لم يتصورها، وهي في الوقت نفسه رسالة إلى كل من يهمه الأمر، رسالة لمن يتمردون على تسليم من تريد أميركا تسليمه، أو محاصرة من تريد أميركا محاصرته في اقتصاده أو في خطواته السياسية وغير ذلك.

إنها مقدمة حارة للحرب على ما يسمى الإرهاب الذي هو عنوان التحالف الدولي الذي تقوده أميركا حتى الآن، لأن الحرب الأفغانية بحسب نتائجها إذا تمت حسب التخطيط الأميركي، سوف يكون لها تأثيرات فاعلة لمصلحة الضغط على أكثر الدول، بما فيها الدول العربية والإسلامية من ضمن التحالف الدولي الذي يعمل تحت القيادة الأميركية للعالم من خلال هذه الشبكة التي ترتبط فيها كل الدول في الخطة الأمريكية التي لم تدرس حتى الآن دراسة تفصيلية، ولكنها سوف توضع بعد استكمال دراستها من خلال استكمال تجاربها الأولية لتقوم كل دولة بدورها. ولكن تكون مسألة الشرق الأوسط بعيدة عن ذلك.

الشعوب .. والسياسة الأميركية

■ **هل تعتقدون أن الولايات المتحدة الأميركية قادرة كل الوقت على التحكم بالنتائج؟**

أنا لا أتصور ذلك لسبب بسيط، وهو أن الدول، حتى الدول الكبرى، لا تملك العصا السحرية التي تضرب بها الشعوب بحيث تنحني الشعوب لها كما تريد، كما أنها لا تملك هذه العصا السحرية للضغط على الدول الكبرى من حلفائها، التي تملك مصالح تفصيلية في أكثر من موقع من مواقع العالم الثالث، مما يدخل في صراعها الخفي مع أميركا على أساس اقتصادي أو سياسي، وإذا نظرنا إلى بعض الدول الآسيوية كروسيا والصين وتوابعها فإننا قد نلاحظ أن علاقتها مع أميركا هي علاقات يتخللها الحذر، إن من جانبها أو من جانب أميركا، ما يوحي بأن الخطة الأميركية سوف تصطدم بأكثر من حاجز في هذه الساحة الدولية أو تلك، حتى أننا نتصور أن الدول التابعة لأميركا في سياساتها هي كالكثير من دول العالم العربي والإسلامي، لا تملك حرية التحرك لتنفيذ السياسة الأميركية في منطقتها، لأن التعقيدات الموجودة لدى شعوبها ضد السياسة الأميركية، تعطّل حرية حركتها وربما تثير المشاكل لها. وهذا ما لاحظناه في البداية في التظاهرات التي قامت في باكستان أو في التظاهرات التي قامت في إندونيسيا والتي قد تصل إلى مستوى الفوضى إذا ازداد الضغط أكثر أو أريد لهذه الدولة أن تنفّذ السياسات الأميركية أكثر، لا سيما بما يتعلق بمسألة حل الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

انتفاضة الشعوب

■ **هل ترون أن التجاذب الحاصل في بعض الساحات العربية والإسلامية يؤثر سلباً على ساحات هذه الدول واستقرارها؟**

إنني أتصور أن هناك غلياناً في الأعماق لدى شعوب العالمين العربي والإسلامي، أمام ما يحدث الآن من الحرب الأفغانية التي استطاعت أن تفتح جرحاً جديداً لدى هذه الشعوب، بقطع النظر عن رؤية هذه الشعوب لنظام طالبان أو إلى ابن لادن وقاعدته، إذ ليس من الضروري أن تكون هذه الحالة النفسية عطفاً على هؤلاء، ولكن الصورة التي تتمثل بالشعب الأفغاني أمام الشعوب العربية والإسلامية تمثل الظلم الكبير الذي يتحسسه كل إنسان مسلم في هذا القصف المدمر لأفغانستان التي عاشت المأساة في تاريخها القريب، بحيث إنها دمرت في الحرب السابقة، وجاء الأميركيون ليزيدوا دمارها ويدمروا الرغبة في أنفسهم لعمرانها. هذا إضافة إلى متابعة هذه الشعوب للجرائم الإسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني والتي تحظى بتأييد أميركي مطلق مع بعض الكلمات المائعة، التي لا تمثل شيئاً، وخصوصاً عندما يتحدث الأميركيون بأن إسرائيل تتحرك دفاعاً عن النفس وأن الفلسطينيين هم الإرهابيون في مواجهتهم للجرائم الإسرائيلية.

إنني أتصور أن هناك حالة جنينية للانتفاضة في العالم العربي والإسلامي، وأن ضغط قوانين الطوارئ وأجهزة المخابرات والتي صادرت الشعوب العربية والإسلامية هي التي تمنع من ولادة الحالة الجهادية بحيث تتحول إلى مخلوق قوي فاعل، ولكن زيادة الضغط تولد الانفجار، ولن يكون الانفجار سهلاً، لأنه سوف يهدد السياسة الأميركية بشكل مباشر، من خلال تهديده للمصالح الأميركية، ومن خلال تهديده للأنظمة التي اعتادها الأميركيون.

أميركا وأوروبا تؤويان مطلوبين

- **سماحة السيد، مع التسليم بأنّ هناك خلطاً بين «طالبان» و«بن لادن» وبين الشعب الأفغاني الذي يتعرض للقتل، إلا أن طالبان وبن لادن يتحملان مسؤولية ما يجري، فما هو الموقف الشرعي، وما هو التصرف الذي يجب أن يلتزمه المسلم؟**

إنني أحاول أن أدرس المسألة الشرعية بعقل هادئ. إن المبدأ الذي طرحته أميركا في هجومها على «طالبان» هو أنها تبغي المتهمين بالتفجيرات، وأن تأييد الدول لهم هو تأييدها للإرهاب، لذلك لا بد أن تتعامل معاملة الإرهاب. إنني أتساءل: هل هذا المبدأ يمثل خطاً للعدالة الحضارية، بقطع النظر عن المبادئ الإسلامية وغير الإسلامية لإعلان الحرب على أي دولة تختزن نظاماً يؤيد فريقاً من الناس متهماً لدى دولة أخرى. ولو أردنا أن نطبق هذا فمن الممكن جداً أن تقف الدول العربية والإسلامية وتتهم جماعات بالإرهاب لإسقاط أنظمتها موجودين في أوروبا وأميركا، وهم يطلبون من أميركا وأوروبا أن تسلمهم، ولا تجد أوروبا أو أميركا أية مادة قانونية لتسليمهم. لو طبقنا هذا المبدأ فيمكن أن نقول إن لهذه الدول الحق في إعلان الحرب على أميركا وعلى أوروبا.

ثم إن كل الدول العربية والإسلامية بشعوبها تتهم أميركا بأنها تؤيد تأييداً مطلقاً إسرائيل، التي تمارس إرهابها بالأسلحة الأميركية ضد الفلسطينيين، فإذا أردنا أن نطبق هذا المبدأ، فإننا نقول إن أميركا تؤيد هذا الإرهاب، يعني إرهاب الدولة الإسرائيلية ضد الفلسطينيين اليوم، وضد العرب والمسلمين غير الفلسطينيين، ثم نبرر على أساس المنطق الأميركي لبن لادن وللقاعدة ولكل المنظمات التي تقف ضد أميركا ما تقوم به ضد مصالحها لأنها تؤيد إسرائيل تأييداً مطلقاً.

لذلك نقول، عندما ندرس هذه المسألة فإننا لا نجد لها أيّ مبرّر شرعي وقانوني

وحضاري وإنساني.. أن تعلن الحرب على دولة لمجرد أنها لا تسلّم المتهمين بالاعتداء على تلك الدولة. مع ملاحظتنا أن هؤلاء المتهمين، صدقوا أو كذبوا، ينكرون علاقتهم بهذه التفجيرات، وإن نظام «طالبان» الذي لا نؤيده لفهمه الإسلامي، لأننا نختلف معه في الكثر من طريقة فهمه للإسلام، لا سيما للمرأة، إن نظام «طالبان» قد طرح على الولايات المتحدة الأميركية أن تقدم له الإثباتات التي تدين بن لادن وقاعدته ليحاكم في أفغانستان أو في دولة إسلامية محايدة. ولتدخل أميركا في كل إمكاناتها القانونية لإثبات عناصر الإدانة، ليحكم في إدانته إسلامياً، لأن هذا العمل الذي اتهم به ليس مبرراً إسلامياً كما أثبته علماء المسلمين في العالم، الذين أعلنوا موقفاً ضد التفجيرات، لأنه لا يجوز قتل الأبرياء بهذه الطريقة لمجرد معارضة سياسة الدولة التي يعيشون تحت تأثيراتها. ومع ذلك، لم تقدم أميركا الإثباتات حتى للدولة الإسلامية، بل قدمتها لدول أوروبا، وذلك لتضغط عليها كي تعتبر هذه التفجيرات عدواناً خارجياً، وبالتالي لتنفيذ البند الخامس من ميثاق الحلف الأطلسي الذي يفرض على الحلف لتقديم المساعدة لأي دولة من الدول الأعضاء التي تتعرض لعدوان خارجي.

أميركا لا تدمّر طالبان بل البنية التحتية لأفغانستان

وفي القانون الوضعي أو الدولي، إذا ارتكب شخص من دولة ما جريمة وينتمي هذا الشخص إلى دولة أخرى، فإن القانون يفرض تقديمه للمحاكمة في دولته، أما أن يسلم إلى الدولة المعتدى على بعض أفرادها فهذا أمر لا يقره القانون. وهناك بعض القوانين حول تسليم المجرمين إذا كانوا في دولة ما لدولتهم. أما أن يقدم المتهم الذي قام بجريمة من دولته للدولة التي جرى الاعتداء على بعض أفرادها فهذا ليس قانونياً، لذلك نقول إن أميركا لم تقدم أية أطروحة قانونية على مستوى كل الأعراف القانونية، سواء كانت إسلامية أو غير إسلامية، تبرر لها ما قامت به من هذه الحرب ضد أفغانستان.

والحرب لم تقم ضد نظام «طالبان»، بل قامت ضد كل البنية التحتية للشعب الأفغاني الاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وضد المدنيين الذين تطالهم الطائرات الأميركية والبريطانية، مع الاعتذار منهم أحياناً على الخطأ، مع أنه لا ندري كيف يقع الخطأ مع كل هذه الدقة التي تملكها التقنية العسكرية الغربية. لذلك لم نجد أي أساس شرعي في هذه الحرب، ونعتبرها حرباً عدوانية، تماماً كما لم نجد أي شرعية في التفجيرات التي حصلت في أميركا، إذ ليس لها مبرر شرعي.

للحرب قوانينها العادلة في الإسلام

■ **هل الرد على الولايات المتحدة الأميركية، أي استهدافها، جائز بالمعنى الشرعي؟ وبتعبير آخر، هل يجوز العنف الثوري في الإسلام؟ وهل هناك عنف ثوري في الإسلام؟**

نقول في الإسلام هناك الآية: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين﴾، المسألة هي أنّ الحرب عندما تفتح بين دولة تقاتلك أو تريد أن تقتلك فرداً أو شعباً، أو تقتل المستضعفين من الناس، فلا بد لك من أن تقوم بمهمة الدفاع عن نفسك، سواء كنت فرداً أو مجتمعاً أو شعباً، أو عن المستضعفين، إذا كنت تملك أن تنصرهم، باعتبار وجوب نصرة المظلوم، عندما تفتح الحرب وتأخذ شرعيتها من خلال أنك في موقع الدفاع عن النفس المبرر إسلامياً والمبرر في كل الحضارات، فإن من الطبيعي أن تستحضر كل أسلحتك في سبيل الدفاع عما يجب أن تدافع عنه.

إن الإسلام يبرر للإنسان أن يدافع عن نفسه، لكنه يختم بأكثر من آية في قوله: ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به، فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾. إن للحرب قوانينها العادلة في الإسلام، وللحرب شرعيتها في الإسلام، عندما تتوجه لمن يقاتلونك أو لمن يظلم المستضعفين فإن ذلك يجعل موقعك موقعاً شرعياً في هذه الحرب.

أميركا تنافق عندما تتحدث عن الإرهاب

■ **تعرضتم لمحاولة اغتيال كبيرة وقلتم كما كتب وتحدث أميركيون إن المخابرات الاميركية كانت وراءها. ألا تجدون الفرصة مناسبة للتقدم بادعاء ضد المخابرات الأميركية كونها مارست إرهاباً ضدكم؟**

لقد أطلقت أكثر من مرة في الإعلام هذا الادعاء، لكن بطريقة سياسية وإعلامية لإثبات أن أميركا تمارس الإرهاب ضد المدنيين عندما تتخذ صفة النائب العام والقاضي والمنفذ، حتى يعرف العالم أن أميركا عندما تتحدث عن الإرهاب، فإنها تتخذ لنفسها صفة المنافق الذي يقوم بالإرهاب. إن مشكلة أميركا أنها تجاوزت كل حدود القضاء في حركة القانون الدولي في كل مواقعها، لأن الحق عندها للقوة.

■ **نفهم أن لا اتجاه للادّعاء الشخصي من سماحتكم؟**
أنا لا أجد هناك واقعية تنفيذية للوصول إلى نتائج في هذه المسألة، لأن أميركا يمكن أن تنكر ذلك، كما تنكر كل ما قامت به المخابرات الأميركية من جرائم في العالم. إننا نعرف من خلال خطة كيسنجر في لبنان، أن كل الحرب اللبنانية انطلقت بتخطيط من وزير الخارجية الأميركي كيسنجر. لذلك فإن أميركا تتحمل كل الجرائم التي حصلت في الحرب اللبنانية.

نرفض الاعتداء على الكنائس

■ **كعرب، نعيش دائماً «نظرية المؤامرة»، ومع إسرائيل يبقى الخطر، لكن حصلت تفجيرات لكنائس في لبنان في الشمال ثم في صيدا، كيف ترون حركة الفتنة؟**
إنني أتصور أن التفجيرات التي تمس معابد المسيحيين، قد تكون ناشئة من حالات انفعالية غير واقعية، كردٍّ فعل على بعض النداءات التي تتحدث عن أن المعركة في مستوى العالم هي معركة بين المسلمين والنصارى واليهود، وأنها معركة دينية، ما يجعل بعض الناس البسطاء أو المعقدين ينفسون عن هذا الشعور المكبوت بهذه الطريقة. وقد يحاول الذين يخططون للفتنة أن يستغلوا هذه الأعمال السلبية بأعمال سلبية أخرى لإثارة الفتن بين المسلمين والمسيحيين.

إننا نؤكد أن هذه الحرب ليست حرباً دينية بين الإسلام والمسيحية، لأن أميركا وأوروبا قد تدين أكثر شعوبها بالمسيحية، لكنها ليست دولاً دينية، بل هي دول علمانية لا تمثل المسيحية ولا الإسلام ولا اليهودية، وأي عنوان من عناوينها في القانون أو القاعدة أنه ليس من الضروري أن كل من ينطق باسم الإسلام، سواء كان خطأً أم صواباً أنه نطق الصواب. إن الحرب الجارية اليوم هي حرب سياسية من الاستكبار العالمي الذي يريد أن يحرك مصالحه في مثل هذه المناسبات التي قد تبرر له القيام بحرب هنا وحرب هناك. كما أن الذين يواجهون أميركا أو الغرب يواجهونها من خلال سياستها في فلسطين المؤيدة لإسرائيل، أو من خلال ضغطها على الشعوب العربية لوضع قواعدها العسكرية على صدر هذه الشعوب. إذاً الحرب سياسية وليست حرباً دينية. كما أننا نعرف أن الكثيرين من المسيحيين هم ضحايا الاحتلال الصهيوني لإسرائيل، وأن كثيرين من المسيحيين هم ضد السياسة الأميركية أو الغربية. حتى أننا نعرف من خلال المظاهرات التي حدثت في أميركا وأوروبا ضد اجتماعات دول الثمانية الكبار وضد تهديد العولمة،

أن هناك الكثير من الشعوب الغربية تعبر بمواقف ضد حكوماتها وإداراتها، كونها تعتقد أن نظام العولمة سوف يصادر حرية الإنسان وإنسانيته.

إننا في لبنان نرفض كل هذه الأساليب، نعتبر أننا نلتقي مسلمين ومسيحيين على وطن واحد يجب أن نبنيه معاً ونحفظه معاً ونركز ونؤكد حرية الإنسان فيه، ونرفض أي دعوة للفتنة الطائفية. وإننا كما نرفض التعدي على مسجد هنا أو هناك، فإننا نرفض التعدي على كنيسة هنا أو هناك. وإنني أحب أن أطمئن أهلنا في لبنان بأن مثل هذه الأعمال التي قد تكون أعمالاً صبيانية عبثية لن تستطيع أن تصنع الفتنة من جديد، لأن كل الفتن التي صنعت في لبنان وحركت الحرب كانت من تخطيط خارجي يحاول أن يستفيد من نقاط الضعف فينا. لذلك إنها أعمال صبيانية تماماً كمثل المفرقعات في أيام الأعياد وتمثل مجرد شيء صوتي، وسيبقى لبنان الواحد للبنانيين.

أمن سورية ولبنان مصلحة أميركية

- **نسمع مراراً وتكراراً كلاماً أميركياً وغربياً ضد سورية ولبنان، وإن كان يعتبر أحياناً للضغط عليهما بعناوين أنهما يؤويان الإرهاب، لكن ألا يمكن لإسرائيل أن ترى فرصة في تنفيذ عدوان ضد سورية ولبنان الآن؟ وقيامها بأدوار بالنيابة؟**

أتصور أنه لو أعطت أميركا دوراً سياسياً أو عسكرياً لإسرائيل ضد سورية ولبنان فهذا ما يعتبر أعلى درجة من الغباء السياسي، لأن أميركا تحاول الآن اجتذاب الشعوب العربية والإسلامية للتحالف الدولي ضد الإرهاب، واعدة أنها تريد حل مشكلة الشرق الأوسط، وهي تعمل على تحييد إسرائيل عن الدخول في أي نشاط عسكري في هذه الحرب حتى لا تستثير حساسيات الدول العربية والإسلامية، فهل يمكن لأميركا أن توظف إسرائيل للهجوم على سورية ولبنان من خلال معطياتها القانونية؟ وهل يبقى هناك عالم عربي أو إسلامي حتى على مستوى الأنظمة يمكن أن يقف مع أميركا في أي موقع؟ إن المسألة تتحول عند ذلك من مسألة اميركية إلى مسألة إسرائيلية لتنفجر الأوضاع النفسية والسياسية والأمنية في وجه هذه الحركة الإسرائيلية.

إنني أتصور أن سورية ولبنان لن يحدث لهما أي شيء بما يتصل بهذه الحرب ضد الإرهاب. بل إن أميركا مارست وتمارس الكثير من الضغوط السياسية والاقتصادية والأمنية للحصول على بعض المكاسب من هاتين الدولتين أو للتحضير لما قد يأتي في

تنفيذ الخطة الأميركية لاحتواء المنطقة. لهذا فإن استقرار سورية ولبنان هو مصلحة حيوية أميركية حتى في ما تسميه حرباً ضد الإرهاب.

الخطوط الحمر الدولية أمام إسرائيل

■ **ألا تعتقدون أن إسرائيل قد تتفلت من كل الاعتبارات والخطوط كما يحدث اليوم داخل فلسطين، لأنه في النهاية هناك وجهة نظر تقول إن الاستراتيجية الصهيونية لا تلتقي مع الاستراتيجية الأميركية؟**

إنني أتصور أن الحكومة الصهيونية تعيش يومياً ضغطاً هائلاً على المستويين الأميركي والأوروبي، ويستبعد أن تقوم بعمل يسقط الهيكل على رؤوس الجميع، لأن أي حركة تخرج عن الوضع التقليدي لرد الفعل الإسرائيلي على بعض عمليات الانتفاضة سوف تربك المنطقة ككل، لا سيما في ما يقال من تخطيط اغتيال قيادة سلطة الحكم الذاتي.

إن هناك هامشاً عسكرياً مسموحاً به أميركياً لإسرائيل لتنفيس العقدة التي قد يعيشها الشارع الإسرائيلي، أمام بعض الضربات النوعية التي تسددها الانتفاضة، كاغتيال وزير السياحة الإسرائيلي. لكن هناك خطوطاً حمراء لا تملك إسرائيل على الأقل في المرحلة الحالية أن تتجاوزها. هذا مع ملاحظة أخرى، أن الشارع الإسرائيلي السياسي يعيش الاختلاف حول مستوى ردة الفعل التي تقوم بها الحكومة الصهيونية ضد ما حدث، لأنهم يعرفون جيداً أن العالم كله يرفض إسقاط الدولة الفلسطينية كمشروع، بقطع النظر عن تفاصيل هذه الدولة. لذلك فإن التخطيط لإسقاط سلطة الحكم الذاتي وإعادة الاحتلال لأراضي هذه السلطة هو من الخطوط الحمر الدولية التي لا تستطيع إسرائيل حتى تجاوزها.

■ **هناك كلام قديم عن محاولات إسرائيل الحثيثة لخلق فتن داخلية وإشعال حرب أهلية فلسطينية، وهذا ربما ما تحاوله اليوم حكومة المجرم شارون؟**

إنني أتصور أن مجتمع الانتفاضة الذي يمثل الشعب الفلسطيني، يملك مناعة سياسية جهادية ضد أي فتنة داخلية تهيئ إسرائيل لها، كونه بلغ من الوعي درجة يعرف فيها بأن أي حرب داخلية سوف تسقط الهيكل على رؤوس الجميع. لذلك فإنني أتصور ولا أملك معلومات تفصيلية دقيقة، أن ما تقوم به السلطة من اعتقالات وما يقوم به المعنيون بهذه الاعتقالات من معارضة هو من قبيل توزيع الأدوار ومن قبيل تنفيس الاحتقان

الدولي هنا أو المحلي هناك. وهذا ما نلاحظه، لأن السلطة الفلسطينية تعرف، مهما كان حكمنا عليها، أنها إذا تحولت إلى وكيل للعدوّ في ملاحقة المجاهدين أو تسليمهم إلى العدو، فإنها لا تستطيع أن تحصل على شيء، لأنها سوف تحتقر نفسها ويحتقرها شعبها ويحتقرها العالم.

٧

«ظلم بلا حدود»
وليس «عدالة بلا حدود»

بدعوة من نادي خريجي المقاصد في الجامعة الأميركية ببيروت، حاضر سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله تحت عنوان: «الإسلام بين نكسة الولايات المتحدة الأميركية والعدوان على أفغانستان»، بحضور شخصيات سياسية وتربوية وعلمية.

بعد تقديم للأستاذ أحمد صبري أشاد فيه بالعلامة فضل الله كمحاضر استثنائي في هذه المرحلة الاستثنائية، تحدث سماحة العلامة فضل الله فقال:

عقلنة المرحلة

هذه مرحلة في عمر العالم بحاجة إلى أن تتعقلن، لأنّ مشكلة هذا الإنسان عندما يواجه الحمّى الأمنية أو السياسية، أنه يتحرّك من داخل الغريزة لينفعل، ليتحسّس، من خلال كلّ ما يختزنه في داخل نفسه أمام الحدث من مشاعر وأحاسيس أقرب شيء إلى الالتهاب.

ربّما نكون ـ أيها الأحبة ـ في حاجة لأن نتعقلن حتى ونحن نجتذب الثورة، أية ثورة

بيروت، الثلاثاء ٢٣ تشرين الأول ٢٠٠١م. الموافق ٦ شعبان ١٤٢٢هـ.

كانت، إلى ساحاتنا، لأن مسألة أن تحرّك الثورة في خط الاستراتيجية هي مسألة ما هي النهايات وليست ما هي البدايات.

فالبداية إذا لم تأخذ حجم كلّ عناصرها من النهاية، فهي بداية قد تضيع في المتاهات. ولعلّنا نستوحي هذه المسألة من حديثٍ للرسول الكريم(ص) عندما جاءه شاب وقال له: أوصني يا رسول الله، فقال: هل أنت مستوصٍ إذا أنا أوصيتك، وأجاب بالإيجاب، وكرّر عليه السؤال ثلاثاً وكان الجواب هو الجواب، فقال الرسول: «إذا أنت هممت بأمر فتدبّر عاقبته، فإن يك رشداً فأمضه وإن يك غيّاً فانتهِ عنه»، تلك هي المسألة، لا سيما إذا كنا نحرك الفعل في مواجهة الذين يفكرون في حجم العالم شرّاً أو خيراً، أو نحرك رد الفعل في مواجهة الذين يخططون ضدّنا أو معنا.

صورة الإسلام

في ضوء هذا، كيف هي صورة الإسلام؟ هل الإسلام مع العنف أو أنّه مع الرفق؟ الإسلام هو حركة تنطلق في العقيدة الإسلامية من وحي الله لتجعل الإنسان يتكامل مع الكون، فالطبيعة فيها زلازل وبراكين، وفيها إلى جانب ذلك أنهار تجري بهدوء وهواء عليل، وهناك رياح عاصفة ورياح هادئة، والعالم بحاجة إلى الرياح الهادئة عندما يحتاج لها في نموّه وفي كل مواقع حياته كما يحتاج إلى الرياح العاصفة. ليست هذه شرّاً كلها وليست هذه خيراً كلّها. الصحيح أن تضع الشيء في موضعه، أن تعيش نفسك، أن تعيش العالم من حولك. ولهذا فإن الإسلام بحسب مفهومنا، وللآخرين مفهومهم، لأننا لا نفرض أنفسنا على الآخرين، الإسلام يتجه إلى أن يدخل عقل الإنسان وقلبه لينفذ إلى حياته. فالإسلام فكر ومنهج وشريعة وحركية في الحياة، وهو ينطلق لصالح الإنسان، ولذلك فهو يخاطب الذين يريدون أن يحركوه في داخل الإنسان ﴿ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، فالعقل بحاجة إلى الفكرة العميقة والكلمة الهادئة والمناخ الملائم، وربّما تكون كلمة العقل البارد توحي بأنّ عليك عندما تحرك الفكرة في العقل، فإنّ عليك ألا تحركها بطريقة حارّة، لأن الحرارة كلما ارتفعت جلبت البخار، والبخار ـ كما تعرفون ـ يحجب عن الإنسان وضوح الرؤية، فلا بدّ لنا من أن نجنب العقل كلّ أبخرة الانفعال، أن تناقش القضية كما لو لم تكن لديك أية رابطة حسية فيها، ناقشها كقضية، كموضوع تدرس كل عناصره من داخل، حتى يمكن للفكره أن تنفذ إلى العقل، وفي ضوء هذا كانت الكلمة القرآنية ﴿ادع إلى سبيل ربّك بالحكمة والموعظة

الحسنة﴾. فيجب دراسة الفكرة قبل إرسالها للعقل، وربما يحتاج العقل إلى القلب، لأن القلب عندما ينفتح أمامك فإنه يفتح إليك الطريق إلى العقل. فأقرب طريق إلى عقل الإنسان هو قلبه، وعندما يتآخى العقل والقلب تتحول الفكرة إلى إيمان لأن الإيمان، هو الفكر الذي يختزنه العقل وينساب إلى كل المشاعر والأحاسيس.

وهكذا تدعو الآية الكريمة: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾. لتكن كلمتك هي الكلمة الأفضل، لتحرّكها في خط الفكرة، ولتطرد كل السلبيات الواقفة أمامها، ولتغرِ العقل والقلب أن يحتضناها.

الأصل في الإسلام هو الرفق

فالأصل في الإسلام في خط الدعوة الرّفق، ونحن نقرأ الآية الكريمة ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾، اتبع الأسلوب الذي يحوّل أعداءك إلى أصدقاء بصبر يسيطر على كل الأحاسيس، وبوعي هادف.

وهذا ما ورد في الحديث الشريف: «إنّ الرفق ما وضع على شيء، إلا زانه وما رفع عن شيء إلا شانه» (عابه) «وإنّ الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف». ولو كانت الحياة تتحرّك في انسياب النّهر الهادئ وفي هدوء البحر عندما تغيب الأمواج عنه، يبقى الرفق هو كل شيء، ولكن عندما يأتي العنف ليفرض نفسه عليك، ليصادرك، ويلغي كل قضاياك، ليقتلك ويقتل أمتك وحريتك؛ فالعنف لايحاور وإنما يقاتل ويدمّر، إنه لا يطيق الإنسانية ولا الفكر، وربّما الوجود الإنساني، فهل تقدّم له باقة ورد وهو لا يرتاح إلى عطر الورد وجماله! إن الوردة التي تقدمها هي من جنس الورود التي يقدّمها إليك، وردة تحاول أن تعطيه فرصة ليتعرّف إلى الحبّ، ولكنها مملوءة بالأشواك التي تحارب كل الشوك الذي يحاول أن يجرح فيه جسمك.

العنف في الإسلام هو لأجل الحياة

أيها الأحبة، خدمة للحياة، لا بد أن نقمع عنف الذين يعنفون ويعملون على تسليط العنف على الحياة. تحرك غاندي باللاعنف كان في ظروف معيّنة جعلت اللاعنف عنفاً سياسياً في وجه الذين انطلقوا بالعنف في الاحتلال، ولكن قد لا تكون المسألة كذلك.

وعندها نكون ـ وكما نحن الآن ـ في منطقة يمارس الأطباء فيها الكثير من العمليات الجراحية، هل نكتفي بالعقاقير؟ أو بالوصفات الطبيّة؟ أو أننا نقف بين موت المريض وجرحه لنستأصل أورام الموت من أجل الحياة، الحياة تفرض نفسها لتقول لك اجرح حتّى تستطيع قتل المرض لتنطلق الحياة.

ففي الإسلام العنف يمثّل عملية جراحية في واقع الإنسان الذي يُرادُ له أن يموت من خلال الذين يتقنون صناعة الموت. العنف المبرّر في الإسلام هو ما بيّناه من خلال حديثِ الرسول، وكذلك نقرأ في كتاب الله ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ القتال دفاعي ونفعيّ.. ولقد انطلق الإعلام الغربي ثقافياً وإعلامياً ضد الجهاد. والجهاد ـ بنظرهم ـ هو مشكلة المسلمين، وهو السيف الذي يحمله المسلمون من أجل أن يقطع دون دراسة، هذا الرأس أو ذاك الرأس، بينما في مفهومنا الجهاد هو حركة في مواجهة القضايا، والذين يفرضون أنفسهم على العالم وعلى الإنسان كله.

لا فرق بين الجهاد في الإسلام والدفاع في غيره

فلا فرق بحسب طبيعة حركية الجهاد بين الجهاد في الإسلام، وهو الجهاد الدفاعي أو الوقائي، وبين أية حركة دفاع في كل الحضارات التي تعيش إنسانية حركة الصراع. ليس هناك فارق، وجمّة هي الآيات التي حين تتحدّث عن الجهاد تبيّن: ﴿ولا تعتدوا إنّ الله لا يحب المعتدين﴾. فالدفاع عن الأمة والكيان والمستضعفين هي الشعارات التي تنطلق ليلتقي عليها كل الذين يعيشون إنسانية العدالة والحضارة في الإنسان. وإن الحديث عن أن الجهاد يمثل خطاً عدوانياً مع كل الذين يختلفون معه، لا واقع له من خلال الكتاب والسنة، المصدرين الأساسيين المعصومين في تحريك المفاهيم وتأصيلها.

الأصولية غربية

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، إنهم يحدِّثونك عن الأصولية في الإسلام، والكلمة بحسب معناها المصطلح ليس لها موقع في ثقافتنا الإسلامية، فالأصولية التي عاشت في الغرب تتحرك في نقطتين: الأولى: أن العنف هو السبيل الوحيد للتغيير. والثانية: هي إلغاء الآخر.

وهما معاً بعيدان عن الخط الإسلامي في ما هي حركة مفهوم الإسلام في واقع

الإنسان. أمّا مسألة العنف فقد حدّدتها الآية الكريمة: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن..﴾، فاختر الأسلوب الذي يفتح عقل الإنسان وقلبه وأحاسيسه وشعوره وكل تطلّعات حياته، حتى إذا انتهيت من تحريك هذا الأسلوب فإنك تحوّل هذا الإنسان من عدوٍّ إلى صديق. فهل العنف هو الذي يحوّل الناس إلى أصدقاء؟!

وأمّا مسألة إلغاء الآخر فلنستمع إلى قوله تعالى: ﴿قلْ يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾، ففي هذا تركيزٌ على عناوين اللقاء مع مئات التفاصيل التي يمكن أن يتحرك فيها الخلاف، إنه يقول تعالوا لكلمة السواء في الخطوط العامة لنلتقي عليها: وحدة الله، ووحدة الإنسان، فلا يكون الإنسان ربّاً لإنسان، وهكذا ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن..﴾.

ونحن نعرف من التاريخ أنّ أهل الكتاب وغيرهم عاشوا في كنف المسلمين أربعة عشر قرناً أو تزيد جنباً إلى جنب مع المسلمين، لهم كنائسهم وبيعهم وحقوقهم كلها، وأمّا بعض المشاكل التي حصلت فهي مشتركة بين المسلمين وغيرهم وبين الآخرين أنفسهم.

الإسلام لا يحمل مشروع إلغاء الآخر

فمنذ انطلاقة الإسلام في هذه المنطقة لم تكن هناك عمليّة إلغاء لغير المسلمين، ولذا بقي الآخرون من أهل الكتاب مع المسلمين، حتى أن اليهود كانوا يسيطرون على كثير من أسواق البلدان الإسلامية التي عاشوا فيها دون أن يصادر أموالهم أحد، ودون أن يضطهدهم أحد. لقد ذهبوا إلى فلسطين من دون أن يطردهم أحد، بل باختيارهم، ولذلك بقي اليهود الذين لم يهاجروا إلى فلسطين في سورية والعراق وغيرهما دون أن يسيء إليهم أحد. فالإسلام حواري لا يلغي أحداً، وهو قمة في الحوارية لا أثر فيه للذات، فهو لا يقول للآخر إنك مخطئ مطلقاً مثلاً، مع أن المسلم يعتقد أنه مصيب مطلقاً، ولكنّ منهج الحوار هو منهج الوقوف أمام الفكرة دون أن تفرض الذات نفسها على الفكرة، وهو ما يحدّده قوله تعالى: ﴿وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾، فالنبي الذي جاء بالصدق وصدق به طرح مسألة الحوار على قاعدة البحث عن الحقيقة، ليتحوّل الحوار إلى رحلةٍ بين المتحاورين لا حالة مغالبة ومخاصمة، هذا هو المنهج.

وإذا أردنا الانطلاق إلى ما حدث، فالإسلام ليس دين عنف، بل العنف كالعملية الجراحية التي قد تضطرب الأمور وترتبك لجهة تحديدها، كما يختلف الأطباء في ذلك. وهذا حاصل في كل المشاكل العالمية. فحين تبرز المشكلة وتتضخّم وتكبر وتهدّد. هنا ينطلق أهل الفكر والسياسة والأمن ليتداولوا الأمر، وبعضهم يتحدث عن أساليب سلمية والآخر عن أساليب عنفيّة وهكذا.. أليس هناك من يخطّئ الكثير من القادة العسكريين أو السياسيين في شأن حرب هنا أو هناك، ليقال لهم إنّ هذه المشكلة يمكن حلها من دون حرب، وقد تحدث الحرب مشكلة أكثر من حلّها بدون حرب؟! هناك الكثير في العالم ممن يتحدث بهذه الطريقة، فكما هي المستشفيات الصحية هناك المستشفيات الأمنية والسياسية والعسكرية، والمسألة هي مسألة الأطباء، ونحن نعرف أن بعض الأطباء يأخذون شهاداتهم بالتزوير، كما أنّ هناك بعض السياسيين والقادة يأخذون مواقعهم - وما أكثرها عندنا! - بالتزوير.

موقف الإسلام من الغرب

من خلال هذا الجو ننطلق إلى ما حدث في أميركا لنحدّد موقف الإسلام من الغرب، فهل من الصحيح أن الشرق، ولا سيما الإسلامي، يحمل عقدة تدميرية ضد كل ما هو غربي أو كل ما هو أميركي؟

ليست هناك أية عقدة متأصلة من الغرب، والدليل الشعبي: هجرة المسلمين إلى الغرب زرافاتٍ ووحداناً ليتخلّصوا من ديكتاتورية الأنظمة، وللعلم، وللعمل. وربّما يتحدث الكثير من المسلمين عن الحريات في الغرب وهي المفقودة في بلادنا، كالتظاهر ضد سياسة الغرب مثلاً. وهكذا نجد الكثير من الإسلاميين ممن يقومون بالدعوة إلى الإسلام في الغرب من دون مانع، فحتى مع اختلافنا مع الغرب في كثير من الأفكار، إلا أننا لا نحمل عقدة نحوهم. وليس هناك صراع حضاري. قد يكون هناك صراع في المفاهيم، وهذا طبيعي بين الناس، وهو صراع ثقافي يعيشه كل الناس. السؤال المطروح الآن في أميركا هو لماذا يكرهوننا وقد كانوا يحبوننا حين كانت أميركا قبل الحرب الثانية الحلم والحرية مقابل أوروبا المستعمرة، وكانت أميركا قاعدة الحرية بتمثالها، فلماذا تغيّر الشرق؟ لقد انطلقت القضية منذ البداية من المسألة الإسرائيلية، مع العلم أن بريطانيا وفرنسا الأوروبيتين، هما اللتان احتضنتا إسرائيل وهيّأتا لها الجوّ، ولكنّ أميركا أعطت إسرائيل كلّها، وحتى أنه لم يبق شيء أميركي في أميركا بقدر ما يتعلق الموضوع بفلسطين، حتى

قيل إن السياسة الأميركية في الشرق الأوسط هي إسرائيلية تنفذها أميركا. وإسرائيل تحتل وتدمر وتقتل وأميركا تصرّ وتعلن أنها ستجعل إسرائيل أقوى دولة في المنطقة. فالمسألة هي أن الإدارات الأميركية حسب الوجدان الشعبي العربي والسياسي المغلوب على أمره، باتت تمثّل العدوّ في المنطقة كما هي إسرائيل، فصديق عدوّك عدوّك، وأميركا عدوّ وصديق للعدوّ. ولهذا نلحظ تصفيق العرب بكل بساطتهم وغفلتهم وسذاجتهم لأي تصريح أميركي، كما حصل في تصريح بوش خلال الهمروجة العالمية عن الدولة الفلسطينية، المجهولة تماماً، وطمأنت أميركا إسرائيل باعتبار إعجاب العرب بالكلمات، فهم يثورون بالكلمة ويسكنون بها، بينما نقدّم لكم كلّ مواقف الدعم والتأييد.

المعقول واللامعقول

إن ما يحدث ـ صواباً أو خطأ ـ مع كل هذا الانفجار النفسي والسياسي والروحي وانفجار المأساة التي تعيش مع كل طفل يسقط، وبيت يدمّر، وبستان يجرف، وشيخ يقتل، وحصار جغرافي واقتصادي وأمني، يُشعر الفلسطيني أنه يعيش في سجن محاصر من جميع الجهات. ومع هذا نسمع التصريحات الأميركية المؤيدة دائماً لإسرائيل، فهل كل هذه الوحشية والاستبداد والقتل والحصار الإسرائيلي هو دفاع عن النّفس؟ القضية هي أن درجة الاحتقان والضغط عندما تصل إلى مستوى كهذا عندها لا يبقى المعقول معقولاً، فتحركت القضية في خط اللامعقول، ونحن حتى الآن لا نعرف من الذي أحدث ذلك، ولم تقدم أميركا دليلاً إلا لحلفائها، مع الطلب منها أن تقدم الأدلة حتى لقضاء إسلامي تختاره بين مصر والسعودية وغيرها.. ولم تقبل أميركا بذلك، ولقد قلنا إن هذا الحدث لا يقبله الإسلام ولا يبرره، وإني أتصور أنّ ما ربحته أميركا من خلال هذا الحدث أكثر بكثير في حركتها السياسية في العالم، وتنفيذها لما تريد، ممّا خسرته من هيبتها.

تنفيس احتقان الشعب الأميركي

ما حصل قد بيّنا حدوده، ولهذا فدراسة الحرب الأميركية على أفغانستان، بعقل بارد، وبتحليل الدارسين، يفيد أن أميركا كانت تبحث عن شيء ينفّس احتقان الشعب الأميركي، وكانت تبحث عن صدمة مقابل صدمة، صدمة تعيد العنفوان للإدارة والشعب. كان هناك بحث عن كبش فداء لتجريب الأسلحة، وكانت أفغانستان هذا الكبش، فلماذا تقصف أفغانستان؟ وقد طلبت تقديم الأدلة أو المحاكمة لبن لادن عند ثلاث دول إسلامية ولم يوافق على ذلك، تماماً كطلب الكثير من الدول محاكمة

المتهمين في دول أخرى مارسوا العنف ضدّها، فأي فرق بين الاثنين؟ فهل يمكن محاربة أميركا وأوروبا لإيوائهم الإرهابيين؟ إن القانون الدولي يقول إن من حق دولة المجرم المحاكمة والقضاء، وليس على الدولة الأخرى إلا الادعاء وتقديم الأدلة!

هذه الحرب المدمرة تبيد المئات والآلاف من المدنيين الذين قتلهم الفقر والتخلف والحروب، فأي فرق بين إرهاب الذين قاموا بتفجير الطائرات ومركز التجارة العالمي وبين أميركا الآن؟ من قتل الأبرياء تحت عنوان قتل الإرهاب، وقتل الأبرياء تحت عنوان قتل أمن القاعدة وبن لادن؟ إننا لا نتحدث بانفعال، بل للتفكير.

وأمّا العمليات الاستشهادية فهي في بلدٍ تحتله إسرائيل وتوجه أسلحتها للمنطقة كلها، فماذا يملك الفلسطينيون سوى الحجارة وبعض الأسلحة الخفيفة؟ وتوجه إليهم تهمة قتل الأمن الإسرائيلي، مع العلم أن مجتمع إسرائيل هو مجتمع الحرب كله، وهذه هي المسألة التي ينبغي الالتفات إليها.

مسألة الإرهاب في الإسلام

إنّ مسألة الإرهاب في الإسلام هي مسألة واضحة، إنها كل عمل خارج العمل الدفاعي في مواجهة الاحتلال والحرب الحارّة، فهي كل عمل يستهدف الأبرياء المدنيين تحت أي اعتبار. وأمّا حرب الاحتلال، ومن يفرض العنف عليك ويصادر حريتك واقتصادك وسياستك، فهو مقاومة يعترف العالم كله بها، ولا يمكن أن يكون هناك صيف وشتاء على سطح واحد. فهل إذا خدشت أميركا على العالم تقديم فروض الطاعة والتعزية، بينما لا تحرك ساكناً قبل ١١ أيلول أو بعده إذا خدش عالم المستضعفين، إن عالماً كهذا يمكننا أن نطلق عليه «ظلم بلا حدود» وليس «العدالة بلا حدود»، إلا إذا فسّرنا العدالة بمعنى الظلم كتفسير الشيء بنقيضه.

أيها الأحبة، لقد قلت منذ البداية إنّ علينا أن نعقلن سياستنا عندما نتبنّى خطأً سياسياً. علينا أن نعقلن سلوكنا السياسي، علينا أن نعقلن ثورتنا لتتحرك في خط الاستراتيجية. فالعقل حجة الله على خلقه، وهو الذي يستطيع تثبيت الأرض تحت أقدامنا. تعالوا في بلدنا وفي منطقتنا، منطقة اللاعقل لنتعقلن، أو لنزاوج بين العقل والعاطفة، حتى يتحرك الإنسان في وحدة يتكامل فيها العقل مع العاطفة. نحن نرفض الإرهاب ولكنّنا مع المقاومة.

القسم الثاني:

هدف بين عدوين

فلسطين أمام المقصلة

١

العمليات الاستشهادية في فلسطين تندرج في خانة الدفاع عن النفس

لم ير العلامة محمد حسين فضل الله جديداً في ما قيل عن ورود اسمه على لوائح «الإرهاب» الأميركية، وقال إن ورود اسماء لبنانية على هذه اللوائح ليس أكثر من محاولة لـ«الإثارة» و«التخويف». ولم يستبعد أنها تستهدف المواقع السياسية المعارضة للسياسة الأميركية.

وتطرّق في حوار مع «الخليج» إلى التطورات الجارية حالياً في فلسطين المحتلة، ولم يخفِ خشيته من أثر واقع العجز السياسي والأمني العربي والإسلامي على الانتفاضة التي أبدى قلقه عليها من حلٍّ لا ينسجم مع حقوق الشعب الفلسطيني. ورأى أن لا واقعية للسيناريو الذي يتحدث عنه الإعلام «الإسرائيلي» من خلافٍ بين شارون والإدارة الأميركية. وأعرب فضل الله عن اعتقاده بأن الكراهية لأميركا ناتجة من دعمها لـ«إسرائيل»، التي أصبحت الولاية الأميركية الـ٢٥. ودعا الولايات المتحدة لإعادة النظر في سياستها الخارجية إذا كانت تريد قيادة العالم، الذي لا يقاد إلا بالمحبة.. أما القهر فلا ينتج إلا الإرهاب. وفي ما يلي نص الحوار:

بيروت، «**الخليج**»، العدد ٨٩١٥، الجمعة ٩ شعبان ١٤٢٢هـ، ٢٦ أكتوبر ٢٠٠١م.

لم أنتسب لحزب وأرعى كل الشباب المسلم

■ **ماذا عن ورود اسم سماحتكم على لوائح الإرهاب الأميركية؟**

لا جديد في هذا الموضوع، سوى ما كان أثير سابقاً في عهد الرئيس الأميركي بيل كلينتون، انطلاقاً من ربط هذا الاسم بصفة المرشد لـ«حزب الله»، والذي تمّ نفيه من ناحية تنظيمية، كما نفاه الحزب نفسه، لأنني منذ البداية لم أدخل تنظيمياً في أي حزب، مع انفتاحي على كل الأحزاب الإسلامية، ومع رعايتي لكل الشباب المسلم في داخل لبنان وخارجه.

إشارات أميركية

■ **لكن ماذا عن ورود أسماء لبنانية بشكل متتابع على اللوائح الأميركية؟**

من الطبيعي أن الإدارة الأميركية تحاول أن تحرك سياستها، من خلال إثارة أكثر من اسم في أكثر من بلد، لإيجاد أوضاع نفسية وسياسية وأمنية، تحقق لها ما تريد من الحماية أو من تحريك بعض الأوضاع السياسية في هذا البلد أو ذاك، لتنفيذ خطتها في ما تسميه بالحرب على الإرهاب.

اللوائح الأميركية هدفها الضغط

■ **هل تعتقدون أن طرح هذه اللوائح يُشتمُّ منه رائحة ضغط على لبنان وسورية؟**

من الطبيعي أنها، كما أشرنا، تستهدف بعض المواقع السياسية المعارضة لسياستها في القضايا العربية والإسلامية، لتكون هذه الإثارة كصوت يرتفع فوق الذين يراد تخويفهم بانتظار تحقيق الأمن لأكثر من موقع سياسي أميركي في المنطقة.

ضغوط أميركية لحساب الصهاينة

■ **في أعقاب أحداث ١١ أيلول، أبديتم خشية على الانتفاضة في فلسطين، فهل الأحداث الأخيرة الحاصلة في فلسطين والاجتياحات الحاصلة، كانت في سياق هذا الاستشراف؟**

إن المسألة لا تتحرك في نطاق هذه الأحداث التي تمثل تفصيلاً من تفاصيل حركة الانتفاضة في ما هو الفعل وردّ الفعل. في الدائرة «الإسرائيلية» والفلسطينية، إنني أخشى على الانتفاضة من تحريك خطة أميركية ـ «إسرائيلية» ـ عربية للضغط على الفلسطينيين لإيجاد حل لا ينسجم مع الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني، تماماً كما حدث بعد حرب الخليج الثانية، التي اندفع العرب بعدها للطلب من أميركا أن تتحرك لحل المشكلة

الفلسطينية، على طريقة حل المشكلة الكويتية،حيث كان مؤتمر مدريد واتفاق أوسلو، وكانت كل هذه المتاهات التي لا يزال الفلسطينيون يعيشون في ساحاتها من دون الوصول إلى أية نتيجة، لأن سياسة الإدارة الأميركية هي الضغط على الفلسطينيين لحساب الاستراتيجية «الإسرائيلية» من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من المكاسب لمصلحة «إسرائيل» الكبرى، ولتضييق المساحة الفلسطينية للدولة الفلسطينية المقبلة، بما قد يساوي ما يطرحه شارون من إعطاء الفلسطينيين ٤٢٪ من الأراضي المحتلة، من دون قدس، ومن دون عودة اللاجئين، ومن دون السيطرة على المياه وعلى الخدمات الحيوية، ومن دون جيش، ومن دون حدود حرة وغير ذلك. إنني أخشى أن تكون الخطة المطلوبة في ما يتطلبه العرب، وربما بعض مسؤولي السلطة الفلسطينية، من أميركا بما يجهض الانتفاضة ولا يحقق أهدافها الكبيرة في الحرية والاستقلال في نطاق المطالب الشرعية للشعب الفلسطيني.

خلافات مزعومة بين شارون وأميركا

- **الإعلام «الإسرائيلي» يتحدث عن خلاف بين شارون وأميركا قد يؤدي إلى فرط حكومة شارون، وقيام حكومة على أنقاضها تمهد لحل على المستوى الفلسطيني ـ «الإسرائيلي». ماذا تقولون؟**

إننا لم نجد أية معطيات واقعية لمثل هذا السيناريو، لأن شعبية شارون في المجتمع اليهودي «الإسرائيلي» لا تزال مرتفعة بشكل فوق العادة، ما قد يعطل ما قد تفكر فيه أميركا لإسقاط حكومة هذا الرجل المجرم، لا سيما أن انشغال أميركا في التحالف الدولي لما تسميه بالحرب ضد الإرهاب والذي يربك خطواتها في الدائرة العربية والإسلامية، إلى جانب الدائرة الصهيونية التي تتوزع مواقعها بين الصهاينة الموجودين في فلسطين والصهاينة الموجودين في الكونغرس الأميركي أو في مجلس النواب الأميركي، أو في مجلس مواقع اللوبي الصهيوني المنتشر في أميركا، أو في مواقع أوروبية أخرى. لذلك فإنني أتصور أن أميركا ليست مؤهلة في المرحلة الحاضرة لأي عنصر ضغط على «إسرائيل» بالمستوى الذي يمكن أن يسقط حكومة شارون في هذه الظروف الصعبة المحيطة بالواقع الأميركي بطريقة أو بأخرى، ما قد يحقق لشارون الامتداد في خطته ضد الفلسطينيين أكثر مع إيجاد بعض حالات الانفراج التي تمثل نوعاً من الطعم للواقع الدولي من جهة، سواء كان أميركيا أو أوروبياً أو روسياً، وبعض تهدئة للمشاعر العربية والإسلامية من جهة أخرى.

إن المشكلة التي تواجه الفلسطينيين هي أن الواقع العربي الإسلامي يعيش حالة الذعر من الضغط الأميركي المتقاطع مع أكثر من ضغط دولي تحت تهمة الإرهاب في مواقع هذا البلد العربي أو هذا البلد الإسلامي بطريقة أو بأخرى. ولعلنا نلاحظ ذلك في الحملة الإعلامية الأميركية، وربما الأوروبية ضد بعض الدول العربية القريبة من السياسة الأميركية، كمصر والسعودية. إن ذلك يمثّل رسالة لهاتين الدولتين وغيرهما من الدول العربية والإسلامية بأن المستقبل لا يحمل من الآتي إلا الكثير من الضغوط ضد هذه الدولة أو تلك كرد فعل على ما يمكن أن تمثل لديهما من المواقف الضاغطة بالنسبة إلى المسألة الفلسطينية.

الفرق بين المقاومة والإرهاب

■ **في سياق الحملة الأميركية على أفغانستان، يعمل الكيان الصهيوني لدعوة أميركا إلى إلحاق حماس وحزب الله والجهاد الإسلامي باللائحة الإرهابية. كيف تفرقون بين المقاومة والإرهاب من خلال تعريفكم للإرهاب؟**

إن الإرهاب هو الاعتداء العنفي، أو عملية العنف المسلح المميت ضد المدنيين الأبرياء في غير حالة الحرب. وهذا هو الذي حدث في أميركا، لأن ركاب الطائرات من المدنيين غير معنيين، في أغلبيتهم على الأقل، بالسياسة المتبعة للإدارة الأميركية أو بسلبياتها ضد المستضعفين، لا علاقة لهم بذلك من قريب أو بعيد. وهكذا بالنسبة لمركز التجارة العالمي في موظفيه أو في المترددين عليه. وإذا كانت لبعضهم بعض العلاقات هنا وهناك، فإن المسألة لا تُمثل حالة مبررة في مثل هذا العمل الإرهابي.

أما في حالات الحرب بين الشعوب والمحتلين، عندما ينطلق المحتلون ليقتلوا ويدمروا ويحاصروا ويجرحوا، فإن من حق الشعوب أن تأخذ حريتها بكل الوسائل التي تسقط قوة المحتل وتدمر أمنه، لاسيما إذا لم تكن هناك قوى متكافئة بين ما تملكه الشعوب من سلاح وما يملكه المحتل من طائرات وغيرها، كما في الحالة «الإسرائيلية» التي تملك فيها «إسرائيل» أسلحة متطورة متفوقة معدة للمنطقة كلها، مما لا يستطيع الشعب الفلسطيني أن يواجهه بما يملك من أسلحة خفيفة. إن من حق الشعب الفلسطيني أن يقوم بكل الوسائل التي تسقط الأمن «الإسرائيلي» وتحاصر الحكومة الصهيونية في شخصياتها وفي مواقعها وفي كل واقعها المدني، تماماً كما تفعل«إسرائيل» في مواجهة الواقع المدني بالحصار الجغرافي والاقتصادي وبالقتل والتدمير وبحرق المزارع. ولذلك فإنّ كل

العمليات الاستشهادية التي قام بها المجاهدون في فلسطين هي عمليات دفاع عن النفس، حتى في المناطق المدنية التي هي بحسب واقعها الاحتلالي ليست مدنية، بل هي عسكرية، لأننا نعتبر كل شخص يحتل بيتاً فلسطينياً يقوم بعملية احتلال صغيرة في دائرة الاحتلال الكبير، ما يعطي الفلسطيني الحق في مواجهته كعسكري وكمحتل لا كمدني.

لا ضوء أخضر لحرب إسرائيلية ـ سورية

■ **ماذا عن إمكانية وقوع حرب شاملة بين سورية و«إسرائيل»؟**

ليست هناك أية ظروف في المستقبل المنظور، حسب المعطيات الموجودة أمامنا، لأية حرب، لأن الظروف الموضوعية لا تسمح بذلك، خصوصاً إذا عرفنا أنه من الصعب، بل ربما من المستحيل، أن تقوم «إسرائيل» بإثارة حرب في المنطقة، لا سيما على مستوى الحرب «الإسرائيلية» ـ السورية، ما لم يكن هناك ضوء أخضر دولي، وبالتحديد أميركي، وهو غير موجود في المرحلة الحاضرة.

حركات انفعالية

■ **كيف تنظرون إلى التفجيرات والحرائق التي استهدفت دور العبادة في لبنان؟**

إنني أتصور أنها مجرد حركات انفعالية فردية لا تستطيع أن تترك أي تأثير على مسألة العيش المشترك بين الطوائف الإسلامية والمسيحية. بل إنها تمثل ما يشبه لعب الأطفال بالمفرقعات المحدثة للصوت المزعج، ولكنها لا تؤدي إلى أية نتيجة سلبية على مستوى الوطن كله. إننا نرحب بالأصوات الرافضة الشاجبة، ولكني أعتقد أن المخاوف التي تطرح في هذه المرحلة من خلال هذه العمليات الفردية قد تعطى حجماً أكبر من واقعها.. وتعطي صورة سلبية للوضع اللبناني بأنه لا يزال غير قادر على حماية نفسه من عبث العابثين.

■ **ألا تصنفون هذه التفجيرات ضمن مشروع سياسي؟**

إنني أعتقد أنها أصغر من ذلك، لأن لبنان أكبر من ذلك.

إيجابيات بعد ١١ أيلول

بعد أحداث ١١ أيلول حصل توجه لدراسة الإسلام، هل تعتقدون بإيجابية ذلك؟

أعتقد أن هناك إيجابية كبرى مما حدث، أي كنتيجة لما حدث، على طريقة رب ضارة نافعة، وذلك من خلال نقطتين: الأولى: إن هذه الاعتداءات المتحركة ضد العرب والمسلمين في أكثر من بلد من بلدان الغرب، ولا سيما في أميركا، دفعت المسؤولين في الغرب وعلى أعلى المستويات للتحدث عن الإسلام بطريقة إيجابية، على أنه دين السلام والتسامح والمحبة، وأنه الدين الذي لا يشجع الإرهاب، وأن القائمين بالعمليات الإرهابية بعيدون عن الخط الإسلامي. فنحن نلاحظ أن هذا ساعد في امتصاص الكثير من الدعايات الإعلامية ضد الإسلام تحت تأثير اتهام المسلمين بالقيام بعمليات التفجيرات. ثم إننا نجد أن هذه الأحداث نبهت الغربيين إلى الإسلام الذي يجهلونه بشكل عام من الناحية الثقافية. ولهذا أقبل الغربيون على شراء الكتب الإسلامية، ولا سيما القرآن في ترجماته الفرنسية والإيطالية والإنكليزية، بشكل لافت، مما يتيح الفرصة للغربيين لأن يطلعوا على الإسلام ليعرفوا أن الإسلام ليس عنفاً ولا إرهاباً، وليس ضد القيم الحضارية، وليس ضد الحريات الإنسانية والرخاء الإنساني، بل هو ضد الظلم والاستكبار والتدمير الإنساني في القيم الروحية والأخلاقية والحضارية.

جذور العداء لأميركا في الشرق الأوسط

■ **لكن يبقى السؤال عن فهم جذور العداء لأميركا في الشرق الأوسط؟**

إننا نقول ونسأل، لماذا العداء لدى الشعب الأميركي للمسلمين في الشرق الأوسط؟ ونحن نلاحظ هذا العداء الذي يمثل رواسب تاريخية لدى الشعوب الغربية في هذا المجال، وينطلق من الدعاية الصهيونية ضد العرب والمسلمين في أميركا. إن أميركا كانت في أوائل القرن الميلادي الفائت الحكم والدولة التي يحبها الناس في البلاد العربية والإسلامية، باعتبار أنها دولة الحريات، وباعتبار أنها مواجهة لدول الاستعمار آنذاك بريطانيا وفرنسا، فلا بد أن تسأل أميركا نفسها، لماذا هذه الكراهية؟ إن موقف أميركا مع «إسرائيل» الذي لا تُحفظ فيه رعاية مصالح الشعب الفلسطيني، والذي ركز قضية «إسرائيل» على المستوى الاقتصادي والعسكري والسياسي بحيث خيل للناس أن أميركا قد تتسامح في الإساءة إلى أية ولاية أميركية ولكنها لن تتسامح في أي شيء يمس «إسرائيل» إذ كانت الولاية ٥٢ المميزة عن الولايات الأميركية. فإن دعم أميركا «لإسرائيل»، هو سر الكراهية العربية والإسلامية لأميركا. بالإضافة إلى السياسة الأميركية الحامية للأنظمة الرجعية، والتي تتحرك ضد المصالح الاقتصادية والسياسية للبلاد العربية والإسلامية.

لذلك نقول: فتش عن السياسة الأميركية في هذه الكراهية لأميركا. وإننا نلاحظ أن الشعوب العربية والإسلامية لا تحمل هذه الكراهية لأوروبا، مع أنها كانت المستعمِرة لأكثر من بلد عربي وإسلامي، لأن سياسة أوروبا أقل تأييداً أو أكثر توازناً من السياسة الأميركية في ما يتعلق بـ«إسرائيل»، مع أنها تلتقي مع أميركا في تأييدها لها واعترافها بها. لذلك نأمل أن تكون هذه الصدمة التي واجهتها أميركا مناسبة كي تعيد أميركا النظر في سياستها، إذا كانت تريد أن تقود العالم، لأن قضية أن تقود أية دولة العالم لا بد أن ترتكز على المحبة، فالقهر لا ينتج إلا أعمالاً سلبية وإرهابية. وإننا نتصور، ولنترك هذا للمستقبل، أن حرب أفغانستان والطريقة التي تدير بها أميركا رد الفعل على ما حدث لها، سوف يملأ العالم إرهاباً ضد كل ما هو أميركي وربما ضد كل ما هو غربي.

الإنسان الأميركي يجهل واقع المسلمين والعرب

■ **يقال إن جماعات الضغط هي التي بقيت تتحكم في السياسة الخارجية لأميركا، ولكن الناخب الأميركي بدأ يحصد نتائج تلك السياسة، ولذلك فهناك تعديل لهذه السياسة من خلال تعديل الناخب الأميركي لقراراته؟**

إننا نعتقد أن هذا مسؤولية العرب والمسلمين دولاً وشعوباً، أن ينفذوا إلى عمق وجدان الإنسان الأميركي. وذلك من خلال العرب والمسلمين المتواجدين في أميركا، أو من خلال منظماتهم التي لا بد أن تلتقي أمام هذه الصدمة التي حصلت لهم على المصالح العربية والإسلامية في مستوى واحد. ومن خلال الدول العربية أيضاً والفاعليات العربية والثقافية والإسلامية الثقافية التي تحاول النفاذ إلى الإنسان الأميركي، ليعرف أن دولته لا تتحرك ضمن مصالحه خصوصاً أن هناك مشكلة تعيشها مصالح شعوب العالم بالنسبة إلى الإنسان الأميركي، وهي أن الإنسان الأميركي لا يهتم بالسياسة الخارجية، ولهذا لا يحاول أن يدرس أكثر من وجهة نظر في مجرى سياسة الإدارة الأميركية تجاه هذا الشعب أو ذاك، ما يسهّل السيطرة عليه من قبل القوى التي تملك الامتداد الإعلامي والسياسي في الساحة الأميركية.

حلف من دون خطّة واضحة

■ **ثمة من يقول إن على الدول العربية والإسلامية الدخول في التحالف الجديد، كي يُصار إلى توزيع «الجبنة» بعد الانتصار، وحتى لا تكون هذه الدول في صفوف الآخرين الخاسرين؟**

إن التحالف الدولي الجديد هو تحالف لا يملك أصحابه وضوحاً لكل تفاصيله. بل هو عنوان طرحته أميركا في مناخ ضبابي ضمن مجهول لا تعرف ملامحه وخطوطه في هذا المجال، لأن أميركا كانت تريد أن تطرح حلفاً عالمياً ضد ما تسميه الإرهاب، من دون أية خطة واضحة تفصيلية، كأنها تقول: ادخلوا في التحالف ثم بعد ذلك نبحث الأمور ونبحث التفاصيل. ونحن نلاحظ أن من الصعب أن ينجح هذا التحالف لو أنه وصل إلى نتيجة.

إننا نعتقد أن هذا التحالف يتحرك في دوائر محدودة جداً، لأن مصالح الدول، ولا سيما مصالح الدول الكبرى، لا يمكن أن ترضخ للمصلحة الأميركية التي قد تتحرك بشكل سلبي تجاه مصالح الدول الأخرى. إن هذا التحالف الدولي في حرب أفغانستان انطلق من خلال المادة الخامسة في حلف الأطلسي بعد إقناع أميركا لدوله بأنها خضعت لاعتداء خارجي، ما يحمّلهم مسؤولية مواجهة الإرهاب في التحالف للدفاع عن أميركا. أما بعد حرب أفغانستان، فلكل دولة مصالحها الاقتصادية، ولكل دولة أوضاعها المحلية وعلاقاتها الدولية. ولذلك فأنا أعتقد أن المسألة عندما تدخل في التفاصيل، فإن الكثير من التعقيدات سوف تواجه هذه التفاصيل.

هل العرب خاسرون؟

■ **صُنف العرب والمسلمون بعد حرب الكويت كخاسرين، فكيف؟**

إن من الطبيعي أن كل ضعيف لا بد أن يعتبر خاسراً، ولهذا اعتبر العرب خاسرين، بالرغم من هذا الحديث المتكرر أن هذه الحرب ليست ضد المسلمين وضد الإسلام، لأن المتهم في عملية الإرهاب، سواء في ما حدث في أميركا أو في كل ما تتوزعه السياسات المطروحة في الساحة، هم العرب والمسلمون، ولهذا فإن العرب والمسلمين مدانون حتى تثبت براءتهم، وعليهم الخضوع للتحالف الدولي، لا ليربحوا ويأخذوا شيئاً من الجبنة، ولكن لئلا يخسروا ما بقي لهم من الجبنة المحلية هنا أو من الجبنة القومية أو الإسلامية، حسب المنطق الأميركي.

هل وقعت أميركا في الفخ؟

إن ذلك من المحتمل، ولا بد من متابعة تطورات الأوضاع. أكثر من دولة كبرى أرادت إغراء أميركا بالامتداد في هذه اللعبة الخطرة، لتحصل على مكسب منها أو لتخفف من

أكثر من ضغط منها. هذا احتمال يطرح للمتابعة وللملاحقة، لأن المسألة السياسية في علاقات الدول مع بعضها البعض لا تنطلق من عناوين الخير والشر بل تنطلق من خلال المصالح.

حالة جنينية

■ **برأيكم هل تزداد العمليات الإرهابية أم تتقلص بعد حرب أفغانستان؟**

لا بد من ملاحقة التطورات، لأن الإرهاب حالة جنينية تتحرك في رحم القهر والإذلال، ولذلك فقد تكون الولادة عسيرة في بعض الحالات، وقد تكون طبيعية، إن مثل هذه الأمور لا يمكن أن تخضع لحسابات هندسية دقيقة، لأنها ربما تتحرك في دائرة الفوضى السياسية والأمنية هنا وهناك.

■ **هل تتوقعون انتهاء ظاهرة بن لادن إذا اعتقل أو قتل؟**

إنني لا أتوقع أن بن لادن هو الظاهرة، ولكن ما وراءه هو الظاهرة.

٢

فلسطين تختصر كل آمال الأمة وأحلامها

بحضور سماحة آية الله العظمى المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله أقامت جمعية المبرات الخيرية حفل إفطارها السنوي في مبرة السيدة خديجة الكبرى ـ طريق المطار.

حضر الحفل شخصيات سياسية واجتماعية منها: أمين عام حزب الله السيد حسن نصر الله، الرئيس الدكتور سليم الحص، الرئيس حسين الحسيني، الرئيس رشيد الصلح، الوزير أسعد دياب ممثلاً رئيس الجمهورية العماد إميل لحود، النائب علي الخليل ممثلاً رئيس مجلس النواب نبيه بري، الوزير فؤاد السنيورة ممثلاً رئيس مجلس الوزراء رفيق الحريري، ممثل قائد الجيش العميد حطيط، الوزير بشارة مرهج، الوزير نزيه بيضون، والنواب: عباس هاشم، ناصر قنديل، محمد رعد، بيار حلو، بيار دكاش، غطاس خوري، مروان فارس، الدكتور علي الخليل، محمد برجاوي، نزيه منصور، جورج نجم، ياسين جابر، عبد اللطيف الزين، عمار الموسوي، والوزراء السابقون: إبراهيم حلاوي، ناصر السعيدي، فايز شكر، محمد صفي الدين، النواب السابقون: جميل شماس، حسن علوية، إسماعيل سكرية، سعيد الأسعد، عدنان طرابلسي، والسفير السعودي محمد صادق المفتي، السفير

مبرة السيدة خديجة الكبرى، الثلاثاء، رمضان ١٤٢٢هـ، ٢٠ ت٢، ٢٠٠١م/٥.

البريطاني ريتشارد كنشن، السفير الإيراني محمد علي السبحاني، رئيس حزب المؤتمر الشعبي كمال شاتيلا، الأمين القطري لحزب البعث عبد الأمير عباس، رئيس حركة أمل الإسلامية حسين الموسوي، نائب أمين عام حزب الله الشيخ نعيم قاسم، رئيس المجلس السياسي لحزب الله السيد إبراهيم أمين السيد، رئيس مجلس الجنوب قبلان قبلان، نقيب الأطباء الدكتور محمود شقير، مدير عام وزارة الداخلية عطا الله غشام، رئيس ديوان المحاسبة رشيد حطيط، محافظ جبل لبنان عدنان دمياطي، محافظ النبطية محمود المولى، أمين عام اتحاد كرة القدم هاشم حيدر، رئيس بلدية الغبيري أبو سعيد الخنسا، رئيس بلدية برج البراجنة فؤاد الحركة، رئيس بلدية الغازية حبيب خليفة.

من وحي المناسبة ألقى سماحة العلاّمة المرجع السيد محمد حسين فضل الله كلمة جاء فيها: في عالم ينتج الحقد ويسميه المحبة، وينتج العبودية ونسميها الحرية، وينتج البدائية ونسميها الحضارة، أن تقتل المستضعفين من أجل أن تحمي الحضارة منهم، وأن تهدم بيوت الفقراء من أجل أن تمنحهم الحرية، وأن تتحرك من أجل أن تنشر كلّ القلق والألم والدّمار، من أجل أن تعطي الطمأنينة وتعلي البناء، أليس هذا هو المنطق الذي نسمعه في هذا الزمن؟!

لا شرعية لقوة الضعفاء!

والمسألة أيضاً أنه باسم الحرية وباسم الديموقراطية التي أريد لها أن تكون نظام العالم، ليس لكم الحقّ في أن تفكروا بطريقة مختلفة، والمنطق السائد هو: نحن الحضارة ونحن الحريّة والآخرون الإرهاب. ما من طريق إلى التفاهم، فإن الموقف هو إمّا معنا وإمّا علينا. والديموقراطية تحدثك دائماً عن الوسطيّة، والحرية تحدثك دائماً عن إنسانية الرأي الآخر، والحضارة تحدّثك عن التنوع، ولكن هذا حديث لا يمكن أن يتقبله المستكبرون. فالمسألة أن هذا المنطق الذي أصبح منطق العالم واجتذب إليه تحالفاً دولياً، هو ضد أن يعيش المستضعفون من العالم الثالث الإحساس بالقوّة. لقد أكدنا مراراً أن ما حدث في أميركا قد يكون إرهاباً، ولكنّ المسألة في المنطق هناك لم تكن مسألة الإرهاب في مفهومه اللاإنساني، المسألة كانت هي أنّ هذا يوحى بأنّ الضعفاء أصبحوا يعيشون الإحساس بتحدّي الأقوياء، سواءً كانت الوسائل حضارية أم بدائية، وسواء كانت شرعية أو غير شرعيّة، لم تكن المسألة هي شرعية الوسائل، ولكن كانت المسألة أنه ليس هناك في العالم من يستطيع أن يتحدّى أميركا، فكيف سقطت هذه المقولة؟!

لا بد من دراسة خلفيات الأحداث

والقصة في عمقها ـ أيها الأحبة ـ انطلقت من هنا، نحن وكلّ المسلمين والمسيحيين والإنسانيين في العالم رفضنا ما حدث، لأنّنا لا نؤمن بأن المعارضة السياسيّة لدول ما تبرّر لك أن تعاقب الشّعب هناك، أو تعاقب الناس الوافدين من مختلف الأماكن إلى هناك، وكُنّا حاسمين في هذه المسألة. ولكن علينا دراسة خلفيّات ما حدث، وهم لا يريدون دراسة خلفيّات ما حدَث، فإنّ هؤلاء ـ أيّاً كانوا ـ أو غيرهم في هذا العالم ممّن يتحرّكون بهذه الوسائل، شباب يحبّون الحياة، وهم أناسٌ يعيشون لعائلاتهم، فهل المسألة أنه هناك ذهنية متخلفة تفهم الإسلام بطريقة متخلفة أو تفهم الدين بطريقة متخلفة أو تفهم الحرّية بطريقة متخلفة؟ إن التخلّف مهما كانت درجته لا يمكن أن يجعل إنساناً ينطلق إلى الموتِ بكلّ ابتسامة روحه وعقله وحياته، لا بدّ أن هناك شيئاً يهزّ روحه ويثقلها، ولا بدّ أن يكون هناك شيء يحزن قلبه، يهدّد مصيره، ربّما لا يستطيع أن يفلسف الأمور بالطريقة التحليلية، وربّما لا يملكُ أن يتحرّك بخطّة مدروسة. ولكن هذه هي القضيّة، أنّ هناك قهراً يتحرّك في العالم ليسقط إنسانية الإنسان. وليس هذا ما نقوله كشرقيين أو كمسلمين أو كمتطرفين، أو ما إلى ذلك من الألقاب التي أسبغوها علينا، ولكن قالوها في أميركا وإيطاليا، وقالوها في أكثر من مكان: إنّ العولمة تريد أن تصادر إنسانية الإنسان، وتريد أن تقهر سعادة الإنسان، عولمة الاقتصاد وعولمة الأمن وعولمة الثقافة. ولسنا في مقام مناقشة العولمة، ولكنّ المسألة أن الناس هناك في بلاد العالم الأوّل تشعر أنّ هناك قهراً لإنسانية الإنسان، وقد رأينا كيف تحدى القهر كلّ هذه الكبرياء، وفي النهاية سال دم القهر على أرضِ سياتل وغيرها، وهذا نموذج ربّما يتمثّل هناك بهذه الطريقة، وربّما يتمثل في بلاد أخرى بطريقة أخرى.

لذلك ـ أيها الأحبة ـ علينا أن لا يكون دورنا دور الزاحفين إلى الباب العالي من أجل أن نتبنى كلّ منطقه، أو أن ننفّذ كلّ خططه، أو أن نهزم أمام كل التهاويل التي يحاول أن يطبقها علينا، وأنا لا أتحدّث بلغة عنتريّة، وليست المسألة كذلك، ولكن علينا في كلّ هذا الشرق، في كلّ هذا العالم الثالث، وحتّى في دول أميركا اللاتينيّة، وحتى في قلب أميركا حيث يجوع الناس، وحتى في قلب أوروبا حيث يفقر الناس، أن نتحدّث بطريقة إنسانية، عن كل من يغش إنسانيتنا. علينا أن نشعر أنّنا نملك أن نفكّر لا أن يفكّر لنا الآخرون، لأننا نملك أن نخطط دون أن نكون جزءاً من تخطيط الآخرين، ونملك أن نقف على أقدامنا ونحدّق بالشمس بالرغم من كل الضباب والغيوم التي تريد أن تحجب

الشمس فلا تنفذ نقطة من الضوء إلى عقولنا، لماذا ممنوع أن نفكر بإشراقة الفكر وممنوع أن نفتح قلوبنا للحياة؟ هذه هي المسألة.

علمتنا الأديان أن نحب كل الناس

إنّنا ـ أيها الأحبة ـ قد علمتنا الأديان كلها أن نحبّ كلّ الناس، أن نحب الذي يمنحنا الخير، وحتى الذي يتحدّانا بالشرّ، أن نحبه لا أن ننحني أمامه ليكون الحب ابتزازاً واستغلالاً، أن نحبه فنعمل على أساس أن يفهم جيداً أن الكراهية تكلفه كثيراً، وأنها إذا لم تكلفه شيئاً في الحاضر فسوف تكلفه شيئاً في المستقبل. لقد قالوا للرسول(ص): «كيف تفسر لنا؛ انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، وهي ليست كلمته، ولكنها كانت كلمة يتداولها الناس، قالوا: «قد عرفنا كيف ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً»، قال(ص): «أن تمنعه عن الظلم»، أن نحبّهم أن نمنعهم من أن يصادروا إنسانية الإنسان، أن نحبّهم، أن نخطّط لنسقط كل الخطط التي يراد لها إسقاط الحرية في إنسانيتنا وحياتنا، أن نحبّهم أن نقوم بأكثر من عملية جراحية لنزيل سرطان الاحتلال، وأن نزيل سرطان الاستكبار، لأن ذلك لن يقتلنا فحسب، ولكنه سيقتلهم أيضاً. لذلك نحن نريد للحياة وللعالم كله أن يعيش الحب ولكن الحب ليس نبضة قلب، وليس خفقة إحساس. الحب منهج، وإن الأطباء الذين يستعملون مبضع الجرّاح ليقطعوا رجلاً هنا ورجلاً هناك أو ليستأصلوا غدّة هنا وهناك، إنّهم يعيشون قِمّة الحب للإنسان لكي يحيا، ولذلك فنحن لا نكره أعداءنا، ولكننا نحبهم لنستأصل كلّ سرطان العداوة من صدورهم بالطريقة التي يفهمونها جيداً.

ليس هناك منطق حضاري يبرّر حرب أفغانستان

أيها الأحبة، إننا نتابع ما يحدث، ولم تكن مسألة الحرب على أفغانستان إلا مسألة حرب نفسية يراد من خلالها تنفيس كلّ الاحتقان الذي عاشه الشعب الأميركي، وإعادة كلّ الثقة التي كان هذا الشعب يشعر بها تجاه إدارته، لأننا عندما ندرس حرب أفغانستان في الشعارات الأميركية، فإننا لا نرى أن هناك أيّ منطق دولي حضاري يبررها ولو بنسبة الواحد بالمائة، أما بالنسبة إلى طالبان ـ التي لا نرحّب بفهمها للإسلام، لأنه يمثل الكثير من التخلف، الذي قد يشوّه صورة الإسلام في كثير من المسائل، فتهمتها هي أنها تأوي المتهمين بالإرهاب أو الإرهابيين. إنني أتساءل ـ وفيكم رجال قانون ـ كم في أميركا من شخص تتهمه دولته بالإرهاب، كم في بريطانيا من تتهمه

دولته بالإرهاب، ومع ذلك فليست أميركا ولا بريطانيا مستعدّة لأن تسلمه لدولته، فأيّ فرق بين هذا وذاك؟! وربّما كانت المسألة هنا أفراداً وكانت المسألة هناك تنظيماً، ولكن المنطق القانوني هو المنطق، وليست هناك أية مسألة حضارية وأيّ منطق حضاري يمكن أن يقبل مثل هذا التبرير، ومع ذلك صفّق الكثيرون من الذين يخافون حتّى الإشارة من أميركا، صفّقوا لهذه الحرب، وحتى أوروبا وكلّ دول الحلف الأطلسي الذين أقنعتهم أميركا ـ وفي أوروبا الكثير من رجال القانون، والذين هم حجّة في القانون ـ أقنعتهم أميركا أن هناك عدواناً خارجياً فلا بدّ أن يتحالفوا معها ويساعدوها. والعدوان الخارجي حسب ما نفهم ـ ونحن لسنا من رجال القانون ـ هو عدوان دولة على دولة، لا عدوان منظمة على دولة كبرى في حجم أميركا. لكن المسألة هي أن أميركا عندما تُصاب فعلى العالم كلّه أن يتقبل التعازي، وأن يقوم ضد كل الذين قاموا وشاركوا بالمصيبة، أما عندما يصاب العالم الثالث، وتسقط القنبلة الذرية على هيروشيما فيقتل ما يقارب مئتي ألف فهذه ليست مشكلة، هذه تفاصيل وهذه حرب.

بين الاحتلال والإرهاب

ثم لقد استمعنا لخطاب هذه الحمامة في الإدارة الأميركية ـ وهو كما يتحدّث عن الحمائم والصقور عندهم ـ فهو يتحدّث عن الانتفاضة بأنها إرهاب ويتحدّث عن إسرائيل أنّ من حقها أن تقيم دولة يهودية على أرض فلسطين، فهكذا وبجرّة قلم: الانتفاضة إرهاب، وأميركا لا تعترف بأن هناك احتلالاً إسرائيلياً، بل تتحدث عن أراضي الضفة الغربية أنها أراضٍ متنازع عليها وليست أراضي محتلة. إن المنطق الأميركي هو أنّ كل موقف ومقاومة ضدّ إسرائيل هو إرهاب، فالمقاومة في لبنان وبالمنطق الأميركي ـ الإسرائيلي إرهاب، وما زالت اللعبة تدور. وقالوا في ما يشبه الهمس وما يتداوله المبعوثون إن المسألة هي أن لا يضغط على إسرائيل من خلال لبنان، والقضية يمكن أن تعالج، فالقضية هي إسرائيل، وقد قالتها المسؤولة في الإدارة الأميركية، ليست القصة أن هناك شيئاً يختزن في داخله معنى الإرهاب، ولكن المسألة هي مسألة إسرائيل، كفّوا عن إسرائيل ولكم كل المنّ والسّلوى. وبعضنا يتبنّى هذا المنطق، وربّما يعلنه في بعض الحالات إذا كان الجوّ ملائماً للإعلان وإذا كانت هناك بعض عناصر الفتنة في البلاد، وبعضنا يهمس به ونحن قوم ـ وأنا لا أتحدث عن لبنان فحسب ـ نتكلم في الكواليس شيئاً ونتكلم للاستهلاك المحلّي الشعبي شيئاً آخر. وهذا النفاق السياسي الذي عاشته البلاد العربية وعاشته كثير من البلاد في العالم الثالث، بما فيه البلاد الإسلامية، هذا

النفاق السياسي الذي تفضحه الدول الكبرى عندما يتحدثون بعد تصريح لشخصية كبرى هنا أو هناك يقولون إنّنا متفاهمون لأنّ المسألة هي أن الشّعب يريد الكلمة ونحن نريد الموقف والمواقف معنا، وأنتم شعب تخدّره الكلمات وتحركه الكلمات وتسقطه الكلمات.

ومنذ أن تحدث الرئيس الأميركي عن الدولة الفلسطينية، ومنذ حديث وزير خارجيته عن الدولة الفلسطينية، كم هناك من الحبر الذي صرف في كل التعليقات والتحليلات والاستقبالات وغيرها.. حتى أن كل هذه الطيور المذبوحة بدأت تزغرد، وهي تعيش عمق الألم، لأن الرئيس الأميركي تحدث عن دولة فلسطينية، ولأن وزير خارجيته تحدّث عن دولة فلسطينية.

خطة لتغيير النظام العالمي

أيها الأحبة، إنّ هناك خطة الآن من أجل تغيير النظام العالمي، ومن أجل إيجاد وضع يتمثل في حرب اقتصادية تتمظهر في حرب قانونية، وفي حرب أمنية تتمظهر في الأجهزة المخابراتية، وحرب سياسية تحاول أن تجعل الناس الذين يخافون حتى من الإيماءة والإيحاءة واللفتة لترى الناس سكارى وما هم بسكارى، ولكن ـ وعذراً من الآية القرآنية ـ غضب أميركا شديد. أليست المسألة كذلك؟! نحن لا نريد أن نهوّن من شأن الدول الكبرى، ولا نريد أن نهوّن مِمّا تملكه من قوة مادية، ولا أن نتحدث بالطريقة الاستعراضية، وليست القضية كذلك، فعلينا أن نحترم أنفسنا والواقع، ولكن ـ أيها الأحبة ـ إنّ هناك في أرض الواقع الكثير الكثير من الأمور التي يمكن أن نحوّلها إلى قوة، فلماذا نحدّق دائماً بنقاط الضعف؟! لقد عشنا عشرات السنين في لبنان ونحن نتحدّث أن قوّة لبنان في ضعفه، كُنّا نخاف أن نكون أقوياء في لبنان لأنهم يخيّلون إليك بأنّك إذا صرت قوياً أكلك الأقوياء.

وعندما بدأ لبنان يستعرض عضلاته أمام إسرائيل قالوا هل تستطيع العين أن تقاوم المخرز، واستطاعت العين مقاومة المخرز واقتلعته، وهمهمَ البعض هنا وحاول البعض أن يتحدث بطريقة وبأخرى، وصفّقوا للانسحاب، وعندما قيل لهم هناك أمتار في الخط الأزرق وهناك مزارع شبعا، تحمّس الكثيرون الكثيرون ممّن يكتبون ويحلّلون ويصرّحون، تحمّسوا حتى يثبتوا وهم لبنانيون أنّ مزارع شبعا ليست لبنانية، لأنّهم لا يريدون أن يتعبوا

أنفسهم بامتداد المقاومة، حتى أنّ الشقيقة سورية التي هي الدولة التي يراد الحديث معها بأنها مالكة مزارع شبعا صرحت بأن المزارع لبنانية، ومع ذلك لم يقبلوا وحاولوا حشر سورية في الزاوية بأن تقوم بأمور قانونية قد تسيء إلى موقعها في الجولان، ولا يزالون يتحدّثون عن المفاوضات، ولا أدري منذ مؤتمر مدريد ماذا ربح الفلسطينيون من المفاوضات. إني أخشى أن أقول: إنّنا أمّة تخاف أن تضبط نفسها متلبّسة بأنها تفكر بطريقة القوة. إنني أخشى بفعل كل هذا الضغط والقهر وكل أجهزة الطوارئ والمخابرات أن نصل إلى مرحلة يصبح فيها المرء خائفاً أن يضبط نفسه متلبساً أنه يفكر بحرية.

أيها الأحبة، لقد فقدنا معنى الأمة واختصرنا الأمة في عدّة أفراد وبدأنا الصنمية، وأعطينا للصنمية معنى القيمة، وجعلنا لها نبضاً وقلنا إنّه نبض الأمة، واختصرنا الدولة بشخص، والأمة بشخص، وقد يكون الشخص عبقرياً، ولكن عبقريته من عبقرية الأمة، وقد يكون الشخص فاتحاً ولكنه يفتح بالأمة التي معه، وينتصر بالأمة التي معه.

التكاذب في مرحلة السقوط

كم لدينا من القيم المزوّرة مما لا بدّ لنا من أن نصحّحه، كم لدينا من كل هذا التكاذب الذي عشنا معه في سقوط تلو سقوط، كم نربك الأمة حتى في أزماتها في الكلمات السياسية الاستهلاكية التي لا تعني شيئاً عند قائلها أو عند سامعها! كم نستهلك هذا اللغو! إنّ المسألة ـ أيها الأحبة ـ والسّاحة تدمى، والساحة تعيش السقوط أو حالة الانهيار، هي أننا نحتاج إلى كلمة صدق، كم نحتاج إلى موقف صدق! كم نحتاج إلى كلمة قوّة قد تعيش حالة الضعف ولكنها تخطط ليكون المستقبل قويّاً! وتلك الأيام نداولها بين الناس، فالتاريخ لا يثبت، ليبقى الضعيف خالداً في ضعفه أو ليبقى القوي خالداً في قوته.

لنتحول إلى مجتمع الصدق

تعالوا ـ أيها الأحبة ـ من أجل أن نعيش المحبّة في كل عالم البغض هذا، أن نعيد إنتاج قلوبنا فقد أغلقناها وعلّبناها، وقد أكل الحقد كلّ نبضاتها، ولذلك عشنا الموت الروحي والموت الشعوري والموت الإنساني. تعالوا نفتح قلوبنا لبعضنا البعض، وعندما تكون الكلمة صادقة، وعندما تكون النبضة صادقة، فإنها سوف تتحوّل إلى مجتمع يتكامل بالصدق. قالها رسول الله(ص): «لو تكاتفتم لما تدافنتم»، لما دفن بعضكم بعضاً، لأنّ

كلّ واحد منا يخاف من المنطقة الخفيّة في داخل الآخر، وإذا استطعنا أن نزيل كل خفاء هذه المنطقة، لأصبحت الثقة مكان القلق، ولأصبح اليقين مكان الشك، فلماذا لا نثق ببعضنا البعض من القمة إلى القاعدة؟ لقد شاهدتم هذه البراعم الصغيرة وهم يتحدثون عن أنّهم بدأوا يكبرون، وعلينا أن نساعدهم ليكبروا لا أن تكبر أجسامهم، فعلينا أن نعطي هذه البراعم الصغيرة والأغصان الطرية لتكون في حجم السنديانة، نحن نحتاج إلى جيل السنديانة حيث ستمرّ العواصف وتنطلق من هنا وهناك، ولكنه سيبقى شامخاً في الفضاء. إنّ المسألة هي أنّ الحاضر ربّما يوحي ببعض نقاط الضعف، ولكن المستقبل يحمل أكثر من أمل.

لماذا ـ أيها الأحبة ـ لماذا؟ لماذا؟ في الطائفية؟ في المذهبية؟ في العصبيات العائلية؟ في كل هذا التخلف الإنساني؟ لماذا نظلّ مستغرقين في الماضي ننبشُ من الماضي كلّ ما يهدم وحدتنا وما يهدم إنسانيتنا!؟ لماذا لماذا لا نكون المستقبليين؟ لقد استطاع هذا الاستغراق في الماضي أن يسقط الحاضر قبل أن يجيء المستقبل! تعالوا لنربّي هذا المستقبل، هذا الطفل السياسي، هذا المستقبل الذي لا بدّ أن يولد فينا طفلاً لنمنحه من شبابنا شباب العنفوان، لنكون الأمة الشابة، لأن الأمّة التي توحي بالشيخوخة لنفسها سوف تسقط قبل أن تبلغ سنّ الشيخوخة. والأمة تبقى في شبابها ما دامت الأمّة تعيش قيمها وعنفوانها.

لا تسقطوا أطفالكم قبل دخول المعركة

أيها الأحبة، كونوا المستقبليين، قد نكون نحن امتداداً لبعض الماضي، ولكن الله الله في أولادكم، لا تطعموهم خبز الذل ولقمة الضّعف، ولا تجعلوهم يسقطون قبل دخول المعركة. فهذه القلوب الطيبة هي العطاء. تعالوا لنتعاون من أجل أن تكبر بنا، أن نعطيها شيئاً مما تبقى لدينا من كبر وقوّة وعنفوان.

أيها الأحبة، اليوم عمل ولا حساب، لأننا أمة لا تتقن الحساب، نختلف في أوائل الشهور وأواخرها، ونختلف في كيف تكون البيضة أصل الدجاجة أو العكس، ونختلف في زاروب هنا وزاروب هناك، أمّا الساحات الواسعة، فنحن لا نحبّ أن ننطلق بها، لأن الضوء قد يتعبُ عيوننا.. ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه﴾ ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرّقوا﴾. فاصنعوا لبنان جديداً وعالماً عربياً جديداً وفلسطين جديدة،

تأخذ من كل نبضات قلوبنا وطاقاتنا، لأن فلسطين تختصر كل القرن الذي مضى، وتختصر كل آلام الأمّة، وكلّ أحلام الأمة! لا حلم بدون فلسطين، وتسقط كلّ الأحلام عندما تسقط فلسطين.. ليست معركة وليست مفاوضات، وليست تفاصيل! ففلسطين قصّة أن تكون الأمة أو لا تكون.

فلننطلق لتوحيد الموقف والبندقية، لنوحّد صوت المعركة؛ فلا طائفية ولا مذهبية ولا عصبية؟! هل تبقى شعارات أم أننا ننزعها من داخل القلب والعقل والحياة.

أبدأوا بالأمة لتكسبوا المستقبل والحضارة والحرية والحياة. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مواجهة المخطط الأميركي بالوحدة

رأى سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله أن المسؤولين الأميركيين يخوّفون الشعب الأميركي من عمليات أخرى على غرار مركز التجارة العالمي من أجل تقييد الحريات هناك. وحذّر سماحته من محاولة أميركا وبريطانيا الدخول إلى الساحة الإسلامية باسم محاربة الإرهاب. جاء ذلك في كلمة ألقاها في إفطار دعت إليه جمعية التعليم الديني الإسلامي وبحضور كل من: الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصر الله، النائب ناصر قنديل ممثلاً رئيس الحكومة السيد رفيق الحريري، نائب الأمين العام لحزب الله الشيخ نعيم قاسم، دولة الرئيس حسين الحسيني، سفير الجمهورية الإسلامية الإيرانية محمد علي سبحاني، والقائم بأعمال السفارة حميد رضا قمي، وممثلين عن قائد الجيش ومدير عام الأمن العام، الشيخ محمد علي المقداد ممثلاً المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى، رئيس المجلس السياسي لحزب الله السيد إبراهيم أمين السيد، ورئيس كتلة الوفاء للمقاومة النائب محمد رعد، سفير نيجيريا، والنواب السادة: محمد فنيش، محمد ياغي، عبد الله قصير، محمد برجاوي، عمار الموسوي، حسين

إفطار جمعية التعليم الديني الإسلامي في قاعة مدرسة البتول(ع). بيروت: ٢٧ت٢ - ٢٠٠١م

الحاج حسن، نزيه منصور، وحشد من الشخصيات الدينية والاجتماعية والتربوية.
وجاء في كلمة سماحته:

في عالم يهتز ويتحرك على وقع عدوان المستكبرين الذين يحاولون أن يكونوا قادته، وباتجاه المواقع الاستكبارية التي عملت ولا تزال تعمل على مصادرة الإسلام في ثقافته كما تحاول مصادرته في أمنه واقتصاده وسياسته، في عالم يهتز ويراد له أن يكون على صورة المستكبر، على صورته الثقافية وهي الأخطر، لأن كل شيء خارج الثقافة، سواء كان سياسة أو اقتصاداً أو أمناً، قد نستطيع مواجهته من خلال ما نحمل من مفاهيم تؤصل للإنسان إنسانيته ووعيه للإسلام ولمصالح الأمة، حسب قول الله: ﴿إن الله لا يغيّر ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾.

مواجهة تزوير المفاهيم

﴿إن الله لا يغير ما بقومٍ حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾، غيِّر نفسك، افحصها جيداً، افحص ما هي مفاهيمك، ما هو تصورك للإسلام، ما هو تصورك للواقع، فكر، دقق، تعمق، لا تبق على السطح، ليكون التغيير تغييراً منهجياً، تصنع نفسك في خط المنهج لتصنع حركتك في خط المنهج، تلك هي المسألة. إنهم يريدون أن يزوروا مفاهيمنا، وحتى أنهم حاولوا أن يحدثوك عن الإسلام، وعن التسامح في الإسلام، ليجهضوا كل معنى للقوة الرافضة والقوة المتحدية عند الأمة، وذلك وفق منطق كن متسامحاً لا تقاتل الاحتلال فامض بشروطه، كن متسامحاً تقبل الأمر الواقع لا تربك الساحة بمفاهيم الرفض، كن متسامحاً، احم رأسك من العاصفة لأن هناك من يزرع العواصف من أجل أن تقتلع كل قيمك.

أسئلة الهوية والواقع

لقد سمعنا الرئيس بوش يتحدث عن الإسلام، وسمعنا رئيس وزراء بريطانيا يتحدث عن الإسلام وهو يريد أن يزوِّر ذهنية المسلمين بما يطلقه من إسلام يريده على الصورة الاستكبارية. لذلك أيها الأحبة، في عالم تهتز فيه المفاهيم، نعرف ما معنى أن يكون هناك تعليم إسلامي، لأن القضية ليست فقط في تصور الآخرين المشوّه للإسلام، فهم ربما يخضعون في تصورهم للإسلام لثقافات تحكمها الرواسب، ولخطط ثقافية تحاول أن تصادر المفردات، ولكن المشكلة هي أننا بحاجة إلى هذا التوازن في فهم الإسلام لدى

المسلمين. هناك فوضى، فوضى المفاهيم لدى المسلمين من خلال اجتهادات تتصادم ولا تتحاور، ومن خلال تخلف ينتج للناس وعظاً في غير الخط المتوازن، وإرشاد بعيد عن دقة المفاهيم. هذه الفوضى التي تعيش في الواقع الإسلامي هي التي أربكت كل هذا الواقع، هل هناك أسئلة تطرحها التحديات علينا، هل أن الإسلام يشجع الانفتاح أو أن الإسلام يتحرك في دائرة الانغلاق وما هي شروط الانفتاح وخطوطه؟ هل الانفتاح يعني أن تفتح كل إسلامك للآخرين ليدخلوا فيه حتى لا يبقى هناك شيء من أصالته في داخلك، أو أن هناك خطوطاً تؤصل هذا الانفتاح وتمنهجه وتضع له الضوابط؟ هل أن الإسلام مع التطرف أو مع الاعتدال؟ هل التطرف يمثل الخط الذي يلتقي مع الالتزام لأن البعض ربما يفهم من الالتزام في الحدود التي وضعها الله تطرفاً، أو أن التطرف هو أن تتحرك لتضع نفسك على حافة الهاوية من دون أن تجد موقعاً لأقدامك تتصلب على الحافة؟ هل الإسلام متطرف أو الإسلام معتدل، وهل الاعتدال يمثل الاستسلام للأمر الواقع أو أن الاعتدال يمثل دراسة الواقع ومحاولة تغييره على أساس مفردات الواقع؟؟ وهكذا بدأت المسألة تطرح منذ زمن، أمام كل الذين يجاهدون ويقاومون وأمام كل الذين يمانعون ويعترضون، هل الإسلام إرهاب أو الإسلام مقاومة؟ وهنا انطلقت الفوضى التي أرادوا أن يضغطوا من خلالها على وجداننا قبل أن يضعوها في حركة الاستهلاك الإعلامي الذي حشدوا له كل ما يملكون من وسائل.

العالم الثالث

المسألة هي أنهم يمنعون أن تناقش الفكرة، ومنطقهم هو أن تقبل ما يقررونه. كل موقف ضد الاستكبار العالمي يرفض ويمنع ويقاوم من أجل قضية الحرية والعدالة في الإنسان، ومن أجل إنسانية الإنسان، يجب إن يقروه لك فالحرية إنما هي التي يفلسفونها ويلعبون بها. كانت المسألة هي أنهم يشرعون الحرية باسم الديموقراطية، ويعطون الإنسان كل الفرصة في أن يقول ويتحرك كما يشاء، وهكذا تحولوا إلى ما يشبه العالم الثالث. أتعرفون لماذا ينطلق المسؤولون الأميركيون الآن في تخويف الشعب الأميركي من جسور تهدم ومن غاز يمكن أن يشتعل ومن كل ذلك؟ إنهم بدلاً من أن يطمئنوا شعبهم بدأوا يعملون على تخويفه، أتعرفون لماذا، ربما لأنهم يريدون أن يقيدوا الحريات، ولذلك فإنهم يقفون أمام شعوبهم ليقولوا لهم: إما القوانين التي تقيد الحرية، وإما مركز التجارة العالمي، لينطلق أكثر من مركز تجارة عالمي مرشح للهدم! إنهم بدأوا يضعون للحرية قيوداً باسم حماية الحرية وحماية الحضارة وحماية الديموقراطية، وبدأ الكثيرون منا، من المسلمين،

يتحركون كمثل الصدى، يقولون ما يقوله هؤلاء ويفلسفون ما يفلسفونه، عندما يطلقون على أي شخص أو أية جهة اسم الإرهاب، فالكل من حاشية السلطان يصفّقون ويباركون، وما أكثر حواشي السلطان في عالمنا الثالث!

نختلف مع طالبان

نحن نختلف مع الكثيرين ممن يتهمون بأنهم يتحركون بالعنف خارج نطاق المقاومة والانتفاضة، نحن نختلف معهم. قلنا وقال الكثيرون من المسلمين الواعين في ثقافتهم إن نظام طالبان لا يمثل إشراقة الإسلام. إنهم تعلموا في مدارس ركزت على جمود الحرف ولم تركز على رحابة المعنى، ولذلك كفوا عن أن يستوحوا الفكر المنفتح على الإنسان كله، على العالم كله، وكفوا عن أن يركزوا على القيم الإنسانية في قلب القيم الروحية والقيم الأخلاقية. نحن نختلف معهم، وصرح أكثر من مفكر إسلامي بأننا لا نوافق على نظرتهم للمرأة ولا نوافق أيضاً على طريقتهم في النظرة إلى أتباع الأديان الأخرى بالطريقة المتعصبة. نحن نختلف مع اليهود بعيداً عن إسرائيل، ونختلف مع النصارى ونختلف مع الأديان الأخرى كما يختلفون معنا، ولكن القرآن وهو يعنف في مسألة الجدال، حتى أن الجدال بالتي هي أحسن قد يحمل عنصر الحجة ولكنه يحمل إنسانية الأسلوب ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾. ﴿تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً﴾. المسألة حتى أنه لا يعنف ضد الإنسان، كم بيننا وبين النصارى في عالم اللاهوت، ولكن القرآن يقول: ﴿ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى﴾، ويؤكد على المعنى الإنساني في ما تحمله رموز النصرانية من النماذج الطيبة المنفتحة التي تعيش الروح ﴿ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾. أقربهم لأنهم يعيشون القيمة ضد الاستكبار، ولأنهم يعيشون معنى الرحمة في الحياة، وهذا أمرٌ تلتقي فيه كل الديانات.

أساليب غير مفيدة

يعنف الفكر عندما يحاور لأن عنف الفكر هو عنف الحجة، عنف العلم عندما يضع الأشياء في نصابها الطبيعي، ولكن يبقى الأسلوب يهندس الطريق إلى عقل الإنسان من خلال هندسة الطريق إلى قلبه. نحن نختلف معهم ونختلف مع سياستهم ومع كثيرٍ من خلفياتهم السياسية، وكذلك نحن نختلف مع بن لادن بالرغم من أن الرجل قد يحمل بعض الصفات الإنسانية الذاتية ما لا تستطيع إلا أن تقدرها، ولكن إذا كان هذا

الأسلوب في المواجهة أسلوبه فنحن نعترض على هذا الأسلوب، لأنه ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾. الإدارة الأميركية شيء والشعب الأميركي شيء آخر، كما أننا إذا كان بعض الناس يتحدث على أن القضية الكبرى يمكن أن تجتاح في طريقها الكثير من بعض الأعمال اللاإنسانية، فذلك صحيح من حيث المبدأ، فيجوز لنا أن نقتل الأسرى المسلمين إذا تترّسى الكفار بهم ومنع النصر إلا من خلال ذلك. لكن هل أن ما حدث، لو كانوا هم وراء ما حدث، وهذا أمر لا نستطيع قضائياً أن نصدقه، لأنهم حجبوا كل وسائل المعرفة عن الناس، وأعطوها لبعضهم البعض. المسألة هي أن النتائج التي حدثت من خلال ذلك لم تكن في مصلحة الإسلام، ربما أسقطت عنفواناً استكبارياً، ربما هزت أمن الناس هناك، ربما فكر الذين صنعوها إذا كانوا هم صنعوها أن مثل هذا الزلزال قد يهز الإنسان هناك ليعارض حكومته فيما تقوم به من مظالم على مستوى العالم، ولا سيما ضد الفلسطينيين، ولكن النتائج كانت في غير مصلحة الإسلام والمسلمين. ربما كانت هناك بعض الإيجابيات لجهة اهتمام الناس بدراسة الإسلام كما يقولون، ولكنها استطاعت أن تفتح العالم أمام أميركا وأن تجعل لها أكثر من فرصة للضغط وأكثر من فرصة لتنفيذ سياستها، ولذلك قلنا إنها حرب المصالح الأميركية، وأفغانستان هي الحرب النفسية لتنفيس الاحتقان لدى الشعب الأميركي ليعيد الثقة إلى حكومته.

طالبان وبن لادن ليسا شياطين كما تراهم أميركا

كل ذلك يستدعي تسجيل الملاحظات، لكن، هل من الطبيعي أن نتحدث عن طالبان كما نتحدث عن الشياطين؟ هل من الطبيعي أن نتحدث عن بن لادن كما نتحدث عن شيطان، وقد استهلك الرئيس بوش هذه الكلمات الدينية وأصبح يتحدث عن شيطان هنا في الواقع الإسلامي وشيطان هناك؟ لقد سرق الكلمة من الإمام الخميني(رض)، ولكنه لم يصادف ما صادفه الإمام الخميني من كلمة الشيطان الأكبر واقتصر على كلمة الشيطان. لذلك لا بد لنا أن لا نستهلك ما يريدون لنا أن نستهلكه، أن نفنّد الحدث وأن ندرسه وأن نأخذ منه كل النتائج السلبية والإيجابية لنوظفها للمستقبل، ولكن أن نندفع لأن الكبار غير الكبار يريدون لنا أن نتحدث بهذه اللغة ولا يريدون لنا أن نعترض. حدثني بعض أصدقائنا الذين كانوا في أميركا قال إنني في كل علاقاتي حتى مع الطبقة المثقفة الواعية العالية لا أستطيع أن أسجل أي مناقشة أو أي اعتراض، لأن القضية تحولت إلى ما يشبه الهستيريا النفسية التي ربما تحولت إلى نوع من الهستيريا الثقافية.

المسألة هي أنهم حاولوا أن يقولوا لنا لا تعترضوا، قولوا ما نقول على طريقة السموأل الذي يقول:

ونـنكر إن شئـنا على النـاس قولهـم ولا يـنـكـرون الـقـول حـين تـقـول

إما أن تكونوا معنا تحاربون معنا تنفذون سياستنا، تخدمون اقتصادنا، وإلا فأنتم مع الإرهاب. المسألة هي أننا قد نحتاج ـ أيها الأحبة ـ إلى لحظة تفكير وهدوء، لا من أجل هذه القضية فحسب، ولكن لأن هناك محاولات عولمة ثقافية تحاول أن تثقف السياسة بثقافتها السياسية، وأن تثقف الاقتصاد بخطوطها الاقتصادية، وأن توجه الأمن بكل مفرداتها الأمنية. أن نكون نحن أو نكون الآخر. هذه المعادلة الجديدة، إنهم يريدون أن نكون نحن هم، لا في العمق، فهم لا يسمحون لنا أن نعيش شخصيتنا بالعمق الذي تغتني به شخصياتهم، إنهم يمنعون كثيراً من الاختصاصات عن طلابنا الذين يذهبون إلى هناك، لأنهم لا يريدون للعالم الثالث أن يأخذ بهذا الاختصاص، أو ذاك الاختصاص لأنهم لا يريدون له أن يتقدم بما يمكن أن يفوت عليهم بعض الفرص الاقتصادية الاستهلاكية.

تأصيل المفاهيم

المسألة هي هل نكون نحن الداخل، أو نبقى نستعير شخصيتنا من الخارج؟ هذه هي المسألة، وما زالت الكثير من الخطوط الثقافية تحدثنا أن العقل العربي والعقل الإسلامي هو عقل غيبي، عقل خرافي، عقل لا يمكن أن يعطينا التقدم. كونوا عقلاً غربياً، فكروا بطريقته، حاولوا أن تعملوا على أساس منهجه، كونوا على السطح الذي هو فيه وإياكم أن تنزلوا إلى العمق، لأن المطلوب هو ألا يكون لنا شخصية مؤصلة، أن تكون حائراً بين شخصية شرقية تجرك إلى بعض عاداتك وتقاليدك، أو شخصية غربية تحاول أن تبتعد بك عن شخصيتك الحقيقية. هذه المسألة بحاجة ـ أيها الأحبة ـ إلى حركة ثقافية إسلامية، تحاول أن تركز على المنهج، ما هي الطريقة في التفكير، كيف نستطيع أن نفرق بين الخرافة وبين الحقيقة، كيف نستطيع أن نفرق بين الغيب الذي يرتكز به الإيمان في أساس العقيدة مما ينسجم مع كل هذا النظام الكوني الذي خلقه الله، وبين الغيب الذي يعيش في المتاهات من دون أصالة في التوثيق وأصالة في المناقشة، أن نؤصل مفاهيمنا.

مشروعية العمليات الاستشهادية

لقد انطلقت العمليات الاستشهادية في حركة الجهاد عندنا، وقلنا بطريقة فقهية إنها

ليست بدعاً من قضايا الجهاد، فالله لم يحدد لنا وسائل الجهاد، كل وسيلة يمكن أن تقوي حركة الشرعية في الحرب دون أن تسيء إلى قيمة إنسانية كبرى فهي جهاد، لا نحتاج إلى دليل خاص فقهي يجيز للاستشهادي أن يتحرك في خط الاستشهاد إذا كانت الحرب شرعية، ولكن علينا أن نعلم أين يكون هذا الأسلوب الجهادي، ما هي القضايا الكبرى التي يتحرك في اتجاهها، هل يمكن أن تتحرك المسألة على أساس حالة إعلامية أو على أساس حالة صغيرة لا تترك وراءها أي جهد، أو أنها جزء من الخطة التي تنطلق من أجل أن تصل إلى الهدف أو تقترب من الهدف، حتى لا تكون المسألة مجرد شيء يستهلكه الناس دون دراسة وربما يسيئون فيه إلى كثير من قضايا الجهاد؟

لا بد لنا ـ أيها الأحبة ـ أن ندرس التحديات الفكرية الكبرى. إن العالم يتحرك في مسألة الحريات، ما هو حجم الحريات في الإسلام؟ هل يعطي الحرية للرأي الآخر أو لا يعطيها؟ وما هي خطوط هذه الحرية؟ هناك مسألة تفرض نفسها لا أريد أن أصادر الرأي حولها لنتحدث بشكل سطحي بأن الإسلام يعطي كل الحريات أو أنه يمنع كل الحريات. لكن هذه مسألة لا بد أن تدرس بعمق، لأنها أصبحت تمثل التحدي الثقافي والسياسي والاجتماعي لكل الواقع الإسلامي في مواجهة الآخر. قد نصل إلى تحديد مسألة الحرية على أساس قاعدة ثقافية، قد نصل ولا نخجل بإسلامنا، نحن لا نريد أن نتحرك على أساس أن يرضى عنا الآخرون، بل المسألة هي أن يرضى عنا الله، وأن يرضى عنا العقل الذي يفكر لا العزيزة التي تتحرك، لأننا ربما في كل مزايداتنا وفي كل عاطفياتنا وفي كل أساليبنا نحن غرائزيون نحاول أن نثير الغريزة من أجل أن يصفق الناس لكل الإثارات الغريزية، ولهذا أصبحت المسألة في واقعنا الإسلامي، حتى في داخل الواقع الثقافي، يقال لكل مثقف يريد تأصيل الفكر الإسلامي من خلال اجتهاد هنا أو هناك: إياك أن تثير القضايا التي تتصل بالعاطفة الجماهيرية، اتركوا الجماهير على عاطفيتهم، لا تحركوا شيئاً حتى لو كانت هذه العاطفة تنطلق من واقع التخلف.

أدمنّا التخلف

نحن أدمنّا الكثير من التخلف، وأدمنّا الكثير من اللافكر، المسألة هي أن القرآن هو إمامنا وهدانا في مواجهة الفكر الآخر وفي إعطاء الحرية للفكر لكي يناقش بصوت عالٍ، وقد تحدث بأقوى السلبيات عن الذين يقولون: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾.

حرك الماضي لأن الماضي في ما عدا المعصومين ليس معصوماً. العلماء ليسوا معصومين، هم يخطئون ويصيبون، وللمجتهد أجران إن أصاب كما يقولون وأجر واحد إن أخطأ، والمثقفون ليسوا معصومين. كلنا خطّاء، لماذا نسمح للقدماء أن يخطّئوا بعضهم بعضاً ويناقشوا بعضهم بعضاً وليس من حقنا أن نناقشهم، هل أن يكون إنسان في الماضي يبرر لك أن تجعله معصوماً؟ هل الزمن يعطي الإنسان العصمة؟ لا أريد أن أركز على قضايا خاصة، ولكنني أقول أيها الأحبة إن الهجمة الآن التي نواجهها على المستوى الأمني والسياسي في لبنان وفي فلسطين وفي سورية وفي أفغانستان وفي أكثر من بلد إسلامي يراد مصادرته لحساب الاستكبار، إن الهجمة التي نواجهها الآن هي الأخطر، الهجمة الثقافية الي تريد أن تزور الخطوط الإسلامية وتريد أن تتحرك من أجل أن يكون الإسلام أميركياً تارة وبريطانياً أخرى، كما كان الإمام الخميني(رض) يعبر عنه. افهموا الإسلام جيداً فإنكم تستطيعون أن تميزوا بين الإسلام المحمدي الأصيل وبين الإسلام الأميركي أو غير الأميركي من كل مواقع الاستكبار. لكننا إن لم نفهم الإسلام في أصالته فكيف يمكن أن نميز الحق من الباطل، كيف يمكن لنا ذلك، ونبقى في معركتنا الأصيلة في فلسطين ونبقى في معركتنا الأصيلة في لبنان، في العالم العربي، ونبقى في هذه المراحل. لا بد أن نجمد كل الهوامش ونجمد كل الجزئيات، لأن القوم يخططون لنا، وهم يرشقون القلق في سياستنا وأمننا واقتصادنا. يوماً يتحدثون على أن الساحة الجديدة للحرب الأميركية في اليمن أو في لبنان أو في العراق أو في الصومال أو في السودان، وربما يأتون في كل يوم باسم جديد.

الساحة تحتاج إلى الكثير من الوعي ومن الوحدة ومن الصلابة ومن التخطيط ومن النظرة إلى المستقبل ومن حماية المجاهدين ورعايتهم بكلِّ ما عندنا من طاقة ومن تأصيل الثقافة. أن نطرد كل الذين يمثّلون الجهل الثقافي إذا صحَّ التعبير ولا يملكون الوعي الثقافي. ألا نسمح لهم أن يقدموا للناس ثقافة غير ناضجة أو ثقافة مزوَّرة. أن نختار الذين يتحدثون وأن نختار الذين يتحركون، لأن المسألة هي أن هذه المرحلة التي نمر بها والتي يراد لها في ما يسمى بالتحالف الدولي، والمقصود التحالف الأميركي - الأوروبي إلى آخر القائمة من المستكبرين، يراد صنع نظام عالمي جديد، لم يطلقوا عليه اسماً جديداً كالعولمة والنظام العالمي. يريدون أن يصنعوا عالماً على صورة مصالحهم، وعلينا أن نفكر كيف نمنعهم من أن يقتربوا إلى عالمنا ولو لخمسين سنة، لأن علينا أن نخطط للمستقبل كما يخططون، أن نعمل على أن نصنع عالمنا على صورة قيمنا ومصالحنا، أن نبني الإنسان

الفرد الذي يتحرك طليعياً والإنسان المجتمع والإنسان الأمة. هل نبدأ الخطوة الأولى، هل نجمد هوامشنا أو أننا نقتل القضايا الكبرى لحساب القضايا الصغيرة؟ هذا هو التحدي الكبير، وهذا هو خط التعليم الديني الإسلامي الذي قامت به هذه الجمعية الصابرة المباركة، والتي نريد لها أن تتطور في تعليمها الإسلامي منهجاً وأسلوباً ومضموناً.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٤

القدس رمز لكلّ بلد إسلامي

القدس هي الأرض المقدسة التي باركها اللّه، وبارك من حولها وما حولها، القدس التي دخلت كلّ تاريخنا الإسلامي من بابه الواسع، حيث لا تلتقي نبياً من أنبياء اللّه ممن تحدّث عنهم القرآن إلاّ وكان له دورٌ فاعلٌ، وترى أنَّ القدس كانت هي المكان الطبيعي الذي تحرك فيه وتعبّد للّه فيه، كإبراهيم وموسى(ع) الذي أراد اللّه له أن يدخل الأرض المقدسة، ومريم(ع) التي عملت في خدمة بيت اللّه، وفي هذه الأجواء عاش عيسى وموسى(ع).

وهكذا حتى شرّف اللّه القدس بأن أرسل إليها نبيّه في الإسراء، ولذلك فنحن لا نستطيع أن نفرّق في وعينا الديني والروحي بين مكة والقدس، تلك قبلتنا الأولى وهذه قبلتنا الثانية، فيها ولد محمَّد وحركته، وفي تلك كان مسرى محمَّد ومعراجه (ص).

القدس تختزن في أعماقنا القيم الروحية وقضايا الحرية

ولذا فإنَّ القدس تختزن في ذاكرتنا وعقولنا وقلوبنا، الكثير من المعاني الروحية، والقيم المتصلة بقضايا الحريّة والعزّة والكرامة.

لقد كانت القدس من البداية هدفاً للاستكبار العالمي بكافة أشكاله، فعاشت الاحتلال الصليبي، والاستعمار البريطاني، وتعيش اليوم مشكلة معقّدة من خلال الاحتلال اليهودي الذي يرمي لجعلها عاصمة أبدية لـ «إسرائيل»، وقد بارك الكونغرس الأميركي هذه الخطوة.

ولكي لا تحرج الإدارة الأميركية نفسها لم تعلن ذلك صراحة في سياستها، بل تركت أمر مصيرها ـ على حد زعمها ـ إلى المفاوضات، وهي التي التزمت في عمق سياستها أمن «إسرائيل» في السياسة والاقتصاد والعسكر.

الإمام الخميني(رض) وعى أهمية القدس فأطلق «اليوم العالمي»

إذاً كانت القدس وما زالت مدار تجاذب بين أن تكون خاضعة للآخرين، وبين أن تكون ضمن الدائرة العربية والإسلامية، وهذا ما وعاه الإمام الخميني (رضوان اللّه عليه)، عندما أصدر أمره من موقع الولاية الإسلامية للمسلمين بأن يشاركوا في يوم القدس اجتماعاً أو تظاهراً أو شعاراً أو حركة في آخر جمعة من شهر رمضان. أراد أن يدخل القدس في الدائرة السياسية التي تتحرك فيها القضية الفلسطينية، وأراد للمسلمين أن يلتزموا بالقدس الرمز، كما يلتزمون بمكة الرمز، لتبقى القدس في وعيهم وفي وجدانهم، وليتحول الوعي إلى مسؤولية، والوجدان إلى حركة في طريق تحرير القدس، فإنَّ الإمام قال للمسلمين: عليكم أن تصنعوا الظروف السياسية والعسكرية والاقتصادية لتحريرها، ولو بعد مائة سنة، كما صنع المسلمون من قبل الظروف لفتح مكة، لأنَّ قضايا الأمم في حركتها لا تُعدّ بالسنوات.

ولذلك فإنّ الإمام الخميني (قده) لاحظ أنّ المسار السياسي كان يتحرك على أساس إبعاد المسألة الفلسطينية عن كلّ المواقع الأساسية في حركة الشعوب وحياتها. كان ـ ولا يزال ـ يُراد للعرب وللمسلمين أن يفكّروا بأنّ «إسرائيل» أمر واقع، وأنّ على كلّ فريق من الدول المحيطة بفلسطين أو بغيرها أن يفكّر بمشاكله الخاصة، لأنّ مسألة «إسرائيل» أصبحت مسألةً لا مجال للحديث عنها.

وعلى هذا الأساس بدأت السياسة العربية الرسمية تتحدث عن أنّ المسألة بين العرب وبين اليهود ليست مسألة صراع، وإنّما هي مسألة نزاع. تماماً كما يتنازع بلدٌ مع بلد. وعملت أميركا على محاصرة كلّ الساحات العربية بالفتن، وبالحروب، وبكلّ المشاكل

الاقتصادية والأمنية، وبكلّ المنازعات الطائفية والمذهبية حتى لا تستقرّ المنطقة المحيطة بفلسطين.

أميركا تعمل دائماً على إضعاف كل مواقع القوة المناهضة لـ«إسرائيل»

وعندما انطلقت الجمهورية الإسلامية وكانت القدس عنواناً لسياستها، وتحدثت عن الإسلام المنفتح على كلّ قضايا الحرية في العالم، حاولوا أن يحاصروها بالحرب التي فُرِضَت عليها لسنوات، وحاولوا أن يشوهوا صورتها، ولا يزالون يحاولون الفصل بينها وبين بقية البلدان الإسلامية بإثارة مسألة الشيعية والسنّية، ولا يزال عمل أميركا على إضعاف كلّ المواقع المحيطة بفلسطين مستمراً، حتى ولو كانت هذه المواقع قريبة منها سياسياً، ولكنّ أميركا تحسب بذلك حسابَ المستقبل، فهي ترى أنّ أيّ موقع للقوة في المنطقة حتى ولو كان معها، يمكن أن يشكّل خطراً على «إسرائيل» في المستقبل عندما تتبدّل الظروف.

يجب أن تبقى القدس في البال

هدف أميركا هو أن لا تشكّل الدول العربية خطراً على «إسرائيل»، أمّا أن تشكل «إسرائيل» خطراً على الدول العربية والإسلامية فهذا ليس فيه مشكلة. وهذا ما أدركه الإمام الخميني (قده)، فألزم المسلمين في حال أنساهم الواقع السياسي القدس، وهي الرمز المطلّ على كلّ التطلعات الروحية التي يستهدفها الإسلام في العالم، بالتظاهر، لتبقى القدس والقضية الفلسطينية في البال، وكي تبقى كلّ القضايا المتصلة بالمسألة الفلسطينية في كلّ حركة المستضعفين ضد المستكبرين أيضاً في البال.

الأمة التي تقدم التنازلات هي أمة هزائم

إنَّ الأمة التي تعودت أن تقدم التنازلات من أرضها وثرواتها ومواقفها السياسية تحت تأثير قوة ضاغطة هنا، وقوة ضاغطة هناك، وتنسى كلّ ما تنازلت عنه هي أمة سوف يكون سجل تاريخها الهزائم، لأنَّ قضية الهزيمة ليست قضية واقع، ولكنَّها قضية روح وإرادة. لذلك نجد أنَّ الإعلام الاستكباري يسخّر كلّ طاقاته للإيحاء بأنَّنا ضعفاء، لا يمكننا أن نتوحد، الإيحاء بأنَّ السيطرة على العالم معقودة للقوة الكبرى، ولا نستطيع إزاء ذلك أن نقف بوجهها، وما علينا إلاّ أن نستسلم للضعف والهزيمة، لكي لا نفكر بأيّ خطة نحرر من خلالها أنفسنا في المستقبل.

أميركا تلتزم التفوق النوعي لـ «إسرائيل»

وما تحاول تحقيقه الدول المستكبرة وفي مقدمتها الولايات المتحدة في هذه المرحلة في كلّ الواقع العربي والإسلامي، هو ألا ينطلق المسلمون بخطة يستعدّون من خلالها لمواجهة التحديات من خلال صنع القوة، ممنوع عليهم ذلك.

ولذلك ليست القدس مجرد بلد عادي، يختزن في داخله قيماً روحية، بل يتجاوزها إلى تحويل ذلك الوعي الروحي إلى وعي سياسي تحمله الأجيال معها، لأنَّ القدس رمزٌ لكلّ بلد إسلامي محتلّ ومستباح، فهي تمثّل كلّ فلسطين، وكلّ المناطق المحتلة في لبنان والجولان والقدس، وكلّ موقع في العالم يسيطر فيه المستكبرون على المسلمين.

لأجيالنا عيد تحرير الأمة

لقد تربى أطفالنا على مناسبات وأعياد كثيرة تحمل معاني وقيماً إنسانية، كعيد الأم والمعلم والعمال، ولكن يجب علينا أن نفديهم بالوعي، فنجعل لهم عيداً يتحملون فيه المسؤولية عندما يصبحون كباراً، وهو عيد تحرير الأمة من خلال تحرير الأرض التي تمثّل عزّة الأمة وعنفوانها وكبرياءها.

وإذا أردنا أن نكون بمستوى المسؤولية على المستوى العالمي علينا ألا ندع اليأس والضعف والحزن يسري إلى قلوبنا، فإذا كنا المغلوبين اليوم وتمكنا من صنع القوة، ربّما نكون الغالبين غداً ﴿وتلك الأيام نداولها بين النّاس﴾(آل عمران: ١٤٠)، لأنَّ اللّه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء.

لنأخذ جانب الحيطة والحذر من مؤامرات العدو

دائماً أدعو المواطنين والمؤمنين لأخذ الحيطة والحذر، لأنَّ العدو الإسرائيلي أعلن أكثر من مرة أنَّه سيخوض معارك دامية ضد المؤمنين، وكلّ الرافضين للاحتلال، والذين لم يعترفوا بشرعية وجوده، ولذلك فهو يخطط دائماً للقيام بالأعمال الأمنية التي يحاول من خلالها أن يزهق الأرواح ويدمر الممتلكات وما إلى ذلك.

ليكن كلّ واحد منكم حارساً وخفيراً، راقبوا كلّ حركة تتصل بالعدو وعملائه لكي لا نسمح لمخابراتها من تحقيق أهدافها في ضربنا وقتلنا.

حذار من الاسترخاء، حذار من اللامبالاة، لأنَّ ما تخطط له «إسرائيل» من عمليات مخابراتية، من تدميرٍ وقتلٍ وانفجارات، لا يقتصر على شخص دون آخر، أو جماعة دون أخرى، إنَّما يطال بذلك الأمة كلّها، فهي لا تفرّق بين طفل وامرأة وشيخ. كونوا عيوناً وحراساً للنّاس وللمنطقة. شكلوا لجاناً أمنية في كلّ محلة، لأنَّ ذلك وحده هو الذي يُفشل المخططات الإسرائيلية والاستكبارية ﴿ويمكرون ويمكر اللّه واللّه خير الماكرين﴾ (الأنفال: ٣٠).

يوم القدس يوم الرفض

والنظام الدولي الجديد من وجهة نظر الاستكبار يعني شيئاً واحداً هو أن أميركا سيّدة العالم، وعلى العالم أن يخضع لها، وهذا ما يُراد للمنطقة أن تعيشه.. لذلك «يوم القدس»، يوم الرفض، نرفض فيه بألسنتنا إذا لم نستطع الرفض بأيدينا، نرفض فيه بألسنتنا لينتقل الرفض من جيلنا إلى جيل أبنائنا وأحفادنا، لتنتقل قضية القدس كموقف سياسي إسلامي، أو كموقف للمستضعفين كلّهم مع الأجيال كلّها، وسيأتي جيلٌ ندخل معه المسجد كما دخلنا من قبل، ولا بُدَّ من أنّ نفكّر ـ ولو بعد عشرات السنين ـ أن نخرجهم منها، لأنه لا مجال للتعايش بين يهودية عنصرية تسعى لاستعباد النّاس وتشريدهم من أرضهم، وبين الإسلام.

لذلك نقول للمسلمين، في يوم القدس ما قاله لهم الإمام الخميني (قده): «يا أيها المسلمون اتّحدوا» لأن في اتحادكم القوة التي تستطيع أن تطرد كلّ مواقع الاستكبار في العالم. ونقول للمستضعفين ما قاله الإمام الخميني(قده): «يا مستضعفي العالم اتّحدوا» لأنَّكم بذلك تستطيعون إخضاع المستكبرين ولن تخسروا إلا قيودكم، ولن تخسروا إلا ضعفكم، ولن تخسروا إلا ذُلّكم..

إنّ «يوم القدس» هو يوم الإسلام، فلننطلق مع يوم الإسلام لنأخذ القوة من جديد، وليقول كلّ واحدٍ لصاحبه ﴿لا تحزن إنَّ اللّه معنا﴾ (التوبة: ٤٠) عندما نكون معه.

٥

نعم للمقاومة نعم للانتفاضة ولا لكل العبث الأميركي بالكلمات والمعاني

برعاية وحضور سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله، أقامت جمعية المبرات الخيرية حفل إفطارها السنوي في الجنوب في مدرسة الإمام علي(ع) في معروب، وحضره عدد كبير من نواب المنطقة وفاعلياتها الحزبية والدينية والسياسية، إضافة إلى الشخصيات الاجتماعية والتربوية وحشد كبير من أهالي المنطقة، وقد تحدّث سماحته في الحضور، وقال في كلمته:

هذا عالَمٌ يُراد له أن يتغلّف على صورة استكبار عالمي، بدأ يخشى أن تُصادر مصالحه ومكاسبه، لأنّه بدأ يُلاحظ أنَّ المستضعفين بدأوا يأخذون ببعض أسباب القوّة، وفي عيونهم شيءٌ من يقظة النُّور بعدما شحنت كلّ عيونهم بالظلام. شعروا بأنَّ هناك شيئاً جديداً، وأنَّ هؤلاء الذين كانوا مجرّد هامش سياسي في السياسة، واقتصادي في الاقتصاد، وأمني في الأمن، بدأوا يتمرّدون على الهامش، وبدأوا يجرّبون أن يتواجهوا في قلب السّاحة، إنهم يريدون للمستضعفين أن لا يملكوا الجرأة ولا سيّما على الكبار.

إفطار جمعية المبرات الخيرية في معروب، ٢٢ تشرين الثاني ٢٠٠١م.

من غير المسموح زعزعة عنفوان المستكبرين

كانوا يريدون لهم أن يعيشوا جرأة التغلّب على الوعد، وكانوا يريدون لهم أن يعيشوا جرأة الفكرة على الوحدة، وجرأة العبودية على الحرية، كانوا يريدون لهم أن يكونوا الأقوياء، بأسهم بينهم شديد، أمَّا أن يتجاوزوا كلَّ هذه الأجواء لينفذوا إلى قلب الاستكبار ليدمِّروا شيئاً من عنفوانهم، فهذا ما لم يكن مسموحاً. لم تكن المسألة مسألة بناء يهوي وضحايا تسقط مما لا نراه وسيلةً مشروعة، ولكنَّنا نريد أن ندخل في فكر هذا الاستكبار العالمي. لم تكن المسألة أنَّ هناك مركزاً تجارياً تهدّم وأنَّ هناك مركزاً عسكرياً أصيب بخلل، كانت المسألة أنَّ هناك شيئاً جديداً فيه شيءٌ من العنفوان، قد يكون هذا العنفوان فوضوياً أو بعيداً عن التخطيط الذي ينفتح على الخطّة الاستراتيجية، هل كان يجول في وجدان هؤلاء الكبار المستكبرين أنَّ من الممكن أن يرتبط هؤلاء بعمق العمق ليُسقطوا هذا العنفوان، ممنوع أن تكونوا الأقوياء، إنَّ قضاءكم وقدركم هو أن تكونوا المستضعفين، أن تأكلوا الضعف حتَّى عندما يقدَّم إليكم بعض طعام القوَّة، لأنَّ المصالح الاستكبارية لا يمكن أن تكبر إذا كان هناك من المستضعفين من يعملون على أن يستجمعوا ثرواتهم لينتجوا الاكتفاء الذاتي في حاضرهم وفي مستقبلهم ولكي يكونوا الأحرار في بلادهم.

الممنوع والمسموح لدول العالم الثالث

ولذلك قالوا للعالَم إنَّ هناك إرهاباً لا بُدَّ أن نُلاحقه، ونظَّروا واستدعوا الأمم المتحدة واستدعوا كلَّ الذين يصرِّحون ويحلِّلون وينقدون ويلاحقون كلَّ تاريخ الأديان وكلَّ تاريخ الحضارات وكلَّ شعارات الحرية: «أيُّها العالَم: الديموقراطية في خطر، وإنَّ هؤلاء يريدون إسقاط الحريات. تعالوا إلى تحالف دولي ضدَّ الإرهاب، وحذار أن تدخلوا في دورة ثقافية تحدِّدون فيها معنى الإرهاب، ليس من حقّكم أنتم يا كلَّ العالَم الثالث أن تحدِّدوا مفهوم الديموقراطية، نحن نفلسفها، ونحن نصنع للحرية حدوداً، ونحن للحضارة القاعدة والامتداد. المائدة مائدتكم، أمَّا أنتم فلكم الفتات. ولذلك منعوا حتَّى حلفاءهم في العالم العربي والعالَم الإسلامي أن يفلسفوا الفرق بين الإرهاب وبين المقاومة.. من حقّهم هم المقاومة، من حقّهم أن يقاوم الأميركيون بريطانيا عندما كانت تحتل أميركا، وأن يقاوم الفرنسيون ومعهم كلّ الحلفاء الاحتلال النازي، لكن أنتم كلّ ما تقومون به إرهاب، إلاَّ ما تدمّرون به بعضكم البعض. من حقّ العرب أن يستوردوا كلّ أسلحة العالَم من أجل أن يقيموا حرباً في الكويت وحرباً ضدَّ إيران وحرباً بين هذا القطر أو

ذاك القطر، ممنوعٌ حتَّى على حلفاء الاستكبار أن يستوردوا أسلحة يمكن أن يقاتلوا بها إسرائيل، يعترف للمقاومة بالحق فقط عندما نقاتل بعضنا بعضاً من أجل تأكيد مصالح الغرب، أما المقاومة لغير هذا الغرض فهي إرهاب.

الانتفاضة مأزق ضمير العالم

كانوا السبعة الكبار وصاروا الثمانية وربَّما التسعة، أن يكونوا كباراً في مواجهة الصِّغار، والصِّغار في مفهومهم هم نحن. لذلك ممنوع أن تقاتلوا إسرائيل، لأنَّ إسرائيل تمثِّل امتداداً للحضارة الغربية، وإلاَّ فأنتم إرهابيون. المقاومة في لبنان إرهاب، والانتفاضة في آخر طبعة من التصريحات الأميركية على لسان وزير خارجيتها إرهاب.. قالها تماماً كشعار، كلازمة، الانتفاضة إرهاب وصفق الفلسطينيون، وصفق العرب كلّهم. قالوا الدولة الفلسطينية.. ولكن أيّة دولة فلسطينية لا يملك الفلسطينيون فيها أيّة ورقة من لعبة القمار هذا، القمار السياسي الذي لا تديره مونت كارلو ولكن تديره كلّ العواصم الغربية، الأمر بيد شارون والسِّلاح بيد شارون ومجلس الأمن بيد شارون وأميركا ومعها أوروبا المنافقة وروسيا المتردّدة كلّهم معاً ـ في خدمة إسرائيل.. تعالوا أيها الفلسطينيون ووقعوا، فالمفاوض لا بُدَّ له من ورقة فيها شيء من القوَّة، والقوَّة قوَّة إسرائيل، حتَّى أنَّها في الشكل تتمرَّد على أميركا. قالوا لهم انسحبوا من المناطق المحتلة ولَمْ ينسحبوا منها، ولم تتحدَّث أميركا إلاَّ ببعض الكلمات الخجولة. ممنوع أن تقاوموا، أيُّها الفلسطينيون خذوا ما يُعطيكم شارون نسخة محسنة من سلطة الحكم الذاتي، أمَّا الانتفاضة فلن تُعطيكم شيئاً، لأنَّ أميركا سوف تقف ضدَّ الانتفاضة، ولأنَّ مشروع «ميتشل» سوف يقف ضدَّ الانتفاضة، ولأنَّ «تينيت» سوف يقف ضدها أيضاً، هذه هي الوسائل الجديدة، غابت فلسطين وأصبحت الأرض المحتلة، وغابت الأرض المحتلة وبدأت أميركا تتحدَّث عن الأرض المتنازع عليها، ولا ندري كيف تزحف المسألة ولا يبقى إلاَّ بعض... بعض فلسطين الانتفاضة، مأزق، مأزق يثقل ضمير العالَم. قد لا يسمح للإعلام الأميركي أن يتحدّث عن جرائم إسرائيل ضدَّ الفلسطينيين، ولكنَّ هناك شيئاً في أوروبا، في صُحُفِها وفي وسائل إعلامها، وشيئاً في غير أوروبا مما يثقل ضمير العالم وإن كان الضمير لَمْ يصل إلى درجة أن يسقط من الأَلَمْ.

أيها العرب لماذا لا تتحررون من فلسطين؟!

بَقِي الضمير يهدس ويتألّم بهدوء، ولذلك حتَّى هذا أثقل أميركا وأثقل إسرائيل، لذلك

أيُّها العالَم أوقفوا الانتفاضة، أيُّها العرب اضغطوا حتَّى تقف الانتفاضة، امنعوا الشعب أن يخرج إلى الشوارع ليعبّر عن مساندته لشعب فلسطين، امنعوا أيّ اعتصام لأنَّ ذلك سوف يُغضب واقع أنظمتكم ويربك علاقاتكم بأميركا، لذلك أيُّها العرب، لقد أثقلتكم فلسطين، فلماذا لا تتحررون من فلسطين.. القصة الآن ليست أن نحرّر فلسطين، بل أن يتحرّر العالَم العربي من فلسطين. لذلك، لا بُدَّ أن تبقى الانتفاضة وحدها تقاتل حتى تقتل الأمن الإسرائيلي، قد لا تستطيع أن تهزم الدولة، ولكنَّها استطاعت أن تكون هاجساً، تماماً كحركة الأشباح تقتحم على كلّ يهودي هناك غرفة نومه، هذا إرهابي من حماس والجهاد تماماً كما كان في لبنان. هذا إرهابي في المقاومة الإسلامية.

بين الإعلان والكولسة

ولذلك لا بُدَّ أن يبقى الصوت عالياً لتبقى الانتفاضة، ولن نقبل كلّ هذا العبث الاستهلاكي بالمعاني، المقاومة إرهاب أم أنَّ المقاومة ليست إرهاباً .. أيُّها الأحبة، الكثيرون يصرِّحون، في لبنان هناك الكثيرون ممن ينتظرون المناسبات ليعلنوا تصريحاتهم ولكن عندما تأتي المواقف يتحدّثون في الكواليس شيئاً غير ما يتحدّثون به في العلن، لذلك ليبق الموقف هو الموقف: سنبقى صامدين مع المقاومة اللبنانية والمقاومة الفلسطينية.

بعض اللبنانيين يخافون من الاستقلال، ويخافون من الذين يواجهون المحتل بقوَّة، ويخافون من أن تكون مزارع شبعا لبنانية.. يتحدَّثون ونقرأ في كلٍّ يوم افتتاحية صحافية - كما قرأنا بعض الافتتاحيات - وسورية مثقلة بالكثير الكثير من الجبال والضغوط، مثقلة بالكثير من جبال الجولان، تعالوا إلى سورية لسواد عيون اللبنانيين، ادخلوا في هذا الوقت بالذات في مفاوضات مع لبنان لتنظموا الحدود حتَّى تثبتوا أنَّ مزارع شبعا لبنانية، هل من الصحيح أن هؤلاء يريدون أن يثبتوا أنَّ مزارع شبعا لبنانية باعتراف رسمي سوري؟! إنَّهم يعرفون أنَّ هناك مأزقاً يمنع سورية من أن تدخل في هكذا مفاوضات.

المطلوب أن يقلق العرب لا إسرائيل

ولكن أيُّها اللبنانيون، أدخلوا سورية في المأزق، واتركوا مجلس الأمن يصرِّح «مزارع شبعا ليست لبنانية»، والخطّ الأزرق في بعض الأمتار هنا وهناك يترك للمفاوضات، وأدخلوا الجيش إلى الجنوب، وانزعوا سلاح المقاومة، لأنَّه ممنوع أن يكون لبنان قوياً في وجه إسرائيل، ممنوع أن يفكّر أهل المستوطنات بالمقاومة التي تتحرّك على الحدود، ممنوع أن تتحدّث الصحف الإسرائيلية عن قلق هنا وهناك، المطلوب أن يقلق العرب، المطلوب

أن يبقى اللبنانيون في حالة قلق، أمّا أن يقلق إسرائيلي فهذا أمرٌ لا يُسمح به، باسم الحضارة التي تمثّلها إسرائيل في عالَم مملوء بالتخلّف.

لكن الأعزاء في واقعنا

أيّها الأحبة، هذا عالَمٌ يُراد له أن يتغيّر، ويُراد لنا أن نتغيّر على صورته، أن نستهلك كلّ المفاهيم الجديدة، وأن نعمل على أن نتحرّك بقوانيننا في مقابل الخطوط القانونية التي يُراد لها أن تُحاصر موقع حرية هنا وموقع ممانعة هناك. المطلوب أن نُحاصر بعضنا بعضاً لحساب الحصار الذي يُراد للمستكبرين أن يطوقوا به حياتنا.. إنَّهم يريدون أن يصنعونا على صورة مصالحهم لا على صورة مصالحنا، إنَّهم يريدون لنا أن لا نفكّر بالمستقبل، أن نبقى في زنازين الحاضر، في زنزانة هنا وزنزانة هناك. في كلّ يوم يخلقون لنا قضية صغيرة، في كلّ يوم يفتحون لنا ملفاً صغيراً، وتتدحرج الملفات وتُفتح وتُغلق بانتظار ملفٍ جديد، ونحن مشغولون بأن نوحّل عقولنا بهذه الأوحال الصغيرة.. ممنوع أن نكون الكبار، ممنوع أن يكبر فكرنا، ممنوع أن تكبر قضايانا وأن نكون المستقبليين. حذار أيُّها الأحبة، علينا أن نتغيّر وأن نخرج من كلّ هذا الاحتلال الفكري الذي احتلوا به أفكارنا، أن نخرج من هذا الاحتلال الروحي في ما شوهوا به أرواحنا، أن نخرج من كلّ هذا الاحتلال الأخلاقي الذي حرّفوا به أخلاقنا. حتى نبقى مع كلّ مفاهيمنا الكبرى، نبقى ونقرأ: ﴿ولله العزَّة ولرسولِهِ وللمؤمنين﴾ ونقرأ عن الإمام جعفر الصادق (ع) يُفسّر تفسيراً تحليلياً: «إنَّ اللّهَ فوَّض إلى المؤمن أموره كلّها»، كُلْ ما تشاء واشرب ما تشاء واسكن كما تشاء بالحلال، «لكن لَمْ يفوّض إليه أن يكون ذليلاً». ممنوع أن يكون عقلك ذليلاً يستجدي الفكر من الآخرين ويستورد فكراً. ممنوع أن يكون قلبك ذليلاً يعيش فوضى العواطف يُحبّ ويُبغض ولا ينتج المحبة بحساب والبُغض بحساب. ممنوع أن تكون طاقاتك ذليلة تنتظر من يحرّكها ليدخلها في المتاهات من دون أن تصل إلى نتيجة ودون أن تحقّق أيّ إبداع.. ليكن الفكر العزيز وليكن القلب العزيز ولتكن الطّاقة العزيزة، لتكون الأمَّة عزيزة ولتكون الأرض عزيزة ثُمَّ ليكون المستقبل عزيزاً، أمّا المنافقون فاللّه يُعطيهم البشارة، ﴿بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليما * الذين يتّخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزَّة فإنَّ العزَّة للّه جميعاً﴾.

فلنتغيّر مع علي(ع)

وهكذا ـ أيُّها الأحبة ـ نتغيّر مع عليّ بن أبي طالب(ع) الذي عاش للّه بكلِّه، وعاش

للإنسان بكلّه: «ولا تكن عبد غيرك ـ أيُّها المؤمن، عبداً سياسياً أو اقتصادياً أو اجتماعياً أو ثقافياً أو أمنياً ـ لا تكن عبد غيرك وقد جعلك اللّه حرّاً»، حريتك كعينيك، كدمعك، كيديك، حريتك هي كلّك أنت. أن تتنازل عن حريتك لتكون عبداً معناها أن تتنازل عن إنسانيتك عن وجودك. حتَّى أنَّ الإمام (ع) قال للذين يبيعون أنفسهم بأثمانٍ قد تكون كبيرة أو صغيرة قالها في وصيَّته للإمام الحسن (ع): «أكرم نفسك عن كلَّ دنيّة، وإن ساقتك إلى الرغائب فإنَّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً».

ليعطوك الملايين فإنَّها لن تكون الثمن الحقيقي لما تُعطي من نفسك حتَّى لو أعطيت ربع نفسك لأنَّ نفسك أغلى وأثمن. إنَّ عليّاً يريد للإنسان أن يبقى عملاقاً لإنسانيته وللإنسانية ذاتها، إنَّها تُبدع وتُعطي وتقوى وتُنتج الأشياء الثمينة.

أن تتغيّر، إنَّ اللّه يقول لنا هل تريدون أن تكونوا أمَّة الرّسالات، كونوا أمَّة نوح، أمَّة إبراهيم، أمَّة موسى، عيسى، محمَّد (ص)، ولكن بشرط أن تكونوا أمَّة العدل، لأنَّ كلّ الديانات هي حركة عدل، العدل يختصر كلّ الرّسالات، وذلك قوله تعالى: ﴿لقد أرسلنا رُسُلنا بالبيِّنات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم النَّاس بالقسط﴾.

كلّ الرُّسُل كانت دعواهم بالعدل، كلّ الكتب، اقرأوا الإنجيل والقرآن وصحف إبراهيم، فلن تجدوا فيها إلاَّ كلمة واحدة وهي العدل، عدلك مع اللّه ومع نفسك ومع النَّاس والحياة، هذا الذي يختصر كلَّ الأديان، أن تكون ظالماً يعني أنك لست مسلماً ولا مسيحياً أو موسوياً، لأنَّ الظُّلم لا دين له، العدل هو الذي يوحّد الدِّيانات.

لا تستسلموا تحت تأثير إرهاب المستكبرين

لا تستسلموا تحت تأثير كلّ إرهابهم.. إنَّ الرئيس بوش وهو يدعو إلى التحالف الدولي ضدَّ الإرهاب يُحاول أن يكون إرهابياً في حجم العالَم، «إمَّا أن تكونوا معنا وإمَّا لا»، فإن لم تكونوا معنا فأنتم مع الإرهاب، وسوف نُحاربكم تحت كلّ حجرٍ ومدر، لأنَّكم إرهابيون، لأنَّكم لستُم معنا. وهم لا يريدوننا أن نكون معهم، لأنَّنا لسنا في مستوى أن نكون معهم، أن نكون خلفهم يخطِّطون وننفِّذ.. هذا عالَمٌ يتغيّر والمستكبرون يعملون على تغيير العالَم على صورة مصالحهم، ونحن أمَّة تملك الكثير من الروح وتملك الكثير من الحضارة والكثير من الإيمان والثقة باللّه والثقة بالنفس، وتملك الكثير من الطَّاقات

الخامدة.. علينا في هذه المرحلة وهم يريدون أن يطلقوا الزلزال السياسي والاقتصادي والأمني، أن نتصلّب، لن يستطيع هذا الزلزال أن يفتح الأرض ليدفننا في داخلها، إنَّه قد يُحاول أن يهزّ واقعاً هنا وواقعاً هناك، ولكن الأمَّة التي تملك صلابة وتستطيع أن تصلّب الأرض حتَّى لا تهتز، وتحصّن الحاضر حتَّى لا يسقط، وتصلّب المستقبل حتَّى يأتي كبيراً، هي أمَّةٍ لا يُسقطها الزلزال. لذلك أن نبقى كما قال اللّه: ﴿الَّذين قَالَ لَهُم النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدَ جَمَعُوا لَكُمْ فاخشَوهُم فَزَادَهُمْ إيمَاناً﴾.

تعملقوا، أعطوا عنفوان الإيمان، عيشوا عظمة الثقة باللّه ﴿فَزَادَهُم إيْمَاناً وقالوا حسبُنا اللّه ونِعم الوكيل﴾، فماذا ستكون النتيجة ﴿فانقلبوا بنعمةٍ من اللّهِ وفَضلٍ لَمْ يَمْسسهُم سوءٌ واتَّبعوا رضوان اللّهِ واللّهُ ذو فضلٍ عظيم * إنَّما ذلكم الشَّيطان﴾ الأكبر والأوسط والأصغر ﴿يخوّفُ أولياءه﴾ المتحالفين معه، الذين ينتظرون منه كلمة أو همسة أو ابتسامة ﴿فلا تخافوهم وخافونِ﴾ وتقدّموا وخافوني وتوحدوا وواجهوا الموقف بكلٍّ قوَّة وثبات ﴿إنَّ كنتم مؤمنين﴾ فهل نبقى المؤمنين ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا﴾ وأنتم المقاومون، وأنتم المجاهدون، وأنتم المنتفضون وأنتم الفاتحون ﴿وأنتم الأعلون﴾ لا علوَّ الذات، ولكن علو الموقف والإيمان ﴿إن كنتم مؤمنين﴾، ﴿إن يمسسكم قرحٌ﴾ في جراحات اقتصادكم أو أمنكم أو سياساتكم ﴿فقد مسَّ القوم قرحٌ مثله﴾، ادرسوا اقتصاد إسرائيل الآن وأمنها وسياستها ﴿وتلك الأيام نداولها بين النَّاس﴾، ليس هناك قوَّة خالدة، وليس هناك ضعفٌ خالد، الضعيف قد يصبح قوياً، والقوي قد يصبح ضعيفاً، ﴿إن تكونوا تألمون فإنَّهم يألمون كما تألمون وترجون من اللّه ما لا يرجون﴾. وتبقى المقاومة وتبقى الانتفاضة وتبقى فلسطين.

والسَّلام عليكم ورَحمةُ اللّهِ وبركاتُه.

٦

الجهاد في الإسلام حركة دفاعية في مواجهة المستكبرين

يتجاوز موقع العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله الديني، طائفته الشيعية، وبلده لبنان، ليغدو مرجعاً إسلامياً كبيراً على امتداد العالم الإسلامي. رجل فقه وعلم واجتهاد. صادق الإيمان والفكر والحديث. ولأنه مرجع، فإنك ترجع إليه في كل ما يتصل بالدين، أو الحياة، أياً كان انتماؤك.

يحدثك في السياسة فتفاجأ منه بمتابعة عجيبة الدقة عجيبة الصبر، وبقدرة على قراءة ما وراء الحدث: أسبابه وعناصره قبل نتائجه. منفتح على الآخر مهما كان رأيه واتجاهه. يؤمن بالحوار، لا يضيق صدره بسائل أو سؤال. وعلى عادة «المحرر العربي» فقد ذهبت إليه تطرح أمامه أسئلتها، المحرجة أو الصعبة في الظروف الحرجة والصعبة التي تمر بها المنطقة والعالم، وكان لرئيس التحرير الزميل نهاد الغادري معه هذا الحديث:

إسلام واحد لا إسلامان

■ **سؤالي الأول قد يبدو غريباً، ولكنه مدخل لا بد منه لما يليه: هل الإسلام واحد، أم إسلامان أم أكثر؟**

«المحرر العربي»، العدد (٣٢٢) ـ ٢٩ تشرين الثاني ٢٠٠١م.

الإسلام واحد فيما أنزله الله في الدين، وقد انفتحت هذه الوحدة على كل الرسالات، ونجد ذلك في قول الله تعالى: ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾، وقوله: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾. إنه إسلام العقل واليد والقلب واللسان لله، وتتفرع عنه المناهج والمفاهيم. وفي ضوء هذا، فإن كلمة الإسلام تجمع الرسالات جميعاً، ولكل رسالة دورها في الظروف التي تحيط بالمرحلة الزمنية التي قد تنتهي إلى المرحلة الزمنية الجديدة، التي تحافظ في رساليتها على العناصر الأصيلة، ثم تزيد أو تنقص حسب حاجة المرحلة. والإسلام الدين الذي يجمع كل الرسالات هو في خطه العام واحد، وقد أنزل على رسول الله واحداً، ولكن الاجتهادات اختلفت في فهم الإسلام، بين اجتهاد منفتح على الشكل والمضمون، وبين اجتهاد يستغرق في الشكل دون أن يعيش المضمون. ولهذا فقد حاول البعض أن يعيش جسم الإسلام من دون أن يعيش روحه، وهذا ما جعل كلمة الإسلام تعيش في قلق بين الانفتاح وبين الانغلاق. وفي ضوء هذا، ليس هناك إسلامان أو إسلامات حتى لو اختلفت المذاهب والاجتهادات، بل هي وجهات نظر في فهم الإسلام، قد يخطئ بعضها وقد يصيب البعض الآخر، تماماً كأيِّ خط فكري يتحرك في الانتماءات الإنسانية في المسيحية واليهودية والماركسية والاشتراكية وما إلى ذلك.

اختلاف الاجتهادات

■ **إذا كان الإسلام واحداً، فثمة أسئلة فرعية شتى تضطرب بها حياة المسلمين ولا يجدون عليها أجوبة شافية:**
لماذا لا يتفقون مثلاً على أوليات بسيطة مثل بدء الصوم، والعيد.. وهل الأخذ بمبدأ الحساب الفلكي وهو الأدق من الرؤية، خروج على الإسلام؟
لماذا يحرص فريقا الإسلام: السنة والشيعة على الاختلاف في هذه المواعيد، وفي موضوعات أخرى صغيرة، أكثر من حرصهما على الوحدة؟
ثم هل مصدر التشريع مختلف، أم أنه واحد: القرآن، والسنة، والاجتهاد في ما يجدُّ من أحوال؟

إن المشكلة كما أشرنا هي في الفهم الحرفي للنص في عملية الاجتهاد، فقد قرأوا قول النبي(ص): «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته»، واعتبروا أن للرؤية موضوعية وذاتية في مسألة شهرية الشهر في بدايته ونهايته. وغفلوا عما سبق هذا النص: «اليقين لا يدخله الشك»، ما يعني أنه مؤشر إلى أن قضية الرؤية إنما هي وسيلة من وسائل اليقين بتوفر الشروط الطبيعية لبداية الشهر مما يجعلنا نقتنع قطعياً ببدايته أو بنهايته.

وقد درج الفقهاء المسلمون على هذا الفهم، حتى أن بعضهم خلط بين التنجيم وبين الفلك، فاعتبروا أن قول الفلكي مشارك لقول المنجم، وحيث إن لا اعتبار لقول المنجم فلا اعتبار لقول الفلكي، مع ملاحظة أن الفلك قد يكون في الأزمنة السابقة عملية اجتهادية، تأملية، فيما هي الحسابات التي قد تخطئ أو تصيب، بينما نجد أنه قد تحول اليوم إلى علم حسي، بل قد يكون في حساباته أقرب من الحس، بحيث إن مسألة ولادة الهلال هي من المسائل التي لا تخطئ ولو بنسبة الواحد إلى المليون. إنها قضية اجتهاد يتجمد حول الكلمة، ونحن في اجتهادنا في هذه المسألة لاحظنا أن كل العرف العام الذي هو المرجع في فهم الكلمات، يعتبر أن الرؤية لا تمثل الموضوعية، بل وسيلة من وسائل المعرفة. عندما نقرأ قول النبي(ص): «من رأى منكم منكراً فليغيره»، فلو فرضنا أننا لم نر المنكر ولكننا علمنا به من خلال أكثر من وسيلة للعلوم، فهل نقول إنه لا يجب ينبغي لنا تغيير هذا المنكر لأننا لم نر بالعين المجردة؟. وفي قوله تعالى: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود﴾ فإذا لم نر الخيط الأبيض فهل يعني ذلك أنه علينا البقاء على ما نحن عليه؟! الرؤية مجرد وسيلة للعلم.

للشهر نظام، كموضوع الليل والنهار له نظام في داخل النظام الكوني، حيث إن بداية الشهر تنطلق من ولادة الهلال وخروجه من المحاق، كما أن نهايته تتحرك في دخوله المحاق، فإذا خرج الهلال من المحاق وبدأ يختزن كمية من الضوء، وهذا يعبر عنه بإمكانية الرؤية من خلال عناصره الذاتية، ثبت الشهر بحسب النظام الكوني الذي وضعه الله لكل الظواهر الكونية.

مسألة الهلال تتصل بقوانين الكون ولا علاقة للإنسان في رؤيته وعدم رؤيته. ولهذا فإننا نعتقد أن هذا الرأي الذي ارتأيناه وأفتينا به لو انطلق علماء المسلمين معه فإننا سوف نخرج من هذه المتاهات التي تمثل فضيحة في العالم الإسلامي.

إن مصدر التشريع واحد، ولكن هناك اجتهادات في توثيق الشهر لدى الشيعة، لا بد أن يكون هناك شاهدان عدلان على الأقل، وربما يتشدد البعض ويقول لا بد من شهود كثير في حالات الصحو. ويتشدد الفقهاء الشيعة في مسألة العدالة، فيرون أنها تمثل الاستقامة على الخط الشرعي الإسلامي في السلوك العام والخاص. بحيث تكاد تقترب من العصمة، بينما لا يتشدد المسلمون الآخرون في هذا المجال، ما يجعل المسألة اجتهادية.

وفي ضوء هذا، هناك اختلاف في مسألة تعدد الآفاق ووحدة الآفاق. وهذا خلاف حتى في داخل المذهب الشيعي. هناك رأي للإمام الخوئي، ونحن نراه، بأنه إذا ثبتت رؤية الهلال أو إمكانية الرؤية في أي بلد في العالم نلتقي معه بجزء من الليل فإنه يثبت في كل العالم الإسلامي في تلك الليلة، بينما يرى بعض الناس أنه إذا كانت الآفاق مختلفة، فإذا كان الهلال لا يرى في أفق فلا يثبت في أفق آخر مع بعض التحفظات، وهذه مسألة مختلف عليها بين السنة والشيعة. ثم قضية الثقة: فربما إذا ثبت الهلال بحكم قاضٍ «كما لدى السنة» حسب بعض المؤتمرات الإسلامية: إنه إذا ثبت في بلد مسلم فإنه يثبت في بقية الدول الإسلامية، فقد لا يثق فقهاء من الشيعة بحكم القاضي السني، لا من جهة سنيته، ولكن من جهة عدم وثاقة المنطلقات التي انطلق منها في حكمه، ولذلك فالمسألة تخضع لاختلافات اجتهادية، ولعل المشكلة هي أنه حتى الآن لم يحدث أن حصل مؤتمر إسلامي يجمع الكبار من فقهاء الشيعة وفقهاء السنة ليتداولوا الأمور على أساس قوله تعالى: ﴿فإن تنازعتم في شيء فرّدوه إلى الله والرسول﴾.

لا بد من المنهج الحواري

- **نخرج من الشكل إلى ما هو أعمق: تمتلئ حياة المسلمين وساحاتهم بدعوات ودعاة يكفّر واحدها الآخر، ويزعم كل منها ومنهم أنهم وحدهم الإسلام الحق. أيٌّ من هذه الدعوات أو الدعاة على حق وأيها على باطل؟ وكيف يستطيع المسلم العادي صادق الإيمان أن يميز بينها وأن يفصل حقها عن باطلها؟**

إن هذا الاتجاه يستغرق في عصمة الذات في ما تجتهد فيه، لأن كل ما يختلف فيه المسلمون ينطلق من مواقع نظرية لا بديهية. إن هذا الاستغراق في الذات، في النظر إلى الذات من موقع الكلمة مخالف للخط الإسلامي الأصيل، باعتبار أن الاجتهاد مهما تعمق يبقى مرتكزاً على القواعد الظنية لا القطعية. فنحن نقرأ في كتب الأصول أن السنة ظنية السند ما عدا المتواتر منها، وأن القرآن قطعي السند ظني الدلالة، فإذا كانت الدلالة في كلا المصدرين ظنية وكان السند في أحدهما وهو السنة ظنياً، فكيف يمكن أن يؤدي الظن إلى القطع. ربما يقول الأصوليون إن هذا الظن قام الدليل على حجيته، ولكن تبقى الحجية معتبرة ولكنها ظنية.

إذاً عندما تكون المسألة ظنية فإن الظن يعني أنه يجتمع مع احتمال الخلاف، فكيف يمكن للإنسان أن يدّعي لنفسه أنه يملك الحق؟ إن أقصى ما يمكن لصاحب الرأي أن

يقف عنده هو أن يقول إن هذا هو الحق من وجهة نظري. ويمكن لشخص آخر أن يرى الحق من وجهة نظر مختلفة. ولا بد من الجدال بالتي هي أحسن لحل المشكلة، أي بالحوار.

إنني أعتقد أن الاستغراق في هذه النظرة للرأي على أنه يمثل الحقيقة المطلقة التي من أنكرها كان كافراً، هو نوع من الغرور العلمي ونوع من الذاتية التي لا ترتكز على شيء من العلم، بل تدخل الغرائزية فيها. إن القرآن هدانا في هذا المجال، وقد جاء في كتاب الله مما علَّم الله رسوله(ص) في حركة الحوار أن يقول: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾، مما يعني أن المنهج الحواري هو أن تنظر إلى نفسك كما لو كنت شاكاً في الفكرة، وإن كنت معتقداً لها، لتجتذب الشك إلى خصمك، ليكون الحوار منطلقاً من التواضع العلمي والفكري الذي ينفتح على الآخر، فلا يكفِّره ولا يضلِّله، بل يجتذبه إلى أن يكون رفيقاً في عملية البحث عن الحقيقة.

لذلك فإن كل الذين يقولون نحن الإسلام وغيرنا الكفر، ونحن الهدى وغيرنا الضلال، هؤلاء لا ينسجمون مع المنهج الإسلامي في مسألة تنوع الاجتهاد.

متى يكون الجهاد جهاداً؟

- **يقودنا هذا إلى سؤال أبعد: متى يكون الجهاد جهاداً حقاً، ومتى لا يكون؟ وأية سلطة دينية أو مدنية تملك الحق في الدعوة إلى الجهاد؟**

كان الجهاد في صورته التي حاول البعض أن يثير حولها الشبهات والتهاويل، ينطلق من حركية الدعاة للدعوة إلى الإسلام في العالم، لا ليجبر الناس على الدخول في الإسلام، ولكن ليطلب من الناس أن يمنحوه الحرية في الدعوة على أساس طرح الإسلام بكل موضوعية وبحركية حوارية. وربما كان يصطدم في حركة دعوة الناس للدخول فيه ببعض التحديات، فيكون دوره دور المدافع عن حريته. ربما ينطلق أيضاً من خلال رد الهجمات، إما بشكل دفاعي أو وقائي. وقد حاول المستشرقون أن يأخذوا من بعض صور الفتوحات، التي شوّهوا صورتها، مستفيدين من بعض الأخطاء هنا وهناك، بالقول إن الإسلام هو حركة عنف عدوانية ضد الآخرين، وأنه ينبغي السيطرة عليهم بشكل عنيف عدواني. ولكن القرآن هو الذي هدانا إلى تحديد مسألة الجهاد، فنحن نقرأ ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إنّ الله لا يحبُّ المعتدين﴾ و﴿أذن

للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾. ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين﴾. ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾ ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾. وفي الجانب الوقائي هناك نصوص قرآنية ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾.

إننا عندما نقرأ هذه النصوص، فإننا نخرج بنتيجة محددة، وهي أن الجهاد في الإسلام هو حركة دفاعية في مواجهة الذين يريدون أن يفرضوا العنف على الناس، وهو حركة من أجل الدفاع عن المظلومين والمستضعفين.

وليس هناك أي جهاد عدواني ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾، أي حركة عنف لا تتحرك في هذه الدائرة هي عملية إرهاب تفتقد الشرعية الإسلامية. ومن خلال ذلك، فإننا نفرق بين الإرهاب وبين المقاومة. الإرهاب يمثل الاعتداء على الشخص أو على الجماعة لاعتبارات سياسية مجردة لا علاقة لها بحالة الحرب أو لاعتبارات ذاتية أو مالية أو ما شابه ذلك، مما يدخل في التعقيدات النفسية التي يعتدي بها الناس على بعضهم البعض. أما المقاومة فهي عملية مشروعة، لأن الاحتلال هو أعلى أنواع العدوان وأعلى أنواع الإرهاب. فلذلك إن المقاومين يعملون على مواجهة الإرهاب بالعنف لأن لا مجال لمواجهته بالحوار. كما قال الله سبحانه: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾، لأن الظالم يريد أن يفرض ظلمه عليك، والاحتلال هو أعلى أنواع الظلم.

وهذه التفرقة بين المقاومة والإرهاب تمثل خطاً حضارياً تلتقي عنده كل الحضارات. ولو أننا خلطنا بين المقاومة والإرهاب، فاعتبرنا المقاومة إرهاباً، لكانت مقاومة الفرنسيين للنازي في احتلاله، ومعه كل أوروبا وأميركا إرهاباً.

ولكن المشكلة أن الخطوط السياسية والمصالح الاستكبارية تحاول أن تلعب لعبة التطبيق الخاطئ، كما لاحظنا حتى في تصريح وزير الخارجية الأميركية عن الإرهاب، في اعتبار كفاح الفلسطينيين وجهادهم ضد الاحتلال الإسرائيلي إرهاباً، بينما يعتبر كل ما قامت به إسرائيل دفاعاً عن النفس. إن هذه عملية خلط للمفاهيم وللأوراق في عملية التطبيق الذي لا يخضع لخطوط حضارية وسياسية على مستوى عادل، بل لاعتبارات سياسية

خاصة من خلال المصالح الاستكبارية. أما من الذي يدعو إلى الجهاد، فهو ولي الأمر، بقطع النظر عمَّن هو وليُّ الأمر، لأن مسألة شرعية وولي الأمر لا بد من تحديدها في اتجاه آخر.

ليس من حق أي شخص لا يملك السلطة على الواقع الإسلامي أن يدعو إلى الجهاد، ولا ينبغي للمسلمين أن يلتزموا دعوته في هذا المجال، وليس لأحد من المسلمين خارج نطاق خط المسؤولية العامة أن يفرض على المسلمين معركة لم يستعدّوا لها.

لا يجوز الاعتداء على الأبرياء

■ **إذا سلَّمنا بمبدأ رفض قتل المدنيين الأبرياء في أي مكان، فهل نصرة الفاعل، إذا ثبت فعله، هي من الإسلام وحقّ على المسلمين، أم هي خروج على الإسلام؟ وما الفرق بين قتل مسلم بريء أو غير مسلم بريء؟ بمعنى آخر، هل ينصر المسلم المسلم في حقه وباطله؟**

لا يجوز لنا أن نعين أي إنسان على الاعتداء على أي إنسان بريء، سواء كان مسلماً أو غير مسلم. وقد قيل للنبي(ص) ما معنى الكلمة المأثورة: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، فقد عرفنا كيف ننصره مظلوماً، فكيف ننصره ظالماً؟ فقال بأن تمنعه عن الظلم»، وقد ورد في حديث الإمام علي بن الحسين زين العابدين(ع): «إن العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين».

وقد ورد في الحديث: «ليس من العصبية أن يحب الرجل قومه. ولكن أن لا يعين قومه على الظلم»، فالراضي بالظلم والمعين له شركاء في الظلم، حتى أنه ورد عندنا في الحديث المأثور: «من عذر ظالماً بظلمه سلط الله عليه من يظلمه، فإن دعا لا يستجاب له». وقال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾. ومن الطبيعي أن من يعذر الظالم المعتدي على المدنيين والأبرياء، ومن يساعده وينصره هو ممن يدخلون النار. ولا فرق بين قتل مسلم بريء وغير مسلم بريء. وهذا نص قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾.

واجب الالتزام بالنظام العام

■ **إذا وجد المسلم في بلد غير مسلم، وتدين أكثريته بغير الإسلام، فهل يخرج على**

قوانين ذلك البلد أم يتبعها، وهل من حقه رفض النظام العام في ذلك البلد؟ في الاتجاه المقابل: إذا وجد مسيحي أو يهودي في بلد مسلم تدين أكثريته بالإسلام، فهل نقرُّ خروجه على قوانين المجتمع أو نفرض عليه اتباعها، دون أن يعني ذلك حريته الدينية وممارسته الشخصية لها بالطبع؟

إن هناك نقطة دقيقة في هذا المجال وهي أن المسلم عندما يدخل أي بلد بواسطة إجازة صادرة من سلطات ذلك البلد، فإنه يدخل من وجهة نظر إسلامية فقهية في عقد بينه وبين هذا البلد، في أن يلتزم بأمن هذا البلد وبكل ما يتصل بسلامته في دماء المواطنين وفي أموالهم وأعراضهم.

لذلك، فهناك التزام بالنظام العام، أما بالنسبة إلى القوانين التي تختلف اختلافاً مباشراً مع التزامه الإسلامي، فعليه أن يدير المسألة بالطريقة التي تحفظ التزامه بالنظام العام للبلد وبالتزاماته الإسلامية، بطريقة يمكن أن يحفظ الخط الفاصل، أن يكون دقيقاً في الخط الفاصل.

إن النظام الإسلامي يعطي اليهود والنصارى وكل المقيمين فيه حريتهم في ديانتهم وأمورهم الخاصة، ولكن يريد منهم أن يلتزموا بالنظام العام كما على المسلم في كل بلد آخر.

الحرب في أفغانستان حرب مصالح:

- **هل الحرب في أفغانستان:**

أ ـ حرب ضد الإسلام؟

ب ـ حرب ضد فريق من المسلمين؟

ج ـ حرب ضد الإرهاب؟

د ـ حرب أميركية؟

هـ ـ حرب غربية بالمعنى الشامل للغرب؟

و ـ أم هي حرب مصالح في نهاية الأمر؟

الحرب في أفغانستان هي حرب مصالح. إننا لو أردنا أن ندرس الحجة الأميركية في هذه الحرب، فإنها تتحدث عن الدفاع عن النفس باعتبار أن «القاعدة» ورئيسها قد اعتدوا على النظام الأميركي، وأن نظام طالبان قد آوى هؤلاء.

علينا بعقل بارد أن نطرح سؤالاً: هل أن أي نظام يؤوي مجرمين أو متهمين من نظام آخر، يبرر للنظام الآخر أن يهجم على هذا البلد الذي لا يقتنع بأن هؤلاء المجرمين مجرمون في حق ذلك البلد؟ هل أن القوانين الدولية تبرر إعلان الحرب على هذا البلد؟

نحن نعرف أن هناك الكثير ممن تتهمهم بلادهم بالإرهاب ويقيمون في أكثر من بلد غربي وفي أميركا وبريطانيا بالذات، وتطلب تسليمهم ولا يسلّمون، لأنهم غير مقتنعين بحجة بلادهم باتهامهم بالإرهاب، أو لاعتبارات أخرى، مثل أحكام الإعدام، أي يرفضون تسليمهم لأن بلدهم يمكن أن يعدمهم.. وما إلى ذلك. إن الحجة التي حاولت أميركا أن تقنع بها دول حلف الأطلسي المتحالفة معها في حربها على أفغانستان هي بالمادة الخامسة: عندما تتعرض دولة لعدوان خارجي.. وإننا نلاحظ أن المقصود من العدوان الخارجي هو عدوان دولة على دولة وليس عدوان منظمة إرهابية أو فرد، ولذلك فقد لعبوا حتى على مفهوم المادة الخامسة. وإذا كانت أميركا تحاول أن تفرض هذه الحرب التي اجتاحت الكثير من المدنيين الأبرياء في أفغانستان، فقد لاحظنا بعد تطور الأحداث أن نظام طالبان لا يمثل الشعب الأفغاني الذي دمرت بنيته التحتية. إننا نعرف أن هذه الحرب حرب ظالمة، وخصوصاً أنهم لم يستطيعوا أن يمسكوا «بن لادن» أو أن يدمروا «القاعدة»، وإن قتلوا قسماً من هذه القاعدة، لذلك فإنني أعتقد أنها حرب المصالح، باعتبار أن أميركا أرادت من حربها في أفغانستان أن تنفس الاحتقان النفسي الذي عاشه الشعب الأميركي من خلال الاهتزاز الأمني أو الزلزال الذي عاشته، ومن ثم محاولة السيطرة على مواقع الاقتصاد في آسيا وتدعيم موقعها في علاقاتها مع الصين وروسيا.

إنها حرب مصالح وإن كانت تمثل في تركيزها على المسلمين الجائعين المشردين حرباً على الإسلام بشكل غير مباشر.

نتحفّظ على فكر بن لادن ووسائله

- **ماذا يمثل أسامة بن لادن:**

أ ـ الإسلام؟

ب ـ فريقاً من المسلمين؟

ج ـ موقفاً فردياً ورؤية فردية للإسلام؟

د ـ وأين يقع موقفه الرافض من صراع الإرادات والشعوب والقوى؟

بن لادن هو شخص لا نستطيع أن نتحدث عنه كشيطان، ولكن كإنسان آمن بفكرة وحاول أن يحرك هذا الإيمان بوسائل خاطئة، واستطاع أن يستفيد من كل هذا القهر الذي يعيشه العالم الإسلامي ضد أميركا، ولا سيما بما يتصل بقضية فلسطين من جهة وبقضية القواعد العسكرية في بلاد الخليج من جهة أخرى، وما إلى ذلك من المظالم التي يشهدها العالم الإسلامي، وحاول أن يستفيد من هذه المظالم.

إنه ليس زعيماً على العالم الإسلامي، وليس الإسلام، ولكنه شخص عاش في استغراق في الفكرة التي يؤمن بها، مستفيداً من المناخات السياسية المضادة للمستكبرين مع كثير من التحفظات حول فكره وحول فهمه وحول وسائله.

٧

أميركا تزود الأنفاق العالمية بالظلام

يصعب تقديم حوار مع سماحة السيد محمد حسين فضل الله. فانسياب أفكاره وتدفقها لا يتركان مجالاً لمقدمات نمطية، كما لم يتركا مجالاً خلال اللقاء للأسئلة التي كانت معدة. تحول الحوار معه إلى تجوال في فضاء الأفكار الرحب، حيث ذهن السيد المتوقد يفتح الأبواب على مصاريعها.

أميركا تزوّد الأنفاق بالظلام

■ **تفرض الحالة الراهنة نفسها علينا، وتستولد الأسئلة حول ما جرى منذ ١١ أيلول لغاية اليوم، حول قضية الإسلام السياسي، وبن لادن، والمدرسة الأفغانية وما أنتجته، وموقف علماء الدين، ما رأي سماحتك بكل ذلك؟**

في البداية، ربما يشكو الإنسان الذي يتابع خلفية الواقع السياسي في المنطقة وفي العالم من المظالم، ويكتشف الكراهية لأميركا نتيجة سياستها، بالمستوى الذي وصلت به الأمور إلى الدرجة التي يشعر فيها الناس بالإحباط، بحيث لا فائدة من عمل، حتى أن الحركات الشعبية والمقاومة المسلحة أو السياسية تتحرك، ولكنها تبقى في مكانها دون أن تملك أية وسائل للوصول إلى نتائج حاسمة.

حاوره: عباس بيضون، زياد ماجد /جريدة «**السفير**»، ٢٠٠١/١٢/٢٩م.

بالإضافة إلى أن المنطقة العربية وكل منطقة العالم الثالث ومنها المنطقة الإسلامية، تعيش حالة من المصادرة للشعب كله، حتى أن الظاهرة العامة في كل هذا الواقع، هي عناوين أجهزة المخابرات وقوانين الطوارئ، بل يخيّل للإنسان أنه يشعر بالرعب عندما يكتشف نفسه وهو يفكر بحرية، لأنه قد يتصور أن هناك أجهزة لاكتشاف الفكر، كأجهزة اكتشاف الكذب. هناك شعب يصادر بشخص أو بجهة معينة في عملية إرغام؛ وهناك التدمير اللاحق بالفلسطينيين كل يوم. وتبرز في آخر النفق أميركا التي تزود الأنفاق كلها بالظلام الذي تعيشه.

عنف لإرضاء الحالة النفسيّة

ما جرى إذاً لم يكن مسألة فوق العادة، بل هو ينطلق من مفردات طبيعية في قلب الواقع الإنساني أمام كل هذا الضغط الاستكباري. وفي هذا السياق تحركت بعض الاتجاهات الإسلامية التي قرأت الإسلام، في آيات الجهاد، وفي الحديث عن الكفار والموقف من الكفار، وربما قرأت بعض التاريخ الذي يتميز بالعنف، فوصلت إلى النتيجة التي تحاول أن تختصر الطريق إلى الهدف بعمل عنفي قد يرضي الحالة النفسية في داخلها، بقطع النظر عما إذا كان يؤدي الى نتائج في مستوى الهدف أو لا يؤدي. وهذه هي مشكلة هذا الاتجاه في فهم التحرك نحو الأهداف الإسلامية، لأن المشكلة في بعض هذا الفهم للإسلام أنهم يخلطون بين عنف الفكرة في مواجهة فكرة أخرى، وبين عنف الوسيلة. فمن الطبيعي جداً عندما تناقش فكرةٌ فكرةً أخرى، أو عندما ترفض فكرة فكرة أخرى، أن يكون هناك عنف في الفكر، لأن الفكر لا بد من أن يعنف بتقديم كل المفردات التي تسقط الفكر الآخر عندما تكون المسألة صراعَ فكر وفكر. ولكن الإسلام، إذا كان يؤكد على عنف الفكرة، فإنه كان يعمل على أساس إنسانية الوسيلة، وهذا ما نلاحظه في القرآن الكريم عندما نقرأ مثلاً: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ أو: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم﴾ ولكننا نقرأ إلى جانب ذلك: ﴿ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾، ونقرأ: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم﴾، ونقرأ أيضاً: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنّا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾... ﴿ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾، ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾... إذاً، إن عنف الفكرة لا يعني عنف

الأسلوب، ولكن الذهنية غير المثقفة وغير الواعية وغير المنفتحة تخلط بين عنف الفكرة وعنف الأسلوب.

الشرق يبحث عن بطل

هذا من جهة، ومن جهة ثانية، فإن الواقع في الشرق أو في العالم الثالث، أمام الأزمات الخانقة وأمام كثير من حالات الإحباط والسقوط، كان يفتش عن بطل، عن منقذ، عن ثائر. ولذلك كان من السهل جداً أن تتحرك بعض الطموحات لتقدم نفسها في موقع البطل، سواء من خلال الموقف المتحدي الذي ينفتح بالعنفوان، أو من خلال حركة تفتح هنا أو هناك، ما يوحي بأن هناك قوة قادمة يمكن أن تحل المشكلة أو تخفف بعض أوضاعها. وهذا ما لاحظناه منذ الخمسينيات وحتى الآن، أن الأمة أدمنت شخصيات لا نستطيع أن نشك في جدارتها، ولكنها لم تكن بالمستوى الذي تصادر فيه العنف أو تختصر الأمة في شخصها، ولكن الأمة قبلت أن تُختصر بهذا الشخص، ولذلك فإن من أدبياتنا أن نقول إذا ماتت شخصية إسلامية إن الإسلام مات، وإذا ماتت شخصية عربية إن العرب ماتوا وسقطوا، وما أشبه ذلك.

لذلك، كانت ظاهرة بن لادن، بكل عناصر شخصيته، توحي بالكثير من الإعجاب من دون أية مناقشة للتفاصيل، لأن التفاصيل لم تكن واضحة، على الأقل على مستوى الأسلوب والثقافة وطبيعة التنظيم وما إلى ذلك. كان هناك شيء يتمظهر في أعمال عنف ترتفع بالعنفوان فيما يخيل إسقاط عنفوان القوة الكبرى. وحوّلت الحماسة التمنيات إلى وقائع، وهكذا استطاع هذا الرجل أن يحصل على امتداد في العالم الإسلامي. وربما أمكنه أن ينفذ إلى مجموعات كبيرة من المتعلمين، لأن المسألة كانت عندهم تماماً كتلك الموجودة في المجتمع العشائري، أي الثأر، بقطع النظر عن المضمون.

عنفوان بعيد عن الواقع

وقد كانت التراكمات التي عاشها هؤلاء الذين شعروا بأن انتصارهم على الاتحاد السوفياتي في أفغانستان يمكن أن يحقق لهم انتصاراً على أميركا من دون دراسة للظروف الموضوعية التي تحقق فيها الانتصار في أفغانستان عندما كانت هناك حرب عالمية ضد الاتحاد السوفياتي، مع أن الواقع الحالي لأفغانستان يختلف اختلافاً كبيراً. هذه التراكمات استطاعت أن تخلق حالة من العنفوان الذي ابتعد عن الواقع، وخطة تنظيمية

دقيقة جداً في كل مفرداتها، وحدثت التفجيرات. وربما كانت اللحظة الأولى في العالم الإسلامي وغير العالم الإسلامي، في كل العالم المستضعف، هي لحظة فرح، لأن العنفوان الأميركي سقط، لا سيما عندما رافق هذا الجو الذي لا يراه الناس إلا في المسرحيات والأفلام، أن رئيس الولايات المتحدة الأميركية لا يملك أن ينزل بطائرته في واشنطن، وأن نائب الرئيس قد اختفى وكذلك أغلب الإدارة الأميركية، حتى أن أميركا مرت في لحظات أو ساعات من انعدام الوزن.

أفغانستان كبش فداء

كان هناك فرح ينطلق من معنى الثأر والشماتة وما إلى ذلك، وبدأت الأمور تأخذ حركتها الواقعية الطبيعية، لأن الفرق بين العالم الثالث والدول الكبرى وفي مقدمتها أميركا، أننا في العالم الثالث، إذا واجهنا المشكلة نسقط أمامها، ولكن الدول الكبرى أو المتقدمة بغض النظر عن مضمون التقدم، إذا واجهت المشكلات تدرسها وتدرس كيف يمكن أن تحصل على أكبر مكسب من خلالها، وهذا ما حدث. فقد بادرت أميركا الى اتهام الإسلاميين، وكان بن لادن جاهزاً في وسائل الإعلام الأميركية، وربما جاءت المعطيات الأمنية وغير الأمنية لتؤكد هذا المعنى، حقاً كان أو باطلاً، لأننا لسنا في حسابات القوانين. ولم يكن هناك إلا أفغانستان، لأن بن لادن فيها وتنظيم القاعدة فيها، ولأن طالبان تمردت على سادتها الأول الذين صنعوها بإدارة باكستانية وتعاملوا مع نظام طالبان تماماً كما تعاملوا مع نظام صدام: مفاوضات ومفاوضات لتسليم بن لادن أو قاعدته وهم يعرفون، بطبيعة الظروف الموجودة هناك وبطبيعة الأساليب التي يحركونها نفسياً، أنهم سيرفضون. ولذلك فإن كبش الفداء أصبح جاهزاً للذبح، فأقنعوا دول حلف شمالي الأطلسي بالمشاركة في الحرب بحجة أنها دفاعية.

وكان يخيل للناس أن طالبان سوف تصمد، وأن أميركا سوف تغرق في وحول أفغانستان كما غرق الاتحاد السوفياتي، ولكننا كنا نعرف أن أميركا لو دخلت أفغانستان وحدها ولم يكن هناك فصيل أفغاني يقاتل فصيلاً أفغانياً مع المساعدة الأميركية الجوية وغير الجوية، لأمكن أن تغرق في الوحول، لكن الأفغان المعارضين لطالبان كانوا جاهزين. ثم انسحبت باكستان من طالبان وبقيت طالبان وحدها في مواجهة حرب عالمية فسقطت. ولا تزال الحرب العالمية موجهة ضد هذا المنطق الأسطوري الذي استطاعت أميركا، بإعلامها، أن تضخم شخصيته ليكون الانتصار عليه بحجمها.

إن خلاصة الفكرة، هي أن هذا العمل إذا كان هؤلاء الإسلاميون قد قاموا به، فإنهم استطاعوا أن يخدموا أميركا خدمة لو بذلت المليارات من الدولارات لما استطاعت أن تحصل عليها، في الوقت الذي أرادوا فيه أن يسقطوا أميركا.

القتال في الإسلام لدرء الفتنة

- **الجواب يفتح الطريق أمام أسئلة كثيرة. بغضّ النظر عن التحليل السياسي العميق جداً الذي سمعناه لحركة بن لادن ولسقوطه، ولكن بن لادن يحتج على نحو ما بالإسلام، بالقرآن الكريم، ويحتج بفقه ما، هو فقه العزلة الذي سمّيته سماحتك «فقه التخلف».**

إذا رجعنا إلى فقه العنف في الإسلام، فإننا نلاحظ أولاً أن العنوان الكبير الذي يوضع في واجهة هذا الفقه، هو عنوان الجهاد والقتال. وإذا أردنا أن ننفذ الى داخل هذا العنوان فإننا نجد أن هناك آية تقول: ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾ ما يعني أن المسألة مسألة دفاع عن النفس، أو عن المجتمع المستهدف، ﴿وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين﴾ هذا القتال من أجل الفئات المحرومة أو المضطهدة. ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة﴾ أي فتنة عن الدين، قتال في سبيل الحرية إذا لم نستخدم المصطلحات الحديثة، حتى لا يتحرك هؤلاء ليفتنوهم عن دينهم بالضغط والإكراه وبالقتل ﴿ويكون الدين لله﴾ حتى يأخذ الإسلام حريته. إذاً ليس هناك في النص القرآني قتال بمعنى الهجوم. وهناك أيضاً آية تقول: ﴿وإما تخافنّ من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء﴾، وهذا قتال وقائي. عندما تجد أن هناك معطيات بأن قوماً سوف يهجمون عليك. ثم نقرأ: ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ ونقرأ أيضاً: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾. حتى عندما تريد أن ترد العدوان فعليك أن ترده بمثله: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به﴾ ثم يقول: ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾، ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾، وهذا ما نلاحظه في صورة مشرقة في وصية الإمام علي عليه السلام بعد أن ضربه ابن ملجم، إذ قال: «انظروا، إذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربوه ضربة بضربة ولا تمثلوا بالرجل، فإني سمعت رسول الله يقول: إياكم والمُثلة ولو بالكلب العقور».

الإسلام احتضن الآخر

من خلال ذلك نفهم أنه ليس هناك في مفهوم الجهاد قتال عدواني. عندما ندرس المسألة

في نظرة الإسلام الى الآخر، كان الآخر في ذلك الوقت اليهود والنصارى، ونحن نقرأ: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾. الكلمة السواء، هي وحدة الله، وإن اختلفنا في طبيعة هذه الوحدة، ووحدة الإنسانية، أي أن لا يكون إنسان رباً لإنسان. تعالوا الى مواقع اللقاء. والتاريخ يدل على أن الإسلام احتضن الآخر ولم يتدخل في فكره. ربما كانت هناك مشاكل بين المسلمين والنصارى واليهود، تماماً كالمشاكل بين المسلمين فيما بينهم والنصارى فيما بينهم، وكذلك اليهود. والدليل أن اليهود والنصارى لا يزالون في البلاد الإسلامية في كل التاريخ، ويعيشون كما يعيش المسلمون. ربما كان هناك تحفظ في أن يدخلوا في جسم القيادة لأنهم لا يؤمنون بفكرة القيادة. ثم نقرأ: ﴿لتجدنّ أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا﴾، هنا يتحدث القرآن عن سلوكيتهم ولا يتحدث عن يهوديتهم؛ ولذلك يقول: ﴿ولتجدنّ أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾. إنه يحدد الموقف من ناحية السلوكية. ثم يركز على مسألة التعايش: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تَبَرّوهم وتُقْسِطوا إليهم﴾ أي تعملوا معهم بالعدل، ﴿إن الله يحب المقسطين * إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تَولّوهم ومن يتولّهم منكم فأولئك هم الظالمون﴾. إذاً حدد القرآن المسألة حتى في قضية التعامل مع الآخر من موقع العدوان لا من موقع اختلاف الفكر، فاعتبر النصارى هم الأقرب الى المؤمنين مع اختلافهم في الفكر، وحتى أننا نلاحظ في الآية التي قرأناها: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾ عندما يظلمون فإن عليك أن تتعامل معهم تعامل المظلوم مع الظالم؛ أما الذين يبحثون عن الحوار فحاورهم بالتي هي أحسن ﴿وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾. هذا هو المنطق التعايشي والتصالحي الذي يقول لك إن هناك أرضاً مشتركة بيننا تعالوا لننطلق من خلالها.

الفقه الإسلامي فقه إنساني

إذاً، الخطاب الإسلامي ليس خطاباً عدوانياً، بل هو خطاب تصالحي إنساني منفتح على الآخر. يحاول أولئك أن يحتجوا به لمثل هذا العمل. إنهم يقولون إن الشعب الأميركي هو كالإدارة الأميركية يتحمل المسؤولية لأنه يدفع الضرائب لهذه الإدارة. هذا كلام

سخيف؛ لأن من الطبيعي لكل شعب أن يدفع الضرائب حفاظاً على مصالحه أو خوفاً من النتائج السلبية التي قد تحدث، ونحن نعرف أن كثيراً من الشعب الأميركي لا يرتاح للإدارة الأميركية، ولذلك فإن الكثيرين لم ينتخبوا هذه الإدارة ورئيسها. لكن هناك نقطة نجدها في الآية التي تقول: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾؛ المسؤولية في الإسلام فردية. لا يجوز لك أن تحمّل إنساناً جريمة إنسان آخر مهما كانت قرابته. وفي ضوء هذا، لا يجوز لنا أن نحمّل الشعب الأميركي مسؤولية إدارته، كما لا يجوز لنا أن نحمّل المسؤولية للناس الموجودين في الطائرات أو في أميركا نفسها، القادمين إليها إما لعمل تجاري أو سياحي أو غيره... ولذلك نحن أنكرنا هذه المسألة، وقلنا إنه لا يقبل بها شرع ولا عقل ولا دين، وإننا نعارض السياسة الأميركية، ولكننا لا نعارضها بهذه الطريقة، لأن الشعب الأميركي لا علاقة له بجرائم إدارته. ولذلك نقول إن الخطأ هو في التطبيق. ربما تكون المسألة بالعناوين الكبرى توحي بوجوب محاربة أميركا، لكن ما هي الوسيلة لمحاربتها. إن الفقه الاسلامي هو فقه إنساني؛ فمثلاً ﴿ادعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾، ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾، ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾؛ ثم نقرأ آية في قمة الإنسانية في الأسلوب: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه وليٌّ حميم* وما يُلقّاها إلا الذين صبروا وما يُلقّاها إلا ذو حظ عظيم﴾. القرآن يقول لك: اتبع الوسيلة والأسلوب الذي تحول به أعداءك إلى أصدقاء. هذا هو الإسلام في رحابته الإنسانية. الإمام علي(ع) يقول: «إن الناس صنفان، إما أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق»، النبي(ص) يقول: «إن الرفق ما وضع على شيء إلا زانه ولا رفع عن شيء إلا شانه»، وإن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف.

إذاً، الفهم الذي يعتبر أن العنف هو وسيلة التغيير الوحيدة، بقطع النظر أيضاً عن حركية هذه الوسيلة، ليس فقهاً إسلامياً كما هو الإسلام في رحابته الإنسانية، ولذلك أنا قلت عندما كانوا يتحدثون عن الأصولية الإسلامية وأن الإسلام أصولي، وما شابه، قلت لهم لا تنقلوا المفهوم الغربي للواقع الإسلامي. إن الإسلام ليس أصولياً بالمفهوم الغربي، لأن الأصولية تقوم على عنصرين، العنصر الأول إلغاء الآخر، والثاني اعتبار العنف وسيلة وحيدة للعمل. ونحن عندما نقرأ خطاب الإسلام لأهل الكتاب، نرى أنه لم يلغ أهل الكتاب، وعندما نقرأ ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾، ﴿وجادلهم بالتي هي أحسن﴾، و﴿قل

لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾ لا نجد عنفاً. العنف في الاسلام كمثل العملية الجراحية التي تلجأ إليها عندما يهدد المرض حياتك. العنف لمن يفرض عليك العنف.

الاحتلال الصهيوني أدخل العنف إلى المنطقة

■ **تعرضت مجتمعات كثيرة في العالم الثالث لظلم أميركي وفي بالي مجتمعات أميركا اللاتينية، وجرى هناك التعبير عن عنف وعن حركية كبيرة، لكن على نحو مختلف. ألا تعتقدون أن الظاهرة العنفية مرتبطة بالعالم الإسلامي دون سواه؟**

أولئك ليس لديهم هذا التراث الإسلامي، لذلك عندما تلحظ حركية الشعوب ادرس مفردات التراث الذي يعيش في وجدانها، ثم ادرس طريقة فهم هذا التراث، ما يجعل الحركة في خط هذا الفهم الذي قد يكون خاطئاً ويستقي حيويته وكل توتره وحرارته من خلال ارتباطه بالقاعدة، بالأصل، بالإسلام. أنا أريد أن أجاهد في سبيل الله، وهذا جهاد. كيف نفسر العنف الماركسي، وكيف نفسر العنف القومي؟ هناك فكرة تجعل العنف قضيتك لإلغاء الإقطاعية وللقضاء على الرأسمالية، يجب أن نقتل وندمر إلخ... من الأمور التي كنت أتابعها منذ الخمسينيات أن أغلب الحركات القومية والوطنية والإسلامية لم يكن لديها أي منهج في الأسلوب. كل هذه الحركات أخذت أسلوبها الحركي من الماركسية ووجدت أرضيتها في الاحتلال الإسرائيلي لفلسطين الذي أدخل العنف إلى المنطقة من خلال هذا الاحتلال ومن خلال الخطط السياسية، في إرباك العالم العربي من انقلاب إلى انقلاب إلى آخر، في مسألة الحرب الباردة بين الشرق والغرب، التي دخلت فيها تفاصيل العنصر القومي من هنا والوطني من هناك إلخ. لذلك كيف نفسر كل هذا العنف الذي لم يكن للإسلام فريقاً فيه. فالإسلام لم يكن فريقاً في الحرب اللبنانية، ولا في حرب اليمن، ولا في أي حرب أخرى، لأن الإسلام السياسي دخل كقوة بعد ضعف التيارات اليسارية، باعتبار أن الناس لجأوا إليه من خلال ظروف موضوعية محيطة.

الإسلام بين التقليدي والعصري

■ **انطلاقاً من كلام سماحتك، الإسلام الراهن والمعاصر، والذي تكوّن بعد الحقبة الاستعمارية، تكوّن أيضاً في ظروف العنف الغربي، سواء العنف الاستعماري أو العنف الثوري، ألا ترى أن الحركات الإسلامية المعاصرة هي أيضاً من حيث تدري أو لا تدري وريثة هذا العنف الغربي، الثوري والاستعماري؟**

هناك نقطة يجب أن نعرفها، وهي أن أي حركة، سواء كانت إسلامية أو قومية، أو علمانية على العموم، تعيش بحسب وسائلها وروحيتها تبعاً لذهنية القائمين عليها، والعالم الإسلامي هو عالم متحرك، مختلف؛ فهناك إسلاميون يملكون ثقافة طليعية تقترب من العصر، وهناك إسلاميون لا يملكون هذه الثقافة بل يعيشون في الماضي. هناك إسلاميون ولدوا في دورة العنف واستطاع هذا العنف أن يخترق كل كيانهم وجاؤوا بالإسلام من غير تصور لثقافته ومفرداته ليكون عنواناً يثير الناس. ولهذا لا تستطيع أن تحكم على الإسلام الحركي من خلال كل النماذج. لا إشكال في أن هناك نماذج في الإسلام تملك رؤية معاصرة ـ لا أحب استخدام عبارة الاعتدال والتطرف لاستهلاكهما ـ ومتوازنة. ولكن المشكلة أن الأنظمة ومن ورائها الخطط الغربية والاستكبارية أصبحت تعاني من الإسلام المعتدل الحركي أكثر من الإسلام المتطرف بنفس الطريقة الإسرائيلية.

حركات اليسار الإسلامي

■ **من تسمون مثلاً من هذا التيار المعتدل؟**

مثلاً، الأخوان المسلمون الذين أصبحوا يعتبرون من الخطوط المعتدلة المعقولة (...) عاشوا مرحلة من العنف أيام عبد الناصر إذا صح ذلك، وولدت منهم فئات أخرى انطلقت من رحم الأخوان لكنها سارت بعيداً عنهم؛ تماماً مثل اليسار. أليس هناك جهات انطلقت من اليسار، أخذت من الماركسية بعض الأمور لكنها انطلقت بعيداً عنها. وكذلك مثل القوميين؛ ألم نكن نقول في الأربعينيات: العرب فوق الجميع، على طريقة هتلر. على هذا الأساس، عندما ندرس الموضوع، نلاحظ أنه لا يُفسح المجال الآن للإسلاميين المعتدلين لأن يأخذوا حريتهم. فمثلاً في مصر، وفي أكثر من بلد إسلامي، لا يسمح بحزب ديني إسلامي. عندما يكون لدى هذا الحزب رؤية سياسية (بغض النظر عن الاختلاف معها وصحتها أو خطئها، فهذا حساب آخر) فلماذا لا تعطيه حريته من ضمن النظام؟ هل على أساس أن الإسلاميين لا يعتبرون مسلماً كل من لا ينتمي إلى حزبهم وجماعتهم؟ هذا ليس صحيحاً. لا أحد من الإسلاميين يقول إن من لا ينتمي إلى الحزب الإسلامي الفلاني ليس مسلماً. هذا المعنى أوجد حالة من ردود الفعل التي اختزنت العنف كحالة جنينية للمستقبل. ولو أن بعض هذه الدول أعطت الحرية للإسلاميين وحاولت أن تحاصر هذه الحرية كما تحاصر حرية الأحزاب الأخرى لما كانت هناك مشكلة.

جبهة الإنقاذ بين العقل والحماسة

■ **هل هذا ينطبق على التجربة الجزائرية؟**

عندما نقرأ التجربة الجزائرية، نجد أن جبهة الإنقاذ عندما انطلقت كانت حركة فيها عقل وفيها حماسة؛ انطلقت واستطاعت أن تأخذ مدى شعبياً، لكنها لم تكن تملك ثقافة حركية. فليس من الطبيعي أن يقولوا بعد فوزهم في الدورة الأولى للانتخابات: لن نعطي أحداً الحرية. ثم بعد ذلك اضطُهد هؤلاء ودخل الصراع الأميركي - الفرنسي، ودخل الجيش الجزائري في ثمانين بالمائة على الأقل مما ينسب إلى الإسلاميين في الجزائر، وهو من أعمال المخابرات، حتى إن المخابرات وظفت ودخلت في أذهان بعض البدائيين، فصنعت هذا أو ذاك أميراً وهو لا يعرف شيئاً من الإسلام، ولا تزال مسألة الجزائر هي مسألة اللامعقول، والتي لا يوافق عليها أي مسلم، وليس فقط أي إسلامي. علينا أن ندرس المسألة ونشجب ما يحصل، لكن الصحف أخيراً، الفرنسية وغيرها، بدأت تتحدث عن أن من يقوم بتلك الأعمال ليس الإسلاميون.

إنسان الفكر يحمي الفكر

■ **ألا ترى، سماحتك، أن هناك إمكانية ـ تحت لافتة الإسلام ـ لأن توجد حركات تمتص كل علاقات المجتمع وتتصرف ككل الجماعات العنفية، فتتصرف أحياناً على نحو مافياوي، فتبيح كل شيء وتعتدي على كل شيء. ألا تعتقدون أن هذا يؤذي الإسلام، فهناك في كل مرة وجود واقعي لهذه الحركات، وكل حركة إسلامية أو غير إسلامية تمتص، بصورة أو بأخرى، علاقات هذا المجتمع، وتعرض نفسها لامتحان نظري ومبدئي خطر، وربما يؤذيها هذا الامتحان؛ هل يستطيع الإسلام بمثاليته أن يتحمل هكذا ممارسات؟**

هناك عنوان كبير، وهو أن أي فكر لا يستطيع أن يحمي نفسه من المنتمين إليه، وأي قانون لا يستطيع أن يحمي نفسه. إنسان الفكر هو الذي يحمي الفكر، وإنسان القانون هو الذي يحمي القانون. الإسلام نشأ في مجتمع متنوع بتنوعه الثقافي ومتنوع حتى بمبادراته الروحية. لماذا نتكلم فقط عن الإسلام ولا نسأل ماذا بالنسبة الى مجتمعاتنا العشائرية؛ الطائفية الموجودة عند غير المسلمين، العرقيات الموجودة حتى في البلدان المتحضرة، مثل يوغوسلافيا التي عاشت في ظل الحكم الماركسي، كيف أصبحت كما هي الآن... وهكذا. هناك مجتمعات تتصل بتاريخ مرتبك، تاريخ فوضوي المفاهيم، فوضوي الأساليب. لهذا لا تستطيع أن تقوم بعملية هندسية تجمع كل هؤلاء الناس على

أساس أنهم مسلمون مثلاً. صحيح أنهم مسلمون، ولكن هذا يفهم الإسلام بطريقته وذاك بطريقته.

لا يُسمح للمسلمين الذين يفكرون بطريقة متوازنة، وبطريقة الذين يريدون أن يدخلوا الواقع ليتعاونوا مع الآخرين. الأنظمة لا تسمح لهم. والعنف الموجود في الجهات الأخرى لا يسمح لهم. الحساسيات الموجودة في عملية التنافس، والإلغاء أيضاً. فالإلغاء ليس مقتصراً على الإسلاميين، وكل فريق يمسك الساحة يحاول إلغاء غيره. ألم تكن هناك في الخمسينيات والستينيات عمليات إلغاء، حتى في داخل التيارات العلمانية. إذاً عملية الإلغاء عملية إنسانية، ليس بالمعنى العميق للإنسان، بل انطلاقاً من إحساس الإنسان بالقوة. لذلك أقول: لنفسح المجال للأصوات الصافية. لنُعطِ فرصة للإسلاميين الذين عندهم ستون بالمئة حالة انفتاح، نشجعهم ونتعاون معهم، وخصوصاً مع هذا التوجه الإسلامي الجديد الذي يحاول أن ينفتح على الآخر، ولو كانت هناك بعض التحفظات. هذه إيران مثلاً، تتعاون مع روسيا، ومع الهند، وتحاول أن تكون مع أرمينيا ضد أذربيجان التي هي دولة إسلامية وشيعية. في الداخل أيضاً هناك صراع حقيقي، لكنه يدلل على أن هناك حياة سياسية. قد تكون الأساليب هنا أو هناك غير مناسبة، لأن هذه أول تجربة في تاريخ إيران لهذا النوع من الحياة السياسية التي يمارس فيها الشعب حقوقه ودوره وآراءه وما إلى ذلك. من الطبيعي أن تكون هناك سلبيات، لكن الخط هو خط إيجابي.

الآن في واقعنا الإسلامي بدأ التفكير جدياً بأن يتعاون الإسلاميون مع الشيوعيين؛ حزب الله مثلاً، بكل ما يثار حوله من علامات استفهام، يلتقي مع كل الفئات، مع الشيوعيين ومع القوميين وحتى مع الكتائب وسائر المسيحيين أيضاً. ربما تسجل نقطة هنا أو تبحث عن نقطة سلبية هناك، لكن كل هذا معناه أن هناك مناخاً جديداً تتقبله القاعدة. في البداية لم تكن القاعدة تتقبل أن يجلس الإسلامي مع الشيوعي. الآن أصبح ذلك مقبولاً. في بداية القرن الماضي كان القومي مثلاً كافراً بمعنى ما. الآن دخل القوميون في تحالف مع الإسلاميين. فالقضية الفلسطينية جمعت الكل.

إن مسؤولية كل التيارات، بما فيها التيارات العلمانية، أن لا تحاول التقاط السلبيات لتحارب بها الإسلام، كما على الإسلاميين أن لا يحاولوا التقاط سلبيات الآخرين.

ليلتقوا جميعاً على الإيجابيات، وليشجع كل منا إيجابيات الآخر، لعل هذه الإيجابيات تعيننا على تفادي السلبيات والوصول إلى نتيجة تفاهم إذا لم يكن لقاء.

المشكلة أننا لا نزال نعيش الحالات النفسية بعضنا تجاه بعض، وكل منا لا يثق بالآخر، ويخاف من المنطقة الخفية. وعندنا حديث نبوي مشهور يقول: «لو تكاشفتم لما تدافنتم»، لأن الناس يخافون من المنطقة الخفية. إذا تكلم مسلم مع مسيحي في لبنان فإنه سيقول لمن هو تابع وماذا يريد مني، يبحث عما يجعله حالة سلبية، لأنه ليس مستعداً لأن يصدقه وأن يلتقي به.

الإنكار يحتاج إلى دليل

■ **في الفكر الديني، هناك مطلقات تصعب مساءلتها. الإسلام يعتبر نفسه ديناً ودنيا، ويحاول أن يحيط بالمجتمع من مختلف جوانبه. هل هو برأيكم قابل للتطوّر وللتكيف مع العصر ومع طرح الأسئلة والقبول بمبدأ الشك ورفض اليقين المطلق؟**

من الأشياء التي طرحتها في بعض محاضراتي في الجامعة الأميركية أن لا مقدسات في الحوار. قلت إن الله حاور إبليس كما حاور الملائكة، والقرآن هو كتاب الحوار؛ الحوار مع المشركين، مع اليهود، مع النصارى، مع المنافقين... لذلك فالحوار هو أمر في صلب العقيدة الإنسانية. عندي كتاب هو «الحوار في القرآن». هذا من جهة، ومن جهة ثانية، الشك ليس كفراً. نحن نروي عن أحد أئمة أهل البيت، الإمام الصادق(ع)، أنه جاءه شخص قال له: رجل شك في الله وفي رسول الله... ثم عقب الإمام: «إنما يكفر إذا جحد». فما دام سائراً في حركة الشك نحو اليقين لا يُعتبر كافراً. أيضاً هناك حديث آخر يقول: «لو أن الناس إذا جهلوا وقفوا ولم يجحدوا، لم يكفروا». أكثر من هذا، في النص القرآني منهج الحوار هو منهج قائم على أساس اعتبار الشك الوسيلة التي يحاور بها المحاور صاحبه: ﴿وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾ هذا منطق النبي ولسانه. هو ليس شاكاً، ولكنه أراد أن يجتذب الآخر إلى الحوار فقال له إني قد أكون على هدى أو في ضلال وكذلك أنت. إذاً هناك حقيقة ضائعة بيننا فلنتعاون من أجل البحث عنها.

في الحوار الإسلامي ليس هناك فرض مسبق بأنك أنت على خطأ بنسبة سبعين بالمئة

وعلى هدى بنسبة ثلاثين بالمئة، أو: رأيك خطأ يحتمل الصواب، ورأيي صواب يحتمل الخطأ، بل: ﴿وإنا أو إياكم﴾. لذلك فإن الشك ليس مظهراً للكفر. عليك أن تشك لتصل إلى الحقيقة. كنت ذات يوم في جلسة مع مثقفين منهم كريم مروة وحبيب صادق وغيرهما، قلت لهم: ليس هناك ملحد، لأن الإلحاد يحسم بعدم وجود الله، ولكن يجب قيام الدليل على عدم وجود الله، لأن النفي الحاسم الجازم يحتاج إلى دليل، كما أن الإثبات الجازم يحتاج إلى دليل. متى تستطيع أن تقول إن الله ليس موجوداً؟ عندما ترى الكون كله بكل خفاياه ولا تجده. مثل غاغارين الذي قال عندما صعد إلى الفضاء: لم أر الله. قد يقول شخص غير مسلم: لم يثبت عندي الدليل على وجود الله، ولكن ليس عندك دليل على العدم.

■ **ليس عندنا دليل حاسم لا هنا ولا هناك.**

فإذا كان الأمر كذلك، فعليك ألا تتجمد في حياتك وعليك أن تكون رحباً.

■ **لكن هناك من يبحثون، وعن إيمان، مثل نصر حامد أبو زيد، فيقابَلون بأسوب التكفير والتهديد...**

كتبت مرة في جريدة «الشعب» أني لا أوافق على هذا الأسلوب، حتى في موضوع سلمان رشدي. أنا عندي شعار: أعط الفكر الآخر حريته تحجّمْه، اضطهده تنشره.

الإسلام دعوة للناس كافة

■ **نستطيع إذاً أن نفكر أن الإسلام دعوة موجهة للمسلم وغير المسلم...**

عندما يقول القرآن: ﴿يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ فإذا كان رسول الله يخاطب كل الناس بأن هناك منهم من يؤمن بي ومن لا يؤمن، من آمن بي أريد أن أطبق كل مسؤوليات الإيمان عليه، والذي لا يؤمن بي أتعامل معه بطريقة مختلفة، تماماً كأي فكر آخر. والنص القرآني: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾. مع هذا النوع من الرحابة في الإسلام، من الذي خلّد لنا الاتهامات التي وجهت إلى النبي حتى في عقله؛ حتى أنه عندما كانوا يقولون عنه «مجنون»، لم يردّ بعنف، بل كان يدلهم على المنهج الذي يؤدي إلى التفكير السليم، وهذا ما يفسره بعضهم بالعقل الجمعي: ﴿قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنّة﴾، انفصلوا عن هذا الجو الانفعالي الذي يلغي للإنسان عقله،

وتفرقوا واحداً واحداً، اثنين اثنين، وفكروا في أسلوبي وكلماتي وسوف تصلون إلى النتيجة. كان يدلهم على المنهج.

عندما يقدم القرآن للأجيال الاتهامات التي كانت تتهم النبي في عقله: كاذب، ساحر، كاهن، ﴿أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ ﴿ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلّمه بشر، لسان الذي يلحدون إليه أعجمي (يقصدون بحيرا) وهذا لسان عربي مبين﴾ فإنه يحاول أن ينطلق بالطريقة العقلانية.

العالمين العربي والإسلامي في مرحلة انتقالية

- **يبدو من الدروس التي نأخذها مما جرى في العراق وما جرى في أفغانستان، أن هناك وعياً انتحارياً ما زال يتوهم بأنه في عصر العولمة من الممكن ببطولة ما أو فروسية هزيمة العالم، فهزيمة أميركا هي هزيمة العالم. ونستطيع أن نتخيل أن هذا السلوك الانتحاري هو سلوك اليأس على نحو ما، والشعور بأن هناك مشكلة لا حل لها. هناك أيضاً سلوك انتحاري في النضال الفردي، في النضال الحركي، ويكاد هذا الأسلوب يصبح سائداً، ويهدد بانتحار ما آخر، هو انتحار الكيان الفلسطيني، بغض النظر عن موقف سماحتك من الرئيس ياسر عرفات، ولكن لا شيء يدل على الإطلاق على أن انتهاء الكيان الفلسطيني أمر مفيد لأحد.**

هذا جانب من الصورة. إذا درسنا المجتمع بكله، فإن الفريق الذي يفكر بهذه الطريقة ليس كبيراً، هناك مثلاً فريق من المثقفين ينفتح على العولمة، مع التحفظات في الجانب الثقافي، وهناك فريق من غير المثقفين مثل التجار وغيرهم.

هناك إحساساً بمصادرة الغرب لعالمنا، وهذا ما يولّد غالباً حالة من الإحباط واليأس وهذا لا نلحظه فقط على المستوى السياسي، وإلا فكيف نفسر ظاهرة الانتحار في أميركا، كيف نفسر قضية طلاب وتلاميذ يحملون السلاح ويقتلون زملاءهم أو أساتذتهم؟ كيف نفسر ما حدث في سويسرا وما يحدث في إيرلندا؟ هذه الحالة ليست مقتصرة على مجتمع معين، وهي ليست حالة الإسلام أو حالة الشرق وحده، بل إن كل حالة إنسانية تحاصر في فكرها وفي أحاسيسها ومشاعرها وفي اقتصادها وسياساتها وتشعر بأنها ليست قادرة على الفعل. في هذه الحالة قد نحتاج الى أن نبقي حالة التوتر، في الحالة الفلسطينية أو غيرها، لأنك بمجرد أن تسقط التوتر فمعنى ذلك الموت. التوتر هو

عبارة عن الحالة التي يمكن أن تحولك إلى طاقة حيوية متحركة. نعم، مضمون التوتر قد يكون خطأ. نحن نمر في عالمنا العربي والإسلامي في فترة انتقالية، لأن عندنا الكثير من الطاقات التي تملك فكراً وثقافة وواقعية، ولكنك لا تجد المناخ الذي يستطيع أن يجعلها تتكامل. فالقضية الفلسطينية، مثلاً، دخلت العالم ولا يمكن التفريط بها. إسرائيل لا تريد أن تتحول إلى دولة من دول المنطقة إلا بعد أن تحصل على أكبر قدر من المكاسب في داخل فلسطين وخارجها. وهذا ما يجعلها معنية بالحل والتسوية، لأن اللاتسوية لا تفيدها في شيء في المستقبل، لكن يفيدها أنها تأخذ من المتغيرات الدولية والظروف لعلها تكسب ما يمكن أن تكسبه.

المشكلة في القضية الفلسطينية، مع كل هذه الروح التي تكاد تكون أسطورية في عالم الصبر والصمود والثبات والجهاد، هي مشكلة التنسيق. المشكلة أن العنف يتحرك في اتجاه ضبابي. أي عملية عسكرية، حتى في حالة الثورة، يجب أن تجري لها الحسابات السياسية. المشكلة التي قد تكون موجودة هناك، أن الجهات التي تملك السيطرة على الواقع الفلسطيني، بعضها يعيش ذهنية الثورة، وبعضها يعيش ذهنية تقليدية.

بين الذهنية التقليدية والثورية

المشكلة هي الجمع بين ذهنية تقليدية في السياسة وذهنية ثورية. ثم لا تنس أن الحصار الدولي في هذه المرحلة، في هذه الحرب العالمية، وأنا سميتها حرب أميركا الثانية... أن أميركا الآن تعمل على أن تقتل كل الحركات التي تملك قوة، خصوصاً إذا كانت هذه القوة تنطلق من حالة مقدسة إسلامية. وهذا ما يجعلها تتحدث بالصوت العالي عن حماس والجهاد وحزب الله، لأن هناك استراتيجية أميركية إسرائيلية تعمل على أن لا يكون هناك مكان للأقوياء في العالم العربي سوف تضر بالمصالح الأميركية...

ليس عندي تشاؤم، فأنا أقول إن كل هذا العالم يشبه حالات الولادة القيصرية. تحدثنا عن سلبيات ما حدث، ولكن في المقابل فقد الأميركي شعوره بالأمن، وأعتقد أن كل هذه الحرب الأميركية ضد ما يسمى بالإرهاب في العالم قد تستطيع أن تصل إلى بعض النتائج في محاصرة كثير من الإرهاب ولكنها سوف تنتج ردود فعل من أشرس ما يمكن، لأنها سوف تزيد الواقع قهراً، ونحن نعرف أن المنظمات التي يسمونها إرهابية ومنظمات العنف، تولد في مثل هذا المناخ.

أعتقد أن هناك بعض الإيجابيات، لا بد من أن ندرسها وأن نلتقطها. يجب أن ندرس طالبان، وشخصية بن لادن، من ناحية نفسية، ومن ناحية أسلوبه في الخطاب وعناصر شخصيته. مشكلتنا أن الأشياء التي تحتاج إلى دراسات نفسية واجتماعية وسياسية، نحاول أن نستهلكها في عملية الرفض والتأييد.

الإسلام الحركي في سنّ المراهقة

■ **كان يعوَّل على الإسلام الحركي في أن يحدّث المواجهة الإسلامية ويجعلها أقرب إلى العقل، وثانياً أن يبرهن على أنه يملك حلولاً للمستقبل، وإذا بهذا الإسلام الحركي يتحول إلى أحزاب «ستالينية» نظاماً وعقيدة، ليس فيها أي تجديد (..) بل جمود عقائدي وتحجر فكري. وقد تحول هذا الإسلام الحركي إلى أنظمة أيديولوجية على غرار الأنظمة العقائدية التي سقطت ربما بسبب هذا الجمود...**

لا أعتقد أن الإسلام الحركي هو إسلام الأحزاب الإسلامية. الإسلام الحركي قد تمثله شخصيات إسلامية تعيش حركية الإسلام في طريقة تفكيرها وفي أسلوب عملها، وأعتقد أن عندنا في العالم الإسلامي شخصيات طليعية حركية. حتى على مستوى الأحزاب والأنظمة هناك جوانب إيجابية.

علينا أن لا نهمل حقيقة أن الإسلام الحركي لا يزال في سن المراهقة، ولم ينضج بعد. وأنا أعتقد أنه يحتاج إلى وقت طويل وتجارب تولّد الإيجابيات بفعل الصدمات والمتغيرات وبفعل الوعي العميق للواقع والدخول في ساحات الصراع.

■ **وما تعليقكم على عدم ارتياح البعض من الإسلاميين الحركيين لطروحاتكم؟**

أنا لا أتعقد من أن الآخرين لا يرتاحون لطروحاتي. أعتقد أن ما يخدم طروحاتي هو أن الكثيرين يرجمونها بالحجارة، لأنك عندما تُرجم يتألّق فكرك. فأي فكر لا يشتبك مع المعارضين، لا يستطيع أن يترك تأثيره في الحياة.

الحلم الشيعي

■ **عندما ننظر الى التاريخ الشيعي، نلاحظ أنه خلال مئات السنين بدا كأنه يتوجَّس من الدولة ومن السياسة، وهذا التوجس أدى إلى واقع عملي ليس له بالضرورة**

أساس نظري. وذلك فصل على نحو ما بين الممارسة الدينية والممارسة السياسية. ولهذا السبب ربما امتلك الشيعة القدرة على الحلم. ألا ترى سماحتك أن الغرق في السياسة يؤدي إلى خسارة هذا الحلم من جهة، ويؤدي إلى منع التشيع من أن يكون عباءة واسعة أو خيمة واسعة لكل المضطهدين وكل المستضعفين من جهة ثانية؟

لماذا انفصل الشيعة عن الدولة؟ لأن الفكر الشيعي يختزن لاشرعية الدولة، وينظر إلى الحكام على أنهم حكام الجور، ولكن في الوقت ذاته كان الشيعة منفتحين. مثلاً ثورة العشرين في العراق، كانت ضد الإنكليز، ومن ناحية رسمية لمصلحة العثمانيين الذين اضطهدوا الشيعة. أيضاً وقف الشيعة مع القضية الفلسطينية مثلاً. هناك انفتاح شيعي موجود وإن كان يمشي بين مد وجزر. وتأتي قوى انعزالية تحاول أن تنشر التعصب ضدهم، وهناك فئات تحاول أن تنفتح عليهم. أما الحلم الشيعي، فإن في العقيدة الشيعية عقيدة المهدي المنتظر «يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»؛ العدل العالمي أمام الظلم العالمي. هذا الفكر الآن يأخذ طريق الفكر الحركي، بأن يجب أن نهيئ الظروف للإمام المنتظر، فنصنع دولة العدل هنا ودولة العدل هناك، ونتبنى رسالة العدل في العالم، ونقف مع كل قضايا العدل وضد قضايا الظلم في العالم. وهذا التحرك الشيعي في بعض مواقعه يتحرك من جهة تأكيد الحلم والسير في طريق الحلم.

■ **ألا تتوجس سماحتك من كل دولة ومن كل حزب؟**

لا، أنا أنظر إلى الإيجابيات. آخذ عن السيد المسيح عليه السلام عندما مر بجيفة كلب فقال الحواريون معه: ما أشد هذه الرائحة، فقال عيسى ما أشد بياض أسنانه. أعتقد أن علينا أن ننظر إلى الجانب المشرق من الصورة.

لي قصيدة لا أحفظها ولكن أفكر فيها أن هذه النجوم خلقها الله حتى توحي للإنسان بأنه ليس هناك ظلام مطلق، كل ظلام يحمل نقاط نور، ونقاط النور هذه تتجمع لتشير إلى الفجر. في عالمنا العربي يبقى المغنّون ساعات يغنون «يا ليل»، ولكني لم أسمع أحداً يقول: يا فجر...

٨

القضية الفلسطينية في وجدان العرب والمسلمين

الحرب الجديدة قطعت مراحل وأشواطاً، ولكنها لم تنته فصولاً بعد، فلا تزال الحرب تطرح مسائل جدلية كبيرة، ليس أقلها مفهوم الإرهاب والعلاقة بين الشرق والغرب، وهناك محاولات واضحة لاستغلال الوضع الذي أوجدته أحداث الحادي عشر من أيلول من أجل التأثير على المقاومة وفرض قواعد جديدة للعبة في الصراع العربي ـ الإسرائيلي.

ضيف هذه الحلقة من بيروت، سماحة المرجع الإسلامي العلامة السيد محمد حسين فضل الله. وسيشاركنا هذه الحلقة من الرياض تركي السّديري رئيس تحرير جريدة «الرياض» السعودية، وهنا معنا في لندن نستضيف عبد الوهاب بدرخان نائب رئيس تحرير جريدة «الحياة».

شكراً لمشاركة الجميع، وخصوصاً سماحة المرجع السيد فضل الله، ودعني سماحة السيد أطرح سؤالاً مباشراً عليك:

سماحة المرجع في لقاء متلفز مع MBC، ٢٠٠١/١٢/٢٨م.

عمليات ١١ أيلول أضرّت بالعالمين العربي والإسلامي

■ **نريد أن نسمع بوضوح رأيكم في ما حدث في الحادي عشر من أيلول الماضي؟ هل تسمي هذا إرهاباً؟**

بسم الله الرحمن الرحيم، لقد كنت أول من استنكر هذا العمل، وقلت إنه لا يقبله عقل ولا شرع ولا دين، لأننا نشجب قتل هؤلاء الناس الذين كانوا يركبون في الطائرات أو يتواجدون في مركز التجارة العالمي أو ما إلى ذلك.. لأن معارضتنا للسياسة الأميركية لا تجيز لنا أن نقوم بأي عمل تفجيري ضد أناس لا علاقة لهم بالسياسة الأميركية، ولذلك اعتبرنا هذا العمل انتحارياً وليس استشهادياً، بقطع النظر عن خلفيات ما يفكر به الذين قاموا به.

■ **ما دمنا وصلنا إلى هذه النقطة بالذات، هناك من يقول، ولا سيما الذين قاموا بهذه العمليات أو من يقف وراءهم، يقولون: إنه لم يكن هناك أسلوب آخر للتعاطي مع هذا الموضوع، أو مع أميركا، فلماذا نلومهم على ما قاموا به؟ ولماذا نعتبر عملهم انتحاراً فقط؟ وإنهم يقولون بشكل أو بآخر، كان هذا هو المخرج الوحيد، فما رأيكم؟**

إننا نعتقد أن تقديم الأمور بهذا الشكل خاطئ، لأن مثل هذا العمل قد استطاع أن يمنح أميركا امتداداً عالمياً تملك معه تنفيذ الكثير من خططها السياسية التي لم تستطع تنفيذها في الحالات العادية، كما أنه استطاع أن يضيِّق الساحة التي يتحرك فيها الدعاة المسلمون في بلاد الغرب، من خلال الانفتاح على الغربيين بالإسلام الحضاري، الذي يحترم إنسانية الإنسان ويحرك كل طاقاته في سبيل الخير. إننا نعتقد أن مسألة أن نقتل فريقاً من الناس في حرب ليست هي الحرب الملحّة للاعتراض على السياسة الأميركية التي لا دخل لهم فيها، أمر لا نعتقد أن الإسلام يوافق عليه.

■ **هل تعتبر ـ سماحتكم ـ أن الضرر الذي وقع على المسلمين وعلى العرب بسبب أحداث أيلول كان أكبر من الرسالة التي حاولت عمليات أيلول إيصالها؟**

إنني أؤكد ذلك، لأن أميركا من خلال خططها السياسية عملت على تحميل العرب والمسلمين مسؤولية هذا الحادث وأن تلاحق كل الذين يعارضون سياستها في العالم العربي والإسلامي تحت حجة محاربة الإرهاب، حتى لو لم يكن هناك أي دخل لهم بالإرهاب. ثم إننا لاحظنا استغلال أميركا لهذه الفرصة لكي ترجم الحركات الجهادية

التحررية في لبنان وفلسطين بتهمة الإرهاب، وقد أعلنت أكثر من مرّة أنها لا تفرق بين المقاومة وبين الإرهاب، وهذا ما لم تستطع أميركا أن تسوّقه قبل ذلك، حتى أنها استطاعت أن تجتذب إلى موقفها أخيراً ضد حماس والجهاد وحزب الله، الاتحاد الأوروبي الذي كان له موقف أكثر اتزاناً من الموقف الأميركي، وحتى أن روسيا دخلت الخط الأميركي في المسألة الفلسطينية.

أستنكر كل أنواع الخطف في العالم

■ **قيل دائماً إنك كنت مرشداً لحزب الله في الثمانينات، واتهمت ـ سماحتكم ـ بالإشراف على عمليات خطف الأجانب، وعمليات ضد الأجانب في لبنان، فما هو توضيحكم وموقفكم من العمليات التي تستهدف المصالح الأميركية والغربية بشكل عام، وما حدث خلال الثمانينيات؟**

أما مسألة المرشدية فإنني أكدت عشرات المرات أنه ليست لي صفة تنظيمية بحزب الله أو بأي حزب آخر، لأنني أتحرك في الهواء الطلق، فأنا مع كل الأحزاب الإسلامية ولست جزءاً من أي حزب إسلامي.

لقد كان هذا الجيل في لبنان وفي العالم العربي والإسلامي جيلاً تربى على أفكاري وكتبي ومؤلفاتي، ولكن لم يكن لي صفة تنظيمية في ما أخذ به هذا الجيل من التنظيمات.

أما مسألة خطف الأجانب، فإن من يراجع أرشيف الصحافة في تلك المرحلة، فإنه يعرف أنني استنكرت ذلك بكل مواقعه. لقد استنكرت خطف الأجانب، كما استنكرت خطف اللبنانيين لبعضهم البعض، واستنكرت عمليات الخطف التي حصلت في فرنسا ضد المهدي بن بركة، وضد طائرة بن بلا، وما يحدث هناك، حتى ما قام به اليهود من خطف لبعض أعدائهم وخصومهم، لأنني أرى أنه لا يجوز لنا أن نقوم بعملية الخطف، لأنها ليست إنسانية، وهكذا استنكرنا خطف الطائرات والسفن، وقلنا إنه لا يجوز تحت أي تأثير أن نتعرض لوسائل النقل في العالم لأنها ملك الإنسان كله. أما مسألة علاقتي بالمارينز فقد علقت عليها آنذاك بأنها أسخف من أن يرد عليها، لأن الطريقة التي عرضت فيها هي طريقة لا تتحرك إلا في مشاهد أفلام هوليوود، ولا يعرف العالم العربي أية مفردة من مفرداتها.

إنها مسألة دسّت من قبل بعض المخابرات المحلية اللبنانية الحزبية، وتلقفها الإعلام الأميركي آنذاك. إنني أستطيع أنه أؤكد أنه ليس لي علاقة بذلك، وقد قلت في وقتها إنه شرف لا ندعيه وتهمة ولا نردها.

بين الجهاد والإرهاب

- **المداخلة الأولى من الأستاذ تركي السديري من الرياض.**

١ ـ هل تعتقد أنّ ما قاله سماحة السيد هو كاف لتوضيح الموقف بالنسبة للموضوع الأول، وهو أحداث ١١ أيلول، وبالنسبة للعمليات بشكل عام؟
في الحقيقة أريد أن أسأل سماحته في ما يخصّ الجزئية الأولى، بما يتعلق بأحداث أيلول، حيث أدّى العمل إلى نتائج بشعة وخطيرة تحيط بالعالمين العربي والإسلامي مثلما أفاد سماحته. وسؤالي هو:
ألا يعتقد سماحة السيد أن الفراغ في العالم الإسلامي من وجود واجهات دينية مؤثرة وحديثة المفاهيم قادرة على القيادة هو الذي أدّى إلى نشوء جماعات التطرف التي غيّرت حتى مفهوم الجهاد وحوّلته إلى أعمال إرهابية؟

على الداعية إلى الإسلام أن يعيش حسّ المعاصرة، بأن يفهم عصره في ذهنيته وفي قضاياه وفي تطلعاته. وأنا لا أقول أن نقع تحت تأثير ما ينتج العصر من أفكار، فنحن نختلف مع الكثير من ذلك، ولكن على الإنسان أن لا يعيش الماضي في الحاضر، بل أن يأخذ من الماضي ما يبقى للحياة.

لذلك نحن ندعو إلى أن يكون لنا في العالم الإسلامي أجهزة تتحرك من خلال فهم أصيل منفتح على الإسلام في رحابته وأصالته وكل وسائله وأهدافه، والافتقار إلى ذلك هو الذي أوجب هذه الفوضى في المفاهيم والأساليب والتحرك. وربما كانت هذه الفئات محلّ دعم من بعض المحاور السياسية الدولية أو الإقليمية، لأن لها تأثيراً سياسياً على الناس، حيث تجتذب مشاعر الناس بعمل هنا وعمل هناك.

إنني عندما أتحدث عن المؤسسات أدعو إلى تأصيل هذه المؤسسات، وأن لا نجعلها مجرد هامش لهذا النظام وذاك النظام. أن تكون المؤسسات مؤسسات العالم الإسلامي بعلمائه ومثقفيه ومفكريه، ليعملوا على أساس تأصيل المفاهيم الإسلامية في ما يستجد في العصر

من تحدّيات ومن أوضاع، حتى نستطيع أن نوازن بين النظرية في أصالتها والتطبيق في واقعيته.

ولقد تحدثت أكثر من مرة أن الله تعالى عندما أنزل في القرآن عن رسوله(ص) أنه يعلمهم الكتاب والحكمة، قلت إن الكتاب هو خط النظرية والحكمة هي خط التطبيق، ولابدّ لنا عندما نتحمل مسؤولية التوجيه الإسلامي أن نملك ثقافة النظرية والتطبيق لنفهم العالم، ونفهم كل الواقع هناك.

من المسؤول عن تفجيرات ١١أيلول؟

■ **مداخلة من الزميل عبد الوهاب بدرخان نائب تحرير «الحياة» في لندن:**
في الحقيقة أن سماحة السيد تحدث عن إحدى نتائج هجمات ١١ أيلول، ومرّ بموضوع إلقاء المسؤولية على العرب والمسلمين، الواضح أننا واجهنا هذه المسؤولية علينا بكثير من الضعف والتواكل، حيث اتكل كل واحد على الآخر. كان يجب أن يكون لنا وقفة أخرى، فلو أخذنا الموضوع بالعقل الغربي وسألنا السؤال: هل نحن فعلاً وراء هذه الهجمات؟ أي بالمعنى المخابراتي والمعنى اللوجستي والمعنى العملاني باللغة العسكرية؟ فلم يكن هناك أية حكومة أو مجتمع أو حزب وراء هذه الهجمات.. يعني لنقل ونعتمد أن هناك تنظيم القاعدة وراء هذ الهجمات، فهذا التنظيم نشأ وراء رجل ومن مجموعة تنظيمات إسلامية معظمها نشأ وترعرع في أفغانستان وفي كنف الصراع الذي كلّف العرب كثيراً من الأموال والتضحيات، وكانت هذه التضحيات قد بذلت أصلاً من أجل الولايات المتحدة ولتنفيذ سياسة ما للولايات المتحدة. أعتقد أننا يجب أن نتوقف عند هذا ونسأل الولايات المتحدة بشكل يومي ودائم: إلى ماذا استندت لكي تقول إن العرب مسؤولون (والمسلمون كذلك) عن هذا؟ وهل تعتقد سماحتكم أن هناك مسؤولية جماعية علينا أم لا مسؤولية جماعية علينا كعرب وكمسلمين؟

ليست هناك أية مسؤولية على العالم العربي والإسلامي بما حدث، فلم ينطلق هذا العالم بشموليته أو كظاهرة في طبيعة تجمعاته، وهكذا بالنسبة إلى العالم الإسلامي، لكنني أتصور أن بعضاً من هذه المسؤولية تتحملها السياسة الأميركية في ما تقوم به في العالم الإسلامي والعربي من خطط تصادر فيها اقتصاده وسياسته وأمنه، ولا سيما بالنسبة إلى المسألة الفلسطينية. لذلك إن هذه المسألة في ما يتعلق بهذه المناخات هي التي هيأت

الكثير من الأجواء التي تتحرك في وجدان بعض الناس في العالم العربي والإسلامي، بحيث تتحول إلى حالة متفجرة في الوجدان، فلا يرون لهم أي وسيلة للوصول إلى ما يريدون من رفض لهذه السياسة إلا بهذه الوسائل. إننا كعالم عربي وإسلامي لا نتحمل المسؤولية. وأميركا عندما حمَّلت العالم العربي والإسلامي هذه المسؤولية أرادت أن تنفذ إلى الكثير من خططها الضاغطة على كل هذا الواقع الذي نعيشه من أجل أن تصل إلى ما تريده من نتائج بشكل كبير جداً. إنها تحملنا المسؤولية ليكون دورنا دور الدفاع ولتتابع الهجوم السياسي والأمني والثقافي.

بين أميركا وإيران

■ **المحاور: كنت من داعمي الثورة الإسلامية في إيران منذ بدايتها، والجمهورية الإسلامية رفعت شعار المعاداة للشيطان الأكبر أميركا، فهل سنشهد بسبب أفغانستان تقارباً أكثر فأكثر بين إيران اليوم وأميركا برأيك؟**

إن المسألة بين أميركا وإيران لا يمكن أن يحلّها هذا الحدث، لأن القضية بينهما هي أن إيران تطرح دائماً خروج أميركا من دائرة العداء لإيران، وأن تفرج أميركا عن الأرصدة الإيرانية المجمّدة، وأن تبتعد أميركا عن حالة الحصار الاقتصادي والحرب الإعلامية والسياسية ضد إيران. لذلك أتصور أن ما حدث من بعض المناخات الهادئة أو بعض مواقع اللقاء من خلال دعم التحالف الشمالي الأفغاني لا يمكن أن يصل إلى مستوى يتحدث عن أن هناك تقارباً بينهما، لأن المسألة تحتاج إلى مسارٍ طويل ليست هذه المرحلة مرحلته.

تداخل بين لبنان وفلسطين

■ **مداخلة لرئيس تحرير جريدة الرياض السعودية ـ تركي السديري:**
أشار سماحته إلى الوضع المتفجر في العالم، وأن هذا الوضع أعطى لأميركا فرصة طرح سياسيات وتصفيات لأوضاع جغرافية سياسية على مستوى العالم، هذا كله صحيح، وهو يعني أننا نعايش مرحلة جديدة تستلزم أن تكون لدينا أفكار جديدة في مواجهتها. وسماحته قريب من المشكلة اللبنانية، وقريب من حزب الله، فهل يرى سماحته في ضوء ما حدث أن يستمر تداخل حزب الله مع القضية الفلسطينية، أو أن ينأى عن التدخل في أي شأن خارج لبنان لئلا يتيح ظروفاً جديدة ضده أو ضد لبنان؟

إنني أتصور أن المسألة الفلسطينية لا تزال تلقي بثقلها على لبنان من خلال بقاء قسم من

لبنان على الأقل من جهة نظر الحكومة اللبنانية والمقاومة الإسلامية محتلاً، لهذا لا يمكن الفصل بين المسألة الإسرائيلية في احتلالها لقسم من لبنان واحتلالها لفلسطين.

ومن جهة أخرى علينا أن لا ننسى أن لبنان يعاني من ثقل القضية الفلسطينية في تواجد اللاجئين الفلسطينيين بأعداد هائلة فيه، ما يربك ببعض تعقيداته الوضع اللبناني. هذا مع قضية مركزية أخرى، وهي أن القضة الفلسطينية لا تزال تعيش في وجدان كل عربي مسلم حتى على مستوى الأنظمة، ونحن نلاحظ أن المقاومة الإسلامية لم تتحرك بطريقة عسكرية في مواجهة هذه القضية الفلسطينية، بل تحركت بطريقة إعلامية وسياسية، كما تتحرك الأنظمة والفضائيات العربية على هذا المستوى، وليس في ذلك جديد، ولا سيما أن هناك نوعاً من التناغم بين المقاومة الإسلامية والحكومة اللبنانية التي لا تتحرك عشوائياً، بل تتحرك برشد سياسي جديد.

لبنان وسوريا والقضية الفلسطينية

■ **المحاور: هل تريد أن تقول سماحة السيد إن مهمة حزب الله ـ وبكلام آخر ـ قد انتهت أو يجب أن تنتهي؟ عندما نقول لقد تحررت كل الأرض اللبنانية، فهل يعني أن هذه المهمة انتهت، انتهى دور حزب الله العسكري، وإن الموضوع الفلسطيني شأن آخر؟**

من الطبيعي أننا عندما نتحدث عن فصل لبنان عن قضية فلسطين، أو فصل سورية عن قضية فلسطين، أو فصل أي بلد عربي، فإننا نتحدث عن سياسة ساذجة. إننا نتصور أن المشكلة ما زالت بين إسرائيل وبين العالم العربي، لا سيما بما يتصل بلبنان وسورية، فإنك لا يمكنك أن تفصل جانباً عن جانب، لا أقصد من جميع الجهات، ولكن من الصعب جداً أن نتحدث عن قضية لبنانية أو سورية مستقلة، بعيداً عن القضية الفلسطينية، لأن المناخ السياسي في المنطقة كلها يدل أن إسرائيل تملك خطة تتحرك فيها لتعقيد كل الأوضاع هنا وهناك.

ولا بد أن نشير إلى نقطة، وهي أنّ الذين يجاهدون في لبنان ضد الاحتلال يملكون رشداً سياسياً يعرفون من خلاله مواقع أقدامهم.

■ **المحاور: كان لديَّ سؤال كنت أتردد في طرحه عليك سماحة السيد، ولكن**

اسمح لي أن أقول بوضوح: هل نصحت حزب الله أن يتحول إلى حزب سياسي لبناني صرف، حتى لا يتعرض لضغوط خارجية أم لا تنصحه بذلك؟

إن المصطلحات قد يكون فيها ضبابية، أن يتحول حزب الله حزباً سياسياً مجرداً لا علاقة له باحتلال بلده وأرضه ومنطقته ليمارس دوره بشكل روتيني، فهذا ليس سياسة، هذا مجرد حركة ضبابية تحاول أن تجد لها موقعاً بين المواقع، لا قضية كبرى بين القضايا.

نحن نقول إن علينا ألا نتحرك بالعنف في الداخل وضد المدنيين، ولكن علينا أن نقف ضد الاحتلال، ولا سيما الاحتلال الذي يترك تأثيره الاقتصادي والعسكري والأمني على المنطقة كلها، لا أعتقد أن هناك حزباً سياسياً عربياً يمكن أن يكتفي بدور تقليدي كما يفهم السياسيون التقليديون أدوارهم.

أين الإسلام الحضاري؟

- **مداخلة عبد الوهاب بدرخان ـ لندن**

أحب أن أعود إلى نتائج «١١ أيلول» ومسؤولية العرب. إن إدارة العرب والأداء العربي في هذه المسؤولية أصابنا كمواطنين بخيبة أمل، سواء ورد هذا الأداء من الحكومات أو من رجال الدين. وسماحة السيد تكلّم أكثر من مرة عن الإسلام الحضاري، فما هوية هذا الإسلام الحضاري، وكيف يمكن ممارسته وأين؟ وهل نستفيد في هذا الظرف تحت الضغط الأميركي لكي نعود للبحث عن الإسلام الحضاري؟

أنا لا أعتقد أن الإسلام الحضاري بحاجة إلى بحث جديد، فقد كتب المثقفون المسلمون والعلماء التنويريون الكثير عن القيم الحضارية، حتى أصبحت لدينا مكتبة إسلامية حديثة تتحدث عن أكثر المفردات المواجهة للعالم هنا وهناك.

لكن المسألة هي أن الأوضاع المعقَّدة في العالم الإسلامي، والتي تتحرك في مناخات سياسية، وتتدخل من أجل أن تحرس التخلف هنا والجهل هناك وتقف ضد المثقفين والعلماء المتنورين، هي التي أبعدت هذه الصور عن حركة الواقع.

إننا عندما نتحرك على الأرض فإننا سنجد كثيراً من هذه النماذج من هؤلاء في العالم الإسلامي، ولذلك فالقضية هي أن لا نتحرك بردة الفعل، لأن أميركا قالت إن هناك

إرهاباً إسلامياً، أو لأن شارون قال إن هناك إرهاباً إسلامياً، إننا نتحرك من موقع الفعل وتأصيل الفكر الإسلامي الذي لا بدّ أن نفسح له المجال ـ حكومات وشعوباً واعية ـ لتحريكه على الأرض، حتى يمكننا تقديم نموذج صالح يجد فيه الناس بعض نقاط الضوء التي تنطلق من الفكر الإسلامي ومن القيم الإسلامية.

نعارض الأسلوب

■ **اتصال ومداخلة من الزميل عبد الرحمن الراشد رئيس تحرير جريدة «الشرق الأوسط»:**

يهمني أن أعرف كيف يمكن التوفيق بين خصمين، إذا جاز لي التعبير، بين القاعدة وبن لادن من جانب، وبين الولايات المتحدة من جانب آخر؟

لقد لاحظنا إطراءً من بعض الشيعة لبن لادن والقاعدة، في حين أن إيران وبعض الشيعة الإيرانيين لهم موقف آخر.

من جانب آخر، قيام القاعدة بحرق قرى شيعية في أفغانستان: هل تعتقد أن هناك طريقة للتوفيق بين عدوين وطرفين، وهما أميركا وبن لادن مثلاً؟

إنني عندما أتحدث، وكما أريد للآخرين أن يتحدثوا، لا أعطي الشمولية للموقع هنا وهناك. نحن استنكرنا ما حدث من التفجيرات لأنه عمل غير إنساني، طال أناساً لا علاقة لهم بالسياسة الأميركية، ولكننا في الوقت نفسه نعارض السياسة الأميركية في كل خططها في عالمنا العربي والإسلامي.

وفي ضوء هذا، فإن مسألة العداوة هي من المسائل التي لا تتحرك من موقع العقدة، بل تتحرك من موقع الواقع، تماماً كما يتحرك الآخرون ويعادون من يقف ضد قضاياهم الحقيقية.

أما مسألة القاعدة وبن لادن، فإننا نتصور أن هناك ارتباكاً في المفاهيم وفي فهم كثير من القضايا على مستوى الأهداف في علاقتها بالوسائل.

ربّما نجد أن هؤلاء قد يحملون توتراً إسلامياً، ولكننا نعتقد أن الوسائل التي اعتمدوها، إذا كانوا المعنيين بهذه المسألة، ليست هي التي تتناسب مع مصلحة الإسلام والمسلمين.
لهذا علينا دراسة كل موقع من المواقع بطريقة موضوعية تحليلية تضع الإيجابيات في

جانب والسلبيات في جانب آخر. وإن المسألة في القضية الأفغانية، وحتى بالنسبة لطالبان، ليست مسألة شيعة إيرانيين هنا وسنة هناك. المسألة هي في طبيعة التفكير الذي ينطلق به هؤلاء، والأساليب التي اعتمدوها ليست بالأساليب التي يمكن أن تمثل إشراقة الإسلام في قيمه الإنسانية والحضارية، وبما يتناسب مع الوجدان الإنساني المعاصر الذي نعمل على أن ندعوه إلى الإسلام من موقع الفكر والواقع.

الواقع العربي الممزّق

■ مداخلة تركي السديري ـ الرياض:

الحقيقة هناك فضاء واسع كاتساع العالم الإسلامي ومثله العالم العربي من الممكن أن تطرح فيه حريات وأفكار وأحاديث عن دعم وتجميع قوى. ولكن الواقع يؤكد ما هو مختلف تماماً، فإذا نظرنا إلى حزب الله والجماعات الفلسطينية على أنها ستقاتل وأنها ستكون مدعومة بتأييد إسلامي وعربي، فلو بحثنا عن هذا الدليل على أرض الواقع مادياً وعبر استراتيجية طويلة المدة، لما وجدنا شيئاً، فحتى مؤتمرات القمة التي تعقد أصبحت تنتهي بتوفير الحدّ الأدنى فقط، بل حتى على مستوى العالم العربي ربما لا نجد إلا أربع دول قد تكون السعودية ومصر وسورية ولبنان، ومن العالم الإسلامي إيران، هذه الدول المعنيّة حقيقة بالقضية الفلسطينية. كيف يمكن أن نوجد خلفية عربية تدعم الفدائي في ظل ظروف متغيرة خطيرة للغاية؟!

فالمسألة مسألة أن نكون أو لا نكون من خلال استراتيجية وليس من خلال مجرّد كلام وآمال وصيغ عبارات قد لا تؤدي إلى نتائج.

والعالم الإسلامي الآن نتحدث عنه وهو أساساً مختلف، ويحتاج إلى مصالحة. في بداية القرن العشرين نشطت عدة اجتماعات لعقد تفاهم شيعي ـ سني بدأت ببعض العلماء من النجف وبعض العلماء من الأزهر، ولكنها تعثرت في بداياتها.

والسؤال سماحة السيد: ألا يشفع لنا الظرف الراهن بكل ما فيه من مخاطر أن نطمح إلى وجود تفاهم شيعي ـ سنّي يعطي التوحيد للقوة الإسلامية وللرأي العام الإسلامي؟

أشكر الأستاذ تركي على هذه الإضاءة، وإنني أتصور أن العالم العربي والإسلامي قد تعب من القضية الفلسطينية، وقد تحدثت أكثر من مرة أن هذا العالم يعمل على أن يتحرر من القضية الفلسطينية بدلاً من تحرير فلسطين.

لا أريد أن أوزع الاتهام، ولكن كأن القضية الفلسطينية وصلت إلى دور الرجل المريض، الذي تعب الناس من السؤال عن أحواله. بقيت هناك بقية من هذا العالم العربي والإسلامي تشعر بالجدية في هذه القضية، لأنها ترى أنها تتصل بكل المستقبل العربي والإسلامي.

أما الواقع العربي والإسلامي فهو واقع ممزق، ولذلك فهو واقع العجز، وإنني أعتقد أن ما يحرس هذا الانقسام والتعقيد إلى حدّ التكفير بين السنة والشيعة في العالم الإسلامي هو الجهل من جهة، والتخلف من جهة أخرى، ومحاولة التحرك في الزنازين الضيقة من العصبية، هذا بالإضافة إلى أن الاستكبار العالمي ـ ولا نريد أن نحمّله كل مشاكلنا، لأنه يستغل نقاط ضعفنا، يعمل على محاربة كل «الوحدات» الوطنية والعربية والإسلامية، لأن هذه «الوحدات» المنفتحة على مصالحها وقضاياها قد تربك بعض مصالح الاستكبار الاستغلالية لثرواتنا ومواقعنا الاستراتيجية وسياسة الاكتفاء الذاتي عندنا.. إن علينا كمثقفين واعين وكطليعيين الانفتاح على المستقبل العربي والإسلامي، أن نفسح المجال للحوار الإسلامي بقدر ما يتصل الأمر بالشيعة والسنة أو بالشيعة أنفسهم في داخلهم أو بالسنة أنفسهم في داخلهم، وأن نعمل على إدارة الحوار القومي ـ الديني، والإسلامي ـ المسيحي. قد لا نستطيع أن نصل إلى أهدافنا الكبرى حول هذا الموضوع في وقت قريب، ولكن علينا تقديم النموذج بطريقة وبأخرى، وإنني أعتقد أن ما يعيشه العصر من الموضوعية والعقلانية التي تدرس الأمر بطريقة تحليلية وبطريقة نقدية بعيدة عن الحساسيات قد يقودنا إلى الوصول إلى هذه النتائج.

- **المحاور: هل ترى سماحة السيد فضل الله أن منظمة المؤتمر الإسلامي هي منظمة تقوم بواجبها وعملها في التقريب بين الشعوب والدول الإسلامية؟**

إنّ هذه المنظمة مع كل ما فيها من إيجابيات من خلال جمعها للدول الإسلامية، لم تحقق أي إنتاج على مستوى ما تجمعه من العالم الإسلامي، فهي حتى الآن غارقة بالجزئيات دون تقديم أية خطة عملانية واقعية تعالج المشاكل المعقدة للعالم الإسلامي.

مسؤولية منظمة المؤتمر الإسلامي

- **مداخلة الأستاذ عبد الوهاب بدرخان ـ لندن:**

في الحقيقة إن منظمة المؤتمر الإسلامي مثل الجامعة العربية، لا نرى كثيراً من

النتائج لعملها ونشاطها، يبقى أن الحدث العالمي لهذه السنة وضع علينا مسؤوليات، شئنا أم أبينا.

في نظر سماحة السيد، ما هو المطلوب، خصوصاً الآن، من العرب والمسلمين كخطة أولى ليثبتوا للعالم أنهم تلقوا الرسالة التي وجهت إلى العرب مثل الرسالة التي وجهت إلى أميركا، وهناك رسالة وجهها المجتمع الدولي إلينا، لا أعود إلى مسؤولية العرب والمسلمين، وإنما أقول إن هناك نوعاً من المسؤولية الأخلاقية التي يجب أن نشعر نحن بها دون أن يغصبنا عليها أحد، كون الذين ارتكبوا هذه الهجمات المرفوضة والمستنكره مسلمين وعرباً.

فما هي البداية في معالجة أو مواجهة هذا الحدث؟

أعتقد أن الرسالة خطأ، وأن إرسال هذه الرسالة إلينا خطأ، لأن وجود فريق من أي مجتمع من المجتمعات يقوم بعمل سلبي ضد مجتمع آخر، لايحمِّل ذلك المجتمع بأجمعه رسالة على نحو توجه إليه الاتهامات والمسؤوليات.

فأنا أتساءل: كم من عمليات الإرهاب التي حدثت في أميركا؟ ماذا عمّا يحدث في إيرلندا؟ لماذا لا تبعث رسالة إلى الأميركيين معالجة الإرهاب عندهم؟ وجرائم القتل وغيرها؟ فلا بدّ في منطق العدالة الحضارية الإنسانية من أن تحصر كل القضايا في دائرتها الخاصة. هناك فريق من الناس لا بد أن تدرس الاتهامات الموجهة إليه بطريقة قضائية هادئة لا بالوسائل العسكرية، كما حدث في أفغانستان.. في الرسالة الموجهة إلى العالم العربي والإسلامي، وبوش يتحدث عن قيم الحضارة والحرية، يقول للعالم العربي والإسلامي إما أن تكونوا معنا أو تكونوا مع الإرهاب. لماذا لا يكون هناك وسط بينهما، على الأقل إننا نفكر كما يفكرون، ونملك دراسة الواقع، ولا سيما واقعنا أكثر مما يدرسون. فالقضية في مواجهتنا لهذه الرسالة الخطأ أن ندرس عناصر القوة فينا، لأن المشكلة الآن هي أننا نتحرك من موقع الإحساس بالعجز والخوف من الاتهام بالإرهاب وما إلى ذلك، وهذا ما لاحظناه في الاتهامات التي انطلقت في الصحف الغربية، ولا سيما الأميركية اتجاه بلد هنا وبلد هناك، حتى البلاد المرتبطة بأميركا بروابط سياسية وثيقة، لأن بعض مواطنيها كانوا من جملة الذين قاموا بهذه الأعمال نتيجة الاتهام الأميركي. إننا نرى أن علينا عدم الوقوف موقف العاجز والخائف وأن ندرس مواقع القوة الواقعية لا الاستعراضية ولا الحماسية، ثم نتحدث مع العالم بطريقة موضوعية، لنقول لهم خاطبوا بلغة سياسية حضارية موضوعية، لأن الشعوب كما الحكومات لا تقبل إما

و«إما»، لأنها كلمات السيطرة الغطرسة لا كلمات الحل للمسائل.

للإسلام أساليبه الحضارية

■ **يعني سماحة السيد حضرتكم لا تؤيدون مطلب إعادة النظر في البرامج التربوية القائمة على تعليم الدين وكيف نعلم نحن الدين الإسلامي، لأن هناك نظرة في الغرب أن هذا التعليم الديني هو الذي أدّى في بعض التحاليل إلى عمليات الإرهاب في الولايات المتحدة؟**

من ناحيتي، أرى خطأ هذا التصور، صحيح أنه في كل المراحل كما في كل الأديان هناك أشخاص لا يملكون الثقافة الأصيلة المنفتحة على فهم الدين أو فهم القومية أو الديموقراطية أو فهم الحريات، ولكن القضية ليست في أن نعيد النظر في منهج التربية الدينية. إنّ لدينا مناهج معاصرة وحضارية في فهم الإسلام، لكنّ المشكلة أنّ الغربيين معقدون من كلمة الجهاد، وقد قلنا مراراً إن الجهاد في الإسلام هو جهاد دفاعي ووقائي ككل الحضارات التي تمارس ومارست عمليات الدفاع الوقائي. إنّهم يتحدثون عن الأصولية، ونحن قلنا لهم ليس في الإسلام أصولية، فالأصولية بالمعنى الغربي تعني إلغاء الآخر، والإسلام يقول: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله﴾ ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا﴾. والعنصر الثاني في الأصولية اعتبار العنف هو الوسيلة الوحيدة للتغيير ولحل المشاكل، والإسلام يقول: ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾، حوّل أيها المسلم أعداءك إلى أصدقاء، اتبع الأساليب الإنسانية التي تنزع فيها عداوتهم من عقولهم وقلوبهم. لذلك، المشكلة أنهم تعقدوا من بعض الكلمات ولم يقبلوا أي توضيح من علماء المسلمين لهذه الكلمات. إنهم يتحدثون عن الإرهاب، وقلنا لهم إن الإسلام ضد العدوان، ولكن الإسلام ككل الحضارات ضد الاحتلال وفرض الأمر الواقع بالقوة، وهذا أمر تبرره كل الشرائع والحضارات. وإلا فإننا نقول إذا كان منطقكم هذا المنطق فالمقاومة الفرنسية إرهاب، والقضية أنهم لا يريدون أن يفهموا علينا.

■ **اتصال من «محمد» السعودية:**
كيف تتجلّى الدعوة إلى الإسلام برأيكم؟

نحن ندعو إلى الإسلام المنفتح على قضايا الإنسان، ولكن علينا أن نقوم بحوار علمي

موضوعي نفهم فيه حدود الإسلام في ما أحلّ الله وفي ما حرّم، ونفهم ما هي الوسائل الواقعية التي نستطيع من خلالها أن نجمع المسلمين لنطبّق الإسلام هنا وهناك.

الفلسطينيون يدافعون عن أنفسهم

■ **سماحة المرجع السيد: قامت «حماس» بعمليات داخل الخط الأخضر، فهل نستطيع القول إن مهاجمة مدنيين، بمن فيهم المدنيون الإسرائيليون، هو أمر لا يجوز؟**

هناك نقطة لا بد لنا من دراستها بعقل بارد، لا تبتعد عن المعنى الإنساني، لقد دفعت إسرائيل بكل ما لديها من قوة، حتى الطائرات المستعملة في الحروب الكبيرة، ضد الفلسطينيين وقتلت من قتلت وجرحت وشردت ودمرت وجرفت وحاصرت واغتالت، ولا يملك الفلسطينيون إلا الحجارة وقذائف هاون هناك، مما لا يحقق أي توازن بين الطرفين حتى بنسبة الواحد بالمئة، لهذا فقد أسقط اليهود الأمن الفلسطيني بالكامل. وكانت المسألة عند الفلسطينيين أن يقنعوا اليهود أن الأمن الإسرائيلي لن يكون سالماً من الجراحات أو من السقوط إذا بقي الأمن الفلسطيني بهذه المأساة، فالمجاهدون الفلسطينيون كانوا مضطرين ـ حسب مفهومهم ـ أن يرفعوا اليد الإسرائيلية القاتلة عن أعناقهم بهذه الطريقة. فالمسألة تماماً كأية مسألة عسكرية في أي حرب شاملة يضطر فيها فريق إلى تجاوز الوسائل التقليدية في حربه حتى يستطيع أن يدافع عن نفسه. إنّ الفلسطينيين الذين قاموا بالعمليات في الخط الأخضر استهدفوا الأمن الإسرائيلي ولم يستهدفوا المدنيين الإسرائيليين بالذات.

دلوني على نقطة ضوء للمفاوضات

■ **سماحة السيد، سؤال آخر حول المسيرة السلمية: يريد العالم وحتى العالم العربي أن يقول، إنّ المفاوضات والمسيرة السلمية هي الحل الوحيد للوصول إلى استعادة الحقوق العربية، فماذا تقول في ذلك؟**

إن العالم الدولي بأجمعه لا يريد بحسب مصالحه وخطه أو تبنّيه لإسرائيل ـ الدولة المدلّلة ـ أن يعطي الفلسطينيين حقوقهم الشرعية الكاملة، وحتى الضفة الغربية وغزة والقدس القديمة. لهذا فقد لاحظنا أنّ المفاوضات لم تستطع أن تحقق للفلسطينيين الشيء الكثير. وإننا نرى أنّ المرحلة الحاضرة لن تقود إلى مفاوضات كبيرة تحقق للفلسطينيين دولتهم كما يفكرون. إن المطلوب الآن اميركياً وأوروبياً وإسرائيلياً بشكل طبيعي أن تُنتزع من الفلسطينيين الورقة التي يمكن أن تبقي إسرائيل في المأزق الأمني، حتى ينطلق

الفلسطينيون إلى المفاوضات عراة حتى من ورقة التوت، لأن الإسرائيليين يملكون كل مواقع القوة، بما فيها احتلال الأرض، ويملكون الدعم الأميركي المطلق والدعم الأوروبي بطريقة وبأخرى، بما يتناسب مع المصالح الأميركية.

إنّ السؤال: ما هي الظروف التي تعطي الفلسطينيين فرصة لأخذ حقوقهم؟ وأميركا تدعي الحيادية، وقتلتنا تلك الحيادية! والأوروبيون لا يملكون لأنفهسم نفعاً ولا ضراً أمام أميركا وإسرائيل بالنسبة للقضية الفلسطينية.

وهنا أسأل كل المتحمسين للمفاوضات: دلّوني على نقطة ضوء لهذه المفاوضات لتحقق النتائج الكبرى للشعب الفلسطيني.

- **مداخلة للأستاذ عبد الوهاب بدرخان:**
سماحة السيد يقودنا قليلاً نحو المجهول، فلا نستطيع أن نتبنى «لا للمفاوضات» ولا نستطيع أيضاً أن نرفض وجهة نظره بالنسبة إلى موضوع العمليات الاستشهادية التي حصل نقاش حولها، وهذا النقاش لم يحسم. ولقد كنت أحب أن أسمع من سماحة السيد رأيه تفصيلاً في قرار حماس والجهاد الإسلامي بوقف العمليات في مقابل نداء السلطة الفلسطينية بأن هناك مصلحة وطنية لما يعمل له الجميع على الساحة الفلسطينية ولنفس الأهداف، لأن الجميع، وكما هو مفترض، يريدون مصلحة الشعب الفلسطيني. ونأمل أن نسمع رأي سماحة السيد في قرارات لا بد أنها صدرت في مصلحة الشعب الفلسطيني، ومنه، لأن هذا الشعب معنيّ مباشرة بالموضوع.
- **(المحاور) هناك سؤال آخر سماحة السيد مضافاً لما سبق وقبل إجابة سماحتكم موجّه للأستاذ تركي السديري في الرياض:**
هل تعتقد أستاذ تركي أن إيقاف العمليات الاستشهادية في هذا الوقت هو موقف مناسب؟

تركي السديري: هو إيقاف مناسب لو أنّ إسرائيل دلّلت أنها تبحث عن السلام، هي في الحقيقة تبحث عن الاستسلام وليس عن السلام، ففي ظل دعوة عرفات ومساعيه، واستجابة بعض المنظمات الفلسطينية لوقف العمليات الاستشهادية، نجد في المقابل عمليات الجرف واحتلال المدن وحجز عرفات، فأقصى ما يريد شارون ـ وتاريخه في

مذكراته يصرخ بهذه الحقائق ـ أن يرغم الفلسطينيين على القليل القليل مما يريد وضعهم فيه، وهو أشبه ما يكون بتجمعات صغيرة على مستوى الشرطة وليس الجيش، وأن يشرف عليها هو بطريقة غير مباشرة. ولا أعتقد أن هذا يُرضي طموح الفلسطينيين، وتكون دماء الشهداء العديدة والكثيرة التي نثرت على الأرض الفلسطينية قد ضاعت هباءً.

نحن مع تحفظات منظمتي حماس والجهاد

■ **ما هو تعليق سماحتكم على مداخلتي الزميلين؟**

إنني أوافق الأستاذ السديري في أن شارون ومعه كل هؤلاء الذين رجموا حماس والجهاد بتهمة الإرهاب، همهم تحقيق ما ورد في البيان الوزاري، حيث وعد اليهود بوقف الانتفاضة بالقوة وتحقيق الأمن لإسرائيل على حساب الفلسطينيين. وسوف لن تسقط المستوطنات، بل ستبقى. والمطلوب إسقاط الورقة التي تعطي الفلسطينيين قوّة في المفاوضات وتحرج إسرائيل.

وأما قرار الأخوة في حماس والجهاد، فإنني أشبّه الأمر بشخص يمسك ولدك وهو يضع المسدس في رأسه ويقول لك إمّا أن تعطيني ما أريد أو أقتل ولدك، وهذه هي المسألة. إمّا أن تكون هناك فتنة مسلحة بين الفلسطينيين يربح فيها الإسرائيليون في السلم ما لم يربحوه في الحرب، وإما أن توقفوا عملياتكم في الخط الأخضر. إن الأخوة كانوا دقيقين في تحفظاتهم ونحن مع هذه التحفظات.

تطرف السلطة السجينة!

■ **(المحاور): سماحة السيد المرجع، هناك انطباع دولي أنه يجب أن يكون هناك سلطة واحدة ومفاوض واحد فلسطيني. المشكلة على الساحة الفلسطينية أقله برأيهم أنّ هناك أكثر من مفاوض ولاعب، ويجب أن يكون هناك سيّد واحد للساحة الفلسطينية، هو رئيس السلطة ياسر عرفات، أفلا يجب ـ وبكلام آخر ـ أن نعطي كل الدعم لهذا الرجل ثم نقول له ماذا نريد، ونرى ما هي مصلحة العرب والمسلمين في القضية الفلسطينية وعندها يتصرّف؟**

عندما ندرس المرحلة السابقة التي أعقبت هذه الضغوط الدولية، فإننا نجد تفاهماً بين السلطة والمنظمات المشاركة في الانتفاضة، ولكن الضغوط التي أطبقت كالجبال على

السلطة هي التي جعلت السلطة تتصرّف بهذا الشكل، وإنني أتصور أن حماس والجهاد ربما تمانعان في التنسيق مع السلطة، ولكن السلطة هُدّدت بوجودها وبأكثر من ذلك. ولهذا فإن قرار السلطة هو قرار المضطر لا قرار الفريق الذي يريد الوصول إلى أهدافه الكبرى. المشكلة أن الانتفاضة سجينة في غزة وفي رام الله، وماذا يملك السجين هنا وهناك أن يعطي قراره بشكل حر.

اختيار من نستمع إليه

■ **اتصال من «نزيه» في الولايات المتحدة الأميركية؟**

نحن كمسلمين بحاجة لقادة دينيين نفهم من خلالهم الإسلام، لأننا نعيش في عصر ووضع تكثر فيه الفتاوى من المشايخ.

ثم ماذا نريد أكثر من الفلسطيني الذي خذله العرب؟ فمنذ العام ١٩٤٨ لا نزال لاجئين. أعطونا من خلال المفاوضات هذه الدولة الصغيرة لتنتهي مأساة مناظر القتلى والدمار والتشريد، لأنّنا لم نحصل من العرب إلا على كلام حتى الآن، وشكراً لكم ولسماحة السيد؟

أولاً: عليكم اختيار من تستمعون إليهم كما تختارون الجامعة التي تتعلمون فيها، والنادي الذي تلعبون فيه، لماذا تستسلمون لكل شخص يتحدث إليكم دون أن تعرفوا فكره وأصالته وحضارته وفهمه الأصيل للإسلام؟

ثانياً: أن تقول أعطونا دولة ولو صغيرة وننتهي، فإن جوابي أنه لن تنتهي، لأن إسرائيل تريد أن تجعل منكم مجرّد هامش على هامش الهامش من وجودها، لهذا لم يبق لكم إلا القليل لتحققوا الكثير مما تريدون ﴿وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور﴾ ﴿إنما ذلكم الشيطان يخوّف أولياءه فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾.

نشكركم بشكل خاص سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله على مشاركتكم في برنامج «الحرب الجديدة» ووقتكم الذي سمحتم لنا به.

القسم الثالث:

الأمبراطورية المجنونة

أميركا تدخل العالم المثقف المظلم

١

العالم بعد ١١ أيلول اهتزّ على المستوى السياسي والأمني والثقافي

حفلت الأيام الأولى لسماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله في المدينة المنورة بنشاط بارز، فقد اندفعت إلى مقرّ بعثة سماحته حشود كبيرة من الحجاج القادمين من مختلف أنحاء العالم، كما التقى سماحته بالكثير من وفود البعثات القادمة من الدول العربية والأجنبية، وكانت له مواقف متعددة تناولت موضوع الحج وقضايا العالم الإسلامي.

تحدث سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله أمام وفود مختلفة عن معاني ودلالات زيارة الرسول الأكرم (ص)، والأئمة (ع) في المدينة المنورة، فقال:

«لا بد للإنسان الذي يعيش في هذا المناخ الإسلامي العبادي الروحي من أن يرتفع إلى مستواه. إن زيارتنا إلى المدينة، تمثل هذا الانفتاح على رسول الله، ومن المؤسف أن الزيارة في الواقع الإسلامي اخذت دوراً تقليدياً، بحيث إن الإنسان يمارسها من دون روح، فيمسك كتاباً ويردد بعض الأدعية والكلمات، وقد لا يعيش روحية الكلمات والأدعية التي تنطلق كطقس تقليدي يمارسه البعض أو الكثيرون بطريقة باردة. وقد يحصل البعض على

من مكة المكرمة في موسم الحج عام ٢٠٠٢م.

أجواء حميمة ولكن لا توحي بالتجدد في الروح، في الخط الذي يمثل سيرة الشخصية التي يزورها الإنسان المؤمن. لهذا نحن بحاجة إلى أن نعطي الزيارة عمقاً في المعنى، ونرتفع إلى المستوى الذي عاشه صاحب الزيارة. علينا قبل أن نندمج بالكلمات أن نقف أمام قبر الرسول لنتمثل رسول الله ولنستحضر في أنفسنا أنه كان يصلي في هذا المحراب، وكان يرقى إلى هذا المنبر، ويخاطب الناس ويعظهم، لنشعر بالاندماج في هذا الجو.. أننا نتنفس حيث تنفس، ونصلي حيث صلى، وأن خطواتنا تسير في الدرب الذي سار عليه. فالشيء الأساسي الذي ينبغي أن نتمثله في رسول الله هو الجانب الرسالي، لأن الله لم يحدثنا عن الجانب الذاتي في رسول الله(ص) إلا من خلال دوره الرسالي الأخلاقي.

والشيء الذي يجب أن ينطلق به المسلمون الآن من خلال شخصية رسول الله، وأمام كل الأحداث التي تتحداهم هي هذا الأفق العالمي الرحب، بحيث يأخذون المعنى الإيحائي، ولا يحبسون أنفسهم في الزنزانة العائلية، أو المناطقية، أو الإقليمية، ليفكروا بأنه عندما تحدث مشكلة اقتصادية فإن الاقتصاد الإسلامي لا بد أن يتأثر بها، وعندما تحدث مشكلة أمنية فإن الأمن الإسلامي هو الذي يدفع الثمن أيضاً.

علينا أن نستفيد من وجودنا في أي موقع في العالم لنسخّر هذا الوجود لمصلحة الإسلام، من خلال مشاركاتنا السياسية والفكرية والثقافية، لأننا بذلك نستطيع أن نفهم حتى مشاكلنا الوطنية والقومية أكثر، إذ إننا غالباً ما ندرس مشاكلنا بشكل منفصل عن مشاكل العالم.

نحن لا نستطيع أن نتحرك في هذا العالم إلا إذا فهمناه وفهمنا أنفسنا وإلا إذا توحّدنا في خط الدفاع عن كل القضايا الإسلامية».

ومما جاء في كلمة سماحته والتي ألقاها في جموع الحجيج التي زارته في مقر بعثته:

«نحن هنا في مدينة الرسول(ص)، وعلينا في هذه الرحاب الطاهرة أن نخرج بذهنية إسلامية تنفتح على التاريخ الإسلامي وعلى معاناة النبي(ص) وأهل بيته والصحابة الطيبين ممن ساروا على منهجه في حمل الدعوة والدفاع عنها

وتحمل الأذى بمختلف الوسائل في سبيلها، لأن النبي(ص) والمسلمين معه واجهوا ثلاثة أعداء.. ونحن نعيش نفس التجربة، فنحن نواجه المشركين في مواقع الإلحاد في العالم التي ترفض الدين كله، ونواجه اليهود لا في فلسطين فحسب، بل في العالم، لأن اليهود اتحدوا في العالم ضد قضايانا. أما المنافقون فهم يعيشون بيننا وفي أكثر مجتمعاتنا، لذلك علينا أن ندرس تجربة الرسول(ص) في مواجهة كل هذه المحاور ونستشعر مسؤوليتنا في حماية الإسلام من كل هؤلاء الأعداء..

الإسلام إنما يقوم بجهد المسلمين وحركيتهم، فلا بد أن نحمل هم الإسلام والمسلمين، فالإنسان الذي يواجه الواقع ويفكر بروح اللامبالاة ليس بمسلم، معناه أنه لا بد لنا من ثقافة إسلامية نفهم فيها الإسلام، ولا بد لنا من الوعي الإسلامي السياسي لكي نفهم الواقع وخلفيات الأحداث.

الآن هناك الهجمة التي يتعرض لها المسلمون في العالم، ما يتطلب منا أن ندرك خلفياتها، ثم ندرس ماذا نستطيع أن نقدم للإسلام، وماذا نُعّد لعملية المواجهة.

إن المجيء إلى المدينة المنورة معناه أننا نأتي لنمشي في دروب الإسلام. فهنا كانت التجربة الإسلامية في مواجهة المشركين في موقعتي بدر وأحد، وهنا كانت معركة النبي(ص) ضد اليهود.. فالمجيء للمدينة معناه أننا نأتي للعاصمة الإسلامية الحركية، لأن مكة كانت عاصمة الدعوة، بينما المدينة كانت عاصمة الحركة.

ثم علينا أن نتحسس ونحن نمشي في شوارع المدينة حركة الرسول (ص)، فهنا كان يمشي(ص) وهنا كان علي(ع) وكانت الزهراء (ع).. نحن ندعو من الفضاء الذي كان النبي(ص) يدعو فيه. لا بدّ أن نعيش أنفاس النبي(ص) وخطواته. وأن نحوز على الشرف الكبير عندما نصلي في المكان الذي كان النبي(ص) يصلي فيه. إننا نأتي لنعيش روحية رسول الله فلا نشغل أنفسنا بالقال والقيل. علينا أن نأتي لنتعبّد ونتموّن روحياً وإسلامياً، خصوصاً بالنسبة إلى الإخوان الذين يعيشون في بلاد غير إسلامية.

إننا نحتاج إلى الطاقة الروحية التي تجعلنا نستطيع أن نقاوم وأن نواجه، فالزيارة ليست أن تقرأ في الكتاب فقط، بل يكفي أن تقف أمام الرسول (ص) لتقول له: السلام عليك يا رسول الله، أشهد أنك قد بلّغت الرسالة.

حدثنا الله عن النبي الإنسان قال: كونوا كالنبي في إنسانيتكم لتحملوا هموم الناس، ترأفوا بالناس. لذلك عندما نعيش مع رسول الله(ص) نعيش مع الله ومع خط الجهاد، وما علينا تحصيله من روحية علينا أن نحصل عليه حتى إذا ذهبنا إلى مكة، كان لنا موعد روحي جديد».

وكان لسماحته أكثر من موقف في الكلمات التي أطلقها خلال هذه اللقاءات، حيث دعا الناس إلى الالتزام بثقافة الحق، وتقديم خطاب إسلامي يخدم المصالح العليا للأمة، وخصوصاً في ظلّ الهجمة العالمية ضد الإسلام التي تعمل على إثارة الخلافات بين المسلمين، مؤكداً على ضرورة فهم خفايا الواقع وخلفيات الأحداث.

وشدّد سماحة السيد على مواجهة العناصر المتخلفة في واقعنا، لأنهم لا يعيشون وعي القضايا الكبرى، مما يساهم في إحداث الفتن الداخلية لحساب المخابرات الدولية والمحلية. وحثّ سماحته جموع الحجيج على طرد كل من يريد زرع الفتنة بين الناس، موضحاً أن العلماء العلماء هم الذين يعملون لوحدة الأمة لا الذين يسعون في تمزيقها.

ودعا سماحته الجاليات الإسلامية في الغرب إلى الابتعاد عن كل من لا يحمل مسؤولية الإسلام والمسلمين مهما كان علمه، لأن لا قيمة لأي علم لا يتحرك من أجل إنقاذ الأمة وتعميق وحدتها. كما دعاها إلى التمسك ليس بالوحدة الإسلامية فحسب، بل بوحدة المستضعفين جميعاً. وتمنى أن تكون حركة المسلمين ومواقفهم في الغرب في خط القيم الإسلامية، حتى نقدم الإسلام في صورته الحضارية المشرقة.

ولفت سماحته إلى أن العالم بعد ١١ أيلول أخذ يهتز على المستويات السياسية والأمنية والثقافية مما يتطلب التحديق في جوهر الأمور لا في هوامشها، والتمسك بكل قضايانا، وفي الخصوص قضية فلسطين التي نعتبرها القضية الإسلامية التي تختصر تاريخنا في مدى ١٠٠ سنة تقريباً، وتمثل التحدي الكبير للاستكبار العالمي والصهيوني.

وفي موقف آخر، دعا سماحته إلى إعداد الذات في جميع الجوانب كي يمكن لنا أن نشكل حاجة فعلية لهذا العالم، ونوفر الشروط الكفيلة بتقديم خطاب قادر على التعامل مع عقليات الناس أينما كانوا، وهذا ما يتطلب الاهتمام الكبير بالإسلام، لا سيما بعد أن أصبح هذا الدين مهنة للكثير من الأشخاص الذين لا يحملون هَمّ الرسالة.

وسُئِل سماحته عن التهديدات الأميركية الأخيرة ضد لبنان وإيران، فقال: لن يحدث شيء للبنان، وهذه حملات إعلامية سياسية يراد من خلالها إيجاد ضغوط من أجل تقديم تنازلات. كذلك فإن أميركا لا يمكن أن تفكر بأية حملة عسكرية ضد إيران، وإنما تريد أن تضغط عليها لأنها تملك نفوذاً في محيطها ربما تستخدمه في أفغانستان، ولأنها تدعم الانتفاضة الفلسطينية بشكل كبير، كما تدعم المقاومة الإسلامية في لبنان.

وأضاف سماحته أن أميركا تريد من هذه التهديدات الإيحاء بأنها الدولة التي لا بدّ أن يخضع لها العالم وأنها هي التي تستطيع أن تقتل وتدمّر من يرفض سياستها، فيما تشير مواقف الاتحاد الأوروبي وحلفاء واشنطن في المنطقة العربية المعارضة لأي تصعيد، إلى أن ما جرى في أفغانستان لن يجري في أماكن أخرى، وإن اقتضت الضرورة أن لا ننام على حرير، لنظل نراقب الموقف بحذر دون السقوط أمام كل التهديدات.

٣

الاستسلام لإرادة أميركا سيسقط القادة العرب والمسلمين

دعا سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله الأمة إلى استنفار طاقاتها للوقوف مع الشعب الفلسطيني والبحث عن أية ثغرة يمكن أن ينفذ منها المتطوعون لمشاركة هذا الشعب جهاده.

وحمّل سماحته الإدارة الأميركية مسؤولية ما جرى ويجري في فلسطين، مشدداً على علماء الدين المسلمين أن يكونوا صوتاً واحداً في وجوب مقاطعة البضائع الأميركية.

ورأى سماحته أن الفلسطينيات اللواتي ينفذن العمليات الاستشهادية هنّ من الشهيدات اللواتي يصنعن تاريخاً جديداً ومجيداً للمرأة العربية المسلمة، معتبراً أن هذه العمليات هي جهاد كأية عملية جهادية، لأن آلية الجهاد تفرضها حاجة المعركة. كلام سماحته جاء خلال لقاء حواري مع محطة «الجزيرة» الفضائية، ومما جاء فيه:

تلفزيون الجزيرة، برنامج «**حوار مفتوح**»، أجرى الحوار: غسان بن جدو السبت ٣٠ آذار٢٠٠٢م، الموافق ١٦ محرم ١٤٢٣هـ

.. إننا نرى الآن تحدّياً فعلياً وواقعياً يعلو على التحدّي الإسرائيلي البشع وخيارات أرييل شارون الميدانية الفتاكة، ولا نرى أولوية، على الأقل على مستوى نقاشنا في حلقتنا هذه، من حوار مفتوح على دعم الشعب الفلسطيني الشامخ ورموزه الصامدة. وهذا ما سنحاول مراجعته مع العلامة السيد محمد حسين فضل الله المرجع الديني والمفكر الإسلامي.

■ **سيّدي الفاضل، التحديات عدة والأولويات عدة. أين نحن بالتحديد وأنتم ترون ما يحصل في فلسطين؟**

بسم الله الله الرحمن الرحيم. إن أوّل التحديات التي نواجهها في ما يُسمّى العالم العربي، أنه ليس هناك عالم عربي، بل هناك أقطار تختزن في داخلها بعض مشاعر العروبة أو بعض لافتاتها، لأن المسألة في معنى أن يكون لنا عالم عربيّ هي أن تكون هناك وحدة في المصالح العربية والمواقف من التّحديات ومواجهتها، أن نشعر بأننا مؤتمنون على شعب يمتد من المحيط إلى الخليج ـ كما يقولون ـ وأن علينا أن نحدّق في أولويات هذا الشعب وفي حاجاته الحيوية وقضاياه المصيرية.

ولكن المسألة هي أن هذا العالم واجه الواقع الدولي فسقط أمامه لأن القضية اختزلت في كيف يمكن أن نتحرك مع هذه السياسة الدولية أو تلك.

موقف تنازلي من الدرجة الأولى

■ **هناك قمة عربية عقدت في بيروت، والقادة العرب تضامنوا على رفع شعار السلام، وأرييل شارون ردّ مباشرة وأنت تعلم ما يحصل في فلسطين، فما الذي يحصل بالتحديد، وما هو موقفكم؟ كيف ترون ما يجري في المشهد الفلسطيني؟**

أعتقد أن القمة العربية قدمت موقفاً تنازلياً من الدرجة الأولى يضاف إلى التنازلات السابقة التي أعقبت اللاءات الثلاث، وكانت إسرائيل ومعها أميركا تحاول نقل العرب من موقع تنازلي إلى موقع تنازلي آخر، وتوجيه الاتهام إليهم بأنهم لا يريدون السلام بل الحرب.

إنني أتصور أن القمة العربية، عندما تحركت لم تنطلق من نبض شعوبها، ومن دراسة

حاجاتها السياسية والأمنية الحيوية، كعالم عربي. لقد كنا نستمع إلى أن بوش ومعه الإدارة الأميركية، كانوا يلاحظون المبدأ الذي ينطلقون منه ولا يريدون ازدواجية فيه، وهو محاربة الإرهاب.

ونحن نتساءل أنّ العرب الذين يرفضون عنوان الإرهاب عندما تطلقه أميركا على المقاومة والانتفاضة فلماذا لا يتحركون لمواجهة قضاياهم الداخلية؟ هذه المواجهة المستندة إلى صرخات شعوبهم، والتجارب المريرة التي عانوها من أميركا وإسرائيل. لماذا لا ينطلق الحكام العرب من أجل أن يقفوا موقفاً واحداً ليقولوا: لا لأميركا وليتحركوا بقوة في مواجهة إسرائيل؟

أميركا تسخر من عقول العرب

- **وزير الخارجية السعودي قال بوضوح: كفى شعارات وكفى مزايدة فالقادة أيضاً يمثلون شعوبهم..؟**

المسألة أننا نطلق المبادرات وإسرائيل تتحرّك بالمواقف التي تتحدّى فيها كل العالم العربي، بل تسخر من العالم العربي كله، حتى أن أميركا تسخر من عقولنا حين تتحدّث أن من واجب عرفات أن يعمل على إنهاء الإرهاب، في الوقت الذي لا يستطيع فيه تجاوز عتبة الغرفة الساكن فيها.

لا وقت للانشغال بالتفاصيل

- **على ذكر الرئيس عرفات ـ سماحة السيد ـ ليس خافياً أنكم كنتم ومن تمثلون من تيارات في المنطقة العربية بشكل عام، التيارات الإسلامية، ترفضون «أوسلو». وكنتم دائماً تنتقدون هذا الأمر، ولكن الرئيس عرفات محاصر الآن في مقرّه، والشعب الفلسطيني يُقتل، فماذا تقولون للرئيس عرفات والشعب الفلسطيني؟**

إننا نقول للشعب الفلسطيني ومعه السيد ياسر عرفات، إنّ المرحلة التي تعيشونها تمثل الوحدة الجهادية المنفتحة على مواجهة التحدي الإسرائيلي الذي ينضم إلى التحدي الأميركي، لذلك لا تدخلوا في التفاصيل والجزئيات. لا صوت الآن إلا صوت مواجهة العدو الإسرائيلي، بكل ما تملكون من طاقة.

إن أميركا تريد وضع الانتفاضة في موقع الإرهاب، وعلى الانتفاضة أن تتحدث بصوتٍ

عالٍ واحد، وهو أن هناك احتلالاً وهو قمة الإرهاب، وللشعب أن يواجه الاحتلال بكل الوسائل بما في ذلك العمليات الاستشهادية، لأن أميركا أعطت كل الأسلحة للإسرائيليين، ليحاربوا بها شعوب المنطقة ولا سيما الشعب الفلسطيني، وليس للشعب الفلسطيني سلاح إلا أجساد المجاهدين الاستشهاديين. فإذا كانت أميركا تعطي لإسرائيل مدافعها، فالإنسان هو المدفع في الساحة الفلسطينية.

منطق بوش ومنطق الواقع

■ **ولكن الرئيس الأميركي يبدو مقتنعاً بما يحصل الآن في فلسطين بدليل أنه قال في رحلته إلى تكساس: «إنّ عرفات بإمكانه بذل المزيد». إنه يطالب عرفات ببذل المزيد. وقال: إن إسرائيل دولة ديمقراطية وهي تستجيب لرغبة شعبها، وتعلم كيف تتخذ القرارات المطلوبة للحفاظ على مصالحها؟**

إذا كنا نريد أن نتحدّث بمنطق «بوش» فإن فلسطين أيضاً هي دولة ديموقراطية، لأن قيادتها ـ حسب المنطق السياسي الموجود ـ انتخبت من خلال أكثرية شعبية. الفلسطينيون أيضاً، والقيادة الفلسطينية تريد الاستجابة لنبض شعبها في مواجهة الاحتلال، إذا كنّا نريد أن نأخذ بهذا المنطق.

الإدارة الأميركية تتحمل المسؤولية مئة بالمئة

■ **هل نفهم من ذلك سيدي، أنكم تحمّلون الإدارة الأميركية مسؤولية ما يجري في فلسطين؟**

إنني اعتبر أن الإدارة الأميركية مسؤولة بالمطلق عمّا يجري في فلسطين، وعن كل ما جرى في فلسطين. ونحن هنا لا ننطلق من عقدة تجاه «الأميركي»، ولكننا نعرف أن الإدارات الأميركية المتعاقبة هي التي أعلنت ولا تزال تعلن أنها تتبنّى أمن إسرائيل السياسي والعسكري والاقتصادي بالمطلق لتكون إسرائيل أقوى قوّة في المنطقة في مواجهة أنظمة وشعوب كل المنطقة لا الفلسطينيين بالذّات.

إنّ أميركا تتحدّث عن أنّ إيران تصنع أسلحة الدمار الشامل، وأن العراق تملك أسلحة الدمار الشامل، ولكنها لا تسمح لأي دولة في العالم حتى الدول الكبرى أن تتحدث عن مئتي رأس نووي تملكها إسرائيل، وعن كل الأسلحة الكيميائية التي بحوزتها.

الأنظمة العربية تتحرك من قاعدة العجز

■ **ولكن ما نشهده الآن في الساحة الفلسطينية، بكلّ صراحة، أن الفلسطينيين يقفون وحدهم، فأين الأنظمة العربية؟ وحتى أين أنتم علماء دين؟ ونخب؟ وشعوب؟ أين الجميع؟**

أما الأنظمة العربية ـ فمع الأسف أقول ـ إنهم يتحركون من قاعدة العجز والفشل، لاسيما بعد إطلاق أميركا الاتهام بالإرهاب لأكثر من دولة عربية، وتهديدها أكثر من دولة عربية بالاجتياح على الطريقة الأفغانية، ولذلك فإن هناك خوفاً أمنياً واقتصادياً وسياسياً عربياً على أكثر من جانب.

أمّا بالنسبة إلى العلماء فإنني أتصور أنّ عليهم مسؤولية دراسة الواقع كله ومعرفة كيفية مواجهة هذا الواقع لمواجهة الأخطار المحدقة بالعالم العربي والإسلامي. وعليهم أن يقفوا وقفة واحدة من أجل توعية الأمة كلّها. ولهذا فإنني أعتقد أن مسألة الجهاد التي كانت تستهلك في كلمات الكثير من العلماء الذين نحترمهم، لم تستطع تطوير آليات الجهاد أو تحديد هذه الآليات وكيفية العمل عن تحريكها لتنطلق الأمة كلّها بحيث يشعر كلّ فرد من أفرادها. أن مسألة الجهاد ضدّ إسرائيل هي مسألة شرعية لا بدّ لنا من تحريكها في الواقع على طريقة رسم الخطة وتحديد الهدف وتنوير المجاهدين على طريق بلوغه.

علينا استنفار الأمة بكل ما لديها من إمكانات

■ **ولكنّ الوقت لا يسمح ـ سماحة السيّد ـ في الدراسة والتوعية، والقضية الآن تعدّ باللحظات والثواني؟**

كنت أتحدث أنه لا بدّ أن يكون الأمر كذلك. أمّا الآن فعلينا استنفار الأمة بكل ما لدينا من طاقة. ماذا يمكن أن تقدم الأمة من الدعم المالي، وكيف نبحث عن أية ثغرة يمكن أن ينفذ منها المتطوعون والمسلحون لمشاركة الشعب الفلسطيني جهاده، وكيف نقف بكل قوة في وجه السياسات الانهزامية والمتخاذلة.. إنّنا لا نطلق شعارات ولكننا نرى أنهاراً من الدماء تجري، ونرى وحشية همجية تستعمل فيها كل الأسلحة الأميركية ضد الشعب الفلسطيني.

إن المسألة هي أنّ على الأمة استنفار كلّ طاقاتها في سبيل الوقوف مع الشعب الفلسطيني. يجب أن يشعر الذين يعتبرون أنفسهم من قادة الأمة أنهم إذا لم يتخّذوا

موقفاً صلباً أمام السياسة الأميركية وأمام السياسة الإسرائيلية فإن الأمة سوف تسقطهم، ولكن نقول:

من يهن يسهل الهوان عليه   ما لجرحٍ بميتٍ إيلام

أخطبوط دولي

■ **هل أمر التطوع الفردي للاستشهاد في فلسطين، وكذلك إمكانية الفتوى لفتح جبهة قتالية ضدّ إسرائيل ممكنة الآن؟**

مع الأسف أن هناك أكثر من عقبة تعترض فتح الجبهات لأن هناك أخطبوطاً دولياً يتحرك في مفاصل الواقع العربي يمنع ذلك، وربما يثير أكثر من فتنة في أكثر من بلد عربي في هذا المجال، حيث يشغلوننا ونُشغل بأنفسنا عن إسرائيل.

سياسة التواصل مع أميركا فاشلة

■ **هل تعتقد سيدي، أن من الحكمة أن تقطع البلدان التي ترتبط بعلاقات ما مع إسرائيل، هذه العلاقات، أم الأفضل أن تستمر بذلك لتخفيف الضغط والتواصل مع الشعب الفلسطيني؟!**

إنني أعتقد أن تجربة الأنظمة العربية في التواصل مع الولايات المتحدة والدول الأخرى قد أثبتت فشلها، لأن الأنظمة العربية تستفد من أي خدمة سياسية أو اقتصادية أميركية أو إسرائيلية.

إنني أعتقد أن هذه الأنظمة المرتبطة بعلاقات دبلوماسية أو شبه دبلوماسية مع إسرائيل، لو هدّدت بمقاطعة إسرائيل إذا لم تنسحب من المناطق التي احتلتها، ولم تكفّ وحشيتها وهمجيتها عن الشعب الفلسطيني لكان أجدى لها من المراوغة والتحايل والتخاذل، وإذا انطلقت الأنظمة العربية في قمة عربية جديدة كما ذكر أمينها العام للجامعة العربية ـ حيث طالب بسحب مبادرة الدول العربية ـ لتقول للعالم الذي رحّب بالمبادرة باعتبارها إنجازاً في طريق الصلح والسلام... فلو فرضنا أنها هدّدت: إمّا أن تنسحب إسرائيل وتكفّ عن تدمير الشعب الفلسطيني وإما أن تسحب المبادرة.. لو أنهم هددوا، بذلك تهديداً واقعياً لربما كانت أميركا قد حسبت لهم حساباً. إننا نطلب من الأنظمة العربية أن تفعل ما تفعله إسرائيل التي تقف حتى ضد ما تريده أميركا، وتستمر في سياستها، إنها تحدّق بما تعتبره مصالح شعبها وعلينا أن نحدّق في مصالح شعبنا، فنحن نعرف أن

العالم العربي هو منطقة حيوية لكلّ العالم، ولذلك فإن الموقف الصلب الذي يوحي بأن الأنظمة لا تستطيع تجاوز نبضات شعوبها هو ممّا لا بدّ أن يعطي ثماره.

عمليات شبعا رسالة للعدو

■ **سماحة السيد، لقد ضرب حزب الله في شبعا، فهل تعتقدون أن هذا الأمر قد يجرّ المنطقة إلى حرب استنزاف.. أم أن شارون لن يغامر بالدخول في حرب أخرى تحت شعار: مكره أخاك لا بطل؟!**

أعتقد أن شارون لا يملك الظروف الواقعية لإدخال الساحة اللبنانية في معركة كبيرة، بل ربما يكتفي بالرد بهذه الطريقة التي ردّ بها في حينه. ولكننا نعتقد أن هذه العملية تمثل رسالة إلى العدو، كما أنها رسالة محبة إلى الفلسطينيين بأن الشعب اللبناني يمثل حركة الشعوب العربية والإسلامية في خط المواجهة، بحيث إن الأمور إذا تطورت أكثر فربّما يتجاوز الخطوط الحمراء!

العالم منقسم إلى مستكبرين ومستضعفين

■ **سماحة السيد، كل ما يحصل، ألا يجعل نموذج بن لادن هو النموذج الوحيد المتاح أمام الشعوب العربية؟ إني لا أتحدث عن شخص بن لادن، ولكن هذا النموذج الذي يقسّم العالم إلى قسمين، ويفرض أن على الشعوب الإسلامية أن تواجه ما يسميه بالعدوّ بشكل مباشر؟**

إنني أعتقد أن العالم منقسم إلى فريقين، فريق المستكبرين وفريق المستضعفين. وهذا هو المنهج القرآني الذي اعتبر أن مشكلة الإنسان في كلّ تاريخه هي مشكلة استكبار واستضعاف، سواء أكان ذلك في الجانب المالي أو في الجانب السياسي، أو ما إلى ذلك.

لهذا فمن الطبيعي جداً أن ينطلق المستضعفون من أجل حماية قضاياهم ومصالحهم، ضد المستكبرين، ولا سيما في العولمة التي تحرّك بها الاستكبار من أجل أن يستولي على مقدرات المستضعفين. ولكن المسألة هي كيف يمكن أن نحرّك المستضعفين في مواجهة المستكبرين. إن القوم يخططون فعلينا أن نخطط. وفي ضوء هذا فإن على كل الحركات السياسية ولا سيما الحركات الإسلامية أن تعمل على تجميع المستضعفين في كل بلد من أجل أن تخطط بطريقة عقلانية لا تبتعد عن الحماسة والانفعال والانفتاح على مسألة

التحدي، من أجل الإضرار بمصالح المستكبرين، وحتى من أجل تهديد أوضاع المستكبرين في العالم الثالث.

مقاطعة أميركا

■ **هل نفهم من ذلك سماحة السيد، أن ما يحصل يمكن أن يهدد، أو يدفع الناس إلى ضرب المصالح الأميركية؟**

هناك أمر حصل في ١١ أيلول في أميركا، وهو مما كان ضرره أكبر من نفعه على مصالح المسلمين بشكل خاص، والمستضعفين بشكل عام. وهناك حالات أخرى تنطلق من أنه لو أنّ كل المستضعفين قاطعوا البضائع الأميركية، وبالمقدار الذي يستطيعون فيه ذلك، وانطلقوا إلى بدائل أخرى، ولو أنهم وقفوا ضد السياسة الأميركية التي تفرض نفسها على الأنظمة، ولو أنّ علماء المسلمين من كل مرجعياتهم أصدروا فتوى ـ كما أصدرنا، وكما أصدر بعض العلماء ـ بوجوب مقاطعة البضائع الأميركية، بالطريقة الواقعية في هذا المجال.. لاهتزّت الشركات الأميركية بطريقة وبأخرى، ولضغطت على إدارتها لتغيير سياستها في هذا المجال.

أدعو العلماء المسلمين إلى الإفتاء بمقاطعة البضائع الأميركية

■ **وهل تجددون هذا الأمر الآن؟**

أفتيت منذُ سنين بهذه الفتوى، وهناك الكثير ممّن يرجعون إلينا في الفتوى التزموا بها، حتى في الأمور الصغيرة. إنني أدعو مراجع المسلمين سواء في مصر أو في إيران والعراق أو في أي بلد من بلاد المسلمين، أن يكونوا صوتاً واحداً في وجوب مقاطعة البضائع الأميركية، عقاباً لأميركا على إسنادها المطلق للوحشية الإسرائيلية، وأن يلتقوا من أجل التخطيط لتنفيذ ذلك في الواقع. لا يكفي الحديث عن الجهاد كشعار نرفعه للاستهلاك، أو نقف ضد أميركا لنهتف بشعار الموت لها ونحن نستهلك كل سجائرها وبضائعها. إن هناك أكثر من وسيلة ضغط على السياسة الأميركية وعلى المصالح الأميركية مما لا تحصل فيه أميركا على مكاسب كما حصلت في مسألة مركز التجارة العالمي وما إلى ذلك.

الشهيدات يصنعن تاريخاً مجيداً

■ **تطور جديد حصل على الساحة الفلسطينية بدخول الاستشهاديات ساحة المعركة، ما هو رأيكم في ظلّ ما أثير من لغط حول هذه المسألة؟**

لقد شكّل الجهاد حالة واحدة للرجال والنساء معاً، وصحيح أن الإسلام لم يكلف المرأة بالجهاد، ولكنه أجاز لها أن تجاهد لا سيما إذا كانت ضرورات الحرب الدفاعية تتطلب أن تنطلق النساء في أية عملية عسكرية عادية أو عسكرية استشهادية. إنّنا نعتقد أن اللواتي ينفّذن العمليات الاستشهادية هنّ من الشهيدات اللاتي يصنعن تاريخاً جديداً ومجيداً للمرأة العربية المسلمة، ولتقول إنّ حقوق المرأة هي أن تنطلق لتحرير شعبها وحاضرها ومستقبلها. لذلك نحن نتحفظ على كل الكلمات التي تحفظت على العمليات الاسشتهادية، أو على عمليات المرأة الاستشهادية، ونقول إنه جهاد كأية عملية جهادية أخرى، لأن الله لم يحدّد لنا آلية للجهاد بل ترك الآليات لتفرضها حاجة المعركة.

الوحدة الفلسطينية ضمان الانتصار

■ **بكلمة أخيرة سماحة السيد للشعب الفلسطيني: ما هو السبيل الآن سياسياً وميدانياً وعسكرياً ونفسياً. أين هو الأفق؟**

إننا نقول لهذا الشعب المجاهد، إنّ وحدتكم هي التي أخرجت القضية الفلسطينية مما أرادت أميركا ولا تزال أن تفرضه عليكم . لقد استطاعت وحدة الشعب الفلسطيني بأطفاله ونسائه وشيوخه وشبابه وكل مجاهديه أن تثبت لأميركا أن كل الشعب انتفاضة، وأن كل الشعب مقاومة، وأنه ليس هناك منظمة هنا ومنظمة هناك. لذلك، تابعوا وحدتكم، وتابعوا نهجكم في ملاحقة كل نقاط الضعف في المجتمع الإسرائيلي. تابعوا قتل الأمن الإسرائيلي كما قتل أمنكم. تابعوا إخضاع كل الواقع هناك لينتفض على حكومته ليقول لها إن الأمن لن يكون إلا بزوال الاحتلال. قولوا لأميركا إنّ المسألة هي مسألة شعب يريد أن يتحرر، وأن حقوق الإنسان التي تتحدثون بها قد قتلتموها في فلسطين. لذلك فإن أميركا وإسرائيل في موقع واحد، وخندق واحد ضد الشعب الفلسطيني، ضد الشعوب العربية والإسلامية. ولذلك نحن ضد أميركا وإسرائيل ومع الشعب الفلسطيني إلى أن يأذن الله بالنصر.

شكراً لكم سماحة السيد المرجع والعلامة المفكّر..

٣

أميركا تمنع التفاهم بين الشرق والغرب

ما أعذب الحوار حين يكون من القلب إلى القلب، وما أروعه حين ينزل من مسارب القلوب إلى خزائن النفوس والعقول. فالكلم الطيب الصادق الصافي لا بد أن يترك في النفوس شذىً وشدواً أين منه تسبيح الطيور والكائنات.

دخل إلى حضرة السيد، سيد الحوار بالكلمة الطيبة الحسنة ناقلاً شؤونه وشجونه وما اختلج به قلبه المؤمن من عشق للحق والحقيقة، فوجد عند سيد الكلمات والمعاني ضالته فاغترف من معين فكره وعقله وقلبه ما يرتشفه الظمآن من ينابيع الحقيقة. لقد كان الضيف الكريم محاوراً، وطالب حق، وداعية، وبلقائه سماحة العلامة المرجع فضل الله ما خاب مقصده فقال:

القسيس الأميركي: أنا أميركي الأصل، ولدت في مدينة نيويورك وتربيت فيها، وعند شبابي ـ السيد مقاطعاً بابتسامة: لا زلت شاباً! ـ وأنا قسّيس في كنيسة إنجيلية، ولكن

وقائع الحوار مع القسيس الأميركي جوزيف كامينغ.

حين كان عمري ٢٢ عاماً ذهبت إلى الجمهورية الإسلامية الموريتانية في هيئة إنسانية. فأنتم تعلمون أن موريتانيا بلاد عانت كثيراً من الفقر والمجاعة في السنوات الأخيرة، وهناك نسبة كبيرة من المواطنين الموريتانيين ماتوا في ظل تلك الأجواء الصّعبة، والتي عانتها البلاد.

وهناك نسبة كبيرة من الأطفال يعانون من سوء تغذية، ولقد عملت في منظمة إنسانية من أصل مسيحي في موريتانيا، بالتعاون مع الهيئات الإسلامية هناك، وهي عدة هيئات خيرية أقيمت للتعاون فيما بينها، ووجدت أني أعيش في بلد عربي مسلم سنّي على المذهب المالكي.. وأن كثيراً من أئمة المسلمين الموريتانيين والشيوخ أرادوا التحاور مع مسيحي، وقد كنت المسيحي الوحيد الذي يتكلم اللغة العربية، فدعوني دائماً للتحاور معهم حول الإسلام والمسيحية، ما أحدث اهتماماً عندي بهذا الموضوع، فقد تعلمت الكثير من هذه الحوارات، وفتحت لي مجالات لمعرفة التقارب بين المسلمين والمسيحيين، كما وتعلمت الكثير في المجال السياسي، حيث كنت في طفولتي أميل للفكر الصهيوني، أقول هذا خجلاً، وأنتم تعرفون أن نيويورك خاضعة لنفوذ الفكر الصهيوني، ولأني لم أنشأ في أسرة مسيحية، كان معظم أصدقائي من اليهود، وقد كنت أعايشهم ودون تفكير وتمييز أن هذا تيار صهيوني.. فنتيجة للحوارات مع العرب والمسلمين راجعت أفكاري، وبحثت عن الحقائق، فاكتشفت أني كنت على خطأ، وخطأ كبير، حتى أصبحت خجلاً جداً مما كنت أعتقده الحق، وأنتم تعلمون أنه من المهم جداً أن نتعلم التواضع من السيد المسيح، والاعتراف بالخطأ.

الحوار أحد أبرز اهتماماتي

وهذه المسألة شكلت إفادة من الحوار الذي كان يشكل جزءاً من حياتي الجديدة، حيث أهتممت بمتابعة ذلك، فتوجهت إلى جامعة «ليل» في أميركا تدعى لإنجاز دكتوراه مزدوجة في مجالين: الأول إسلاميات، والثاني علم اللاهوت المسيحي. وبصورة خاصة، كنت أبحث عن الأرضية المشتركة بين العقيدة الإسلامية والعقيدة المسيحية، ولهذا كنت أبحث في المراجع الإسلامية عن مواقفها من العقيدة المسيحية، وأبحث في المراجع المسيحية عن مواقفها من العقيدة الإسلامية والإسلام، وهل توجد أرضية مشتركة وتقارب بين العقيدتين؟ ولعلّي ـ حسب تجربتي ـ قد وجدت تقارباً كبيراً، وأظن أن هذا التفاهم يجب أن يُعمَّق. وهذا ما أحببت بداية أن أقوله.

الحوار هو جسر ربط الإنسان بالإنسان

سماحة السيد: إني أرحب بكم، وأعتبر أن عملنا الكبير هو كيف يمكن أن نقارب الإنسان مع الإنسان، وخصوصاً المؤمن بالله مع الإنسان المؤمن بالله، فكيف إذا كان مؤمناً بالرسالات في خط الله.

ونحن نتصور أن هذا مما ينبغي أن يكون الشغل الشاغل، ولا سيما للذين يمارسون مهمة الأخذ بالثقافة الدينية وتقديمها إلى الناس، لربط الناس بالقيم الروحية والدينية. ونحن نتصوّر أن الحوار هو الجسر الذي يربط بين إنسان وإنسان، وهو الذي يمكن أن ينقل فكراً لفكر. وأن يجعل الأفكار تتوحّد في ما تلتقي عليه، وتنفتح بالتفكير في ما تختلف فيه. هذا معنى أن يحترم الإنسان عقله، لأن الناس الذين يجمدون على ما ورثوه وما اختاروه، هم أناس لا يحترمون عقولهم، لأن العقل حركة وهو ليس معلباً في دائرة محدودة، بل نحن الذين نعلب عقولنا ونحبسها في القمقم الذي يحيط بنا.

القرآن كتاب الحوار

لقد كنت منذ بداية حياتي، وحتى في بدايات الشباب، أفكّر في أنّ الحوار هو الذي يمكن أن يقارب الإنسانية لتلتقي، وأنّ على الإنسان الاطلاع على أفكار الآخرين، ففي ذلك فهم لفكر الآخر. إننا لا نستطيع أن نفهم فكرنا إلا إذا كان يناقش أفكار الآخرين، ويحاول فهم أفكارهم . فعند ذلك نعمّق فكرنا، ويمكن أن نبلوره، ونصحح ما أخطأنا فيه. ومنذ بداية عملي الثقافي كان التفكير في هذا الاتجاه، ولهذا كان أوّل كتبي تقريباً منذ ٤٣ سنة «أسلوب الدعوة في القرآن» كيف يمكن أن يكون الخط الفكري للدعوة. واكتشفت أن القرآن هو كتاب الحوار، وكان كتابي الثاني «الحوار في القرآن»، وهو الذي يتحدّث بموضوعية عن الحوار في القرآن وإن كان يحتاج إلى توسع أكثر.

وحين عشنا في لبنان، البلد الذي يعيش المسلمون والمسيحيون فيه الكثير من التعقيدات التي يغلب عليها الطابع السياسي، وجدت أنه لا ينفتح على الاهتمامات الفكرية إلا قليلاً، فعلماء المسلمين وعلماء المسيحيين، أو المثقفون هنا وهناك، لا يتحدثون عن اللاهوت الإسلامي واللاهوت المسيحي، وإنّما يتحدثون عن حقوق المسيحيين في لبنان، وحقوق المسلمين في لبنان. وكانت المسألة سابقاً هي الحرمان الإسلامي والامتيازات

المسيحية، والآن إحباط مسيحي أمام الامتيازات الإسلامية. ونحن نعرف أن الحوار الإسلامي ـ المسيحي لدى الذين يديرون الحوار هو ما يسمّى عندنا «حوار الطرشان»، فكلٌّ يريد أن يتكلم، وليس من الضروري أن يسمعه الآخر، المهم أن نتكلم ونعيد. ولقد كنت أقول للذين يتحدثون عن الحوار الإسلامي ـ المسيحي: إن الشعب اللبناني حاور بعضه بعضاً وأخذ النتائج، فالفلاّح المسلم يتعاون مع الفلاح المسيحي، والعامل المسلم مع العامل المسيحي، والرياضي المسلم مع الرياضي المسيحي، والمثقف مع المثقف.. وبقي في الأبراج العاجية من يقول: مَنْ يحاوِرُ مَنْ وما هي شروط الحوار، وبهذا فإن الحوار لن ينتهي إلى نتيجة، لأن المشكلة الإسلامية ـ المسيحية، ليست مشكلة لبنانية، بل هي مشكلة الذين يديرون المشاكل والخلافات في العالم العربي والإسلامي، لتبقى حالات الاهتزاز وانفصال الشعب عن بعضه البعض موجودة.

الاستكبار مانع من الوحدة

ولهذا قلنا إن الوحدة الوطنية ممنوعة من قبل الاستكبار العالمي، والوحدة المسيحية ممنوعة، لأن المسألة هي كيف يمكن أن تتحرك اللعبة الدولية لتبحث عن مصالحها في المنطقة، من أجل أن لا نكون واحداً، أن تدخل من خلال الثغرات الطائفية والمذهبية في الداخل الإسلامي، أو الثغرات القومية ما بين قومية وقومية أخرى.

لقد كانت عندي تجربة في ذلك تلخّصت في كتاب: «في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي». وكما يقال: «في البدء كانت الكلمة»، كنت أقول: «في البدء كان الحوار». إن الله تعالى حاور الملائكة، وحاور إبليس، والإنسان.. ولهذا فالله خالق الكون كله يفسح للإنسان أن يستمع إليه وأن يجيبه وأن يتحدث عمّا عنده، وهكذا حين رفض إبليس السجود لآدم، فإن القرآن يحدّثنا عن الحوار في ذلك. وكما أننا ندعو إلى حوار إسلامي ـ إسلامي، فإننا ندعو إلى حوار إسلامي ـ مسيحي بطريقة موضوعية. حيث لا أفرض فهمي عليك ولا تفرض فهمك عليّ. أن أحاورك كما أنت، وتحاورني كما أنا. أن اعترف بك، وتعترف بي، لأني إذا كنت أملك الحق في اختلافي معك، فكيف أحرمك هذا الحق؟ والحوار هو الذي يحلّ الخلاف.

نحن نعتبر أن الإسلام أسيء فهمه وأسيء إليه عندما اتهم بالأصوليّة كما هي في المفهوم الغربي، لأن الأصولية في التجربة الغربية السابقة انطلقت من نقطتين: الأولى عدم

الاعتراف بالآخر وإلغاؤه، والثانية اعتبار العنف الوسيلة الوحيدة لتحقيق النتائج.. بينما اعترف الإسلام بالآخر، لأن الآخر الذي كان في زمن الدعوة الإسلامية كان اليهود والنصارى، فيما الشرك حالة وثنية مختلفة وليست حالة فكرية، فالحالة الفكرية هي قضية اليهودية والنصرانية، والإسلام يقول: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله..﴾. ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾.

اليهود تاريخ حافل بالعنصرية

حتى حين أكد على عداوة اليهود للذين آمنوا، لم ينطلق لاعتبارهم أعداء من جهة يهوديتهم ولكن من موقع سلوكهم ﴿ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه﴾ ﴿ويقتلون النبيين بغير حق﴾، والتاريخ القرآني يتحدث عن ذلك، عن تاريخ اليهود المتمثل بالعنصرية، واعتبار أنفسهم شعب الله المختار، والمفضلين عن البشر. فلقد ذكر القرآن عداوتهم، ليس من جهة اليهودية كدين، وإن اختلف مع مفهوم اليهود لرسالة موسى، ولكن من خلال السلوك. والإسلام يختلف مع النصرانية في مفهوم التجسد الذي تقول به. وقال الإسلام في الجانب الفكري: ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ ﴿وإن الله ثالث ثلاثة﴾. لقد كان القرآن عنيفاً في الجانب الفكري، ولكن في الجانب الاجتماعي ﴿ولتجدن أقربهم مودّة للذين آمنوا الذين قالوا إنّا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون﴾ قدّر القرآن الجانب الديني في المسيحية وقدَّر الوداعة والروحانية والانفتاح والتسامح والمحبّة.

الرفق يحوِّل الأعداء إلى أصدقاء

إننا نفهم أن الإسلام اعترف بالآخر، أمّا مسألة العنف، فإن الإسلام أراد حلّ المسائل بالرفق لا بالعنف ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن﴾، فالحسنة هي الأسلوب السلمي والسيئة هي أسلوب العنف. ادفع بالتي هي أحسن، الأحسن في الأسلوب والعمل، فاتبع الأسلوب الذي يحوّل أعداءك إلى أصدقاء. ونقرأ في الحديث النبوي الشريف: «إن الرفق ما وضع على شيء إلا زانه وما رفع عن شيء إلا شأنه»، فإما أن يحسنه أو يقبحه. و«إن الله رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف».

حتى أن القيمة الإسلامية تقترب من القيمة المسيحية القائلة: من ضربك على خدك

الأيمن فأدر له الأيسر. والبعض فهمها فهماً خاطئاً، أي أن يكون الإنسان ذليلاً أمام الآخر. ليكن التسامح عندك بمستوى أنه لو ضربك أحد على خدك الأيمن فأن تكون مستعداً لذلك، لا أن يكون هذا قانوناً، لأن السيد المسيح يقول: «من لم يكن عنده سيف فليبع ثوبه وليشترِ سيفاً» وقد طرد اللصوص من الهيكل، وهكذا في القرآن: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾، فمن حقكم ردّ العدوان بمثله، ﴿وأن تعفوا أقرب للتقوى﴾ ﴿ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾، فقد جعل الله لك الحق في الدفاع عن نفسك، ومن حقك أخذ الحق، ولكن هناك القيمة الكبرى التي ترضي الله وتنسجم مع خط التقوى، وهي أن تعفو عمّن أساء إليك.

وفي التراث النبوي في الحديث عن مكارم الأخلاق يقول رسول الله: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، فقالوا ما هي مكارم الأخلاق؟ قال(ص): «أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمّن ظلمك». ونقرأ في أدعية الإمام زين العابدين في دعاء مكارم الأخلاق: «وسدّدني لأن أعارض من غشني بالنّصح، وأجزي من هجرني بالبرّ، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافي من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني إلى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة».

الإسلام دين رفق لا عنف

نحن نعيش هذا الجوّ، فكما يدعو الإنسان الله ـ وهو ما ورد في الأدعية ـ أن يخلصه ممن يظلمه، يدعو الله أيضاً أن يُخلِّصَ من يظلمه من يده، «اللهم فكما كرّهت لي أن أظلم فقني من أن أظلمَ» «ولا أظلِمَنَّ وأنت مطيق للدفع عني ـ أي قادر على دفع الظلم ـ ولا أظلمن وأنت القادر على القبض مني»... اجعلني يا ربّ ممن تقبض على أيديهم وتمنعهم من ظلم الناس.. باعتبار أن القيمة واحدة لا تَظْلِمُ ولا تُظْلَمُ. إن الإسلام ليس دين العنف، فالعنف إنّما هو حالة طارئة كالعملية الجراحية. وكثير من الحالات قد لا تستطيع فيها حلّ المشاكل الصعبة التي تتجاوزك إلى الأمة بالرفق، فالعنف يطرأ هنا كحل وليس هو القاعدة، هو الحالة الطارئة المستجدة. فالناس ـ سواء المسلمون أو المسيحيون وحتى العلمانيون ـ قد يخطئون في تطبيق الموقف الذي يتطلب العنف، أو الموقع الذي يتطلّب الرفق، وربّما قد يعيشون العقدة في نفوسهم، فيحاولون تبرير عنفهم الذي لا مبرّر له ببعض التبريرات غير الواقعية، كما في الواقع السياسي، الذي نلاحظة في هذا المجال.

لقاء بين الإسلام والمسيحية بنسبة ٨٠٪

في تصوّري أن الحوار الإسلامي ـ المسيحي لا يكون منتجاً مع الحواجز الموضوعية حول الإسلام والمسيحية، والتي دخّلت شخصانيّة المسيحية عند المسيحيين وشخصانية الإسلام عند المسلمين. فلا مانع من الحوار في القيم الإسلامية والمسيحية وإن لم تتح الظروف لحوار اللاهوت. إن هناك لقاءً بين المسيحية والإسلام في القيم الروحية الإنسانية بنسبة ثمانين بالمئة أو أكثر.

إذا أبْعَدْنا مسألة اللاهوت قد نرى الكثير من التقارب، وغاية ما هناك، أن الفرق بين الإسلام والمسيحية، هو أن المسيحية لا تحوي شريعة، والإسلام فيه شريعة، ومن الممكن حصول نوع من الخلاف، هل هذه المفردة من مفردات الشريعة؟ بعضهم يرى فيها قسوة وغير إنسانيّة؟ مع أننا نعرف أن باب الاجتهاد مفتوح لدى المسلمين، ولذا اختلف المسلمون في فهم النّص، واختلفوا في منهجية فهم النّص، فهل نفهم النص من خلال مدارس حديثة أو قديمة..؟

الخوف من الحوار ضعف

أعتقد أنه حين ينطلق الحوار نستطيع أن نتفاهم. نحن الآن ندعو إلى حوار علماني ديني، والعلمانية ليست دائماً ملحدة، فهناك علمانية مؤمنة ولكنها تبعد الدين عن الحياة، وتمنع الدين من التدخل بحياة الإنسان، لأن الدين ـ حسب مفهومهم ـ هو حالة وعلاقة بين الله والإنسان، ولا علاقة له بالحياة والواقع. وهناك علمانية ملحدة كالعلمانية المادية. فلا مشكلة في ذلك، وقد وضَّح لنا القرآن الحوار بين المشركين والمؤمنين، كما وضَّح الحوار بين الملحدين والمؤمنين، ولذلك كنت أقول: من يخاف من الحوار فهو ضعيف، لأن الإنسان الذي يملك فكره وأفكاره لا يخاف من فكرة أخرى وفكر آخر. فالذين يفرضون أنفسهم على الناس ولا يقبلون الحوار هم أناس يخافون من الحوار. وعندنا في التراث الإسلامي، أن الظلم حين ينطلق من الظالم لا يمثل حالة قوة بين حالة ضعف، وفي الدعاء: «وقد علمت أنه ليس في حكمك ظلم، ولا في نقمتك عجلة، إنّما يعجل من يخاف الفوت ويحتاج إلى الظلم الضعيف». الظالم يخاف منك فيظلمك وفي ظلمه ظلم للحقيقة، وهو بظلمه جبان يخاف منك.. البعض يألف ما هو فيه ويخاف أن يتغيّر، ويخاف الحوار مع الآخر حتى لا يقتنع بما يقول الآخر. وعن المتنبي:

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا   لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

الألفة هي التي تؤلم الإنسان في موضوع شبابه والشيب، وهناك بيتان فلسفيان في كره الإنسان للموت:
إلفنا لهذا الجو جعلنا نفكر أننا إذا انفصلنا عنه وانتقلنا للموت فإننا سنواجه شيئاً مُرّاً:

إلف هذا الهواء أوقع في الأنـ ... فس أن الحمام مُرّ المذاق
والأسى قبل فرْقة الروح عجز ... والأسى لا يكون بعد الفراق

فإذا مات الإنسان فلا شعور بعد حتى يتأسى، فلماذا نتألم؟ فالكثير من الناس من المسلمين والمسيحيين والوثنيين، لا يريدون أن يحاوروا وأن يفكروا، لأنهم يخافون أن يغيرهم التفكير، وهم قد ألفوا فكرهم ولا يريدون أن يتغيّروا. فإخراج الإنسان من جوّ الألفة والعادة التي يعتادها إلى جوّ احترام إنسانيته ووجوده هو سرّ حياته.

حوار الشرق والغرب ممكن

ونحن نريد أيضاً الحوار بين الشرق والغرب، بين الإسلام والغرب، لأن هناك نوعاً من سوء التفاهم الموجود. المسلمون بمعظمهم لا يفهمون أن الغرب ليس شيئاً واحداً، فالغرب أمة فيها المفكرون والموضوعيون، كما أن هناك المستكبرين والمستعمرين. فالشرق ينظر إلى الغرب من زاوية الاستعمار والسياسة، لا من زاوية الثقافة، والغرب بشكل عام ينظر إلى الشرق نظرة سياسية، فيه «إرهاب»، وفيه أصولية وعنف. إذاً ليس هناك أساس للتفاهم. وعلينا وضع أساس للتفاهم من خلال القضايا الفكرية من خلال أسس الحضارة الغربية وأسس الحضارة الإسلامية، والمطروح هو: حوار الحضارات أم صدام الحضارات؟ فليس هناك حضارة تستطيع صدم حضارة بالمعنى الحضاري للصدام، يمكن أن تصطدم بالناس وتحاصرهم، ولكنها لا تستطيع صدم الجانب الحضاري في الناس، إلا بالحوار.. حيث تبينت لي أسس الخطأ أو الصواب في ذلك.

ففي الحوار المتعلق بالحضارات صدام فكري، لأن الحوار حوار فكري، وليس صداماً مادياً، حتى في القضايا السياسية. وحين أتحدث كإنسان عن مصالحي وحاجاتي، وأنت لك مصالحك وحاجاتك، فالحوار ينطلق من خلال التوفيق بين مصالحنا، وكيف نجعلها تتكامل، ولا تتصادم.

إن المسألة عند الشرقيين عامة والمسلمين خاصة، أن أميركا تريد أن تصادر ثروات

الشعوب وتسيطر على بترول العالم، وعلى أسواق الشعوب واقتصادها، وتمنع الشعوب من الأخذ بأسباب القوة، وهي فكرة موجودة عند الناس.

فأميركا تتصّور أن هؤلاء يريدون قتل مصالحها وأنهم يقومون بالإرهاب ولكن لكل واحد تفكير في نفسه، لأننا حين ننظر إلى بوش وهو يتكلم، نرى أنه جالس في غرفة مغلقة يفكر في العالم كما يراه لا كما يراه الواقع.

أعتقد أننا إذا أردنا الارتفاع إلى مستوى إنسانيتنا غرباً وشرقاً، مسلمين وغيرهم، علينا وضع قاعدة مشتركة توحي أن الخلاف ليس القضاء والقدر، وأننا إذا اشتركنا في ١٠٪ فمن الممكن «الزحف» لـ ٢٠٪ ولـ ٣٠٪، لأن المبدأ يكون مبدأً واقعياً، ولكن المشكلة أننا لا نتفاهم وحوارنا «حوار الطرشان».

القسّ: المجتمع الأميركي يعامل المسلمين بما لا ينسجم مع التعاليم المسيحية

القسِّيس الأميركي: إنني مقدّر جداً هذه الأفكار، وأوافقكم في كلّ ما ذكرتموه، وأظن كما قلتم بالنسبة للقرآن الكريم ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن﴾، فهذا فيه موقف من الآخر، فموقفك من الآخر يجب أن يكون بالأحسن، وأظن أننا نرى نفس المبدأ، حيث قال المسيح: «لماذا تحاول أن تخرج القشة الصغيرة من عين أخيك، ولا تخرج الخشبة الكبيرة من عينك».

وفي هذا المبدأ، يجب أن أفكر وأصوّب أخطائي بدايةً قبل تصويب أخطاء الآخرين. وفي التاريخ والقرون الماضية، فإن المسيحيين ارتكبوا جرائم ضد المسلمين، وكذلك ارتكب المسلمون أخطاء بحق غيرهم. وأظن أني كمؤمن بالسيد المسيح يجب أن أعترف بأخطائنا نحن المسيحيين ونعتذر عنها، وأريد أن أعبر عن هذا الاعتذار وأطلب منكم السماح لذلك، ولكل ما حصل في الماضي للحروب الصليبية والحملات العدوانية اليوم. وحتى أنكم أشرتم للرئيس جورج بوش الذي لم أصوّت له شخصياً، ولكن بوش يعتبر نفسه مسيحياً ولا أعرف ما في قلبه؟ وهل هو مخلص في صلواته؟ إنه في سياسته تجاه العالم الإسلامي والمسلمين في فلسطين وأفغانستان والعراق وغيرها لا يعامل أحداً معاملة مسيحية، بل معاملته تخالف تعاليم المسيح. وأظن أن المجتمع الأميركي بصورة عامة بما فيه من المسيحيين واليهود وغيرهم، يعاملون العالم الإسلامي معاملة تخالف

التعاليم المسيحية. ونحن نعترف بهذا ونعتذر من ذلك، والمطلوب منكم العفو والسماح، وخاصة في القضية الفلسطينية، لأني كأميركي أخجلُ أن يكون بلدي سَبَبَ مشاكل أكثر من سبب تسوية وحلول في هذه القضية العادلة. فعندما أذهب لأميركا أخطب كل نهار أحد في كنيسة، وفي خطبي أتحدث دائماً عن القضية الفلسطينية، وأحاول أن أصحّح وأصوِّب الصورة الخاطئة في العقلية الأميركية عن الإسلام والمسلمين وأدافع عنهما في الكنائس الأميركية، والمجتمع الأميركي، وأقول يجب أن نعترف بأخطائنا، والبعض من الأميركيين يسألونني: لماذا تركز دائماً على أخطائنا نحن؟ ألا تعلم أن المسلمين ارتكبوا أخطاء بحقنا نحن؟ فأقول لهم: ألا تعلمون ما قاله السيد المسيح: لِمَ تحاول إخراج القشة الصغيرة من عين أخيك ولا تخرج الخشبة الكبيرة في عينك أنت، فأخطاء المسلمين بينهم وبين ربهم، أنا كمؤمن بالسيد المسيح يجب عليّ الاعتراف والتواضع، وأوافقكم ما قلتم في قضية العنف، فالسياسيون استغلوا مشاعر الناس الدينية، استغلوا الدين والشعور الديني عند الناس، ليثيروا الحقد.

السيد مقاطعاً: يقولون في المسيحية، الله محبة، ولكنَّهم يزرعون الحقد في حياة الناس.
القسيس الأميركي: يعني هذا خيانة لتعاليم المسيح، ولقد رأيتُ حين حضرنا لزيارتكم شعاراً مكتوباً فيه «انتصار الدم على السّيف»، وهو شعار جيد جداً، وشعار اللاعنف، وهو فكر العقيدة المسيحية، وأبعاد هذه العقيدة، أن المسيح يضحي بنفسه بدلاً من قتل الآخرين، حين حضروا لاعتقاله، فأخذ تلاميذه وضرب الخادم رئيس الكهنة فوبخه السيد المسيح توبيخاً مشدداً وقال له: الذين يعيشون بالسيف يموتون بالسيف، ألا تعرفون أني أستطيع أن أدعو ربي أن يرسل جيوشاً من الملائكة لإنقاذي؟ ولكن إن فعلت فكيف يتحقق الكتاب... فقد رفض اللجوء إلى العنف.

السيد: في عاشوراء هناك نص للإمام الحسين(ع) في بداية نهضته ووصيته الخاصة: «إني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا مفسداً ولا ظالماً، وإنما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردّ علي أصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين».

فهذه نفس فكرة اللاعنف، فإنما دخل القتال دفاعاً عن نفسه، حينما أرادوا له التنازل عن مبادئه، وعندها قال: «لا والله لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقر لكم إقرار العبيد»،

فالمسألة أنه لم يأتِ محارباً بل داعية ومسالماً ومحاوراً، حتى أنه بدأ الحوار مع الذين أرادوا قتله، ولكنهم قالوا له نحن لا نفهم عليك انزل على حكم الطغاة. وكان النزول على حكمهم يمثل ابتعاداً عن المبادئ والقيم.

وكشاهد على كلامك، فإنه ـ أي بوش ـ لم يكن مسيحياً، أني التقيت مرة بالكاردينال (فرنسيس أرينزي) الذي طلب لقائي بدعوة من أحد الأصدقاء في الشام وبحضور البطريرك هزيم والبطريرك زكا والسفير البابوي والبطريرك حكيم، وكانت جلسة متعدّدة، وبما أني لا أحسن الإنكليزية فقد كان البطريرك هزيم هو المترجم. قلت للكاردينال أرينزي: ماذا تعمل أنت وما هو دورك؟ قال الحوار الإسلامي ـ المسيحي، قلت له في هذه الأيام ما هي مسألة الحوار؟ قال عن المرأة وعن حقوق الإنسان! قلت له هذه قضايا تنتظر، ما رأيك بالقضية الفلسطينية، لو كان السيد المسيح(ع) الآن وهو الذي طرد اللصوص من ساحة الهيكل، هل كان مع الفلسطينيين أم مع اليهود؟ قال هذه قضية سياسية، وأنا لا أتكلم القضايا السياسية، والسفير البابوي في بيروت من الممكن الحديث معه. قلت أنا لا أتكلم سياسياً بل في ضميرك المسيحي ما هي القيمة المسيحية؟ هنا تدخَّل السفير البابوي في دمشق وقال: إنّ إسرائيل أمر واقع، فلنتقبله. قلت له: الشيطان أمر واقع فهل نتقبله ونتعايش معه؟

القس الأميركي ضاحكاً من قلبه وقائلاً: ما شاء الله؟
هناك آية في القرآن بالنسبة للآخر حتى العدوّ تقول: ﴿ولا يجرمنَّكم (لا يمنعكم) شنآن قوم (بغض قوم) على ألا تعدلوا اعدلوا (حتى مع أعدائكم) هو أقرب للتقوى﴾.

وفي الدعاء عن الإمام زين العابدين: «اللهم ارزقني التحفظ من الخطايا والاحتراس من الزلل في حالتي الرضا والغضب، حتى أكون بما يرد عليّ من الرضا والغضب بمنزلة سواء، عاملاً بطاعتك، مؤثراً لرضاك على ما سواهما، في الأولياء والأعداء، حتى يأمن عدوي ظلمي وجوري وييأس وليّي من ميلي وانحطاط هواي».

فالتوازن يا ربّ، حتى إذا عاش عدوّي فإنه يأمن ألا أظلمه، لأنني أحبّك يا رب. وحتى إذا عاش صديقي، سيعرف عدم ميلي إليه، وتنازلي عن مبادئي لحسابه، فأكون على القاعدة الواحدة. فالإسلام يقول لا تظلم لأن الظم ليس له دين، واعدل حتى ضد

قريبك، فالعدل لا دين له ولا قرابة له في هذا المجال.

الإسلام يعترف بالآخر، وقد عاش المسلمون واليهود مع المسلمين في مدى التاريخ ولم يحاول المسلمون إلغاء المسيحية أو اليهودية. كان اليهود يسيطرون على الأسواق كما في العراق وسورية ولبنان، ولم يضطهدهم أحد. ومشاكل المسلمين معهم هي مشاكل إنسان مع إنسان، لأنهم ظلموا وتجبّروا واحتلوا، فهناك مشاكل بين المسلمين أنفسهم وغيرهم أيضاً، وهي مشاكل تغلف بغلاف ديني.

إنّ قضية التعايش بين المسلمين والمسيحيين قضية واقعية، وفي لبنان لا يفكر مسلم بإلغاء المسيحيين فيه. ولهذا فالمسلمون والمسيحيون في لبنان متفقون في العمل والرياضة والثقافة والتجارة، وغاية الأمر أنّ الوجود السياسي يحاولُ خلق مشاكل بين وقت وآخر.

أنا لا أقول ليست هناك مشاكل، ولكن هي مشاكل إدارية وسياسية كأي مشاكل عند كل شعب من الشعوب، ولكن في لبنان توجد حساسية مسلمة مسيحية. لقد قال البابا للمسيحيين قولاً في الإرشاد الرسولي: إنكم لستم ضيوفاً على المنطقة.. تحمّلوا مشاكلها وقضاياها، فأنتم لبنانيون تتعايشون، وقد تختلفون في الآراء وغيرها.

القس الأميركي: أحاول أن ألعب دوري المتواضع لمنع تدخلات الخارج للتفرقة، وأظن أنه منذ ١١ أيلول هناك تصوّر خاطئ في الذهنية الأميركية تجاه الإسلام والمسلمين. التلفزيون الأميركي يعمّق على لسان الجهال الكذب عن الإسلام والعرب، وإني أرى نوعين في المجتمع الأميركي؛ نوعاً يدافع عن العرب والمسلمين وآخر مناوئاً، وهو خلاف بين المجنّسين والسكان، وهناك تيار من المسيحيين الذين يعرفون الإسلام جيداً يدافعون عنه ويسعون لتصويب الأخطاء.

سماحة السيد: أميركا مجموعة شعوب، ومصلحتها أن توحّد الناس فيها بعد أحداث ١١ أيلول، لأنه ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾، فلماذا تحمِّل أميركا العالم كله المسؤولية في ذلك، لقد حصلت هستيريا عند أميركا، وخضوع للسياسة الصهيونية، وكنت أول من أدان الهجوم على مركز التجارة العالمي وأفتينا بحرمة ذلك. فعلى أميركا سماع أصوات العلماء الفقهية الواعية.

القسيس الأميركي: في هذا الإطار أريد أن أخبركم ـ صاحب السماحة ـ أنه بعد أحداث ١١ أيلول بدأ الأميركيون يتساءلون إذا لم يكن الإسلام كدين وكأشخاص مسؤولين عمّا جرى، فلماذا لا يستنكر علماء المسلمين ما جرى؟ وقد دفعني إلى الدخول على صفحة الإنترنت الخاصة بكم، وأخرجت تصريحكم ومواقفكم عقب الأحداث مباشرة، وترجمتها إلى الإنكليزية، وقمت بنشرها وتوزيعها في كل مكان في أميركا، وقلت للأميركيين: إنّ السيد فضل الله هو من أكبر علماء المسلمين ومراجعهم، ويعبّر بشكل واضح عن الموقف الإسلامي من هذه الأحداث ومثيلاتها. فإذا أردتم أن تتعرفوا إلى موقف الإسلام، فليس عليكم إلا أن تتابعوا ما يصدر عنه وعن غيره من العلماء، لتتأكدوا أن الإسلام ليس إرهاباً، بل هو محبة وسلام ورحمة.

شكراً سماحة السيد، وأرجو أن نلتقي مرّة أخرى، وعندما تسنح الفرصة.

٤

أميركا تحول المنطقة العربية ساحة فوضى

رأى سماحة العلامة المرجع أن الضوء الأخضر الأميركي، والذي يتحوّل بقدرة قادر إلى ضوء أخضر أوروبي، مع بعض ما يحفظ ماء الوجه الأوروبي في الجانب السياسي، يجعل إسرائيل لا تخاف من أي ردّ فعل دولي، ولكنها تخاف من توسع الحرب، لأن الرمال اللبنانية المتحركة سوف لن تجعل دخولها إلى لبنان أو قصفها للبنان نزهة عسكرية باردة.

وأكدّ أن اللبنانيين الذين استطاعوا أن يعاقبوا إسرائيل قادرون على أن يعاقبوها من جديد. ومما جاء في الحوار المفتوح الذي أجره تلفزيون الـN.T.V مع سماحته:

■ **سماحة العلامة المرجع، هل تتوقّع ضربة عسكرية ما؟ تصعيداً معيّناً؟ ردّاً كبيراً من قبل إسرائيل على الحدود اللبنانية؟ ما هو تعليقكم على مجريات الأحداث الجارية؟**

إنني أتصوّر أنّ بقاء الاحتلال في أيّ بلدٍ يُمثل رسالة متحركة إلى المحتل أنّ هناك مقاومة تعمل على أن تضغط عليه لزوال احتلاله. وقد عاش اللبنانيونَ من خلال تجربتهم الرائدة في ميدان المقاومة تجربة واقعية متحركة استطاعت لأول مرّة في تاريخ الصّراع العربي -

---

حوار مفتوح على شاشة N.T.V

الإسرائيلي أن تفرض الهزيمة على الجيش الإسرائيلي باعتراف الإسرائيليين أنفسهم. وقد جرّب العرب أنّ المفاوضات قد تُعطي صلحاً ولكنّها لن تُعطي حقاً، ولذلك فإن من حق اللبنانيين أن يواجهوا الاحتلال في بقاياه، بكلّ ما عندهم من طاقة، وأن يؤكدوا أنّ لبنان هذا الذي يستضعفه الكثيرون يملك موقعاً للقوّة، لا تستطيع إسرائيل في الحاضر والمستقبل أن تفرض عليه ما لا يريده.

اللبنانيون عاقبوا إسرائيل

وفي ضوءِ هذا، فإنّ طبيعة الاختراق الإسرائيلي للبنان جوّاً وبحراً وبرّاً، تُمثل عدواناً يومياً متحركاً ضدّ لبنان واللبنانيين.. ولذلك فمن حق المقاومة واللبنانيين أن يقولوا لإسرائيل بلغتها، إن كل ما تقوم بهِ مِن اختراقات لن يمرّ دون عقاب، وإن اللبنانيين الذين استطاعوا أن يعاقبوا إسرائيل قادرون على أن يعاقبوها من جديد. أمّا التهديدات الإسرائيلية لسورية وإيران، فإنها تمثّل نوعاً من أنواع الهروب إلى الأمام أولاً، وثانياً: إنها لا تريد أن تعترف أن هناك شعباً لبنانياً، ومقاومة لبنانية تملك أمرها، وتعرف متى تتحرك ومتى تقف، ولهذا فإنها تحاول أن تحمّل المسؤولية لسورية وإيران، لتنقل القضية إلى الموقع الدولي بدلاً من أن تكون في نطاقها الخاص في الموقع اللبناني. إن تهديدات وزير دفاع العدوّ ليست واقعية بالمعنى الكبير، بحيث يمكن أن يفتح جبهة واسعة جديدة، لأن إسرائيل لا تستطيع أن تتحمل مسؤولية فتح هذه الجبهة، وهي تعرف أن المقاومة تملك الكثير من الأسلحة التي قد لا تستطيع إسرائيل أن تتحمّل نتائجها في واقعها، وفي مدنها الكبيرة.

الجبهة اللبنانية امتداد للفلسطينية

- **قد تبادر إسرائيل لفتح الجبهة الجنوبية لإلهاء الرأي العام العالمي عمّا تمارسه داخل الأراضي العربية المحتلّة، ولتغطية عملية تهجير واسعة قد تقوم بها من الضفة الغربية إلى الأردن؟**

إنني أتصور أن هذا الكلام ليس دقيقاً، لأنّ الجبهة اللبنانية إذا فتحت فإنها سوف تتحوّل إلى امتداد للجبهة الفلسطينية بالطريقة التي لا تبقي هناك حدوداً بين لبنان وإسرائيل، وربّما تتحول المسألة ـ شئنا أم أبينا ـ إلى ما يشبه الفوضى، لأن المقاومة اللبنانية سوف تنطلق، وكذلك الفلسطينيون المقيمون في لبنان ومخيماته، والذين كان لبنان يتحدث مع المحاور الدولية بأنه لا يمكن حلّ أي قضية وأي مشكلة في لبنان، إلا من خلال إرجاعهم إلى ديارهم.

لذلك سوف تلتقي الانتفاضة بالمقاومة اللبنانية، وهذا ما لا تتحمله إسرائيل، ومما يوسع المسألة والمشكلة لدى الرأي العام العالمي.

الواقع الدولي لا يريد فتح الجبهة اللبنانية

■ **يعني سماحتكم تستبعدون القيام بفتح جبهة جديدة؟**

إن الجبهة اللبنانية، ومن خلال المعطيات الموجودة، ومن خلال حركة الدبلوماسية الممتدة من أميركا إلى أوروبا إلى البلاد العربية، يُسعى لتبريدها، وفي هذه الحركة الدبلوماسية مغزى سياسي يتلخص في أنّ الواقع الدولي لا يريد فتح الجبهة اللبنانية.

ضربة المقاومة قد تصل إلى حيفا

■ **هل تتوقع سماحة المرجع ضربة عسكرية محدودة ردّاً على العمليات؟**

إنني أعتقد مما ألاحظه وأتابع به الواقع، أن أية ضربة عسكرية في هذا الجوّ الذي نعيشه سوف تقابلها ضربة عسكرية قد تصل إلى حيفا. والقضية ليست كما في السابق، لأن الأجواء هي أجواء حرب، ومجازر إسرائيل قد خلقت تياراً شعبياً على مستوى العالم العربي وعواصم العالم، لذلك فإنّ أي فعل إسرائيلي سيقابل برد فعل من قبل المقاومة الإسلامية وبشكل كبير جداً. وأعتقد أن كثيراً من شعوب العالم وعواصمه سترحّب عندها بذلك. وإنّ ضربة المقاومة في هذه الظروف سوف توجع إسرائيل، لأن لبنان لا يزال في حالة حرب مع إسرائيل على المستوى السياسي والمقاومة وغيرها، وهو ما يفسّر جمع إسرائيل لجيشها على كافّة الحدود اللبنانية.

ضرب لبنان ليس نزهة

■ **سماحة السيد، في ضوء هذه المعطيات الموجودة، برأيكم ماذا يمكن أن يردع إسرائيل كرد فعل وضربة معيّنة؟ هل هي الجهود الدبلوماسية وزيارة باول إلى المنطقة؟ أم هو التخوّف من توسّع نطاق الحرب؟**

إن الضوء الأخضر الأميركي، والذي يتحوّل بقدرة قادر إلى ضوء أخضر أوروبي، مع بعض ما يحفظ ماء الوجه الأوروبي في الجانب السياسي، يجعل إسرائيل لا تخاف من أيٍّ ردّ فعل دولي، ولكنها تخاف من توسع الحرب، لأن الرمال اللبنانية المتحركة سوف لن تجعل دخولها إلى لبنان أو قصفها للبنان نزهة عسكرية باردة. ولعلّ إسرائيل ترفع درجة التهويل والتهديد ليندفع كل محور دولي وعربي للضغط على لبنان وسورية، أو

ربّما على إيران، لاحتواء المسألة الحدودية الجنوبية.

إنّ صورة الأميركي جلية في وقائع وأحداث المنطقة، لأن الأميركي اعتبر حرب إسرائيل ضد الانتفاضة، هي المقدمة لحربه الثانية ضد ما يسميه زعماً بالإرهاب، حيث أقنع شارون الرئيس الأميركي الذي يملك الكثير من الغباء السياسي بذلك، وهو ما لاحظناه في تصريحات الأميركيين ضدّ حركات المقاومة في فلسطين ولبنان، مما يراد فيه قلب المفاهيم من شعب يريد الحرية والاستقلال، إلى شعب يراد منه تصفية الإرهاب. إنّ أميركا في كل سعيها وإرسالها لزيني وباول، تعمل على إنقاذ إسرائيل من المأزق السياسي الذي وقعت فيه، من خلال حربها الهمجية التي انعكست سلباً في كل أنحاء العالم. كما تريد إنقاذ حلفائها في المنطقة، وهم يعيشون مأزقاً عظيماً في صمتهم الحركي أمام ما يحصل في فلسطين.

إن العرب لا استراتيجية شاملة لهم على مستوى القضية الفلسطينية، وحتى بالنسبة إلى القضية السياسية في المسألة الفلسطينية، فقد أخرج العرب هذه القضية وحولوها إلى قضية فلسطينية بدل كونها عربية في ساحة الصراع مع إسرائيل، ليتخففوا من دم هذا الصّديق.

الحرب ضد إسرائيل تحتاج إلى تخطيط

■ **هل أنت مع استراتيجية خاصة للمقاومة في لبنان؟!**

إنّ على الفلسطينيين التخطيط في استراتيجيتهم للحصول على التحرير بعيداً عن كل العالم العربي الذي يقف متفرجاً، أو مشاهداً، كما حصل مع المقاومة في لبنان، حيث كان الكثير من أنظمة العرب ضدّ هذه المقاومة لأن الحرب ضد إسرائيل تحتاج إلى تخطيط دقيق وإلى ضوابط أمنية وسياسية، لا تسمح لأي أحد أن يدخل على الخطّ بما يجعل المسألة في موضوع المقاومة تتحرّك في مهبّ الرّيح، وإنّما يضعون المقاومة في دراسة موضوعية للواقع اللبناني ولواقع الناس في الجنوب. ولا أعتقد أن المقاومين يغامرون بالطريقة العشوائية في هذا الاتجاه.

■ **هل أنتم موافقون على التمييز بين أعمال المقاومة اللبنانية وأعمال المقاومة الفلسطينية تجنباً لما حدث في الجنوب؟**

إنني لا أريد أن أدخل في التفاصيل، ولكنّي أقول إنّ الحرب ضدّ إسرائيل تحتاج إلى تخطيط وإلى ضوابط أمنية وسياسية لا تسمح لأحد بالدخول على الخطّ في قضية المواجهة.

■ **هل الدولة اللبنانية جزء من الضبط الذي تدعو إليه سماحتك؟**
قلت، لا بدّ من ضبط الأمور بما يبعدها عن الفوضى.

■ **هل تدابير الأجهزة الأمنية كفيلة بإبعادها عن الفوضى؟**
أعتقد أن الساحة عندما تكون في مسؤولية المقاومة، ولا سيما المقاومة الإسلامية التي تعيش في دائرة التنسيق والتناغم مع الحكومة اللبنانية ومع المسار السوري اللبناني، فهذا يتكفّل بمواجهة العدوّ بشكل ضاغط وفاعل دون الحاجة إلى دخول أطراف أخرى في الساحة..

رسائل إلى أميركا

■ **هذه الأطراف، والتحركات في الجنوب من قبل الفلسطينيين، هل هي بمثابة رسائل لأميركا وإسرائيل، أم هي عمل فردي عاطفي؟**
إنها رسائل سياسية لكل الذين يدعمون إسرائيل، بأن الامتداد في دعم إسرائيل سوف يجعل المسألة تتحرك في دائرة الفوضى الأمنية، وربّما تمتد إلى المصالح الأميركية في المنطقة.

■ **رسائل ممّن سماحة السيد؟**
رسائل من كل أفراد الشعب الفلسطيني الذي يعيش في مخيمات لبنان، وربّما تمتد المسألة إلى كلّ أفراد الشعب الفلسطيني والشعوب العربية في هذا المجال.

إنني أعتقد أن استمرار أميركا في تغطية الهجمة الإسرائيلية على الشعب الفلسطيني سوف يحوّل المنطقة العربية على الأقل إلى ما يشبه الفوضى بحيث يسقط الكثير ويضغط على الكثير من المصالح الأميركية في المنطقة، إذ لا تملك الأنظمة، حتى لو أرادت، أن تضبطها لأن ارتفاع درجة التوتر الروحي في تفاعل الشعوب العربية والإسلامية مع الشعب الفلسطيني قد يجعل المسألة في حالة انفلات عن التوازن.

الفلسطينيون في لبنان يملكون رشداً

■ **بالنسبة للمخيمات في الجنوب، والفلسطينيين داخلها، لا شك أن إحساسهم الطبيعي هو دعم أشقائهم في فلسطين المحتلة، كيف يجب التعامل مع هذه المشاعر والأحاسيس وعواطفهم؟**

إني أتصور أن هذا الإحساس الروحي والنفسي لهؤلاء الذين عاشوا البؤس والألم والقهر والإذلال في المخيمات، والذين فقدوا أبسط شروط الحياة الكريمة، ربّما يدفعهم إلى الكثير، ولكني أعتقد أن الأخوة الفلسطينيين الموجودين في لبنان يملكون رشداً سياسياً ووعياً للمسألة اللبنانية وظروف لبنان، بالطريقة التي لا يسمحون فيها لأنفسهم بأن يتحرّكوا بشكل بعيد عن التخطيط مع الجهات الفاعلة، في مسألة المقاومة.

إنّي أحترم إخوتنا الفلسطينيين في إحساسهم بالمسؤولية، وإذا كان هناك بعض الجهات والأفراد الذين يتحركون من هنا وهناك، فإنني أرى أن هذه المسائل فردية، ولا تنطلق من خطة فلسطينية شاملة في المخيمات.

إذا فتحت إسرائيل المعركة فنحن مستعدون لها

■ **سماحة العلامة المرجع، هل أنتم مع فتح جبهة على الحدود الجنوبية؟ وهل هذا العمل برأيكم صواب؟**

إنني في هذه المسألة أحاول دراسة الموضوع بعيداً عن مثل هذا الاستهلاك في السؤال والذي يدور مثله في الساحة السياسية، إنني أقول: لماذا تنطلق إسرائيل لتلاحق في كل العالم أي مشكلة تتحرك وتتعلق باليهود؟ حتى أنها تعمل على إثارة المسألة أمنياً وسياسياً في أكثر من جهة. ولماذا لا يحقّ لنا، ونحن الذين يمثل الخطر الصهيوني في فلسطين خطراً مباشراً علينا في لبنان، لماذا لا يحق لنا مواجهة هذا العدو، سواء في احتلاله أو في هجومه على الشعب الفلسطيني؟!

إن المسألة عندما تتعلّق في الدائرة الشعورية أو في دائرة الأمة كلها، فإننا نجد أن ذلك يملك الكثير من المبررات. لكننا نتصور أن الذين يعملون في خط المقاومة، والذين يتحركون في المسألة الفلسطينية، يملكون الكثير من الرشد السياسي الذي لا يحتاجون معه إلى أيّة أسئلة افتراضية من هذا القبيل! في الوقت الذي نؤكد فيه أنه إذا فتحت إسرائيل جبهة من هذا القبيل فنحن مستعدون لها.

على اللبنانيين أن يصنعوا تمثالاً للمقاومة

■ **المقاومة اللبنانية شكلت نقطة التقاء بين اللبنانيين، وتحرير الجزء الكبير من الجنوب شكل أيضاً نقطة التقاء، إضافة إلى الوضع الفلسطيني الذي التقى عليه اللبنانيون على مختلف توجّهاتهم وانتماءاتهم. إذا حصل تصعيد أكبر على الجبهة الجنوبية، أو توتّر، فهل يؤدي ذلك ليكون مصدر خلاف بين اللبنانيين، الذين تختلف نظرتهم حيال هذا الأمر؟**

إن اللبنانيين لو كانوا جادّين في إخلاصهم للبنان العنفوان، ولبنان العزة والكرامة ـ كما يتحدثون ـ فإن عليهم أن يصنعوا للمقاومة تمثالاً، لأننا نعرف أن كل النوادي السياسية لم تستطع أن تحرر الجنوب والبقاع الغربي، مع كل التقدير للالتفاف السياسي حول المقاومة.

إنّ الذين كانوا يتحدثون عن المقاومة بأنها عملية عبثية لأن العين لا تقاوم المخرز، ليس لهم أن يتحدّثوا بعد نجاح تجربة المقاومة بأن المقاومة سوف تدخل لبنان في المتاهات. وإنني أتصوّر أن الذين يدافعون عن لبنان، والذين أجروا الدّماء أنهاراً من أجل تحرير البلد والإنسان، هم الذين يحملون مسؤولية أمنه وحريته أكثر مما يحملها أي سياسي آخر، مع احترامنا لكل الناس.

■ **هل تشك بالمواقف المؤيدة لعمل المقاومة؟**

لست في موقع اتهام أحد، ولا أتحدث بالتفصيلات، ولكني أريد من كل اللبنانيين، كما من كل العرب، أن يكونوا واقعيين في دراستهم للأرضية التي يعيشون فيها وعليها. وأن يعرفوا أن إسرائيل تحاول صنع أمر واقع في كل موقع تتحرّك فيه. ونحن مع كل أسف، نحاول في كل موقع نعيش فيه المأزق، أن نصنع قراراً يبقى في الأدراج.

فالفرق بين إسرائيل وبين العالم العربي، أنّ إسرائيل تصنع المواقف لمصلحتها، ونحن نهرب من المواقف ونحاول أن نتغطى بهذه القرارات. وهو ما جعل أميركا والاتحاد الأوروبي والدول الأخرى تبيعنا كلمات وتبيعنا قرارات ولكنها تبيع إسرائيل المواقف.

يجب أن نكون أقوياء

■ **حول هذه النقطة، في ما يختص بتحرير مزارع شبعا، حيث سمعنا آراء منها أنّ**

العمل المقاوم هو الذي يحرر، والتجربة خير برهان، وهناك آراء تتحدث عن الدبلوماسية، هل هناك شرخ أو تباين حول هذه المسائل مع كلّ التطورات التي تعيشها المنطقة؟

أعتقد أنّ مسألة تحرير الأرض هي من المسائل التي تحتاج لبعض الشروط النفسية المتحركة من شروط واقعية. مثلاً: إن هدوء الجبهة الجنوبية يعني سياسياً داخلياً وخارجياً أن اللبنانيين نسوا مسألة الاحتلال، وأنّهم بدأوا يسكنون بالخوف من إسرائيل، وبذلك تحاول إسرائيل التخطيط لحرب نفسية، وهو ما لاحظناه من جولات الطيران الإسرائيلي في الأجواء اللبنانية والاستعدادات الإسرائيلية على الحدود اللبنانية.

ولكن عندما تشعر إسرائيل أنّ هناك جيشاً شعبياً يقف ويملك الكثير من الأسلحة والجهوزية والخبرة بكل معانيها، وأنه لا يزال في حالة استعداد أن يردّ الضربة بضربة والقذيفة بقذيفة، فإنّ ذلك سوف يجعل إسرائيل ولو في بعض الغرف المغلقة، تفكر في الانسحاب من مزارع شبعا كما انسحبت من الجنوب والبقاع الغربي. كما أنه يعطي للشعوب العربية إحساساً معنوياً بأن هناك نقطة ضوء. أما بالنسبة إلى الفلسطينيين، فإنه يمثل دعماً كبيراً يوحي بأنهم ليسوا وحدهم في الميدان على مستوى المواجهة، وأنّ هناك رسائل محبّة متواصلة.

أما الذين يتحدثون عن الدبلوماسية فإنني أسألهم، ولا أريد الحديث عن الدبلوماسية في لبنان، ولكن ما هي نتيجة الدبلوماسية في فلسطين؟ منذ عشر سنوات، وهي تتحرّك وتتحدّث، فما هي النتيجة حيث لا يزال الشعب الفلسطيني محتلاً ويقتل كل يوم ويجرح ويدمّر؟ إنّ علينا أن نتعلّم من إسرائيل أنه لا سبيل لتؤكد موقعك في العالم إلا إذا كنت قوياً. وعلينا التأكيد ولو بعد حين من خلال مواقفنا وضغوطنا ومن خلال محاصرتنا لمصالح الاستكبار العالمي، بالطريقة المعقولة وبالخطة الموضوعية، وأن نثبت بأننا أقوياء.

مقاطعة البضائع الأميركية

■ **ما هي الطريقة والخطة المعقولة الموضوعية؟**

مثلاً، منذ سنين وعلى مستوى الفتوى، قلت إنه يجب مقاطعة البضائع الأميركية مع الإمكان، وأقصد بكلمة مع الإمكان، أي عندما تكون هناك بدائل أوروبية، لأن أوروبا

أقرب إلينا من أميركا، وبطريقة وبأخرى، أو بضائع آسيوية أو بضائع وطنية. أن نعمل على أساس جعل مزاجنا في خدمة قضايانا، أو أن نحاصر بالطريقة الشعبية من دون الدخول في فتنة داخلية مع هذا النّظام وذاك النظام تشغلنا عن القضية الكبرى. أن نحاصر القواعد الأميركية الموجودة في المنطقة، بحيث يشعر الأميركيون أن المنطقة، سواء في الخليج أو غيرها، لا تستريح لوجودهم.

■ **ولكنّ شيئاً من هذا لم يحصل سماحة المرجع؟**

عندما نتحدّث في قضايا الأمة، فإننا نتحدث عن الأجيال، إن إسرائيل اليهودية خططت في سنة ١٨٩٧ للدخول إلى فلسطين بعد خمسين سنة، ونحن نريد أن نخطط لما بعد خمسين سنة.

■ **هل تراهن على المستقبل؟**

عندما نرى الشعب اللبناني في مواجهته لإسرائيل، والشعب الفلسطيني في مواجهته لإسرائيل، أؤمن أنّ في هذه الأمّة خميرة حيّة يمكن أن تصنع خبزاً للحرية والاستقلال في المستقبل.

النظر إلى المستقبل

■ **هل ينتظر الوضع كلّ هذا المستقبل وكلّ هذا الرهان على المستقبل؟**

أتذكر في هذا المجال كلمة ذلك الفلاح الفارسي، والذي مرّ عليه كسرى وهو في التسعين من عمره، وهو يزرع نخلاً يحتاج لسنين كثيرة قد لا يبلغها عمره. فسأله كسرى: هل تؤمّل أن تأكل من ثمر هذا النّخل؟! فأجابه الفلاح: غرسوا فأكلنا ونغرسُ فيأكلون. وهناك كلمة لأمير المؤمنين الإمام علي(ع): «إعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً».

هذا التوازن بين المسؤولية، والذي يجعلك تراقب عملك كما لو كنت تموت غداً، وبين الامتداد الذي يجعلك تستمر في عملك دون كللٍ كأنّك تعيش أبداً.

■ **هناك انتهاكات إسرائيلية بحقّ المقامات الدينية والروحية داخل الأراضي المحتلة المقدّسة، ونلاحظ شبه صمت، حيث لا تحرّك كبيراً بما يتعلق بهذا الأمر، فالأرض**

المقدّسة تشكّل قيمة روحية كبيرة عند المسلمين والمسيحيين في العالم. ما هو سرّ هذا الصمت العربي والعالمي؟

قبل الإجابة، أحبّ القول إن الإنسان عندنا أعظم من المؤسسة الدينية، فقد ورد عن الإمام جعفر الصادق(ع) أنه كان جالساً عند الكعبة وقال لبعض أصحابه: «أترى إلى حرمة الكعبة؟ قال بلى! قال إن حرمة المؤمن عند الله أعظم من حرمة الكعبة سبعين مرّة».

بين تمثال بوذا وكنيسة المهد

إنّ الإنسان هو القيمة، وقيمة المؤسسات الدينية، أنها جاءت لخدمة الإنسان ولم يأت الإنسان ليخدمها. إنني أتساءل ـ كما تساءلت سابقاً ـ لماذا عندما قامت طالبان بالإساءة إلى تمثال بوذا، وقف العالم كله يستنكر ذلك، ولكن كنيسة المهد ـ ولا نتحدث الآن عن مسجد عمر والمساجد الأخرى التي انتهكت ـ هذه الكنيسة التي يدين بقداستها كل المسيحيين في العالم، بمن فيهم الأميركيون، لم تواجه الانتهاكات فيها بموقف عالمي، بحيث يهتز العالم أمامه على أساس المقدّس. حتى أنه مع كل احترامنا للفاتيكان، بدأ يطرح حلاً تسووياً لمسألة الموجودين في كنيسة المهد ولم تستجب إسرائيل لهذا الحلّ.

أعتقد أن هناك تأثيراً كبيراً لإسرائيل على العالم المسيحي، حتى أننا نلاحظ أنّ البروتستانت في أميركا هم أكثر إسرائيلية ويهودية في المسألة الفلسطينية من اليهود أنفسهم. فهذا التأثير يضاف إلى الضغط الأميركي على كل العالم الغربي وعلى كل المناطق الأخرى.

اليهود خطر على الإسلام والمسيحية

- **ما هو المطلوب برأيكم سماحة المرجع؟ كيف يمكن أن يكون شكل التحرك من قبل القيادات الروحية الإسلامية والمسيحية تجاه ما يحدث من انتهاكات إسرائيلية داخل الأراضي المقدّسة؟**

لا بد من القيام بتعبئة دينية في مواجهة المسألة الإسرائيلية، ليعرف العالما المسيحي والإسلامي معاً، أن اليهود كانوا ولا يزالون خطراً على الإسلام والمسيحية، الإسلام الإنسان والإسلام المؤسسة والمسيحية الإنسان والمسيحية المؤسسة، عندما نربط بين المؤسسة وبين الإنسان، فإننا سوف نتخذ موقفاً على الأقل في الموقع الديني، لا يمكن أن نعترف فيه بإسرائيل.

الأنظمة خريجة البيت الأبيض

■ **إذا اعتبرنا أن العالم الغربي واقع تحت تأثير السياسة الصهيونية، فبالنسبة للعالم العربي لماذا لا يقوم بهذه التعبئة الضرورية؟**

إن العالم العربي قد عبّر عن موقفه في الشارع العربي، أمّا القائمون على الأنظمة العربية فإنهم يتخرّجون من البيت الأبيض، بمرتبة جندي عادي لا برتبة عسكرية عالية، كما قال الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلامُ

لا حرية في العالم العربي

■ **هل يمكن أن تؤدي حركة الشارع العربي إلى سقوط بعض الأنظمة العربية التي نراها مربكة نحو ما يحدث؟**

لقد صادرت الأنظمة الشارع العربي من خلال أجهزة المخابرات وسنّ قوانين الطوارئ. ولقد استطاعت هذه المسيرات والتظاهرات أن تكشف الهوّة بين الأنظمة وجماهيرها. لكن المشكلة أن هذه المشاعر الشعبية تحتاج إلى قيادات تملك نبض هذا الشارع والرؤية والحكمة والتخطيط. إنّ الظروف السياسية في المنطقة من خلال عملية هذا التداخل في حركة الدول الكبرى ودول العالم الثالث، تمنع أي شعب يعمل على تبديل نظامه، خصوصاً أننا لا نملك في العالم العربي ديموقراطية سياسية بحيث يخاف السياسيون من الشعب، كما يخاف السياسيون في الكيان الصهيوني من هذا، وكذلك في العالم الغربي. ولكن مشكلتنا هي أننا صنعنا لأنفسنا، أو صنعت لنا أصنام صادرت الأمة كلها، لذلك فالمسألة أننا فقدنا الحريات في العالم العربي، حيث لا حريّات فكرية ولا حريّات سياسية. ولذلك فإن الشّعب الذي يخاف أن يضبط نفسه متلبساً بأنه يفكر بحرية، كيف يمكن أن يمارس حركته في الواقع؟ ولكنني أتصور أن هذه المشاعر قد خلقت ثورة جنينية واستطاعت أن توقظ الكثير من النائمين. وهذه هي قيمة الانتفاضة في فلسطين، وقيمة المقاومة الإسلامية في لبنان، أنها استطاعت أن تطلق أكثر من نقطة ضوء فاجأت الناس بأن الظلام ليس دامساً.

الفجر القادم

■ **سماحتكم تراهنون على المستقبل، وهذا الشعب يخاف أن يضبط متلبساً بالحرية، فهل يحمل المستقبل لهذا الشعب مزيداً من ضوء الأمل؟**

حين أدرس هذه الحالات الجنينية، وهذا التململ الذي يعبّر عن نفسه بين وقت وآخر، وهذه السجون الملأى بالأحرار، لأن هذا النظام أو ذاك يخاف من الفكر الحرّ والموقف الحرّ، إني أعتقد أنه من الممكن للمستقبل أن ينطلق عندما تتبدّل الظروف، لأن المستقبل يتسع لما لا يتسع له الحاضر. لذلك علينا التحديق بالمستقبل، فلعلنا نعطيه بعض الضوء الذي يمكن أن ينتشر ليكون الفجر في واقع الحياة بعد ذلك.

■ **سماحتكم ذكرتم أن هناك هوّة بين الشعوب والأنظمة، وأن التحرك العربي أدّى إلى تعرية الأنظمة العربية، إذاً هناك أنظمة معرّاة من قبل شعوبها ومرتبكة في مواجهة ما يحدث، فإلى أي مدى هي قابلة للاستمرار والحياة مع وجود هذه الاضطرابات؟**

المشكلة أن هذه الأنظمة لم تخرج من رحم الشعوب، وإنّما خرجت من رحم أجهزة المخابرات الدولية، فهناك موظفون لدى أجهزة المخابرات الأميركية وليس قيادات حرة، ولذلك فإن هذه الدوائر المخابراتية هي التي تمدّها بالحياة، وهي التي تعطي الشرعية لهذه الأنظمة المسقطة لحقوق الإنسان في الوقت الذي تتحدّث فيه عن حقوق الإنسان.

■ **قلتم سماحتكم إن بعض الدول العربية أخذ علماً بالخطة الأميركية ـ الإسرائيلية لاجتياح المدن والقرى الفلسطينية؟ فإلامَ استندتم في ذلك؟ ومن تتهم؟**

أنا لا أتحدث الآن عن أسماء معينة، ولكن بعض المعلومات السياسية والتحليلات السياسية من جهات غير عربية ودراستنا للارتباط العضوي بين بعض الأنظمة العربية والحكومة الصهيونية والدوائر الأميركية، تجعلنا نعرف أنهم لا يتحركون ولا يمكنهم ذلك إلا بعد أن يأخذ حلفاؤهم علماً بذلك ليستعدوا لمواجهة ذلك على الأقل؟!

ليست هناك خطة تقسيم للمنطقة

■ **هل ترى أن هناك مخططاً أميركياً إسرائيلياً لتقسيم المنطقة وإعادة النظر في جغرافيتها؟**

لا أتصور أن هناك خطة لتقسيم المنطقة، لأن قضية تقسيم المنطقة لا يمكن أن تخضع لمبادرة أميركية إسرائيلية حيث المصالح الأميركية لا تزال مؤمنة مع هذا الواقع الجغرافي. كما أن مسألة تقسيم الدول خاضعة لمصالح دولية كبرى، ونحن نعتقد أن أميركا لا يمكنها التصرّف بما يسقط الكثير من المصالح الأوروبية وغير الأوروبية.

القمة الروحية لا تتعدى النسمة في جو حار

■ **ما رأيكم سماحة المرجع بالدعوة لعقد قمة روحية إسلامية ـ مسيحية لبحث الوضع داخل الأراضي الفلسطينية؟!**

نحن نعتقد أن القمم الروحية تعطينا مناخاً تصالحياً ينعكس على بعض أوضاعنا، وتخفف الكثير من التعقيدات التي يمكن أن تنطلق لتخفف الكثير من التوتر هنا وهناك. وربما تساهم هذه القمة في تبريد بعض الأجواء التي تثقل حركة الساحة في المسألة الفلسطينية أو اللبنانية.

ولكن مسألة القمم الروحية في تأثيراتها السياسية على الواقع، هي تماماً كمثل النسمة التي تأتي في جوّ حار. وقضية عقد قمة روحية تحتاج إلى تخطيط وإعداد وعمق في الخلفيات يتجاوز هذا السطح الذي دأبت القمم الروحية على التحرك فيه ثم يرجع الجميع إلى قواعدهم الطائفية سالمين. وأعتقد أن الواقع اللبناني، وبحسب التعقيدات الموجودة في الساحات الدينية، حيث الخطابات المثيرة للحساسية هنا وهناك، قد يتسبب ببعض الإرباك الذي قد لا نكون في حاجة إليه.

جذر من جذور فلسطين مسيحي

■ **ما رأيكم بالخطاب المسيحي الجديد في ما يختص بالموضوع الفلسطيني إن من ناحية بكركي أو قرنة شهوان؟**

إننا نتصور أن مسألة تحريك الخطاب المسيحي ليقف مع كل فلسطين والشعب الفلسطيني تنطلق من جذر المسيحية، لأن فلسطين تمثل انطلاقاً لمولد المسيح(ع) ومهده وحركته. فهي أي فلسطين تمثل جذر المسيحية، ومن هنا، فإن طبيعة المسألة المسيحية وبما يتصل بالمسألة الفلسطينية هي مسألة أساسية وجذرية. ولهذا فإني لا أتصور أن يقف مسيحي واحد ليكون مع إسرائيل، لا سيما مع علمنا، وبحسب عقيدة المسيحية لمعاناتها مع اليهود، أن هذا الخطاب هو الذي يمكن أن يوجد حالة تكاملية بين المسلمين والمسيحيين في المنطقة، ليشعر المسيحيون ـ كما أراد لهم البابا ـ أنهم ليسوا طارئين على المنطقة، إنما هم جزء من المنطقة يتفاعلون مع قضاياها وآلامها ومشاكلها كما يتفاعل المسلمون، وحتى يشعر المسلمون أن المسيحيين لا يبتعدون عن القضايا الكبرى التي يتحرك فيها مستقبل المنطقة. إن المجاملات لا تستطيع أن تصنع وطناً موحداً، ولكن الوقوف بقوّة وبتخطيط وبوعي وبمحبة مع القضايا الكبرى، هو الذي يصنع الأمة الواحدة والمجتمع الواحد.

العالم الإسلامي يهتف: الموت لأميركا

■ **ما رأيكم إذا قلنا إن أميركا ضغطت على عقول العرب والأنظمة؟!**

إنها لم تضغط على الشعوب وإرادتها، وليس هناك في العالم العربي شعوب أميركية. إنّ العالم الإسلامي، وضمنه العالم العربي والمسيحي، ممّا لم تستطع أميركا مصادرته والانحراف به عن خطه المستقيم. أميركا قد تضغط على بعض الناس لتحوّلهم إلى مخابراتيين، وقد تضغط على بعض الناس لتحويلهم إلى عملاء، ولكنها لن تستطيع الضغط على العالم الإسلامي، والدليل على ذلك هو أنّ العالم الإسلامي الآن من أقصاه إلى أقصاه، يهتف: الموت لأميركا وللسياسة الأميركية.

■ **هل يمكن أن تأتي أميركا بأنظمة موالية لها على غرار أفغانستان؟**

إن وعي الشعوب ـ وحسب تجاربنا ـ يفضح كل الأنظمة التي تملك لافتة إسلامية أميركية. وحتى الحركات الإسلامية التي أطلقت من خلال المخابرات الأميركية لمواجهة الحركات الإسلامية الأصيلة، حتى الشخصيات التي أريد لها مواجهة الشخصيات الإسلامية الطليعية المجاهدة سقطت أمام الشعوب. إن كل شيء مزيف يبرز عند أول صدمة. لهذا يقال: الذهب العتيق مجوهر، ولكن الآن لدينا طلاء الذهب الذي لا يدوم.

■ **ما هو رأيكم في إعادة انتشار القوات السورية في مثل هذه الظروف؟**

لم أفاجأ بإعادة الانتشار، لأن الحكومة السورية قد صرّحت أكثر من مرّة على لسان الرئيس بشار الأسد بأنها لم تدخل إلى لبنان لتبقى، وإنما دخلت بإرادة لبنانية رسمية، سواء رضي عنها بعض اللبنانيين أو لم يرض عنها بعضٌ آخر، ولهذا فقد كانت توفّر الفرص في أن يملك الجيش اللبناني القوة لحفظ الأمن في الداخل من الاهتزاز. ولهذا فإن المسألة انطلقت من خلال هذا الحوار بين رئيس الجمهورية وبين القيادات العسكرية والسياسية في البلد بأن الوقت قد حان لإعادة الانتشار.

أما ربط ذلك بمسألة التوترات على الحدود، فإني أرى أنه لو كانت المسألة كذلك لبقي الجيش السوري، لأن التحدي ليس موجهاً إلى لبنان فحسب، بل هو موجه إلى سورية من قبل إسرائيل أكثر مما هو موجه إلى لبنان. وفي هذا هذا الوضع، يفرض على الجيش السوري البقاء للدفاع عن نفسه وعن مواقعه في هذا المجال.

يا أهلنا في فلسطين: اصبروا.. لم يبق إلاّ القليل

■ **سماحة المرجع، ما هي الكلمة التي توجهونها كنداء للشعب الفلسطيني المجاهد في مثل هذه الظروف والأحداث؟**

يا أهلنا، يا أحبتنا في الروح وفي العقل وفي القلب وفي الحياة، يا أطفال فلسطين الذين أعطيتم أطفالنا ضوءاً في عيونهم للمستقبل، يا نساء فلسطين اللاتي استطعن أن يمنحن المرأة العربية والمرأة المسلمة روحاً جديدة وقوة جديدة ومستقبلاً جديداً.

أيها الشيوخ الكبار في السن الذين استطعتم أن تحركوا شيخوختكم في كل معنى شبابكم في الجهاد، يا شباب فلسطين، أيها الشباب الذي تمرد على الموت من خلال أنه تمرد على الذل والقهر وعلى الاحتلال.

يا شباب فلسطين، يا من استطعتم أن تصنعوا لنا تاريخاً جديداً، إنّ أميركا بكل قوتها وإسرائيل بكل الأسلحة الأميركية تريد أن تسقطكم، لأن شارون أعلن أنه يريدكم أن تستسلموا. لم يبق إلا القليل، اصبروا، اثبتوا، لقد دخل العدوّ في مأزق جديدٍ بعد أن أدخلتموه في المأزق الذي انطلقت به العمليات الاستشهادية. لقد بدأ العدو يخسر وجنوده يقتلون ويجرحون، لذلك المسألة هي أن تستمروا، أن تصمدوا، نحن نعرف أن الحمل ثقيل. لقد ألقيت عليكم جبال السياسة وجبال الأمن.

يا أحبتنا، يا أملنا، لقد نصرتم الله في صمودكم وجهادكم ﴿ولينصرنّ الله من ينصره إن الله قوي عزيز﴾ ﴿ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾﴿إن يمسسكم قرح فقد مسَّ القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾﴿إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون كما تألمون وترجون من الله ما لا يرجون﴾. إننا معكم، عقولنا معكم، كل طاقاتنا معكم، ونحن أمة واحدة وشعب واحد، سيروا على بركة الله وستنطلق القافلة من لبنان ومن كل مكان فيه للحرية قضية وفيه للإنسان معركة.

يا أحبتنا، سوف تنتصرون، سوف تنتصرون، وسيسقط شارون وستسقط إسرائيل. ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ ﴿ولا تيأسوا من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون﴾، مع كل محبتنا ودعائنا لكم بالنصر والعزة والكرامة.

٥

على علماء الأمة إصدار الفتاوى الملزمة بمقاطعة البضائع الإسرائيلية والأميركية

رأى سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله أن التمزق المذهبي في الواقع العربي والإسلامي يمثل حاجزاً كبيراً أمام التغيير في هذا الواقع لمصلحة القضية الفلسطينية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى أجهزة المخابرات وانشغال الناس بتقديس هذا الشخص أو ذاك.

وأكد أن الصراع مع اليهود أصبح بحجم العالم، مشيراً إلى أهمية مقاطعة البضائع الأميركية والإسرائيلية، ومحمّلاً العلماء المسؤولية في تعبئة الشعوب من خلال تحولهم إلى قيادة متحركة تُلغي الحساسيات وتتجاوز الحزبيات لمصلحة القضية الكبرى. وأعلن أنه أفتى بدفع نسب من الأموال الشرعية للشعب الفلسطيني لدعم صموده.

جاء ذلك في حوار إذاعي أجرته إذاعة طهران مع سماحته حول الأوضاع في فلسطين المحتلة، وجاء في الحوار:

الارتباط المهين بأميركا

■ **ما هي السبل والطرق للوصول إلى قيادة إسلامية موحدة تجاه القضية الفلسطينية؟**

لعلّ المشكلة في مسألة القيادة الإسلامية، أنّ المنظمات والدول الإسلامية بشكل عام لا تتحرّك من موقع الصّفة الإسلامية في عناوينها السياسية، بل إنّها تتحرّك بطريقة علمانية لا علاقة لها بالقيم الإسلامية أو بالأحكام الإسلامية، التي من بديهياتها تقديم المساعدة للمسلمين عندما يتعرضون للعدوان في أي مكان، على أساس الحديث النبوي المشهور: «من سمع رجلاً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم»، «ومن أصبح لا يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم».

ولعلّ المشكلة الأهم، أنّ أغلب الدول الإسلامية مرتبطة ارتباطاً عضوياً مهيناً بالإدارة الأميركية والمخابرات المركزية الأميركية، الأمر الذي يجعلها عاجزة عن التحرّك بأية حركة قوّية فاعلة ضاغطة على أميركا وعلى الدول التي تدعم إسرائيل دعماً مطلقاً، بحيث تشعر تلك الدول بأن مصالحها في الدول الإسلامية معرّضة للاهتزاز، أو معرّضة نهائياً للخطر. لذلك فمن الصعب جداً أن نجد في الدول الإسلامية بشكل عام موقفاً قوياً فاعلاً للمسألة الفلسطينية، ولكننا نلاحظ أن الدول الإسلامية، ومنها الدول العربية، عملت على أن تتخفف من القضية الفلسطينية، فلم تعتبرها قضية تتصل بالوضع الإسلامي العام، وبالوضع العربي العام، بل اعتُبرت مجرد مسألة تفصيلية للدائرة الفلسطينية. فتحول الصراع من صراع إسلامي - إسرائيلي، أو عربي - إسرائيلي، إلى صراع فلسطيني - إسرائيلي، بحيث إنّ هذه الدول تعتبر أن عليها أن تعطي بعض المساعدة للفلسطينيين كأية دولة من الدول الأخرى.

الأنظمة صادرت إرادة الشعوب

أمّا بالنسبة إلى الشعوب الإسلامية، فإنّها تملك الروح والمشاعر والأحاسيس ولكنها لا تملك القدرة السياسية الفاعلة، لأن أغلب الأنظمة قد صادرت شعوبها واختصرتها في شخص أو أكثر من شخصٍ حيث تحوّلت المسألة إلى ما يشبه الصنمية السياسية التي تجعل الناس مشغولة بتقديس هذا الشخص أو ذاك. كما أن أجهزة المخابرات هنا وهناك وقوانين الطوارئ هي التي تحكم الواقع الإسلامي، ممّا جعل الشعوب غير قادرة على تغيير الواقع، لا سيما من خلال التعقيدات الدولية وخصوصاً بعد ١١ أيلول، التي حاولت أميركا من خلالها أن ترفع وتجرد سيف الحرب على ما يسمى «الإرهاب»، متهمة كل من يواجه السياسة الأميركية بالإرهاب، الأمر الذي جعل كل مسلم معارض حرّ متهماً بهذه التهمة من قبل دولته أو المحور الدولي الذي تقوده أميركا.

إنّ قضية القيادة الإسلامية الواحدة هي مشكلة المشاكل في الواقع الإسلامي كله، لأن التمزّق الإسلامي المذهبي والعرقي، والتعقيدات السياسية والأمنية المتنوعة تعتبر حاجزاً عالياً وصلباً أمام تحقيق هذا الهدف. ولذلك فنحن ندعو إلى التنسيق وإلى تعبئة الواقع الإسلامي، باعتبار المسألة الفلسطينية مسألة إسلامية، لأن نتائج هذا الصراع سلباً أو إيجاباً سوف تنعكس على مستقبل العالم الإسلامي كلّه، ولن تنحصر في داخل فلسطين، باعتبار أن الصّراع اليهودي ـ الإسلامي الذي كان في بداية الإسلام في المدينة، وما بعدها، قد أصبح في حجم العالم بين المسلمين في كل العالم واليهود في العالم، ولا سيما بالنسبة إلى الدولة الإسرائيلية التي ترتبط ارتباطاً عضوياً بتحالف استراتيجي مع أميركا، بحيث إن إسرائيل أصبحت تلاحق كل نشاط إسلامي في كل دولة إسلامية، حتى لو كانت هذه الدولة قريبة إلى أميركا، لأنها لا تريد للمسلمين أن يكونوا قوة في أي موقع من المواقع.

مأساة الفلسطينيين بحجم العالم

- **بصفتكم مرجعاً دينياً، ما هو الدور الذي يجب على الحكومات العربية والإسلامية تجاه القضية الفلسطينية؟**

أعتقد أن المستوى الذي بلغته القضية الفلسطينية وصل إلى حجم المأساة الإنسانية الفظيعة التي قد لا نجد في العالم مآسي مماثلة لها. إنّ أضعف الإيمان هو المقاطعة الاقتصادية لإسرائيل ولأميركا التي تدعم إسرائيل بقدر الإمكان. ولذلك فنحن أصدرنا، ومنذ سنوات، فتوى شرعية فقهية بحرمة التعامل بالبضائع الإسرائيلية بالمطلق، وبالبضائع الأميركية مع الإمكان، لأنّ أي تعامل مع البضائع الأميركية التي تعطي إسرائيل مليارات لتشتري بها السلاح الذي تحاربنا به، يعني أن كل مسلم يشتري أية بضاعة أميركية، يشارك في مساعدة الجهد العسكري الإسرائيلي في قتل الفلسطينيين.

إنّنا ندعو إلى استبدال البضائع الأميركية والإسرائيلية ببضائع الدول الأقل تأثيراً في دعم إسرائيل، وحتى بالنسبة إلى البضائع الأوروبية، مع تمييزنا بين دولة أوروبية وأخرى، أو البضائع الآسيوية أو الوطنية وما إلى ذلك. ونعتقد أن من واجب الدول الإسلامية، ولا سيما العربية التي لها علاقات دبلوماسية مع إسرائيل، أن تقطع هذه العلاقات لتنسجم مع شعوبها التي تنادي بصوتٍ واحد بضرورة مقاطعة الكيان الصهيوني.

على العلماء تعبئة الشعوب

■ **ما هو دور العلماء والمراجع تجاه القضية الفلسطينية؟**

إن دورهم هو تعبئة الشعوب من الناحية الدينية، ليعرف كل شعب أن مسألة دعم الفلسطينيين تكليف شرعي مباشر على كل مسلم ومسلمة، وإصدار الفتاوى الشرعية الملزمة بمقاطعة البضائع الإسرائيلية والأميركية، وكل دولة تدعم إسرائيل بالمطلق، وبالدعوة الملزمة الشرعية لمقاطعة إسرائيل من الناحية الدبلوماسية. إنّنا نعتقد الآن أن المرحلة هي مرحلة الجهاد بكلّ معانيه، باعتبار أن الاستكبار برز مع الكفر كله إلى الإسلام والإيمان كله، وأن انتصار إسرائيل في فلسطين يمثل خطراً على المسلمين والعرب جميعاً. لذلك إذا كانت الشعوب لا تستطيع الدخول إلى فلسطين لتقاتل من خلال الظروف المعقدّة المحيطة بذلك، فإن عليها الجهاد بكل وسائل الدعم لهذه المعركة الفاصلة، بالمال وبالموقف السياسي وبالمظاهرات، وبكل المجالات. إن على العلماء المسلمين أن يكونوا القيادة الإسلامية المتحركة إلى وحدة تلغى فيها كل الحساسيات بينهم، ليصدروا فتوى موحدة وموقفاً موحداً، لأن القضية تتجاوز كل الشخصيات والمرجعيات وتتجاوز الحزبيات والحساسيات، القضية هي أن أميركا ومعها كلّ دول الاستكبار العالمي تعمل على إضعاف الإسلام والمسلمين.

فلا يجوز أن نتلهى بالقضايا الصغيرة عن القضية الكبيرة، وإلا فإنَّ العدوَّ سوف يسقط كل مواقعنا، سواء الدينية أو السياسية أو الاقتصادية أو ما إلى ذلك. إن هناك معركة فاصلة وعلينا الارتفاع إلى مستواها، لأنها معركة الحق ضد الباطل.

ادفع دولاراً تنقذ فلسطينياً

■ **نحن نعلم حاجة الشعب الفلسطيني للدعم المالي والمعنوي، فما هو رأيكم بالدعم المادي الذي يشمل الخمس والزكاة في قضية جهاد شعبنا في فلسطين؟**

لقد رخصنا، وأصدرنا رخصة شرعية في دفع بعض النّسب من الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني لدعم صموده ودعم انتفاضته، شرط أن يصل للأيادي الأمينة في ذلك. ولقد قلت في حديث سابق إن اليهود قالوا: ادفع دولاراً تقتل عربياً، وإننا نقول ادفع دولاراً تنقذ فلسطينياً.

٦

القنبلة البشرية سلاح الفلسطيني لمواجهة الأمن الصهيوني

أكد سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله أن جهاد المرأة الاستشهادية في فلسطين المحتلة هو من أكثر أنواع الجهاد ثواباً، وحتى أكثر ثواباً من جهاد الرجل لأنه جهاد تطوعي، مشيراً إلى أن القنبلة البشرية الفلسطينية هي لقتل الأمن الإسرائيلي، وهي أقوى من كل القنابل. سألت صحيفة «الخليج» الإماراتية سماحة السيد عن فعل الاستشهاد كظاهرة برزت فيها الفتاة الفلسطينية، وعن أهمية هذه الظاهرة وجدواها في ظل الظروف الدولية والإقليمية التي تحيط بالمنطقة، فأجاب سماحته:

بين أميركا وإسرائيل تحالف استراتيجي

عندما نريد أن ندرس مسألة الاستشهاد، فعلينا أن ندرس القضية بكاملها، وهي القضية الفلسطينية بكل امتداداتها التاريخية العربية والإسلامية وفي كل انفتاحها على المستقبل للأمة كلها عربية كانت أو إسلامية، لأننا في دراستنا للمسألة الإسرائيلية المتحالفة استراتيجياً مع السياسة الأميركية في كل خطتها للشرق الأوسط كله ـ على الأقل ـ

العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله في مقابلة لـ«**الخليج**» حول مشروعية العمليات الاستشهادية.

انتهاء بالعالم في المسألة البترولية، حيث تريد أن تأخذ بعنق أوروبا واليابان، نجد أن ولادة إسرائيل في المنطقة انطلقت من المطامع الإسرائيلية التي كانت تبحث عن وطن قومي لليهود يحمل عمقاً يهودياً لكل يهودي في العالم يحقق له الكثير من العنفوان، بحيث ينسى من خلالها كل أوضاع الاضطهاد. بالإضافة إلى أن أميركا، ومعها الغرب بدرجات متفاوتة يبحثون عن قاعدة تؤمّن لهم مصالحهم، بقدر ما تتصل مصالحها مع مصالحهم فأوجدوا إسرائيل الدولة القوية في قلب العالم العربي التي تمنعه من التواصل وتربك كل أوضاعه الاقتصادية والأمنية والسياسية في حال الحرب والسلم، على أساس العلاقة الاستراتيجية التي تحولت إلى تحالف استراتيجي بين أميركا البروتستانتية المتعصبة لليهود وإسرائيل.

من خلال ذلك كله، نعرف أن القضية تقع في دائرة السلبيات العربية التاريخية أمام قضايا الاستعمار التي انحسرت نتيجة التطورات الدولية في الشكل، وإن لم تنحسر في العمق مع تبادل البنادق الغربية بين بندقية بريطانية وفرنسية وبندقية أميركية، والامتدادات المستقبلية في الواقع العربي والإسلامي التي بدأت تخيف الغرب كله، باعتبار أن هذه المنطقة التي تضم الطاقات العربية والإسلامية، وتضم الثروات الهائلة في باطن الأرض وسطحها، ما يمكّن المنطقة من أن تتطور بحيث تنافس أو تتفوق ولو بعد خمسين سنة على المواقع الغربية، وهو ما يؤثر تأثيراً هائلاً على اقتصادياتها وعلى رخائها.

تحويل الإسلام إلى عنوان عاطفي

ولذلك، فإن مسألة الصراع مع اليهود ليست مجرد مسألة فلسطينية تقليدية، بل تتصل بعمق الوجود العربي والإسلامي. كانت الخطة الغربية والأميركية أخيراً أن يعزل الإسلام في حركيته السياسية عن المسألة الفلسطينية، ليكون مجرد عنوان عاطفي بعيد عن التأثير، ثم لتخرج المسألة من دائرة الصراع العربي ـ الإسرائيلي لتدخل في دائرة ضيقة، وهي دائرة الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي، ولتكون المسألة الفلسطينية تفصيلاً من تفاصيل العالم العربي الذي يتحرك فيه من خلال الجامعة العربية، من أجل مساعدة فلسطين، كما تساعد الإمارات في قضية الجزر الثلاث أو كما تساعد أية دولة عربية أخرى في إطار ضيّق.

لهذا، فإن المسألة الاستشهادية تمثل كل هذا العمق المقهور في وجدان الإنسان

الفلسطيني الذي يختزن في داخله الشخصية العربية الإسلامية التي تنبض بكل عنفوانها وكل تطلعاتها وآلامها وجراحاتها في قلب الشاب الفلسطيني والشابة الفلسطينية، تماماً كما كانت تنبض في قلب الشاب اللبناني والشابة اللبنانية في خط المواجهة للاحتلال الإسرائيلي.

الاستشهادي يختصر آلام الأمة

وفي ضوء هذا، فإن هناك كياناً فلسطينياً عربياً إسلامياً يتحرك في نبض هذا الشاب أو هذه الشابة، منفتحاً على القيمة الروحية بكل ما عاشه هذا الجيل من معنى الجهاد الذي يتصل بمسألة العزة والكرامة، كما ينفتح على رضا الله سبحانه وتعالى وعلى التطلع إلى الجنة، حيث تختلط كل هذه العناصر لتتلخص في القيمة الروحية التي تلتقي فيها مسألة العزة والكرامة والحرية والإخلاص والروحانية في جسد واحد، وعند ذلك لا يكون للجسد معنى، ويكون الاستشهادي أو الاستشهادية إنساناً يختصر كل آلام الأمة في حركته، فكأن الأمة تجاهد من خلاله، وكأن الأمة تتجمع لتمنحه كل قوتها وشجاعتها، بحيث يتحرك نحو القضية وينسى الجسد، وهذا هو معنى الروحية الإسلامية التي ينفتح فيها الإنسان على الله وعلى الناس في قضايا الحرية والكرامة، ويبقى يعيش قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾، وقوله تعالى: ﴿إن يمسسكم قرحٌ فقد مس القوم قرحٌ مثله﴾.

تلك هي خلفية الاستشهادي، إنه يختصر الأمة وقضيتها في شخصه، ليعلن للعدو أن الأمة لا تزال بخير وأنها لا تزال تقاوم، فهو لا يقاوم أفراداً، ولكنها أمة تختصر كل تطلعاتها المستقبلية في هذا الشاب وهذه الفتاة.

الاحتلال أقسى أنواع الإرهاب

أما جدوى ذلك في الظروف الدولية الراهنة، فقد تعلمنا من خلال كل تجاربنا الأخيرة، أن النظرة الدولية لهذه المسائل تتحرك من خلال سياسات ملغومة متحركة على أساس الاتجاهات الدولية، ونحن نجد أن هذه الدول لا تتحرك أمام أعمق المآسي ضد المدنيين، كما لاحظنا ذلك في فيتنام، وكما لاحظناه في أفغانستان، وكما لاحظنا ذلك أخيراً في فلسطين في كل المجازر التي قامت بها إسرائيل ضد المدنيين، ولا سيما في مخيم جنين ونابلس وما إلى ذلك.

لذلك علينا في الوقت الذي نحكم خطتنا وسياستنا ونتحرك في أكثر من موقع ونتوزع الأدوار، أن لا نحترم الكلمات التي لا تنطلق من جدية الرأي في المسألة الإنسانية، بل تنطلق من خلال الحرب التي تشنها على المجاهدين وعلى أصحاب الحق. إننا إنسانيون، نحن لا نريد أن نتهم بقتل من لا يقتلوننا ولا يصادرون أرضنا، ولكن المسألة هي أن الأميركيين ومعهم الكثير من الدول الغربية، أعطوا إسرائيل أقوى الأسلحة ولم يمنحوا الفلسطينيين أي سلاح، ولم يتحركوا بشكل جديّ على أساس «حقوق الإنسان»، ليقولوا لإسرائيل بأن عليها أن تنسحب من المناطق المحتلة على الأقل منذ العام ١٩٧٦، وأن الاحتلال هو أقسى أنواع الإرهاب، وأنه ضد حقوق الإنسان. إنهم دخلوا في التفاصيل ولم يتحدثوا عن المبدأ.

إرهاب إسرائيل وأميركا

ولذلك إن القضية في هذا المجال هي أن الفلسطينيين الذين قتل الإسرائيليون أمنهم واقتصادهم، وحاولوا أن يقتلوا سياستهم ويحاصروا أطفالهم ونساءهم وشيوخهم. إن المسألة في العمليات الاستشهادية هي مسألة الاضطرار إلى مواجهة ذلك كله. لا سلاح لدى الفلسطينيين لمواجهة الأمن الإسرائيلي الذي قتل الأمن الفلسطيني إلا باختراع القنبلة البشرية التي لا تقوى عليها أية قنبلة. إنه جهادٌ من نوع جديد، وهو الجهاد الذي لا يتحرك في خط العدوان، ولكنه لا يقيد المجاهدين في أي أسلوب عندما تطبق الحرب عليهم وتحشرهم في زنزانة أمنية وسياسية واقتصادية. لذلك أفتينا منذ سنين بأن العمليات الاستشهادية هي عمليات جهادية من الدرجة الأولى، بل هي أعلى أنواع الجهاد، وأن الذين يتحركون فيها أحياءٌ عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة. بل إن حركة المرأة أكثر ثواباً وفضلاً وإيثاراً من الرجل لأن الرجل يتحرك من خلال أن الجهاد في مواقعه فرضٌ عليه، أما المرأة فقد وضع الله عنها الجهاد؛ ولذلك فإن جهادها هو جهاد تطوعي ينطلق من عمق إنسانيتها وعمق إيمانها بدينها وبأمتها، ولذلك فإن استشهاد المرأة في هذا الخط هو بألف شهادة إذا كان استشهاد الرجل بشهادة واحدة.

إن القضية الآن هي قضية أن الأمة العربية والإسلامية تقف أمام التحديات في مواجهة الاستكبار العالمي الذي توزع الأدوار في إسقاط الأمة وإضعافها، لذلك لا بدّ للأمة أن تستنفر كل طاقاتها، سواء كانت طاقات أمنية عسكرية أو طاقات اقتصادية. ولذلك

أفتينا منذ سنين أنه يجب مقاطعة البضائع الإسرائيلية بالمطلق، ويجب مقاطعة البضائع الأميركية ما أمكننا ذلك. وإذا كانت أميركا تعاقبنا بإسرائيل وبحملتها ضد ما يسمى بالإرهاب، فعلينا أن نعاقبها في اقتصادها مهما كانت درجة العقوبة ضئيلة، لأن القضية هي أن على الأمة أن تحترم نفسها بأن تؤكد الموقف الذي يشعر فيه العالم بأن الأمة موجودة في عمق مصالحه، وأن مصالحه سوف تتأثر سلباً بطريقة وبأخرى في هذا الصراع، وأن علينا أن نتبنى الحملة ضد الإرهاب، ضد إرهاب إسرائيل وأميركا.

٧

الاستكبار لن يقيدنا بقيمنا

بدعوة من جمعية الشهيد الرائد الركن باسل الأسد الثقافية والاجتماعية، حاضر سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله حول «الإسلام ومفهوم الإرهاب»، في قاعة باسل الأسد في بعلبك ـ رأس العين. بحضور عدد من الشخصيات السياسية والعلمائية والثقافية تقدمهم: النائب غازي زعيتر، الوزير السابق غازي سيف الدين، السيّد علي الحسيني ممثلاً الرئيس حسين الحسيني، النائب مروان فارس، النائب السابق إسماعيل سكرية، رئيس بلدية بعلبك المحامي غالب ياغي، مسؤول جهاز الأمن السوري في بعلبك العقيد علي صافي، وجمهور غفير من المهتمين الذين غصّت بهم قاعة المحاضرة، والقاعات الملحقة بها، حيث نُقلت المحاضرة عبر شاشات مرئية.

قدّم للمحاضرة الأستاذ سعيد أبو نعسة، ثم تحدّث العلامة المرجع فقال: لماذا، واللماذا كبيرة وكبيرة، بحجم كلّ التحديات التي تطوف في العالم، لتصل إلينا وتمتدّ وتكاد ترقد في كثير من وجدان مهزوم يخاف من كلمة أو من تهمة؟؟

مركز باسل الأسد الثقافي ـ بعلبك، ١٩ نيسان ٢٠٠٢م، الموافق ٦ صفر ١٤٢٣هـ.

لماذا نحن دائماً في خط الدفاع

لماذا نبقى في خط الدّفاع؟ وفي كلّ يوم تنطلق تهمة تغلفها العناوين الثقافية وتدفعها التعقيدات السياسية، ونبقى ندافع وندافع، ويبقى الآخرون يشغلوننا بفكرهم على أن نفكر كيف نؤصل فكرنا لننتج نحن الفكر، وينطلق فكرنا ليجيب هو دون الزحف إلى اتهامات الآخرين لتسقط التهمة من خلال أصالة الفكر لا من خلال هذه الشواغل التي تشغله.

الغرب، ولا عقدة لدينا بالنسبة إلى الغرب، لأننا لا نعتبر أن الغرب كله استعمار، ففي الغرب فكر وعلم وتجربة وإنسان يبحث عن حقيقة، وفي الغرب جانب آخر من الصورة، لكن في الغرب إرهاباً يعطي كل الدماء وكل الجراحات وكل مأساة الإنسان. فهل لدينا في الشرق ما في الغرب من «مافيات»، هل لدينا في شرقنا هذا الذي هو عالم ثالث، كما يقولون، بدائي سطحي في تفكيره، كما يتهمون، هل هناك مدرسة ـ وفي كل تاريخنا ـ يخرج فيها طفل مسلّح ليقتل رفاقه وأساتذته؟ في أميركا الكثير من هذه النماذج، وفي أكثر من بلدٍ غربي الكثير من هذا.

تحريك الإرهاب باتجاه العرب والمسلمين

وفي أميركا أوكلاهوما، فهل تحدثوا عن الإرهاب الأميركي؟ ولا نريد الحديث عن الإرهاب الأميركي في فيتنام أو في أي بلد آخر مزقته أميركا بشكل مباشر أو غير مباشر، كما في أفريقيا التي تمزقها أميركا، لكن نتحدث عن ظاهرة الإرهاب في أكثر من موقع شعبي هناك، ولم نتحدث معهم في ما هو تعريف الإرهاب عندكم؟ ولم يبحثوا عن كلمة الإرهاب في هذه الظاهرة، لقد بحثوا عن كلمات أخرى، لأنهم لا يريدون أن تكون هذه الكلمة عنواناً لهم.

حتى إذا انطلقنا متألمين من كل جراحاتنا التي صنعوها في اقتصادنا وسياستنا وأمننا، حتى إذا انطلقنا نصرخ من كل الآلام التي صنعوها لأطفالنا، حتى إذا انطلقنا محاولين التعبير عن الرفض لكل هذا الواقع، انطلقت كلمة الإرهاب! ربما أساء بعضنا وعي مفاهيم القوّة في حركة التحدي فأضاع الموقع، ربّما اتهم بعضنا بعنف غير منظم ولم تثبت عليه التهمة وانطلقت كلمة الإرهاب، فالعروبة إرهاب، والإسلام إرهاب، وبدأوا ينظّرون ويبحثون، وتحرّكت الكلمة لتصل إلى أكثر من بلد عربي أو إسلامي، تحرّكت

الكلمة لتصل إلى جنوب لبنان وبقاعه، ولتدخل إلى كل قرية فلسطينية، ولتمتدّ هنا وهناك في كلّ موقع كان للإسلام فيه قضية. وبدأت كلمة الإرهاب، وشغلونا بفلسفة الإرهاب، وانطلقنا مع التجريد. ونحن مجتمع أدمن التجريد حتى نسي الواقع، نحلق في التجريديات لنبحث في مفاهيم ضبابية ليس لها من الواقع إلا أنها تربكه، وتحركنا ليبحث الكثيرون منّا في جنس الملائكة، وما أكثر الملائكة الذين نتحدّث في جنسهم؟! هل هم ذكور أم إناث، أو هم جنس ثالث ليس للأنوثة ولا للذكورة معنى فيه؟

نحن أخلاقيون

أيها الأحبة، قبل الدخول في ما فرض علينا في مرحلتنا الصعبة للمناقشة، لا بدّ أن نقدّم بعض التمهيدات: فنحن أخلاقيون، وأدياننا تختصرها كلمة الأخلاق: أخلاقك مع ربّك وأخلاقك مع نفسك وأخلاقك مع الناس ومع الحياة. أن تكون أخلاقياً لا بدّ أن تحدّد ما هو أسلوبك، فالأسلوب هو الرجل وهو المرأة وهو الإنسان، والأخلاق هي حركة أسلوبك في كلّ ما يربطك بما حولك ومن حولك، ففي الحديث: «إنّما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق». في كل دين أخلاق تتسع لمرحلته، حتى إذا جاءت المرحلة الثانية وانفتح الواقع على حاجات أخلاقية جديدة جاء الدين الآخر ليكملها، وقد قال السيد المسيح(ع): «جئت لأكمل الناموس»، وانطلقت المسألة لتصل إلى النبي محمد(ص) ليقول: «إنما بعثت لأتمّم مكارم الأخلاق».

فما هي حدود أخلاقياتنا؟ هل الأخلاق في الإسلام مثالية تحلق في الفضاء دون ملامسة الواقع؟ هل يحاصر الواقع الأخلاق ليسقط نفسه أو يسقطه الآخرون من أجل أن يقيدونا بأخلاقيته؟ فالآخرون في ما نقرأ يقيدوننا بقيمنا الأخلاقية.. لماذا تفعلون هذا والحرية لا تقبل ذلك؟ والعدالة لا تقبله؟

الأخلاق الواقعية

إن المسألة هي أن الأخلاقية في الإسلام واقعية لا تجريدية، إنها تمشي في الأرض لتقول: الأخلاق هي الإنسان، فلم يأتِ الإنسان ليخدم الدين بل جاء الدين ليخدمه ﴿يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾، تنطلق الأخلاق في حياة الإنسان حتى إذا اصطدمت بمصير الإنسان وقفت الأخلاق وتقدّم الإنسان.

إنها الأخلاق الواقعية التي تتحرّك بين النّاس، الأخلاق التي تفرض عليك كذباً مقابل

صدق تصرّح به للعدو ليدمر أمتك ووطنك وشعبك. فالصّدق جاء لإنقاذ الإنسانية والأمة لا لتحطيمها. فقيمة الإنسان أعظم من القيمة الأخلاقية، لأن الأخلاق تظل سائرة في مصلحة الإنسان، حتى إذا وصلت إلى السلبية في حياته وقفت وتقدّمت مصلحة الإنسان والإنسانية. وهذا الأمر يتّسع باتساع حاجات الإنسانية في القضايا الكبرى، كالكذب في موضع المنجاة، والغيبة في موضع النصيحة والمصلحة المتعلقة بالإنسان.

بين قيمنا ومصالحنا

من هنا نقول: لن يقيّدونا بقيمنا، لأن قيمنا تتحرّك في ما هي مصلحتنا! لا مصلحتنا الشخصية الضيقة، بل الإنسانية على مستوى حماية الوطن، وعلى مستوى حماية الأمة، وعلى مستوى حماية المستقبل. ولهذا نستطيع القول إن الأخلاق في الإسلام هي أخلاق واقعية، وهناك قاعدة يبحثها الفقهاء وعلماء الأصول، والمعروفة بقاعدة التزاحم، حيث الوقوف بين أمرين كإنقاذ إنسان وتقدّم واجب إنقاذه على الدخول في طريق لا يأذن صاحبه بعبوره.

هذه هي واقعية الأخلاق وتحرّكها من خلال مصلحة الواقع، ولا نريد أن نطلقها في البراغماتية التي لا قاعدة لها، فأخلاقنا لها قاعدة، ولكل قاعدة استثناء، والاستثناء يؤكد القاعدة.

علينا بعلم الأرض

إنّنا لا بدّ لنا أن نتعلّم علم الأرض! الأرض السياسية والثقافية والاقتصادية والأمنية، لأن الآخرين يفكّرون ويخططون، ويدرسون مذهبياتنا؟ وحزبياتنا وعشائريتنا كيف تنطلق، لتجرم هنا، ولتسقط الأرض هناك.. إنّهم يدرسوننا ليعرفوا من نحن؟! ونحن في مدى ٢٠ سنة محرّم علينا قراءة كتاب يؤلفه إسرائيلي؟! لقد درسوا تاريخنا ومسرحياتنا وقصصنا وقصائدنا في جامعاتهم، ونحن لا نعرف ما معنى إسرائيل؟! وكيف يفكرون؟ وكيف يختلفون؟

وبعد أن تحدث سماحته عن اللاخطة عند العرب التي تسم كل تاريخهم قال بخصوص أفغانستان: إن أميركا جهزت التهمة قبل التحقيق.

وانطلقت كلمة الإرهاب لتسويقها عندنا لتخويف الأنظمة ودفعها للدخول في تخطيطاتهم ضدّ كلّ معارضي السياسة الأميركية، وليتعاونوا معهم في محاصرة هؤلاء المعارضين اقتصادياً، ليفرضوا هذا الحصار على كل البنوك، وسياسياً فلا يسمح لهم بأي نشاط سياسي وأمني، وهذه هي المسألة: أن لا يسمحوا للباحثين عن حريتهم بالدفاع عن هذه الحرية، ثم لإشغالنا بأن ندخل في معركة تبدأ ثقافية وتنتهي سياسية، وربّما تجرّ إلى أن تكون أمنية عند اختلاط الأوراق.

استراح البعض لتهمة الإرهاب

وهكذا بدأنا نتناقش حول الإرهاب الفلسطيني والإرهاب اللبناني، وبدأ الجدل: هل المقاومة إرهاب؟ هل الانتفاضة إرهاب؟! وتأتي التصريحات: ليس هناك إرهاب سيئ وإرهاب حسن، فالإرهاب إرهاب، وقد استراح بعضنا لهذا المنطق.. حتى أن بعض الذي تحدّث عن الفرق بين المقاومة والإرهاب كان يتحدث تقيّة في الشارع العربي، ولكنه كان يوافق على هذا المنطق.

فصحيح أن هناك قوى مخلصة، ولعلّ أول شخصية أكّدت هذا الموقف الصلب الاستراتيجي من ناحية سياسية في وجه أميركا وقبل ١١ أيلول هو الرئيس حافظ الأسد، الذي واجه أميركا عندما تحدّثت عن إرهاب المقاومة والانتفاضة، فقال لهم: حدّدوا لنا مفهوم الإرهاب، أفليس المطلوب منا نحن أن نحدّد مفهوم الإرهاب، لأننا نعرف مفاهيمنا بكل دقّة وأصالة..

حددوا لنا مفهوم الإرهاب

ولكن عندما حرّكتم أنتم هذا المفهوم في حركة التحدي والحرب لهذا العالم، فنحن لا نفهم عليكم، حدّدوا لنا مفهوم الإرهاب. ولم يحدّدوه لنا.. وأصروا على مفهومهم، لا لتمثيله أصالة فكريّة في جامعاتهم ولدى مفكريهم، ولكن لأن مطابخ السياسة ومطابخ المخابرات المركزية الأميركية تحاول أن تصنع في كل يوم مصطلحاً جديداً لإسقاط الواقع وإظهاره بشكل لا يرتاح الإنسان فيه، فيبادر إلى مواجهته بما يملك من مقدرات على الطريقة الاستهلاكية السياسية.

إنّ القضيّة عندنا في الإسلام وبكلّ بساطة، هي تأكيد الإسلام على احترام الإنسان، أي

إنسان، سواء أكان مسلماً أم كافراً، وذلك قوله تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم...﴾. كل من لا يحاربك في دينك، ولم يخرجك من أرضك، عليك الإحسان إليه والعدل معه، وفي العدل معه أن تحفظ له كلّ حقوقه بما في ذلك حقّ الحياة.

إنّك ترفض الآخر عندما يظلمك، وعندما يحاربك ويساعد على إخراجك من ديارك. ويحدّثونك أن الإسلام يحمل سيفاً يسلّطه على العالم، وهذا هو حديثهم عن الجهاد الذي هو في المفهوم الإسلامي كالقتال في كل موقع حضاري آخر.

الدفاع رد فعل طبيعي

إن من حق الإنسان أن يقوم بردّ فعل دفاعي ضد من اعتدى عليه، أو وقائي ضد من يريد أن يعتدي عليه ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم﴾. فليست القضية أن تحمل سيفاً لتحارب به العالم ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾، وأنت صاحب، حقّ فلا تعتد، لأنه ﴿وأن تعفو أقرب للتقوى﴾. والإسلام حين انفتح على الآخر انفتح عليه بالحوار والبحث عن القواسم المشتركة معه، ولقد تمثلت دعوة القرآن إلى حوار الآخر المتمثّل بأهل الكتاب بقوله: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾، فنقطتا اللقاء هما: توحيد الله وإن اختلفنا في تصوّر الله وفهم التوحيد، وأن نقف ضد الاستكبار، وضدّ الذي يجعل من نفسه ربّاً للإنسان. وعندما تحدّث القرآن عن الحوار قال: ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا﴾ لأن الظالم ليس حوارياً معك.. ﴿وقولوا آمنا بالذي أنزل الينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾، بل إن أسلوب الحوار في الإسلام لم يقترب منه أي منطق أو أسلوب حواري آخر مع تقدّم مناهج الحوار في الثقافات، ففي الأسلوب الإسلامي: ﴿وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾، ليس هناك ذات، بل قضية ضائعة يجب البحث عن حقيقتها وماهيتها. إن الإسلام ليس عدائياً ضد الآخر وهو يرفض ظلم الناس، لأنه العدل، والعدل لا دين له، إنه للإنسان كله، والظلم لا دين له، فيجب مواجهته من أيٍّ جهة أو مكان صدر وأطلق، ولهذا نحن ضدَّ الظلم كله.

معنى الإرهاب

إن معنى الارهاب ينطلق من هنا، فكلُّ عدوان على إنسان لم يعتد عليك، ولم يصادر

أرضك وحياتك وحرياتك، هو عمل إرهابي. فحيث تقتل إنساناً وتخطف إنساناً لمكسب ماديّ أو شخصيّ، أو لعقدة مذهبية أو طائفية أو حزبية أو لعقدة عشائرية وعصبية، فأنت إرهابي، لأنك أرهبت هذا الإنسان دون أن يرهبك. وإن كانت له بعض الأساليب التي لا ترتاح إليها كإنسان، فمن الممكن أن تواجهه بنفس الأساليب، لأنّ المماثلة هي التي تعطي مسألة الحق مصداقية هنا وهناك، وهو ما بيّنه الأئمة من أهل البيت(ع) في موضوع الحق وطالبه، لا سيما حين ضرب أمير المؤمنين. فالمماثلة يجب أن تنطلق في الحق ومن أجل الحق.

التمييز بين المواطن والحكومة الأميركية

لقد كان رأينا في موضوع أحداث ١١ أيلول منطلقاً من هذه المعطيات التي تؤكّد أن هذا غير مقبول إسلامياً، وقد يكون كلامي ضدّ الحماسة والانفعال، وضدّ مشاعرنا، لأن أميركا تمارس أعلى منازل الإرهاب ضدّنا، وقد دمّرت كل واقعنا ولا زالت حتى دون مسألة تأييدها لإسرائيل، ولهذا قلنا بالتمييز بين الأشخاص الموجودين في الطائرات والإدارة والحكم الأميركي. وصحيح أن الشعب الأميركي ينتخب، ويدفع ضرائب، ولكنه علينا استهداء القرآن في شتى القضايا ﴿ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾، والشعب الأميركي من الشعوب التي لا تهتم لسياسة إدارتها الخارجية، وجلّ اهتمامها هو بالسياسة الداخلية، وقد استغلّ اليهود هذه الفرصة، فحاولوا تحريكها في اتجاه أن يفرضوا عليهم الرأي الخارجي، بالنسبة للتلفزيون المفضّل والصحيفة المفضّلة. ونحن علينا فضح هذه الممارسات التي يتبّعها اليهود، فنحن لم نحاول النفاذ والتخطيط للشعب الأميركي حتى يفهم قضايانا، ولم نحاول الدخول في مفاصل الحياة الأميركية، ومواقع السياسة الأميركية، ولهذا أفتينا بجواز دخول الحياة السياسية لمصلحة الإسلام والمسلمين ومصالح المسلمين ووجود المسلمين، وحيث قرّر المسلمون التواجد والمشاركة في الحياة ونسيج الحياة الغربية دون أن يفقدوا مبادئهم وقيمهم، وذلك على أساس التخطيط والدراسة. إنني، وعلى رغم كل ما أثير، ليس لديَّ قناعة قضائية أن المسلمين هم الذين كانوا وراء الأحداث، وحتى أن هناك الكثير من الأشياء التي يتم تركيبها، لأن دراسة بعض المفردات مما اطلعنا عليه جميعاً، تشير إلى وقوف اليهود وراء ذلك ولو بالتوجيه والاستغلال. وهذه المسألة تحتاج إلى دراسة عميقة لكلّ مواقع السياسة الأميركية وأسرارها.

ثم إن الكثيرين يقولون إن أميركا تدمّرنا ولذا يجب علينا إسقاطها، فلو سلّمنا بهذا المنطق على قاعدة العمل بالمثل، فعلينا دراسة النتائج، لأننا نعتقد، ولو على نحو الفرضيّة، أن المسلمين لو قاموا بذلك، فإن أميركا لو صرفت مئات المليارات من الدولارات على أن تحصل على مكاسب اقتصادية وسياسية وأمنية في العالم ما كانت تصل إلى هذه النتائج، فقد استطاعت أميركا احتواء العالم عاطفياً وسياسياً وأمنياً، حتى أن أوروبا التي أطلق بعض زعمائها بداية شعارات العقلانية والتخطيط، سرعان ما خاضوا مع الخائضين وساروا مع السائرين.

وممّا يؤكد علاقة إسرائيل بهذه الأحداث، أن القضية الفلسطينية قد وصلت إلى هذا المستوى على قاعدة أنّ هذه القضية تأثرت بـ ١١ أيلول، لأن شارون وجّه القضية ومنذ البداية باتجاه ما أسماه الإرهاب الإسلامي، واستطاعت جماعة إسرائيل إقناع بوش الذي لا يملك ثقافة سياسية جيّدة، وذكاءً سياسياً ـ كما يُقال ـ بأنّ هذه المسألة والحرب ضدّ الفلسطينيين هي ضد الإرهاب، ولهذا تركّز منطق بوش وبشكل دائم على أنه يخوض وحلفاؤه حرباً ضدّ الإرهاب.

لا نسقط أمام مفهوم بوش

إننا لا نريد السقوط أمام مفهوم بوش للإرهاب، ولكننا نقول إن هذا العمل ليس مبرّراً من ناحية النتائج، من ناحية الاستغلال الأميركي لهذه المسائل في تحقيق مصالحها وأهدافها في تحويل آسيا إلى قاعدة عسكرية، وفي الاقتراب من كلّ ثروات آسيا وطاقاتها وقدراتها، وفي سعيها لتطويق روسيا والصين وإيران.

إنّ إيماننا بأيّة قضية يفرض علينا دراسة النتائج، ولا ينبغي العمل على قاعدة عليّ وعلى أعدائي يا ربّ. وإنّنا نصر على مفهومنا أن الحرب ضد المحتل ومن يحاربنا، ويريد إسقاط قوّتنا، أن هذه الحرب مقاومة وانتفاضة وجهاد وكفاح وتحرير ودفع، لقد وقعنا في الفخّ الذي نُصب لنا في قلب المفاهيم التي أريد من خلالها نعت المقاومة بالإرهاب، والانتفاضة بالإرهاب. فعلينا العمل على تحريك هذا المفهوم بطريقة علمية مؤصّلة في كل المجامع الثقافية في العالم، وعلينا ألا ننعزل ونتقوقع في صراع الإيديولوجيات فيما بيننا. إن هناك مفكرين في الغرب يجب الانفتاح عليهم لحملهم على تغيير وجهة نظرهم في ما يتعلّق بقضايانا.

العمليات الاستشهادية

وأودّ أن أذكر وأركّز على الحديث عن أخلاقية العمليات الاستشهادية وشرعيتها، وهو ممّا أوضحته مراراً، أن العمليات الاستشهادية لا تدخل في قضايا الانتحار الذي يُمثل حالة فردية يقتل الإنسان فيها نفسه، فأنت حين تقتل نفسك بيد العدوّ أو بنفسك، لأن الخطة تفرض ذلك في معركة تملك الشرعية، فعندها لا فرق في انطلاق الجندي للقتل في ساحة المعركة بيده أو بيد العدو، لأن الحرب جميعها تهلكه وفيها تعريض النفس للتهلكة.

إنّ العمليات الاستشهادية هي آلة من آليات الجهاد، والله لم يحدّد لنا آلية، بل كل ما تتوقف عليه المعركة يعتبر جهاداً. وفي ما يتعلق بأخلاقية المسألة، وما يثار من أن الاستشهاديين قتلوا مدنيين، والمدنيون لا ذنب لهم، أو أطفالاً، أو نساءً، فإن بعض المفتين أفتى بحرمة ذلك، والبعض أفتى أنه ليس من مدنيين بين اليهود. إننا نقول إنّ الأطفال ليسوا مدنيين، ولا نقول كما عبّر وأكّد بعض المسؤولين المتطرفين، وهو وزير الحرب الإسرائيلي ـ وكلهم متطرفون ـ حين سئل عن قتل الأطفال في جنين قال: إن هؤلاء الأطفال سيتحولون إلى مقاتلين في المستقبل.. هذا ما أكّده بكلّ غباء. إن الأطفال يبقون أطفالاً، ولكننا نذكر أنه حين حاصر اليهود الفلسطينيين في زنزانة أمنية، جواً وبراً وبحراً، وشتى أنواع الحصار والتدمير، حتى قتل الإسرائيليون كل أمن فلسطيني، الأمن الغذائي والاقتصادي، والاجتماعي والسياسي والعسكري، وحتى الأمن الجغرافي، فإن الاستشهاديين لم يروا طريقاً ليتخففوا من هذا الحصار والقتل لأمنهم إلا أن يقتلوا الأمن الإسرائيلي، والاستشهاديون لم ينطلقوا ليقتلوا المدنيين، وإنّما انطلقوا لقتل الأمن الإسرائيلي، وقد وفقوا جزئياً في فرض هذه المعادلة داخل الكيان الإسرائيلي الغاصب، وهذه المعادلة كلما تطورت أكثر كلما خلقت معارضة أكثر في داخل المجتمع الإسرائيلي وحكومته، وهو ما قرأناه في الصحف الإسرائيلية التي ذكرت أنه ما الفائدة من كل أعمال شارون؟ هو يقتل وهم يقتلون حتى بات المجتمع الإسرائيلي يعيش في حالة منع تجوّل.

لقد أسلفنا، أن مشكلة البعض أنهم يفكرون تجريدياً. إننا نعيش حرباً، وللحرب أساليبها، وضغوطها، وعناوينها، فالعمليات الاستشهادية أخلاقية وشرعية في ظرفها وموضوعيتها.

علينا الإحاطة بالوقائع وظروفها

إننا ـ أيها الأحبة ـ وحين نريد دراسة أية قضية وأيّ مفهوم، لا بدّ من الإحاطة بحيثياتها وظروفها. والمشكلة عند الكثيرين منّا، سواء على مستوى الفتاوى أو الأحاديث السياسية أو التحليلات السياسية، أننا نجرّد الواقعة عن ظروفها الموضوعية ونحكم عليها في ذاتياتها، ومن الطبيعي اختلاف الحكم في ذلك، فضع الحكم في ظرفه الطبيعي واحكم، لأنه لا فرق في القضاء في المحكمة أو القضاء في الساحة السياسية أو الأمنية، فعلى القاضي الإحاطة بكل القرائن والظروف للحكم في ما يريد.

كل مقاومة في سبيل قضية حق جهاد

أيها الأحبة، في الإسلام كل حركة المقاومة، كل حركة الانتفاضة، سواء تمثلت في عناصر إسلامية أو علمانية تقاتل في ساحة المواجهة، وفي نفس الموقع الذي يقاتل فيه الإسلاميون، تعتبر جهاداً شرعياً وأخلاقياً بكلّ وسائله التي تفرضها الحرب، ونتقيّد بكلمة تفرضها الحرب، حيث إنّ أخلاقيتها تنطلق من أخلاقية الحرب، وشرعيتها من شرعية الحرب. وعلينا ألا نسقط أمام الإعلام المتّهم للمجاهدين في لبنان وفلسطين بالإرهاب، ويجب العمل أولاً: على حماية ساحتنا الرسمية من أن يترك الإعلام أو الخطّ السياسي الأميركي تأثيره على القائمين عليها لينطلقوا في لعبة أن حماس إرهابية، والجهاد إرهابية، وكتائب شهداء الأقصى إرهابية، وأن حزب الله إرهابي.

إن علينا بدايةً حماية ساحتنا، لأنني أخشى أن ما يقال في الكواليس شيء وما يقال في العلن شيء آخر، ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنّا وإذا خلوْا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون﴾، لقد سجّلت حذراً وخوفاً من أنّ الإعلام يُسجِّل فشلاً «لباول» في المنطقة فيما يقول «باول» إنّه نجحَ في زيارته، ويقول بوش إنه حصل على بعض التقدّم، وسيرسل «زيني وتينيت» للمتابعة، وهذا ما يفسّر المأثور: «إنّ وراء الأكمة ما وراءها». ولقد تعوّدنا أن يقال للشعوب شيء وللآخرين شيء آخر، لهذا مطلوب أن يبقى المواطنون في الشارع، لأني أخشى أن يعتقد الكثيرون أنّهم وفّوا قسطهم للعلى، ولا بدّ أن يبقى هذا الصوت الذي ينبغي أن يكبر ويكبر ويكبر ليشمل الشعب كلّه، ويستمر ما استمرت القضية، حتى يهزّ كل الباحثين عن الاستقرار لمصادرة قضايا الأمة، سواء في الخارج أم الداخل.

وثانياً: أن يكون الصوت واحداً بمقاطعة البضائع الإسرائيلية وبالمطلق، ومقاطعة البضائع الأميركية مع الإمكان، باعتبار أننا ـ وللأسف ـ شعوب استهلاكية.

علينا احترام أمتنا

إن علينا احترام أمّتنا ومستقبلنا وأطفالنا، لأن الكثير من مشترياتنا مما يدخل في الخزانة الأميركية، ومن أموال العرب المودعة في هذه الخزائن، تدفع لقتل الشعب الفلسطيني، وأعتقد أن الفوائد التي ترسلها أميركا لإسرائيل هي من الأموال العربية المودعة في البنوك الأميركية، ومن الأرصدة العربية.

إنّنا عندما نفكّر كأمة، وأنّ الكرسي مسؤولية وليس شرفاً، وحين يعيش القادة نبض الأمة، تبدأ الخطوة الأولى للنّصر. ولا أريد القول إننا سائرون في طريق الهزائم، لأن الشعوب تملك الكثير من عناصر القوّة، ولن يستطيع الذين وظفتهم المخابرات الأميركية ليكونوا حكاماً، مصادرة الشعوب، فنحن سنبقى كأمة وسننتصر بوحدتنا وإيماننا ومبادئنا وأخلاقنا وقناعاتنا.

أيها الأحبة، إن الضعف ليس خالداً، والقوة ليست خالدة في الأرض، فلنكن الأقوياء لا الضعفاء؟! ولماذا لا نفكر أن نكون قوّة؟ وهل ما زلنا نخاف من أن نكون أقوياء؟ لقد أدمنّا الضعف وألفناه، حتى أننا نخاف من الرجوع للقوّة، على حدّ تعبير المتنبي:

خُلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا   لفارقت شيبي موجع القلب باكيا

القوة القوة في زمن يراد لنا فيه أن نكون ضعفاء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٨

فتوى المقاطعة لتربية الأمة على معاقبة من يعاقبها

أوضح سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله فتواه بمقاطعة البضائع الأميركية، مشيراً إلى أنها تشمل كل البضائع الأميركية التي نستطيع الاستغناء عنها ولا تشكّل ضرراً على الأمة.

وأشار إلى أن الهدف هو أن تتربى الأمة على معاقبة الذين يعاقبونها، ولتتخذ المواقف الصلبة أمام التحديات، مؤكداً وجوب سحب الأموال من البنوك والخزائن الأميركية التي يمكن أن ترجع إلى اليهود الذين يمثّلون القوة الاقتصادية هناك.. ولأن هذه الثروات ليست ثروات شخصية للقادة العرب والمسلمين بل هي ملك للأمة كلها.

أجاب سماحته على سلسلة من الاستفتاءات حول فتواه بمقاطعة البضائع الأميركية، وحول العمل في الشركات الأميركية، وكذلك حول وضع الأرصدة المالية في البنوك الأميركية. وجاء الحوار على الشكل التالي:

سئل سماحته عن استخدام البضائع الأميركية التي لا غنى عنها كعدسات العين التي قد لا يوجد منها في غير الصناعات الأميركية، فقال: لقد قيّدنا الفتوى في وجوب مقاطعة

البضائع الأميركية بقولنا «مع الإمكان»، أي عندما تكون هناك بدائل لهذه البضائع التي نحتاج إليها بطريقة أو بأخرى، وأن لا تكون المقاطعة موجبة للضرر، لهذا إذا كانت العدسات ضرورية أو لحاجة ماسة ولم يكن لها بدائل فلا مانع من شرائها واستخدامها.

وحول العمل في الشركات الأميركية، قال سماحته: الأصل في ذلك الحرمة في هذه المرحلة على الأقل من أجل الرد على أميركا في دعمها المطلق للصهاينة في عملياتهم التي تتحرك من أجل إبادة الشعب الفلسطيني. ولكننا في الوقت نفسه نؤكد على إخواننا المؤمنين أن تركهم لوظائفهم إذا كان يمثّل حرجاً وضرراً عليهم بحيث لا يجدون عملاً آخر يقوم بشؤونهم، فإنه يجوز لهم ذلك على أساس قوله تعالى: ﴿ما جعل عليكم في الدين من حرج﴾، كذلك قد يجوز له العمل من خلال ملاحظة حاجة المجتمع له في هذا العمل.

كما سئل سماحته عن استخدام تقنية المعلومات الأميركية التي هي ذات إمكانات عالية يمكن استخدامها في صالح الأمة، فقال: نحن لا نمانع في استخدام هذه المنتجات التي تمثل ضرورة للحاجات الإسلامية المعلوماتية الثقافية عندما لا نجد بديلاً لها، من حيث طبيعة هذه المنتجات، أو من حيث المستوى لأننا قيّدنا الفتوى بالمقاطعة بما لا يستلزم ضرراً أو حرجاً على العالم الإسلامي في حاجاته الاستهلاكية الضرورية على جميع المستويات.

أضاف: إننا استهدفنا بهذه الفتوى مع إخواننا من العلماء المسلمين أن نربي الأمة الإسلامية على أن تعاقب من يعاقبها من حيث المبدأ، وأن تتخذ المواقف الصلبة في مواجهة هذه التحديات الكبرى. لماذا لا نحاول الضغط على الإدارة الأميركية بالمقاطعة التي سوف تدفع الشركات الأميركية لتضغط على إدارتها السياسية من أجل أن تغيّر مواقفها لتكون أكثر توازناً أو لتكون في مصلحة الفلسطينيين؟ لماذا لا نفعل ذلك ونحن قادرون عليه من دون الدخول في متاهات التفاصيل الجزئية هنا وهناك؟ إن الشعب الفلسطيني يُضحّي بأطفاله ونسائه وشبابه وشيوخه وبكامل بنيته التحتية في سبيل القضية الفلسطينية التي هي القضية الحيوية المصيرية التي تمس مستقبل الأمة، فلماذا لا نُضحي ولو بالقليل من مزاجنا وحاجاتنا الاستهلاكية بما لا يؤدي إلى ضرر كبير في حياتنا العامة والخاصة؟

وسئل سماحته حول الحكم الشرعي في وضع أموال المسلمين التي هي بالملايين وربما بالمليارات في البنوك الأميركية، فقال: لقد تحدثنا في خطبة الجمعة في نداء إلى العرب والمسلمين بأنهم إذا كانوا يتحدثون بأن النفط ليس سلاحاً لأنه سوف يؤثّر تأثيراً سلبياً على رخاء شعوب العالم الإسلامي ـ ونحن نتحفّظ في ذلك ـ فإن عليهم أن يسحبوا كل الأرصدة التي تبلغ عشرات المليارات التي يستثمرونها في بنوك الولايات المتحدة لترجع كل فوائدها إلى المساعدات الأميركية للصهاينة، ولتقوّي ثروة أميركا اليهود في داخلها وخارجها، في الوقت الذي لا يستفيد منها العالم الإسلامي أي شيء.

تابع: ونحن نعرف أن العالم الإسلامي مثقل بالديون الهائلة التي تفرض عليه الكثير من الشروط السياسية والأمنية والاقتصادية، لذلك طالبنا بسحب هذه الأرصدة واستثمارها في بلاد المسلمين من أجل أن نستغني عن القروض المذلة المهينة والربوية ونستغني عن كل الشروط السياسية التي تفرض علينا هنا وهناك.

إننا نقول لكل المسلمين وإلى الذين يعتبرون أنفسهم قادة للمسلمين: إن عليهم أن يعيشوا هموم العالم الإسلامي، وأن يعتبروا أن هذه الثروات ليست ثرواتهم الشخصية بل هي ثروات للمسلمين، وعليهم أن يتصرفوا بها بما يحقق المصلحة للمسلمين، وإلا فإنهم يكونون كمن خان الله ورسوله والمؤمنين في أموالهم وفي كل قضاياهم العامة والخاصة. إن إبقاء هذه الثروات في خزائن الولايات المتحدة الأميركية التي يمكن أن ترجع إلى اليهود الذين يمثلون القوة الاقتصادية هناك حرام، بل ربما يكون كبيرة من الكبائر.

وأردف: إن المرحلة التي يمر بها الإسلام والعالم الإسلامي في التحديات الموجهة إليه على جميع الأصعدة هي مرحلة حرجة، ولا سيما التحدي الكبير الذي يواجهه إخواننا في فلسطين ويواجهه العالم العربي والإسلامي من خلال ذلك؛ لأن القضية الفلسطينية تختصر كل القاعدة التي ترتكز عليها الحركة السياسية في مواقع الحرية والعزة والكرامة للعرب والمسلمين.

إن هذه المرحلة تفرض أن نستنفر كل طاقاتنا التي يمكن أن تحرّك المشاعر وتفتح العقل وتنطلق في حركة التخطيط من أجل دعم هذه القضية واستنفار كل الطاقات في ذلك.

وفي ضوء هذا، فإن الجانب الروحي الذي يتمثل بالصلاة والصيام والاستغفار والدعاء يمكن أن يحرّك المشاعر في أجواء روحانية تنفتح على الله سبحانه وتعالى لنبتهل إليه أن يثبت أقدامنا وأن يرزقنا الانفتاح على كل الخطط التي تساهم في عملية الانتصار، وأن ينصرنا على القوم الكافرين.

إننا نشجع كل مبادرة روحية ولكن بشرط أن تتكامل مع المبادرات الأخرى التي يلتقي فيها المسلمون على صعيد واحد، من أجل استنفار كل الطاقات في دعم جهاد إخواننا المجاهدين في فلسطين.

وعن نصيحته للذين يعملون في الولايات المتحدة الأميركية والذين يضطرون لشراء البضائع الأميركية، قال: إن موقعكم هناك ربما يضطركم في أكثر حاجاتكم إلى أن تمارسوا استخدام البضائع الأميركية، ولكن عليكم أن تختاروا البضائع والمنتجات التي تنتجها الشركات التي لا علاقة لها بالعدو الصهيوني ولا تقدم له أية مساعدة، ثم إذا استطعتم أن تستبدلوا هذه المنتجات بمنتجات بلدان أخرى تصدّر منتجاتها إلى أميركا فيمكن أن تتمثل المقاطعة بهذه البدائل بطريقة وبأخرى.

وإننا نقول لكل إخواننا في الولايات المتحدة الأميركية: إن عليهم أن يعملوا بكل ما عندهم من طاقة في سبيل أن يكون لهم موقع فاعل مؤثر في الحياة الأميركية، وذلك بالانفتاح على مواقع الشعب الأميركي المؤثرة لإقناعهم بعدالة قضايانا في مواجهة إسرائيل، ثم أن تجمعوا أمركم لتدخلوا في مفاصل الواقع الأميركي لتكونوا قريبين من مواقع القرار أو لتملكوا في المستقبل بعض مواقع القرار.

إن عليكم أن تدرسوا كيف نفذ اليهود إلى مواقع القرار الأميركي بأن دخلوا إلى الحياة الأميركية من بابها الواسع، واستطاعوا أن يقنعوا الشعب الأميركي باهتمامهم بقضاياهم ليرتبط بهم سياسياً ليستطيعوا من خلال ذلك أن يفرضوا عليه قضاياهم في إسرائيل وفي كل مواقفهم ضد العالم العربي والإسلامي.

أضاف: إن المسلمين في أميركا يمثلون قوة كبيرة ولكن المشكلة أن الكثيرين منهم معزولون عن المواقع الحيوية في أميركا ولذلك فإنهم لم يستطيعوا حتى الآن أن يكون

لهم الدور الكبير المؤثر في القرار، ولكن وكما يقول المثل: أن تأتي أخيراً أفضل من أن لا تأتي.

إن عليكم أن تستفيدوا من التجارب التي عشتموها في هذه المرحلة، ومن موقف الإدارة الأميركية ضد قضايا الإسلام والمسلمين. إن عليكم أن تستفيدوا من ذلك، أن تجمعوا أمركم وتحزموا مواقفكم من أجل أن تكون وطنيتكم الأميركية فاعلة في خدمة قضاياكم الداخلية هنا وقضايا إخوانكم المسلمين في الخارج. اخرجوا من فرديتكم لتفكروا كجزء من أمة تنتظر جهدكم لتتكاملوا مع جهد أفرادها في كل مكان في العالم.

٩

المبادرة العربية أميركية بعقال عربي والطائف أميركياً بطربوش لبناني

قال سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله إن المنطقة تعيش حالة انتداب سياسي، فلا قرار سياسي محلي أو إقليمي ذاتي، ولا يمكن أن نتخذ أي قرار من دون موافقة أميركية. وسأل لماذا نصنع تاريخ الهزائم، ونخشى النصر والحرية.

ألقى سماحة العلامة المرجع السيد فضل الله محاضرة في «مركز توفيق طبارة» بدعوة من ندوة العمل الوطني تحت عنوان «أبعاد الهجمة الأميركية والصهيونية على فلسطين والمنطقة» بحضور الرئيس سليم الحص وعدد من النواب والشخصيات السياسية. قدمت للمحاضرة المسؤولة الثقافية في الندوة الدكتورة نهى الحسن فقالت: في هذا الزمن حيث تنقلب القيم لصالح المدفع يطلب، منا أن نخالف قيمنا وحضارتنا فنسمي الشهيد إرهابياً. ثم تحدث السيد فضل الله الذي استهل محاضرته بطرح أسئلة حول أسباب الهجمة الأميركية الإسرائيلية وجذورها، ووقوف الغرب إلى جانب إسرائيل التي تشكل امتداداً لهذا الغرب، ومما جاء في المحاضرة:

محاضرة ألقيت في مركز توفيق طبارة بدعوة من ندوة العمل الوطني - بيروت.

أن نتحدث عن أبعاد هذه الهجمة الأميركية ـ الصهيونية على فلسطين، هو أن نتجاوز الحدث اليومي، وإن كان الحدث اليومي يفترس كل ما نعيشه من مشاعر وأحاسيس ليحوّلها إلى شيء في التوتر وفي الألم، وربّما في الثورة.

أين إسرائيل في الخطة الأميركية

أن نتجاوز الحدث اليومي، وأن ننطلق إلى كلّ الواقع التاريخي في الإطار الذي يتحرّك فيه العالم كله، ولا سيما العالم الذي يتّصل رخاؤه بأعماق المنطقة التي نعيش فيها وبأسواقها، لا بدّ أن نفكر دائماً بالجذور التي ينطلق منها الحدث.. لماذا هذه الهجمة؟ ما هي خطّة الغرب بشكل عام، وأميركا بشكل خاص في المنطقة، وبالتالي أين تندرج إسرائيل في هذه الخطة وهي تمثّل امتداداً عضوياً للغرب في كلّ المعنى السلبي الذي يتصل بواقع الأمة في المنطقة العربية والإسلامية! وليست مجرّد شيء يهودي في ما هو العمق اليهودي التوراتيّ، وإن كانت تتحرك في اتجاه تحريك كل مفرداته في الواقع، ولكنها انطلقت من الغرب الذي وإن انفصلت عنه في بعض المواقع، لكنها استطاعت أن تدخل في وجدانه ليتحسس معنى إسرائيل في مصالحه.

ومن هنا نفهم أن وعد «بلفور» لم يكن مجرّد هدية خيرية لليهود، بل كان في عمقه حركة من أجل امتداد هذا المناخ الغربي المنفتح على امتداد مصالحه في المستقبل. وهكذا كان الوعد البريطاني حركة في سياق تشكل الكيان الصهيوني، ثم دارت الدائرة وتأخرت بريطانيا عن كلّ قوّتها في الأربعينيات، فأصحبت المسألة إسرائيل برعاية أميركية.

مصالح الغرب في المنطقة

أيها الأحبة، إن المسألة هنا في العمق في ما أفهمه، أنّ الغرب وجد منذ البداية، ومنذ تحركه لإقناع بعض العرب أنه جاء ليحرّرهم، وبأنه جاء ليحقق لهم الاستقلال، رأى في المنطقة كلّ هذه الثروات الطبيعية التي يتوقف عليها رخاؤه، وكلّ المواقع الاستراتيجية التي تتحرك فيها كل مواقع الصراع آنذاك بينه وبين الشرق، ورأى في المنطقة كل الأسواق الاستهلاكية التي يمكن أن تتحرك معها مصانعه.

ولهذا حين اضطر هذا البريطاني أو الفرنسي، والذي سلّم مفاتيح المنطقة ـ بطريقة وبأخرى ـ إلى الأميركي، حين اضطر لمنح الاستقلال لهذا البلد أو ذاك، فإنه فعل ذلك

على مستوى السطح وبقي العمق في حالة من الفوضى السياسية والاقتصادية والأمنية. لم يُسمح لهذا البلد أو ذاك أن يتوازن أو يخطط أو أن يتحرّك على أساس أن يستقلّ، بل أريد لكل هذه الفوضى المذهبية والطائفية والقطرية والعرقية هنا وهناك، أن تركِّز على تخلّف يحسبونه مقدّساً وخرافة يحسبونها حقيقة، وشغلنا بذلك ودخل إلى عمقنا من أجل أن يدخل فيها أكثر من مرضٍ ومرض.

ونحن نعرف ـ أيها الأحبة ـ أن الجذور إذا أصابها المرض فما معنى الأغصان؟ وكيف يمكن أن تكون الثمار؟ المسألة هي أن الغرب صنع له امتداداً جديداً بطريقة عصرية يمكن لحقوق الإنسان أن لا تنزعج فيها، ويمكن لكلّ الخطوط القانونية أن لا تتعثّر فيها. أصبح الانتداب مغلفاً بأكثر من غلاف وغلاف، ولذلك لن نتحدث عن الانتداب الثقافي الذي لم يمنحنا الثقافة الصّافية التي تتعمق، بل منحنا ثقافة تأخذ هامشاً من هنا وهناك، وربّما تعطينا بعض القضايا الحقيقية التي توحي إلينا بأننا يمكن أن نحصل على ثقافة فيها شيء من الأصل.. واضطربت المفاهيم عندنا، وتغرّب البعض عندنا، في الوقت الذي استشرق البعض عندهم ـ إذا صحّ التعبير ـ.

الانتداب التاريخي

وهكذا نحن لا نشعر أن هناك مشكلة من خلال كل ما يأتينا من ثقافة الآخرين، فالثقافة لا موطن لها، وهويتها إنسانية، أن تتفق معها أو تختلف فتلك قصتك أنت. تؤصل ثقافتك من أجل تحريك هذه الأصالة لتأخذ شيئاً أصيلاً من هذا وذاك، ولتطرد الهوامش عن ثقافتك. ولكن قيل لنا إن ثقافتنا هي سبب تخلّفنا، ولم يقولوا لنا إنّ فهمنا لتراثنا، هذا الفهم الذي يبحث عن ملامح فكر يعقلن التراث وينفتح عليه بشكل دقيق، هو ما نسعى إليه. لقد أريد لنا هذا الانتداب الثقافي الفوضوي الذي حول المسألة الثقافية في وجداننا الفكري إلى مزق متناثرة قد لا يجمعها الكثير، وغرقنا في الإيديولوجيات، وأصبحت القضية في حوار الإيديولوجيات في ساحتنا تشبه النزاع في جنس الملائكة، لأن أية إيديولوجية قد تنسجم معك وقد لا تنسجم، فحين تريد الانفتاح عليها فإنك تعطيها شيئاً من هويتك وهويّة أرضك وتاريخك وشخصيتك، حتى لا تكون نشازاً في كلّ هذه الموسيقى الثقافية التي تضجّ في كل مشاعرك وأحاسيسك وأفكارك. ولكنّنا نقلنا معاً نقل المسطرة، فأخذنا الإصلاح الزراعي كما طبّق في بلد يختلف بكلّه عنّا، وأخذنا التصنيع دون دراسة الأرضية، وأخذنا الكثير من حركة اليسار واليمين دون وعي

ومعرفة. وأريد لنا وفي العمق أن نعيش انتداباً، ليس انتداباً سياسياً بمعنى أن يستعمرنا الآخرون ولكن أن يستعمروا قراراتنا، ورأينا كيف أن الكثيرين منا ممن وظفوا ـ ولا نقولها شعاراً واستعراضاً، ولكن نقولها بكل أسف ـ وظفوا ليكونوا ملوكاً أو رؤساء أو قادة أحزاب وكل ما عرفناه في القائمة «الألقابية» التي تتحرك في واقعنا لتتربع على مواقع المسؤولية في المنطقة، وأريد أن لايصدر القرار إلا من خلال قرارات المستعمر والمنتدب. فقد نعطى ديكوراً عربياً أو إسلامياً وبعض الرتوش ليقال إننا صنعنا قراراتنا، كاستيراد البضائع وادعاء وطنيتها، لأن المسألة هي أننا لا نبحث عن جوهر الأشياء، ولكن عن أشكالها. وهكذا كانت فلسطين الأولى، كانت قراراً بفلسطين ١٩٤٨، بعد كلّ التداعيات في فلسطين العام ١٩٣٦، إلى كلّ هذه الفوضى التي قال عنها الشاعر الفلسطيني وهو يخاطب بعض النّاس يومها:

أيها المخلصون (للوطنية)
أيها الحاملون عبء القضية
في يدينا بقية من بلاد
فاستريحوا كي لا تطير البقيّة

وطارت البقية، حتى مع قرار التقسيم الذي ضغطت فيه الولايات المتحدة على أكثر من دولة لتقرّه كمرحلة أولى لاحتواء يهود فلسطين.

التحرك بلا خطة

وهكذا كانت القضية أن فلسطين سقطت، وتحرّكنا ولكن دون خطّة للحرب! كيف نحارب؟ على أي أساس؟ ما هي الظروف الموضوعية؟ ما هي قوة العدو؟ وجميعكم يعرف بقيّة القصة. وغرقنا بفعل الخطة في هذا الانتداب السياسي الذي يوحي لهذا أن يصنع حرباً قطرية ولذاك حرباً مذهبية، ولثالث حرباً طائفية. وتعبنا وكانت إسرائيل ترتاح في فلسطين. تعبنا من كل الحروب والانقلابات والخطة كانت تنطلق لكلّ الطريق المرسومة إليها.. وعرفنا كيف كانت ١٩٧٦ وما بعدها والنتائج.

إن أميركا التي تلتزم إسرائيل مطلقاً ـ وهي بديهة أساسية سياسية عندنا ـ تتحدث عن أمن إسرائيل، ولكنّ كلمة الأمن عند الإدارات الأميركية تعني الأمن السياسي والاقتصادي والأمني، وكل ما يتصل بعملية وجود إسرائيل كقوة شبه مطلقة في المنطقة.

ليست المسألة هي مسألة فلسطين فحسب، ولكن المطلوب السيطرة على ما حول فلسطين من المنطقة العربية والإسلامية كلها، حتى تكون فلسطين إسرائيلية مع بعض الديكور العربي هنا وهناك، وبعض الحكم الذاتي لبعض الديكور العربي.

أريد لإسرائيل استكمال خطتها

ولذلك كنّا نتابع الخطة الأميركية ـ والتي تتقاطع معها بين وقت وآخر الخطة الأوروبية، ولم يكن الاتحاد السوفياتي في باطنيته السياسية بعيداً عن كثير من هذا الدعم لمعنى إسرائيل، وإن كنّا نهلل ونتحدث بأنه سوف يرجع إلينا فلسطين، بسذاجة سياسية بسيطة.

لقد أريد لإسرائيل أن تستكمل خطتها، وإن كان البعض يتحدث عن المراحل التي مرّت بها القضية الفلسطينية، ولماذا لم تُسالم إسرائيل. ويتحدثون أنّ المشكلة هي العرب، والمتطرفون، وأن إسرائيل وأميركا كانتا مستعدتين لحل المشكلة، ولكن القضية هي أنّ إسرائيل خططت ومعها أميركا أن لا تتحوّل إسرائيل إلى دولة من دول المنطقة إلا بعد أن تستكمل خطتها في تحقيق أكبر قدر من المكاسب السياسية والاقتصادية والأمنية على مستوى المنطقة.

وبالرغم من كل تنازلاتنا منذ مؤتمر الخرطوم وإلى زمن المبادرة العربية ـ الأميركية، وبالرغم من كل ما وصفونا به من صفات التطرف الإسلامي والقومي والفلسطيني، إلا أنّ المسألة هي أننا كنا نلهث وراء حلّ أي حل، وكانت التنازلات على طريقة عمر أبو ريشة:

خافوا على العار أن يمحى فكان لهم   على الرباط لحفظ العار مؤتمر

وانطلقت المؤتمرات، وتحركت إسرائيل لتنفيذ كلّ خطتها، ولم تقبل الصلح حتى تنضج كل خطتها، وكانت التعقيدات تأتي من حيث لا يشعر هذا الفريق العربي وذاك الفريق العربي. وكانت فلسطين عربية، وأريد لها أن تكون إلى جانب ذلك إسلامية، وقال العرب فلتكن فلسطين فلسطينية، وقالوا للمسلمين لا تتحدّثوا عن الجانب الإسلامي، لأنكم سوف تخلقون حساسيات طائفية، لأن هناك غير مسلمين، والقضية لم تكن كذلك. لقد أريد للفلسطينيين أن يكونوا وحدهم، ومجرّد بلد عربي له مشاكله التي

تحل في إطار الجامعة العربية، كأي بلد عربي، أو مجرد بلد إسلامي تبحث أزمته في المؤتمر الإسلامي، تماماً كما تبحث المشاكل العربية ـ العربية.

العرب تخففوا من القضية الفلسطينية

وتخفف العرب عضوياً من كل القضية الفلسطينية، ففلسطين حُركت على قاعدة أن لا تعود عربية، وأكّد ذلك مؤتمر مدريد الذي صفق العرب له على اعتبار أنه مؤتمر السلام، وقيل للفسطينيين: ليست لكم شخصية وطنية، كونوا جزءاً من الوفد الأردني، وقيل للعرب لا تتفاوضوا مع إسرائيل مجتمعين، لأن القضية العربية غير موجودة، فهناك مصر والأردن. وحتى عندما أريد اختيار المراقبين في مؤتمر مدريد قالوا فليكن الاتحاد المغربي ـ وما علاقته كاتحاد بالمسألة ـ فالمغرب رئيس لجنة القدس، وأي قدسٍ هي هذه! وقيل لمجلس التعاون الخليجي، كن مراقباً وللجامعة العربية ممنوع الدخول في مؤتمر مدريد، لأن المطلوب ألا يكون هناك عالم عربي، بل إسقاط هذا العالم العربي من الحركة السياسية والمسألة الفلسطينية.

إنّ عنوان العالم العربي، والعروبة والقومية العربية، والعنوان الإسلامي، صودرت كلها، وسعت أميركا لإسقاط كل هذه العناوين وإلغائها، حتى تتجذر القطرية في العمق! ولاحظوا كيف انطلقت القطرية لتصالح إسرائيل ولتنهي الحرب العربية ـ الإسرائيلية.

ومرت القضية الفلسطينية بعدّة مراحل وأميركا تتابع الخطة الإسرائيلية، وحتى عندما انطلقت المقاومة والانتفاضة الأولى، أدرك القوم، وفي مقدمتهم أميركا، أن هناك قوة بدأت تفرض نفسها في العالم العربي ـ الإسلامي، لقد تحركت القضية في الخمسينيات والأربعينيات على أن تحشد التعبئة النفسية بالخوف في العالم العربي، فإسرائيل لا تُقهر، وإسرائيل هي أميركا ولا يمكن أن تهزم ـ كما قيل قديماً ـ وأريد للعرب أن يفقدوا معنى الانتصار، وأن يسقط ذلك، وتنتهي الحرب التحريرية إلى صلح مع إسرائيل.

كل ذلك كان قبل ١١ أيلول، حين تحركت القضية لتقف في الخط المواجه للمقاومة في لبنان، لتسقطها، فممنوع أن تكون هناك قوة تقف ضد إسرائيل، والكارثة الكبرى، بل الخطيئة هي أن تهزم إسرائيل في لبنان. ولكن في العمق أرادوا أن نخاف، ومنعونا من

أن نفهم ما معنى إسرائيل، وتحرّكت كل وزارات الإعلام لتمنعنا من قراءة كتاب مترجم عن سياسي أو مفكر غربي أو إسرائيلي، بينما تحركوا هم ليدرسوا كلّ مظاهر الأدب من رواية وقصة ومسرحية عندنا، ليعرفوا كيف نفكر، ونخطط، ونحلم. لقد كانوا في دائرة الضباب عندنا وكنا تحت المجهر وفي دائرة الضوء عندهم.

الانتفاضة تخترق الأمن الإسرائيلي

وكانت الانتفاضة الجديدة حركة الضوء، التي استطاعت أن تخترق أكثر من حاجز إسرائيلي للأمن، واستطاعت أن توحي لليهود وللعالم بأنّ هناك إنساناً لا يخاف، سواء كان إسلامياً أو وطنياً، فقد آمنوا أن الله يزيد الإنسان إيماناً وبطولة وشجاعة مقابل تخويف الشيطان، والذين يخوفونهم هم شياطين الأرض، لأن الملائكة في مناقبيتهم يعملون على أساس تأكيد القيم حتى على حساب وجودهم.

أميركا تعمل لإخضاع العرب والمسلمين

لقد بدأت الحملة ضد كل هؤلاء الذين يقتحمون الموت بأنفسهم ـ وقد سبقهم قبلاً إخوانهم في لبنان ـ حتى إذا جاءت أحداث ١١ أيلول، قال الإسرائيليون، وشارون على رأسهم، وجدتها: «الإرهاب الإسلامي». وعرفنا أن الرئيس الأميركي كان يبحث عن كبش فداء أفغاني وعربي وإسلامي، لأنه كان يعيش هاجساً ـ ربما أقض مضجعه، ومنعه من النوم ـ فتحدث عن الإرهاب، ولكنه لم يستطع أن يحدّد ملامحه، ولم يستطع تحديد مواقعه، ولذلك عمل على أن يقتل كيفما كان، ويدمّر كيفما كان. وهكذا التقت أميركا بإسرائيل، فليست المسألة ضعف الرئيس الأميركي على الصعيد الشخصي، أو أنّ الإدارة الأميركية يتناوبها الصقور والحمائم، وليست المسألة شخصية شارون ومزاجه.. بل القضية أن هنالك خطأ جديداً في هذا العالم العربي والإسلامي، قد تناقش أساليبه وفهمه للواقع السياسي، وكثيراً من مفرداته التي يطلقها من الناحية الثقافية والفكرية، ولكنك لا تستطيع أن تناقش معنى القوة المتحدية المتمردة عنده، وقد تكون عاقلة ومجنونة، ولكنّ القوّة قد تُعقل إذا كانت لديك بعض ملامح الجنون، وقد تعطيك بعض ملامح الجنون من غير أن تختلّ في حركتك إذا كنت عاقلاً بالعقل البارد الذي يوحي لك بالاسترخاء.

إن شارون لم يطلق الكلمة القائلة «الإرهاب الإسلامي» لينبه بوش للمسألة، ولكنّ بوش

كان يعمل على اقتحام كلّ العالم العربي والإسلامي، وكان يشعر أن هناك شيئاً يمثل حركة الأشباح المتنقلة، ويلاحظ أنّ كلّ هذه التظاهرات الشعبية مع اختلافها في أعدادها وشعاراتها، تمثل ثورة جنينية في المستقبل، إذا لم تكن ثورة حقيقية الآن نحن نعرف أن المستكبرين يخافون من كل خلفيّات الثورة حتى وهي جنينية وفي الرحم.

فبعد أفغانستان تحركوا ليكون هناك كبش فداء، لماذا؟ ليخضع العالم العربي والإسلامي، ولتوزّع الاتهامات هنا وهناك، ومحاور الشرّ والتهديدات على أنواعها، حتى بقمع أي صوت عربي يحمل شيئاً من القوة.

دولة شارون الفلسطينية!

ولقد تحدّث الرئيس الأميركي عن الثقافة، حتى لا يضبط العرب والمسلمون بأنهم يتحدّثون عن التاريخ كشيء أصيل في شخصياتهم. وطلب أن «تؤمرك» الثقافة في المنهج حتى لا تبقى الثقافة أصيلة عند الإنسان العربي أو الإسلامي، وإذا بإسرائيل تخشى هذه الروح وهذا الرفض الذي تجدّد في العالمين العربي والإسلامي من خلال كلّ هذه الصّرخات الشبابية الفتية، وكان الخوف والهدف كما قال شارون أن يخضع الفلسطينيون ويرفعوا أيديهم ويستسلموا ويُلقوا سلاحهم ويخسروا وجودهم، ويطلبوا وقف إطلاق النّار، لا إسرائيل التي تمارس بحقهم كل القتل والتدمير والقتل.. لأن استسلام الفلسطينيين هو الشرط لصياغة فلسطين المستقبل على الطريقة الشارونية ـ أو الأميركية، لأنه عندما يبقى الفلسطينيون مع فلسطين والتي قد تكون من النهر إلى البحر، أو قد تكون فلسطين بعد ١٩٦٧، فإنه لا يمكن لشارون أن يحقق أية نتيجة لمشروعه، ولا يمكن لأميركا مساعدته في ذلك أيضاً حفظاً لبعض ماء الوجه العربي.

إن كل ما حدث في فلسطين من تدمير وحشي وكل دفاع أميركي عن كل ما ارتكبته إسرائيل، وإلحاح اميركي على تحميل رئيس السلطة، أو المجاهدين في فلسطين المسؤولية وإلحاحهم على كل الزعماء العرب ألا يسموهم شهداء.. كل ذلك لأنهم يخافون حتى من مصطلح الشهادة، وأرادوا أن يكونوا في المصطلح قتلة، وأرادوا تسميتهم بذلك لينزعوا من كل النفسية العربية، من خلال حكام الزعماء العرب، كل معنى لاحترام هؤلاء.. حتى عبّر الرئيس الأميركي قائلاً: لا تحترموهم، وتدخّل مع بعض الزعماء العرب ألا تصرف التبرعات الشعبية للانتفاضة، ولكن للأيتام والفقراء والمعوزين، لتكون مسألة

إنسانية. لقد أرادوا إسقاط كلّ الواقع الرسمي العربي، وهو ما أسميته بالانتداب السياسي ووضع كلّ القرارات تحت الهيمنة الأميركية. وقد لا يقبل الكثيرون، ولا سيما في لبنان، الذي هلّل للمبادرة العربية ـ والمعلومات الدقيقة تقول إن المبادرة العربية كانت أميركية وأخذت غطاءً عربياً تماماً ـ عندما وضع اتفاق الطائف الذي كان قراراً أميركياً بطربوش لبناني وعقالٍ عربي، كما كنت أقول، تصنع القرارات هناك وتُعطى ملامحنا، فالقضية تحتاج إلى قراءة ما بين السطور، لا قراءة ما يكتب لنا. إن المطلوب أن تتأمرك الأمة وتتهوّد.

وما الذي حدث منذ الانتفاضة وحتى الآن؟ لقد قدّمت الكثير من التنازلات لنثبت أننا أناس طيّبون، مهذّبون، ونحبّ السلام العالمي، ونحافظ على كل اقتصاد العالم. فماذا أعطتنا أميركا في كل الزيارات؟ هل أعطتنا تحرير الرئيس الفلسطيني من سجنه؟ ـ ولو بقي سجيناً لكان أكثر قوّة؟! وهل أعطتنا أنّها حرّرت السجناء الفلسطينيين في الكنيسة، فلقد صاروا سجناء في أكثر من دولة! ممّا جعلنا نعطي وضعاً يقضي بتحرّك الأوضاع الدولية لإبعاد الفلسطينيين عن أرضهم! إنّ أميركا لا تعرفُ مع إسرائيل إلا المواقف، وأمّا العرب فإنها لا تقدم لهم سوى الكلمات والتعابير التي تجعلهم يتأثرون عاطفياً، وهم جماعة العاطفة والانفعال.

إن الانتفاضة هي الورقة الوحيدة للقوة، لا المبادرات التفاوضيّة. والجميع يعملون الآن في العلن والكواليس لإسقاط الانتفاضة وإدانتها.. وعلى كل فرد منا أن يستشعر في ذاته معنى الأمة، ومعنى القوّة، وعلينا ألاّ نبقى مع المزاج الانفعالي لأن أبعاد الهجمة الأميركية الصهيونية في فلسطين والمنطقة هي أن لا يجرؤ العرب على التمرّد على القرارات الأميركية، وأن يدينوا العمليات الاستشهادية وغيرها، فيما تعطي أميركا لإسرائيل الحق في التمرد على القرارات الدولية والمجتمع الدولي والإنساني.

إننا نصادر مقاومينا، ونعتقلهم، ونصادر ثرواتنا، ولقد حوّلونا إلى قاصرين نحتاج إلى أولياء أمور ولكنّنا نقوى مع المقاومة، مع الانتفاضة. نولد. نتحرر. نتعملق. نعيش العنفوان، ونحصل على النتائج الآن وغداً وفي المستقبل الذي نريد أن نصنعه بدمائنا وعزّتنا وتخطيطنا وتفكيرنا، على أن يكون تخطيطنا بحجم العالم، وتفكيرنا بحجم القضية، إننا نريد صناعة تاريخ الانتصارات لا تاريخ الهزائم.

١٠

الإسلام يتعايش مع الأمم الأخرى

هو لبناني الأسرة، عراقي الولادة، نشأ في النجف تربية وتعليماً وتلقى العلوم الإسلامية في حوزتها. يعتبر صاحب عقل حواري منفتح على جميع الشعوب والحركات الإسلامية. مؤلفاته تربو على الستين، وأبرزها تفسيره القيِّم «من وحي القرآن»، تعرض إلى عدة محاولات اغتيال، وكان أكثرها دموية تلك التي قامت بها المخابرات الأميركية حسب اعتراف مديرها آنذاك وليام كايسي في كتابه «الحجاب»، حيث تم تفجير سيارة مفخخة قبيل خروجه من صلاة الجمعة التي يدأب على إقامتها كل أسبوع في بيروت. إنه المفكر الإسلامي الكبير آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله الذي أهدى لـ«الدليل» ـ مشكوراً ـ بعضاً من أوقاته لتحاوره في قضايا فكرية وسياسية وعراقية وتركمانية.

■ **ثمة من يقول بعالمية الانتماء الإسلامي في مقابل علمانية الانتماء القومي، السؤال هو هل أن الانتماء القومي يلغي دور الدين بالمطلق وأن الانتماء الإسلامي لا يعترف بأية خصوصية قومية؟**

بسم الله الرحمن الرحيم. إن عالمية الإسلام كما هي في العنوان الكبير الذي طرحه رسول

صحيفة «**الدليل**»، العدد ١٥ ـ ربيع الأول ١٤٢٣هـ/حزيران ٢٠٠٢م.

الله(ص) من خلال التوجيه الإلهي ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾. إن عالمية الإسلام لا تعني إلغاء الخصوصيات الطبيعية للبشر، لأن الله سبحانه وتعالى قد أكد هذا التنوّع، واعتبره حركة إيجابية في علاقة الناس الذين يتنوعون مع الناس الآخرين، فنحن نقرأ قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجلعناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ أن الحديث عن الشعوب يعني أن هناك أكثر من شعب، وكلمة الشعب هي من الكلمات التي تختزن في داخلها الخصوصيات المميزة لفريق من الناس عن فريق آخر، اللغة والعادات والتاريخ والأرض وما إلى ذلك، مما تتحرك به هذه العناصر التي تشخصن أمة من الناس. وهكذا عندما نتحدث عن مسألة القبائل فإن القبيلة تتميز في الانتماء إلى جد واحد، وبالعيش في ظروف واحدة وخصائص وعناصر مميزة. ونحن نعرف أن القبيلة قد تشمل الملايين وقد تعيش في نطاق الآلاف أو المئات. إن القرآن الكريم في هذه الآية أكد التنوع كحقيقة إنسانية تتمثّل في الواقع الإنساني العام، وأكد أن هذا التنوع يمثل غنى للإنسانية بدلاً من أن يمثل فقراً، ويمثل وسيلة حركية معرفية للعلاقات بين هذه التنوعات الإنسانية، ما يجعل من التنوع المنفتح على الآخر تنوعاً إيجابياً بدلاً من أن يكون سلبياً، وقد وضع التعارف كهدف باعتبار أن التنوع في خصائصه المميزة أو المتميزة يحمل حاجة كل قبيلة للقبيلة الأخرى، في ما تملكه وتفتقر إليه القبيلة الأخرى، كما يحمل حاجة شعب إلى شعب آخر، فتتحرك الحاجات المتبادلة من أجل أن تجمع هذه التنوعات على أساس النتائج المعرفية والخبروية والواقعية التي توحّد الناس أو تؤدي إلى لقاء الناس مع بعضهم البعض، حيث يتعارفون أو ما إلى ذلك. إنني أحب أن أؤكد على نقطة في هذا المجال، وهي أن المشكلة ليست في تنوع الدوائر الإنسانية، وإنما المشكلة في الدوائر المغلقة. المشكلة ليست في القومية وإنما في العصبية التي تحوّل القومية إلى صنم يجتمع عليه كل الوثنيين الذين يعبدون قوميتهم كما يعبدون ذواتهم وكما يعبدون أرضهم، وما إلى ذلك من كل ما يبعد الإنسان عن عبادة الله الذي هو ربُّ الأرض والقوميات جميعاً والناس جميعاً ورب العالمين جميعاً، لذلك فإن الإسلام يؤكد من خلال ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ على الدوائر المنفتحة.

بين القومية والإسلام

■ **سماحة السيّد، ذكرتم التنوعات الإنسانية، هل هناك خطوط حمر في هذه التنوعات وفق المفهوم الإسلامي؟**

إن الإسلام يعتبر التنوعات الإنسانية المنفتحة على بعضها البعض والتي لا تحبس نفسها

في دوائر مغلقة تفصلها عن الآخر أو تعقد علاقتها مع الآخر، هذه التنوعات الإنسانية هي إطار يبحث عن الصورة. وليس هناك مضمون فكري لهذا التنوع أو ذاك، إن التنوع يمثل الخصائص الإنسانية كاللغة والأرض والعادات والتقاليد التي لا تمثل مضموناً فكرياً يمكن أن ينظّم للناس حياتهم، لذلك نحن نقول: القومية أو القبلية أو الشعبوية، إنها إطار يبحث عن الصورة، والإسلام يقدم نفسه أنه الصورة في داخل هذا الإطار الذي ينفتح على الإطار الثاني والثالث والرابع، وبهذا ينطلق الإسلام ليجمع كل هذه التنوعات مع الاحتفاظ بخصائصها. فالإسلام عندما يريد للناس أن يتعرفوا باللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، لا يريد أن يلغي لغات الآخرين، ولذلك فإن التاريخ الإسلامي في كل مسيرته الثقافية وغير الثقافية لم يلغ اللغات الأخرى، حتى أن الإسلام عندما عرّب بعض المواقع لم يلغ لغاتها القومية أو الأساسية في هذا المقام، بل إنّ الإسلام يريد أن ينفتح بفكره وكل امتداداته لكل اللغات، بمعنى أن كل اللغات تحمل المفاهيم الإسلامية هنا وهناك. فنحن لا نجد أن الإسلام بالرغم من تنوعات الحكم الإسلامي بين حكم منحرف أو حكم مستقيم، وبين تنوعات الثقافة الإسلامية الفقهية والكلامية والمنهجية وما إلى ذلك، لم نجد هناك أية محاولة ضاغطة لفرض اللغة العربية على هذا البلد أو ذاك، بل إن الإسلام عندما حكم هذا البلد أو ذاك أفسح المجال للغة العربية باعتبارها لغة القرآن ولغة الصلاة، ولكنه لم يلغ اللغات الأخرى، فلم يعاقَب إنسان على أنه درس بالفارسية أو بالتركية.

بين الأوائل والمتأخرين

■ **لربما يعود ذلك إلى أن الأوائل لم يكونوا يعانون من مشكلة فكرية قومية، وقد عانى من هذه المشكلة المتأخرون؟**

نحن نريد أن نؤصِّل الخطَّ الإسلامي قبل أن ندخل في الواقع الجديد، نريد أن نتحدث الآن عن تأصيل الفكر الإسلامي في هذه المسألة. فالإسلام في حكمه في مدى خمسة عشر قرناً لم يلغ القوميات ولم يلغ اللغات ولم يلغ العادات والتقاليد، حتى أننا نجد أن عيداً كعيد النوروز الذي لم يحترمه الإسلام كعيد ديني، لم يلغه ولم يحاربه. وهكذا نجد أن الإسلام لم يفرض على الناس لباساً معيناً هو لباس العرب الذين انطلق الإسلام لديهم، ولم يفرض أية عادة أو تقاليد. نعم، الإسلام حرّك هذه العادات والتقاليد التي ترتكز على أساس الإسلام في واقع المسلمين باعتبار ارتباطها إما بحكم إسلامي أو بمفهوم إسلامي أو ما أشبه ذلك، أما المشكلة التي نعيشها الآن فهي مشكلة القومية

العنصرية والقومية الإيديولوجية. إن المشكلة الآن مثلاً أن القومية العربية وضعت في داخلها الماركسية تارةً والوجودية تارةً أخرى والليبرالية ثالثة والاشتراكية وإلى غير ذلك، ولهذا فإن مشكلتنا ليست مع القومية العربية، بل هي مع الإيديولوجيا التي أقحمت على القومية. وكذلك نحن ليست عندنا مشكلة القومية التركية المنفتحة، لكن مشكلتنا مع العلمانية التي وضعت في قلب النظام التركي، وقد تحدثت في أكثر من مداخلة بشكل من الطرافة حول هذا الموضوع عندما أثرت قصة لأعرابي نذر أن يبيع جمله بعشرة دراهم إذا شفي من المرض، وعندما استحق النذر حار في أمره وندم على ذلك، فسأل أحد أصدقائه كيف نحل هذه المشكلة، فقال له: ائت بسنور وضعه في رقبة الجمل وقل إني أبيع الجمل بعشرة دراهم وأبيع السنور بألف درهم ولكن لا أبيع الجمل إلا مع السنور، فجاء أحدهم وقال كلمة: ما أرخص الجمل لولا القلادة، ولذا نقول: ما أفضل هذه القومية أو تلك لولا القلادة، لولا الماركسية والعلمانية وما إلى ذلك في هذا المجال.

الإسلام في مجتمع متعدد

■ **كيف نفهم الإسلام كفكر وحركة في مجتمع متعدد قومياً ومذهبياً؟**

لقد عاش الإسلام هذه التجربة طبيعياً، وقد عاش الإسلام مع شعوب متنوعة لها خصائص متنوعة، واستطاع أن يجمع كل هذه الشعوب مع احتفاظها بخصائصها واحتضانها للخطوط الإسلامية العامة. هذا من ناحية التجربة التاريخية، إذ لم تكن هناك حساسيات قومية عندما يوظف شخص من قومية أخرى في داخل الحكومة الإسلامية، أو عندما يؤتى بجيش غير عربي مثلاً في حكومة إسلامية يغلب عليها الجانب العربي، وهذا ما يدل على تقبل الذهنية الإسلامية لهذا النوع من أنواع تداخل القوميات في التجربة الإسلامية. فنحن نجد أن العرب الذين نزل الإسلام في أرضهم، لم يشعروا أن هناك مشكلة بين التزامهم بعروبتهم وبين التزامهم بالإسلام، بل إنهم مارسوا إسلامهم في طبيعة حركة عروبيتهم الإنسانية، وحتى عندما انطلقت الدعوة الإسلامية عندما جاء بلال الحبشي وصهيب الرومي وسلمان الفارسي، لم يشعروا بوجود مشكلة من دخول هؤلاء في النسيج الإسلامي وحصولهم على بعض المواقع، كما بالنسبة إلى بلال الحبشي الذي جعل مؤذن الرسول، حتى تعقّدت قريش من خلال ذلك وأن النبي(ص) احترم حتى انحرافه اللغوي عن اللغة العربية عندما كان يقول (أشهد أن محمداً رسول الله) فقالوا له ذلك فقال(ص): إن سين بلال شين عند الله.

الخصوصية الإدارية للقوميات

■ **هل هناك مانع إسلامي إذا اقتضت الضرورة بأن يكون لكل قومية هيكل إداري ضمن الإطار العام للدولة؟**

ليست هناك مشكلة إسلامية في هذا المجال، لكن مع إيجاد نوع من أنواع الانسجام بين هذه الوظيفة الإدارية وبين الخط الإسلامي. فربما يحدث مثلاً أن تكون هذه القومية في تنظيمها الإداري منفصلة عن السياق الإسلامي العام، كمثل لو فرضنا أن لدينا حكومة إسلامية مثلاً، نحن نعرف أن الجمهورية الإسلامية تضم عدة قوميات من العرب والفرس والترك والأكراد، هنا علينا أن ندرس المسألة، فتارة نقول إن هناك قانوناً إسلامياً يحكم الجميع في البعد القانوني الذي تمثله الأحكام الشرعية الإسلامية، والذي يفترض فيه أن يحترم هذه التنوعات، يعني ليس من الطبيعي أن تقنن الدولة تغيير لغة هذه الدوائر القومية أو إبعادها عن لغتها وثقافتها القومية بما لا يتنافى مع الإسلام، أو عاداتها في أعيادها التاريخية التي لا تمثل التزاماً وثنياً أو ما أشبه ذلك مما يتنافى مع الإسلام. في مثل هذا المجال، المفروض على الدولة الإسلامية أن تفسح المجال لنوع من التنظيم الإداري للأوضاع الاجتماعية بالطريقة التي تنفتح فيها على كل ساحة الدولة في القضايا القانونية والأمنية والسياسية وما إلى ذلك، ممّا لا يحمل خصوصية قومية لهذه القومية أو تلك، كما هي المسألة بالنسبة للمذهبيات والطائفيات الدينية الأخرى. فالمفروض أن الدولة الإسلامية تجمع كل التنوعات وتحترم الخصوصيات النوعية لهذه وتلك، أما قضية الإطار الذي يحكم احترام هذه الخصوصيات، هل هو إطار تنظيمي إداري أو حكم ذاتي أو ما شابه ذلك، فهذا يتبع المصلحة الإسلامية العليا.

التعبير عن الخصوصية القومية

■ **إذاً يمكن أن يعبر كلٌّ عن خصوصيته القومية بكل حرية؟**

لا مانع من القومية التي لا تحمل إيديولوجية بل القومية التي تحمل خصائص إنسانية في هذا التنوّع الإنساني الذي خلقه الله سبحانه في تنوع اللغات والأعراف والأشكال وما إلى ذلك، ﴿ومن آياته خلق السماوات واختلاف الأرض وألسنتكم وألوانكم﴾، فالله أكّده واعتبره آية من آياته. إنني أستذكر في هذا المجال كلمة رائدة يمكن أن تعطي الفكر الإسلامي للقومية، وهو ما روي عن الإمام زين العابدين(ع) عندما قال: «إن العصبية التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه ولكن أن يعين قومه

على الظلم»، إنني أستوحي من هذا أن القومية تمتد في الجانب الإنساني حتى إذا اصطدمت بالمبادئ تراجعت.

بين الهويّة الوطنية والإسلامية

■ **في السياق نفسه أيضاً برز في الفترات الأخيرة مصطلح الهوية الوطنية، فهل ترون تعارضاً بين الهوية الوطنية والهوية الإسلامية؟**

الإسلام ضد الدوائر المغلقة، بأن يكون وطنك صنماً تعبده بحيث يفصلك عن الوطن الآخر. ولكن أي فرق بين وطنك وبين بيتك، أي فرق بين وطنك وبين محلتك، الوطن هو صيغة دستورية يمكن أن تخضع لبعض المواصفات والتطورات التنظيمية الإدارية. ربما كان الطموح الإسلامي، ولا أقول التفكير الإسلامي، أن يتوحد العالم كله في دولة إسلامية واحدة، ولكن عندما يكون هذا غير واقعي أو غير عملي، لا سيما في التطورات الأخيرة التي قد تعيش في تجربة وحدودية، كما نجد في الاتحاد الأوروبي أو في الولايات المتحدة الأميركية، ولكنها تبقي بعض الخصائص والتنوعات هنا وهناك. فالطموح الإسلامي أن يكون الناس أمة واحدة في دولة واحدة، لكن هذا الطموح قد لا يكون ولو في بعض المراحل التاريخية، واقعياً، فإذا لم يكن واقعياً وتقسَّم الناس كما تقسمنا من خلال سايكس بيكو أو غيرها في دول متعينة، وإذا استطعنا أن نجمع هذه الدول على الإسلام فالحمد لله على ذلك، ولكن إذا لم نستطع أن نجمع هذه الدول على الدولة الإسلامية الواحدة، فعلينا أن نعمل على أساس إيجاد نوع من التواصل بين شعوب هذه الدول وبين هذه الدول ليكون العنوان الإسلامي هو العنوان الذي يلتقي عليه الجميع في المصالح الإسلامية العامة، كما ـ مع التحفظ على المصداق ـ منظمة المؤتمر الإسلامي بالنسبة إلى الدول الإسلامية، أو جامعة الدول العربية بالنسبة إلى العرب، بقطع النظر عما إذا كانت هذه المنظمة أو الجامعة تحقق أهدافها أو لا، هذا شيء آخر في التطبيق، لكن كمثل يمكن أن نقيم اتحاداً إسلامياً أو منظمة مؤتمر إسلامي. يمكن أن تكون هناك بعض الظروف التي قد تفرض على أن نعطي حكماً ذاتياً في المسار الإسلامي العام، بحيث لا ينحرف عن الحكم الإسلامي، إذا كانت المصلحة الإسلامية تفرض أنه لا يمكن للقيادة الإسلامية الواحدة أن تحقق النتائج الكبرى للإسلام، إلا في هذا النوع من الحكم الذاتي الذي تشرف عليه الدولة المركزية أو الاتحاد الفيدرالي أو ما أشبه ذلك. ونحن لا نتكلم على نحو القاعدة، هذا قد يكون في بعض الحالات استثناءً، القاعدة هي أن يكون الناس كلهم أمة واحدة وشعباً واحداً.

الخط الأحمر

■ **إذاً من الجانب الشرعي ليس هناك خط أحمر؟**

نعم، ليس هناك خط أحمر. بعبارة أخرى، نحن ليس لدينا صيغة مقدسة في نظام الحكم الإسلامي بهذا المعنى التنظيمي الإداري، لأن التنظيمات الإدارية ترجع إلى ولي الأمر أو إلى المصلحة الإسلامية، أياً كان العنوان، سواء كانت شورى أو ولاية الفقيه أو ما أشبه ذلك مما تحركت به النظريات في الحكم الإسلامي. وفي هذه الحال هنا إن الذي يحكم المسألة الإسلامية إنما هو المصلحة الإسلامية العليا، قد نفكر في بعض الحالات أمام الظروف الموضوعية المحيطة بنا بأنه ليس هناك أية إمكانية لتكون وحدة إسلامية دستورية في وطن معين يضم أكثر من قومية، بحيث إن هذا يجعل البلد خاضعاً للكثير من التدخلات والاهتزازات الخارجية، وقد وصل الرأي المشترك للقيادات الإسلامية إلى أن الطريقة الوحيدة التي نحمي فيها حرية البلد واستقلاله هي هذه الطريقة، عند ذلك لا مانع من الناحية الشرعية. بعبارة أخرى، التنظيم الإداري الإسلامي في قضية وحدة الدولة وتعددها أو وحدة الدائرة الواحدة في البلد أو الدوائر المتعددة تحتاج إلى دراسة ما هي المصلحة الإسلامية العليا في هذا المجال.

تحالفات مع غير الإسلاميين

■ **سماحة السيد، يمكن في هذه الحالة أن يتحالف الإسلاميون مع غير الإسلاميين لمصلحة مشتركة أو وطنية؟!**

حن نؤكد ذلك وعلى مستوى النظرية، إن الله يقول: ﴿يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾، وقد طرح الإسلام كلمة السواء مع وجود الاختلافات في الأديان لشخصية الله وطبيعة التوحيد وما إلى ذلك. القضية لا تمثل اعترافاً بالشرعية، يعني هناك شبهة موجودة عند الإسلاميين، أننا عندما نتحالف أو نتلاقى ـ وهو التعبير الأدقّ ـ عندما نتلاقى في طريق واحد مع غير الإسلاميين، فإن ذلك يعني اعترافاً بشرعيتهم، والمفروض أن المسلم لا يعترف إلا بشرعية الإسلام. هذا خطأ. إن اللقاء مع الآخر لا يعني الاعتراف بشرعيته، ولعل هناك مثالاً لا يلتقي بطبيعة الفكرة، ولكنه قد يعطي صورة تقريبية توضيحية. يقال إن الإمام علياً(ع) سار مع يهودي في طريق مشترك، حتى إذا وصل إلى مفترق طرق انطلق علي(ع) مع اليهودي في الطريق الذي يريد أن يذهب إليه اليهودي، فقال له: يا أبا الحسن إن طريقك من هناك فهل بدلت رأيك فقال: لا، إن

رسول الله(ص) أوصانا إذا سرنا مع شخص كان له علينا حق الصحبة، فإذا وصلنا إلى مفترق الطريق فعلينا أن نشيعه خطوات تحية له أو ما إلى ذلك، هذه هي المسألة، فهي كما قلنا تمثل وسيلة من وسائل الإيضاح. نحن قد نقف في كثير من الحالات أمام مرحلة تفرض علينا الوصول إلى هدف معين يتصل بقضايانا الاقتصادية والسياسية أو ما إلى ذلك، بحيث لا نستطيع تحقيقه وحدنا، ويكون هذا الهدف في بعض مراحلة هدفاً للآخرين، فنحن نلتقي مع الآخرين لكن مع التحفظات التي لا تجعل من لقائنا معهم يمثل قوة لهم في مواقعنا أو يمثل اعترافاً بشرعيتهم، وقد أطلقت شعاراً منذ زمن أننا نتعايش مع الباطل ولا نعترف بشرعيته.

التحالفات والتنازلات

■ **ولكن سيدنا، كثيراً ما تؤدي هذه التحالفات إلى تنازلات من قبل الإسلاميين لمصلحة..**

إن المسألة هي أن التنازلات السياسية أو الأمنية أو ما إلى ذلك لا بدّ أن تخضع لقاعدة التزاحم، إذا توقف وصولك إلى هدفك مع الآخر الذي يلتقي معك في هدفك المرحلي ينبغي أن تقدم تنازلات غير جوهرية، لا تنازلات من انتمائك، ولا تنازلات تعطيه الشرعية لما ينتمي إليه. إنك في بعض الحالات قد تكون بحاجة إليه وتحشر بين أمرين، فقد تحتاج إلى أن تكون مع هذا ضد فئة إسلامية ترتبط بالاستكبار العالمي مثلاً فتقدم بعض التنازلات التي قد تكون على غير مصالح هذه الفئة لأن هناك قضية كبرى ولا بدّ أن ينظر ما هو الأهم والمهم بين هذه التنازلات التي لا تمثل مفسدة على حسب التعبير الأصولي، بل فيها المصلحة الكبرى، فإن كانت المصلحة أهم فنقدم هذه التنازلات.

المعارضة والنظام العراقي

■ **سماحة السيد، ندخل إلى الجانب السياسي ومن خلال الملف العراقي، سمعتم بالتأكيد تصريحات وتسريبات حول توجيه ضربة عسكرية أميركية إلى العراق، في هذه النقطة وقفت المعارضة العراقية على مفترق طريقين لا ثالث لهما، الوقوف مع أميركا ضد النظام أو بالعكس، فهل هناك خيار آخر في هذه المعادلة؟**

إنني أتساءل أمام هذا السؤال: هل أن تحرير العراق من النظام الطاغي تقوم به المعارضة أم أن أميركا هي التي تقوم به؟ إن الظروف الحاضرة تفرض من خلال العناوين السياسية الكبرى التي نتابعها في السياسة الأميركية في ما يتعلق بالعراق، أن أميركا تريد أن

تسقط النظام الطاغي في العراق وتستولي على كل مقدرات العراق وتستعمل المعارضة كواجهة أو كأداة هامشية. إذا كان الأمر كذلك، بحيث ليس الشعب العراقي هو الذي يصنع التغيير، وليست المسألة أن هناك توزيع أدوار، بحيث يقوم الشعب بالحركة وأميركا تساعده في هذا المقام، لا بل إن أميركا هي بجيشها وتحالفاتها كما تفعل الآن عندما فرضت هذه المنطقة الأمنية هنا وهناك، تأتي هي بتحالفها البريطاني من دون دخل للمعارضة ولا لغيرها، إذا كان الأمر كذلك، فنحن لا نوافق على أن تتحرك المعارضة، لأن حركتها سوف تكون مجرد قفزة في الهواء. إن أميركا هي التي تقوم بالعمل مائة بالمائة وعليك أنت أن توقع، وهذا واقع أميركا في سياستها كما لاحظناها الآن في أفغانستان، إنها تعلن أننا حررنا أفغانستان، ولكن المسألة هي أن الحكومة الأفغانية تمثل مجرد تابع هامشي صغير للسياسة الأميركية وحلفائها.

■ **ولكن، رأينا موقف ومصير المعارضين للسياسة الأميركية في أفغانستان وقد همشوا؟**

قلنا ليس للمعارضة أي دور إلا دور التبعية الهامشية، ولذلك نقول لا بدّ أن ندرس طبيعة الخطة الأميركية في المسألة العراقية. يعني القضية ليست من البساطة بهذا الشكل، بحيث نطرح سؤالاً بأنه هل أننا ننسق مع أميركا؟ فأميركا لا تريد التنسيق، بل تريد منا أن نتحول إلى أداة صغيرة، والدليل على ذلك، أنه لو كانت أميركا تريد للشعب العراقي الذي تقول المعارضة إنها تمثله بجميع فصائلها، أن يقوم بإسقاط النظام، لأعطت للمعارضة القوة العسكرية والاقتصادية، بل نجد أنها تتصدق على بعض المعارضة، إنها تتصدق على بعض الجهات ببعض المساعدات المالية التي لا تتحول إلى مساعدات عسكرية بل هي تدريب إدراي على كيفية إدارة هذه الدائرة أو تلك. ونحن نعرف أن هناك الكثير من كوادر العراق على جميع المستويات ممن يملكون التجربة الإدارية سواء من خلال ما عاشوه في الأنظمة السابقة أو غيرها، فلو أرادت حقاً فإنها تستطيع أن تضع لدى المعارضة العراقية أسلحة متطورة متقدمة وأجهزة أمنية متطورة حتى تستطيع إسقاط النظام.

■ **منذ أكثر من عقد والحصار مستمر، فهل أن أميركا عاجزة عن تغيير النظام أم ماذا؟**

علينا أن لا ننسى أن هناك رواية لا بدّ أن تتم فصولها. هناك بطل الرواية وهو النظام الطاغي، ولهذا البطل أدوار تتصل بإثارة المشاكل حول جيرانه بطريقة وبأخرى، لتحقق أميركا وتنضج الظروف من أجل سياستها في كل هذا الواقع الذي يحيط بالمنطقة. إن

الظروف لم تنضج، وحصار العراق إنما هو جزء من هذا السيناريو من أجل إبقاء هذه الحالة الشعبية ضد النظام، للإيحاء بأن النظام هو المسؤول عن ذلك، وأنه لو أفسح المجال للمفتشين أن يفتشوا لرفعت العقوبات وما إلى ذلك. لقد قيل لي بأن أحد رؤساء الحكومة الإسرائيلية عندما اجتاحت إسرائيل جنوب لبنان سنة ١٩٨٧ ووصلت إلى مشارف صور وكانت المقاومة الفلسطينية في صور وقالوا له: لماذا لم تحتلوا صور وتنهوا المقاومة، قال: إن المقاومة هي بطل الرواية، وإذا قتل البطل انتهت الرواية، ولا تزال الرواية العراقية ـ الأميركية، لا تزال مستمرة.

■ **سيدنا، ما زلنا في الملف العراقي، وندخل الآن إلى الدائرة التركمانية، لا شك بأنكم على اطلاع بأن الاتحاد الإسلامي لتركمان العراق، أحد الفصائل الإسلامية العراقية، يتبنى خطاباً فكرياً محدداً، السؤال هو: كيف يحصّن الاتحاد خطابه السياسي والفكري في ضوء المنهج الإسلامي؟**

إنني أتصور أن الاتحاد الإسلامي لتركمان العراق لا بدّ أن يكون جزءاً من الحركة الإسلامية في المسألة السياسية، ومن خلال ذلك، لا بدّ له أن يخطط في مسألة ما يثار من وحدة العراق أو تقسيمه ليكون مع خط الوحدة العراقية بشكل عام، ولكن يحق للاتحاد الإسلامي لتركمان العراق أن يطالب بأن تكون له خصوصيته القومية التي لا تبتعد عن الخط الإسلامي، وأن تكون له أيضاً ثقافته التاريخية التي لا تبتعد عن الثقافة الإسلامية، وأن تكون له وسائل إعلام خاصة إلى جانب الوسيلة العامة، من خلال ما تحدثنا عنه في البداية وحتى الآن، فنحن جزء من الحركة الإسلامية وجزء من العالم الإسلامي، ولكننا أيضاً مظهر من مظاهر تنوع العالم الإسلامي، نحرك خصوصيتنا النوعية في ما لا يبتعد عن الخط الإسلامي. لسنا تقسيميين في الدائرة الإسلامية. التركمان شعب لهم خصائصهم الثقافية والتاريخية وهو شعب ينفتح على كل الدوائر الأخرى الكردية والعربية وما إلى ذلك، ويحاول أن يتعاون معها في الخط الإسلامي العام، وفي الخط الوطني العام ولكن مع احتفاظه بخصوصياته القومية كما يحتفظ الآخرون بخصوصياتهم. في هذا المجال، لديَّ تعبير دائماً أحركه في المسألة الإسلامية في قضية المذهبية أقول: وحدة في التنوع أو تنوع في الوحدة.

■ **سؤال أخير، هل من كلمة توجيهية إلى أبنائكم التركمان المتوزعين في أكثر من بلد؟**

إنني أقول لكل أخواني من التركمان المسلمين، إن لكم امتداداً في أكثر من عالم إسلامي، ولعل مما يبعث على الاعتزاز وعلى التفاؤل أن الأكثرية، إن لم يكن الكل من الأتراك، هم مسلمون، ولذلك نحن نقول إن بإمكانكم أن تتحركوا في هذا العنوان التركي الذي يشمل شعوباً متعددة ودولاً متعددة لتنطلقوا بالإسلام بطريقة حكيمة ولتدرسوا الواقع جيداً بكل ظروفه، وتدرسوا الأوضاع المتنوعة بكل ظروفها. كونوا أتراكاً وكونوا مسلمين مع كل العالم الإسلامي. انطلقوا مع كل موقع تركي يريد أن ينحرف بالإسلام عن أهدافه وخطوطه الأصيلة لتعملوا على إرجاعه إلى خطوطه الأصيلة. استفيدوا من بعض الإيجابيات التي تطل عليكم من هنا وهناك في سبيل تغيير بعض المفاهيم باعتباركم لستم أجانب عن هذا البلد أو ذاك. انطلقوا من خلال خطة تنفتحون بها على العالم الإسلامي وتنفتحون من خلالها على المواقع التركمانية هنا وهناك حتى يمكنكم أن تحققوا المصلحة الإسلامية التي لا تبتعد عن مصالحكم القومية.

سماحة السيد.. شكراً لكم.

١١

إسرائيل لم تسقط لبنان في الماضي ولن تسقطه في المستقبل

الحوار مع العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله له بُعده الخاص، نظراً لما يمثله هذا المرجع الديني من عمق وتبصّر ورؤية تصل إلى الغوص في تحليل واقع المنطقة وآثار الصراع العربي ـ الإسرائيلي على الشعوب والكيانات العربية.

وللسيد فضل الله مساهمة استثنائية في إضفاء الطابع الواقعي على التحليل السياسي والاجتماعي، حتى ليكاد يستعمل لغة العمل والحساب في قراءة الخيارات السياسية وخصوصاً الاستراتيجية منها.

يحلل السيد فضل الله أهداف السياسة الأميركية في المنطقة، ويقرأ محاذير هذه السياسة وخطوطها الحمر ومصالحها المتشعبة وفيتواتها وتكتيكاتها، ولا يتأخر في رصد حركة الانتفاضة الفلسطينية، حيث يعتبر أن التنسيق بين السلطة الفلسطينية وفصائل المقاومة سيبقى موجوداً حتى إشعار آخر، لتطابق الأهداف بينهما بالنسبة للمرحلة المتمثلة بالمطالبة بقيام الدولة الفلسطينية وضرورة الانسحاب الإسرائيلي من الضفة الغربية وقطاع غزة والقدس.

مجلة «**الحوادث**»، ٢٠٠٢/٥/٢٤

«الصراع ببساطة هو لكي يجبر أحد الأطراف الطرف الآخر على أن يصرخ قبله ويطلب وقف النار»، هذا ما يؤكده فضل الله لـ«الحوادث»، مشدداً على أن العمليات الاستشهادية تؤدي إلى هذا الهدف وتقتل الأمن الإسرائيلي.

وقد امتد الحوار ليصل إلى الداخل اللبناني، حيث أطلق السيد فضل الله مجموعة من المواقف البارزة في ما يتعلق بالخلافات الداخلية وتطبيق الطائف والكيان اللبناني.

مستقبل الفلسطينيين في المقاومة

■ **«الحوادث»: ما هي قراءتك لإعادة استئناف العمليات الاستشهادية بعد اجتياح الضفة الغربية؟**

إنني أشك بأن يكون شارون قد استطاع أن يقضي على المقاومة الفلسطينية، وأتصور أنه وعلى الرغم من الضربات القوية لحركة المقاومة، فقد استطاع أن يخلق روحاً جديدة متوترة رافضة للاحتلال بشكل أكثر فاعلية، وربما أكثر حقداً إذا صحّ التعبير. لكن هذه المقاومة قد تكون جنينية إزاء أفراد الشعب الفلسطيني متحركة تخطيطية هادئة في واقع المقاومين لسبب بسيط جداً، وهو أن الوحشية التي تمثلت بالعمليات الإسرائيلية في نابلس وجنين كانت تتجاوز كل الخطوط الحمراء الشعبية، كما أنها أكدت للشعب الفلسطيني من خلال خطاب شارون وردود فعله المجنونة، ومن خلال التأييد الأميركي المطلق والسكوت العربي القاسي، أن ليس للشعب أي مستقبل إلا من خلال المقاومة، لأن شارون في خطابه السياسي المتداخل مع خطاب كل الليكوديين ليس مستعداً أن يعطي الفلسطينيين شيئاً، ولا تزال فكرة الوطن البديل، سواء إلى الأردن أو إلى غزة أو إلى سيناء ماثلة في تفكير شارون.

الاستشهاديون حققوا التوازن العسكري

■ **ماذا عن الرأي القائل بأن العمليات الاستشهادية التي تحصل داخل إسرائيل أضرت بالقضية الفلسطينية وأعطت الحجة لشارون لتنفيذ عمليته الكبيرة ضد الفلسطينيين؟**

إنني أختلف مع الذين يتحدثون بهذه الطريقة، لأن المسالة هي أن خطاب شارون في حكومته الأولى كان يستهدف إسقاط البندقية الفلسطينية وإسقاط السلطة الفلسطينية. لذلك نحن قد نوافق على أن هذه العمليات كانت القشة التي قصمت ظهر البعير،

لكننا نتصور أنها استطاعت أن تهزّ الأمن الإسرائيلي في العمق، وإذا كانت ألحقت أضراراً كبيرة بالمجتمع الفلسطيني، فهي لم تُسقط الشعب الفلسطيني، والمسألة هي مسألة حرب، فشارون قد يستطيع أن يعتقل ألف عنصر من كتائب الأقصى أو حماس أو الجهاد، لكنه لن يستطيع أن يعتقل الشعب الفلسطيني، فهناك شعب يريد حريته، ولا يملك أية ورقة إلا انتفاضته.

لذلك، فإن الاستشهاديين أرادوا أن يحققوا التوازن العسكري إزاء ما تملكه إسرائيل من قوة تقتل بها الأمن الفلسطيني فيما هم ينتجون قوة تقتل الأمن الإسرائيلي. ففي خلفيات الوجدان الفلسطيني اقتناع بأن الإسرائيليين لن يتنازلوا إلا إذا شعروا بالاهتزاز الداخلي الذي لا يملكون له حلاً. فهذه لعبة عضّ الأصابع.

إن شارون قال إنه يريد أن يستمر بالحرب حتى يرفع الفلسطينيون أيديهم ويطلبوا وقف النار، والفلسطينيون يعتقدون أنهم لن يستطيعوا أن يأخذوا شيئاً إلا إذا وصل اليهود إلى المأزق الذي يضطرون فيه إلى أن يطلبوا وقف النار، وهذه المسألة جعلت الفلسطينيين لا يحسبون حساب التفاصيل في الفعل وردّ الفعل، إنما هم يحسبون حساب التخطيط للوصول إلى الهدف، من أجل أن لا يبقى إسرائيلي يشعر بالأمن في تلك المنطقة. والفلسطينيون لا يريدون أن تبقى المعركة في مناطقهم، بل يريدون نقلها إلى مناطق الإسرائيليين ولا يملكون أية فرصة لذلك إلا هذه الطريقة.

خلق مأزق أمني لإسرائيل

■ **أنتم سماحة السيد مع هذا التكتيك الذي يهدف لنقل المعركة إلى داخل فلسطين الـ٤٨؟**

أتصور أن السلطة الفلسطينية في المرحلة السابقة كانت تتحرك بالتنسيق مع كل فصائل المقاومة. لهذا رأينا أن الإدارة الأميركية والسلطة الصهيونية يُحمّلان السلطة الفلسطينية مسؤولية ما يحدث، باعتبار أنها كانت تملك أن تمنع الفصائل القيام بما قامت به.

إن السلطة كانت ولا تزال تفكر بأنها لن تستطيع أن تحصل على شيء من إسرائيل وأميركا إلا إذا تحوّل الواقع لدى الإسرائيليين إلى مأزق أمني، تماماً كما كانت المسألة عندما استطاع المقاومون في لبنان أن يحوّلوا الاحتلال إلى مأزق للمحتل.

إن الفصائل الفلسطينية التي تضع في استراتيجيتها مبدأ رفض التسوية تتقبل هذه التسوية على أساس حدود ١٩٦٧ ولو كان ذلك من ناحية مرحلية. ولهذا فإنني أتصور أن هناك نوعاً من اللقاء بين السلطة الفلسطينية والفصائل، على الأقل على مستوى هذه المرحلة التي يتفقان عليها جميعاً، والجميع يستمع إلى خطاب «حماس» و«الجهاد الإسلامي» الذي يؤكد ضرورة الانسحاب الإسرائيلي لتفادي العمليات الاستشهادية.

إسرائيل تستغيث للضغط على لبنان

■ **ماذا تقول سماحة السيد في قيام المقاومة الإسلامية بتحريك جبهة مزارع شبعا دعماً للقضية الفلسطينية؟**

لا أتصور أن هذه التجربة تمثل أي ضرر لواقع البلد في المستقبل المنظور، لسبب بسيط، وهو أن إسرائيل، ومعها كل المجتمع الدولي، لا يريدون فتح جبهة الجنوب، لأن ذلك سوف يربك الواقع السياسي والأمني في المنطقة، وسوف يجر إلى حرب إسرائيلية ـ لبنانية سورية، وهذا ما لا يتحمله العالم العربي ولا تتحمله السياسة الأميركية التي لا تزال تعيش جراحاتها في مسألة الانتفاضة الفلسطينية، وثانياً إن فتح الجبهة الشمالية يخلق نوعاً من التواصل بين الانتفاضة والمقاومة. ومعنى ذلك أن إسرائيل سوف تعيش في حصار متحرك على أكثر من جبهة. ولذلك رأينا كيف أن إسرائيل بدأت تستغيث بكل المواقع الدولية لكي تضغط على لبنان وسورية، وربما إيران لأجل ألا تفتح هذه الجبهة، والمقاومة عندما اختارت هذا الخيار كانت واعية لدقة المرحلة، وكانت تدرك أن التهديدات الإسرائيلية لن تصل إلى مراحل حاسمة حتى في ظل وجود الجنون الشاروني الذي يحوي في داخله بعض العقل السياسي من خلال ما يملك من محاذير تستهدف خطته الأمنية.

نلاحظ أيضاً أن الذهنية الإسرائيلية تدرك أن المقاومة الإسلامية في لبنان تملك أسلحة متطورة تستطيع أن تصل إلى العمق الإسرائيلي حتى حيفا، ما يعني أن ردة فعل المقاومة عندما تقوم إسرائيل بأي فعل سوف تكلفها كثيراً حتى لو كانت قادرة على الرد.

إسرائيل لن تسقط لبنان

■ **هناك انقسام داخلي لبناني بالنسبة لتأييد هذا النوع من العمليات، لأنه يضع لبنان منفرداً في مواجهة إسرائيل؟**

إن الضربة الإسرائيلية للبنان لم تُسقط لبنان في الماضي ولن تستطيع إسقاطه الآن، ولكن

ضربة المقاومة إذا انضمّت إليها القوى الفلسطينية الموجودة عندما تفتح الجبهة تعني أنها ستطاول كل مناطق الحدود اللبنانية، والتي تمثل المدى الحيوي للاقتصاد الإسرائيلي. لذلك أتصور أن المسألة لن تكون نزهة بالنسبة للإسرائيليين، وهي قد تكون مشكلة للبنان وسورية. لكنها تخلط أوراق المنطقة كلها. لهذا فالمقاومة لم تخطئ في حساباتها، وهي استطاعت أن ترسل، عبر هذه العمليات، رسالة محبة إلى الانتفاضة الفلسطينية، كما أنها استطاعت أن تؤكد لبنانية مزارع شبعا.

خطوط حمراء تمنع ضرب سورية

■ **ماذا لو تفلّت شارون ووجّه ضربة عسكرية كبيرة للبنان وسورية؟**

قد يتحدث بعض المحللين السياسيين الذين ربما يعرفون بعض الخلفيات الدولية، أن أميركا قد تترك لشارون بعض الحرية في أن يقوم بحربه ضد سورية أو لبنان. وربما تهول في تحذيراتها للقول إن هناك خطة إسرائيلية لفصل الجيش السوري عن بعضه البعض أو ما إلى ذلك من خطط موضوعة. وأقول إن أي حرب ضد سورية سوف تخلط الأوراق في العالم العربي. صحيح أن سورية ليست من القوة لمواجهة إسرائيل، لكنني أعتقد أن هناك خطوطاً حمراء في مسألة الحرب ضد السوريين. فالعالم العربي يرفض (ولو من حيث المبدأ) أي حرب أميركية ضد العراق، فكيف يمكن أن يقبل حرباً إسرائيلية ضد سورية، لهذا فإن هناك أكثر من مشكلة تواجه شارون في ضربه لسورية، وحتى في الضوء الأخضر الذي تمنحه أميركا لشارون، والمسألة قد تصيب العالمين العربي والإسلامي بحالة جنونية لا شعورية ضد السياسة الأميركية، وهذا ما لا تتحمله أميركا ولا الأنظمة المتحالفة معها. وأميركا على الرغم من كل هذا السقوط السياسي، لا تستطيع أن تتحمل النتائج التي قد تحدث إثر حرب سورية ـ إسرائيلية.

ليست وكالة بل أصالة

■ **هناك شكوى داخلية لبنانية بأن لبنان يحارب وحيداً ويدفع وحيداً ثمن الصراع مع إسرائيل في ظل بقاء الجبهات الأخرى على سكونها منذ أمد بعيد، وخصوصاً بالنسبة للجبهة السورية ـ الإسرائيلية؟**

هناك فرق في العنوان الذي تضعه لحركتك عندما تفتح أية جبهة. فإذا كان العنوان أننا نريد أن نحارب بالوكالة عن العالم العربي، فلا بد أن يأتي التعليق بأن مسألة الوكالة تفرض وجود إمكانات من جميع الجهات، سياسية وعسكرية واقتصادية لتنفيذ ما أوكلنا

به، على طريقة رئيس الوزراء المصري الذي قال ادفعوا مئة مليار دولار حتى نحارب، وكأنه يقول: نحن لا نستطيع أن نحارب، أما إذا وضعنا عنواناً بأن هناك احتلالاً إسرائيلياً لأرض فلسطين وسورية، فالقضية ليست قضية وكالة، بل قضية أصالة.

فعندما تصاب أنت بمرض معين وتريد أن تحاربه، فهل تنتظر أن يحارب الآخرون الأمراض المماثلة الموجودة عندهم؟ الآخرون لا يريدون أن يحاربوا إسرائيل، وقد لا تكون لهم ظروف مناسبة، وقد تكون أحوالهم قاسية. لكن لبنان بحسب طبيعته وساحته يملك أن يحارب، كما أثبت في المرحلة السابقة أنه وحده الذي استطاع أن يحارب الاحتلال، وأن ينجح في محاربته للاحتلال.

لذلك فإن التجربة اللبنانية نجحت، فلماذا نحاول أن نثير الويل والثبور وعظائم الأمور، وأن نحرك الروح الانهزامية في نفوسنا؟ إن الشعب اللبناني أثبت أنه الشعب الذي شرب حليب السباع في الوقت الذي يشرب فيه الكثيرون حليب الأرانب.

الخلافات تقضي على البلاد

■ **ما رأيك سماحة السيد بما جرى منذ فترة من خلافات بين أهل الحكم كادت تقضي على صورة البلد؟**

لقد قُضي على البلد قبل هذه الخلافات. فطبيعة السياسة اللبنانية المتداولة لا ترتكز على أساس وضع خطة للمسألة الاقتصادية التي تعيش أمراضاً سرطانية قد يكون بعض أسبابها المشكلة الإدارية، التي ينخر الفساد في كل مفاصلها، والتي تمثل شركة مساهمة بين الكبار والصغار في هدر الأموال العامة وفي سرقتها. والمشاكل التي نعيشها هي أن أغلب النافذين في السياسة اللبنانية يمثلون شركة مساهمة لأكثر من موقع اقتصادي أو مالي هنا وهناك، ولهذا نجد أن الشركات الأجنبية تدخل في مفاصل الواقع اللبناني لتأخذ الكثير من أموال اللبنانيين، باعتبار أنها تعطي عمولة لهذا النافذ أو ذاك، وهذا ما يفسّر كثيراً من الخلافات التي تتحرك في القضايا التي تتعلق بالمصالح العامة للّبنانيين، فيخيّل إلينا أنه خلاف على المصلحة العامة، لكنه خلاف على الحصص لهذه الفئة أو تلك.

أقدر أداء الرئيس لحود

■ **كيف تصف أداء المسؤولين في هذه المرحلة؟**

إنني أقدر أداء رئيس الجمهورية العماد إميل لحود في دعمه للمقاومة وقضايا التحرير وفي موقفه السياسي بالنسبة للانتفاضة الفلسطينية والقضايا العربية بشكل جيد.

الاتفاقات في لبنان لا تطبق بشكل كامل

■ **هل يعود سبب الخلافات الرئاسية إلى اتفاق الطائف الذي لم يفصل بين حدود صلاحيات الرئاسات؟**

إنني أحب أن أستعرض الواقع السياسي والإداري اللبناني منذ الاستقلال، فأرى أنه ليس هناك أي اتفاق في لبنان يطبق بشكل كامل. لقد اعتدنا في كل التاريخ اللبناني أن يكون القانون اللبناني شيئاً وقانون السياسيين شيئاً آخر، لأن القضية هي أن لبنان لم ينشأ ليكون وطناً لبنيه، إنما أنشىء ليكون ساحةً للمداخلات والصراعات الدولية والإقليمية ولامتدادات المخابرات الدولية والإقليمية.

لذلك فالمسألة هي أن النظام اللبناني كعنوان للاستقلال، والطائف الذي وضع لإنهاء الحرب، كان مجرد ديكور لهذه الفسيفساء اللبنانية التي يراد لها أن تكون شعباً لبنانياً لا يملك أهله أي معنىً للشخصية اللبنانية فيه، بل أن يعيشوا في كهوفهم الطائفية، ليضعوا على كل باب طائفي لافتة لبنان.

إن اتفاق الطائف لم يوضع ليطبق، كما أن اتفاق عام ١٩٣٤ لم يوضع ليطبق، إنما وضع كل ذلك لإعادة السلّم على أن يعود لبنان إلى حالة الاهتزاز السياسي حيث يتحرك دائماً على أساس الحصص الطائفية باسم الوطنية التي تحاول كل طائفة أن تضعها عنواناً لها. إن لبنان الذي نعيش فيه يخضع للاءات ثلاث كنت أتحدث بها دائماً: لا تقسيم ولا انهيار ولا استقرار.

تقليعة لبنانية ساذجة

■ **إذاً ما هو معنى فكرة اعتبار لبنان وطناً نهائياً؟**

هذه تقليعة لبنانية ساذجة تدل على أن اللبنانيين يعيشون خارج نطاق التطور الإنساني. إن أوروبا المقسمة تتحرك من أجل أن تجد وحدتها في الشخصانية الأوروبية المتنوعة في الاتحاد الأوروبي، وهي تخطط لاتحاد كامل، لأن هناك بعض التحفظات لهذه الدولة أو تلك حول تفاصيل الاتحاد. ولبنان الذي لا يملك أن يعيش في داخل أرضه لأنه محدود

بفلسطين التي أخذت عنوان إسرائيل ومحدود بالبحر وبالعالم العربي، إن لبنان الذي يتنفس في الرئة العربية هل يمكن له أن يتحدث عن وطن نهائي؟ إننا نؤكد واقعية الوطن النهائي، ولكن لماذا نظل نتغزل بهذه «الليلى» التي لم يستطع مجنونها أن يتزوجها وبقيت أشعاره حتى الآن أشعاراً؟

إن الواقع الدولي لا يسمح بأية وحدة أو اتحاد بين أي بلد عربي وأي بلد آخر. فلماذا نتحرك في شيء ونختلف على أساسه، وهو في جو الخيال؟ ولماذا نحارب شيئاً لا واقعية له؟ إن لبنان هو وطن نهائي للبنانيين بحسب الواقع، وسورية وطن نهائي للسوريين بالرغم من الوحدة العربية.

المرجعية الشيعية

■ **ماذا استجدّ سماحة السيد في موضوع ترتيب البيت الشيعي الداخلي والاتفاق حول المرجعية الدينية الشرعية؟**

هناك مرجعية متمثلة بالمجلس الإسلامي الشيعي الأعلى تحظى بموافقات سياسية معينة يتداولها الفرقاء، وسوف تصل إلى نتيجة، إن عاجلاً أو آجلاً، تماماً كما هي المجالس الملّية اللبنانية التي تخضع لنظام لبناني. وهناك مرجعية دينية في حجم المرجعية الفتوائية والفكرية والثقافية، وهي متحركة في العالم الشيعي كله كذلك. والمرجعية الشيعية تنوعية وتعددية، وهي تمارس دورها بطريقة أو بأخرى. قد تخلق التعددية بعض الحساسيات، لكنها تمثل واقعاً ارتضاه الناس.

■ **هل تدعو إلى اعتماد مرجعية واحدة في هذا الإطار؟**

لا أعتقد أن الأحوال الحاضرة تفسح في المجال لوحدة المرجعية.

١٣

ندعو إلى حوار إنساني بين الشرق والغرب

تحول منزل سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله في حارة حريك إلى مقصد للصحافة المحلية والإقليمية والعالمية، وذلك لأن سماحته يحتل موقعاً إسلامياً قيادياً، وموقعاً فكرياً مبدئياً متصدياً، ولأنه معالجاً سياسياً خبير يشهد له بقوة بصيرته في تتبع مجريات الأحداث وخفاياها واتخاذ المواقف المبدئية الحاسمة إزاءها. ويأتي لقاء الصحافي البريطاني الذي حمل إلى سماحته عدداً كبيراً من الأسئلة بعضها أجاب عليها سماحته من قبل والبعض الآخر يريد الصحافي أن يسمعه من سماحته وجهاً لوجه، إلا أن الهمّ الطاغي عن أسئلة المقابلة التي نحن بصددها هو صورة المسلم في نظر الغربي وما يجب أن يحمله الصحافي الغربي من أجوبة عن أسئلة تختلج في عقل المواطن الغربي عن الإسلام المسلمين، إضافة إلى السعي لمعرفة مواقف القيادات الإسلامية من جملة ما يجري من أحداث في العالم في زحمة توالد المشاريع السياسية باتجاه المنطقة والتي يغلب عليها طابع المعاقبة الجماعية لكل شعوب العالم العربي والإسلامي ومحاكمة غوغائية لحاضر هذا الشعب وتاريخه، وإن استطاعوا لمستقبله، وفيما يلي نص الحوار مع الصحافي البريطاني غراهام تيرنر:

حوار صحافي مع البريطاني غراهام تيرنر.

■ **هل صحيح أنكم المرشد الروحي لحزب الله؟**

ليس صحيحاً بالمعنى التنظيمي، فأنا لستُ عضواً في تنظيم حزب الله، ولكن باعتباري أحد المراجع الإسلاميين، فلا بدّ من أنّ الجيل يأخذ من أفكاري الإسلامية، كما يأخذ آخرون في العالم الإسلامي.

حرية السياسة الأميركية لا الشعوب

■ **ما هو المزاج العام للعالم الإسلامي اليوم؟**

المزاج العام في العالم الإسلامي السياسي، أنه يشعر بأنه ضد السياسة الأميركية الداعمة لإسرائيل بالمطلق، ضد الفلسطينيين والعرب بشكل عام، ويعتقد أنّ أوروبا هي أكثر فهماً للقضية الفلسطينية وللعالم العربي والإسلامي من أميركا، لأن مواقفها أكثر اعتدالاً. إنما ليس للعالم الإسلامي عقدة من الغرب، لأن عهد الاستعمار الغربي قد انتهى، ونحن نعرف أن للغرب مصالح في العالم العربي والإسلامي، ولكننا نريد للغرب احترام مصالحنا، لتكون العلاقات مرتكزة على مصالح متبادلة، ونحن ندعو إلى حوار بين الغرب والإسلام. فليس صحيحاً أن الإسلام ضد الغرب، بل هو ضد كثير من السياسات الغربية، والاحتلال السياسي لا يعني العداء بل يعني المعارضة، تماماً كما هو الغرب في الفكرة الديموقراطية، فهو يعترف بالمعارضة الداخلية والخارجية. ولكن المشكلة أن بعض الإدارات الغربية، ومنها الإدارة الأميركية، تنادي بحرية العالم، ولكنها تريد حرية السياسة الأميركية لا حرية الشعوب.

وهذا ما سمعناه من الرئيس بوش الذي أعلن بصراحة «إما أن تكونوا معنا وإما أن تكونوا مع الإرهاب»، وقد قلنا لسنا معكم ولسنا مع الإرهاب، وعندما طلبنا فهم تحديد مفهوم الإرهاب لم يقبلوا، واعتبروا أن نضال الشعب الفلسطيني إرهاب، وأنّ إسرائيل تدافع عن نفسها، وأنها لا تمارس أيّ نوع من أنواع الإرهاب مع الفلسطينيين. إن الرئيس بوش لم يكن ديموقراطياً في المسألة السياسية، وكان ضد حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني، لأنه لا يعترف إلا بحقوق الإنسان اليهودي.

إن بوش يسمح باجتياح إسرائيل للمدن والمخيمات الفلسطينية وقتل الشعب الفلسطيني، ويعتبر ذلك دفاعاً عن النفس، بينما لا يعتبر حركة مقاومة الفلسطينيين دفاعاً عن النفس وهم يقاومون الاحتلال. ونحن لسنا ضد اليهود كدين، فقد عاشوا معنا (أي مع

الإسلام) مدّة ١٤ قرناً دون أن نضطهدهم ونلغيهم، كما عاش النصاري معنا، لأننا نؤمن بالحرية الدينية، ونحن لم نضطهد اليهود بل اضهدهم الغرب. ولكن الغرب ساعد اليهود على اضطهادنا في احتلال فلسطين وطرد أهلها منها. إننا نعتبر اليهود معادين للسامية، لأننا ساميون.

رجل الدين.. ورجل السياسة

■ **كيف يمكن لرجل كسماحتكم ـ نسميه رجل الله ـ أن يكون منغمساً إلى هذه الدرجة في المسائل السياسية؟**

إنّنا نعتبر السياسة حركة الإنسان نحو العدل، والله يحب العدل. فالسياسة تتحرك لمصلحة الإنسان، ونعني السياسة الإنسانية، ورجل الدين خادم للإنسان، والله يريد منه خدمة الإنسان، فالدين جاء لخدمة الإنسان ولم يأتِ الإنسان لخدمة الدين.

■ **ألا تعتقد سماحتك أن هذه الأهداف والمجالات هي من اختصاص رجال السياسة؟**

لا أعتقد أنه ينبغي علينا تصنيف الناس إلى رجال سياسة ورجال دين، لأن من حقّ الإنسان أن يبدي رأيه في كل قضايا الحياة، ولهذا فإبعاد رجل الدين عن السياسة هو اضطهاد لحريته. ونحن نقول إن على العالم الديني ألا يأخذ بالسياسة ضد مصلحة الإنسان، وأن لا يستغل موقعه الديني لأغراضه ومصالحه الخاصة، بل أن يمارس السياسة كإنسان كما يمارس الفكر كإنسان.

الانتخاب الطبيعي للمرجع

■ **المفارقة أن الغرب ينظر لسماحتكم باعتباركم شخصاً غير منتخب كما تنتخب القيادات السياسية، ولكن له نفوذه وهيبته على الناس؟**

إن الانتخاب عندنا هو انتخاب عفوي، فالعالم الذي يملك شعبية تنتخبه الناس بشكل عفوي، وتؤيده دون طريقة رسمية. والمرجع الديني الشيعي على وجه الخصوص، يحصل على استفتاء شعبي عالمي وليس على استفتاء منطقته الجغرافية الخاصة، وهذا أقوى من الانتخابات الرسمية التي تتدخل فيها عوامل كثيرة، لأن مثل هذا التأييد للمرجع ينطلق من قناعة إنسانية.

فإنني، وعلى رغم عدم امتلاكي لأجهزة الدعاية الإعلامية، وعلى رغم وجودي في لبنان

مثلاً، فإن الملايين في العالم الإسلامي الشيعي يؤيدونني ويأخذون بأفكاري بشكل طبيعي جداً، ونستطيع أن نطلق على هذا الانتخاب اسم الانتخاب الطبيعي.

■ **هذا الاقتراع أو التصويت أو الانتخاب أو الاختيار، كيف يتجسّد واقعاً، ومن هم الأشخاص الذين يمارسونه؟**

إن الناس هي التي تحقق ذلك: فالناس في المرجعية الشيعية، تأخذ بأفكار المرجع في الجانب الشرعي والقانوني وتسأله في قضاياها، وهي تحاول أن تبحث عن الشخص الملائم من خلال إنتاجه وسلوكه وحياته، فترتبط به ارتباطاً عفوياً. المرجعية لا تصدر بمرسوم، وإنما من خلال ثقة الناس وقناعاتها بمن تلتزم به.

■ **كيف تُلفَظُ النتيجة الختامية لهذا الانتخاب الطبيعي، أي أن هذا الشخص/ المرجع المنتخب كيف تلفظ «كلمة مرجعيته».**

ترتبط الناس به، فتسأله وتؤيده وتستفتيه، وتدفع له الحقوق الشرعية، فيدير بها المؤسسات الاجتماعية والثقافية، ويمنح من خلالها للفقراء والمحتاجين.

أول من أطلق العمليات الاستشهادية

■ **يقدمكم العالم الغربي على أنكم أوّل من أطلق العمليات التي يعبّر عنها العالم الإسلامي والعربي بالاستشهادية، بينما يعدّها الغرب انتحاراً؟!**

الواقع أني لست أول من أطلقها، ولكني دافعت عنها وفرقت بينها وبين العمليات التي توجه ضد الأشخاص في حالة السلم. ولذلك استنكرنا ما حدث في ١١ أيلول، وقلت إنها عمليات انتحارية وليست استشهاداً،لأنه لا يجوز استخدام ركاب الطائرات والاعتداء على الموجودين في مركز التجارة العالمي لمجرد المعارضة للسياسة الأميركية، وقلنا إذا كنا نعارض السياسة الأميركية فنحن لا نعادي الشعب الأميركي ولا نقبل الاعتداء عليه وعلى الشعوب الغربية حتى لو اختلفنا معها سياسياً.

أما في فلسطين، فهناك حالة حرب بين إسرائيل والفلسطينيين، والوضع مختلف تماماً. فإسرائيل تقتل المدنيين في حالة الحرب. والفلسطينيون يدافعون عن أنفسهم فيقتلون المدنيين في حالة الحرب. إن الإسرائيليين قتلوا الأمن الفلسطيني، والفلسطينيون يسعون لقتل الأمن الإسرائيلي وليس لقتل المدنيين. فالحرب بين أمن وأمن، فيسقط المدنيون هنا

وهناك في حالة حرب. فلو أنّ إسرائيل انسحبت من مناطق احتلال أراضي الفلسطينيين، فإن الفلسطينيين لا يتعرّضون للمدنيين، والمقصود من «الأمن» أن إسرائيل جعلت الفلسطينيين يعيشون حالة الحرب المطلقة، فقتلت الأولاد والنساء والشيوخ والرجال، ودمّرت المزارع والبيوت والشجر، وحاصرت الفلسطينيين الذين فقدوا الأمان والشعور بالأمن، واستعملت كل الأسلحة حتى التي لا تستعمل إلا في الحروب الكبرى، كطائرات الـ«أف ١٦». فلم يكن أمام الفلسطينيين ليدفعوا هذه الجبال من الضغوط عن أنفسهم إلا باستهداف الحالة المدنية الإسرائيلية، ليس لأنهم يحبون قتل المدنيين، بل لأنهم لم يملكوا طريقاً غير هذا الطريق. فإسرائيل قصفت المدن ودمرت البيوت فوق رؤوس أصحابها. ونسأل حين قصفت أميركا هيروشيما هل ألقت القنبلة الذرية على عسكريين أم على مدنيين؟ ولقد قتلت أميركا آلاف المدنيين من الأفغان ودفنتهم تحت دورهم وقالت هذا من شؤون الحرب، وهناك أخطاء تحصل في الحرب؟ فأي عاقل يصدّق الخطأ. ولذلك يقول الفلسطينيون هذا منطق الحرب.

■ **هل من الممكن تبرير أية وسيلة يمكن أن تساهم في هزيمة إسرائيل؟!**

أعيد السؤال: عندما كانت الحرب دائرة بين دول الغرب (ألمانيا ـ والحلفاء)، فهل تركوا وسيلة تؤدي إلى هزيمة النازي الألماني؟ إنني كفلسطيني أؤمن بحريتي في أرضي ومصيري، ولذلك فإني أستعمل كل الوسائل لهزيمة المحتل، هذا حق إنساني حضاري تعترف به كل الحضارات.

لا إثباتات قضائية في مسألة بن لادن

■ **هل تعتقد ـ سماحتك ـ أن القاعدة وطالبان هي وراء أحداث ١١ أيلول؟**

الواقع أني لا أملك إثباتات قضائية بعقل قانوني بارد لهذه القضية، لأن الأميركيين حكموا على بن لادن قبل أن يبحثوا عن الإثباتات، ومن الممكن أن يكونوا وراء ذلك، ولكني لا أملك إثباتات قضائية ملموسة في هذه المسألة.

■ **على فرضية أن بن لادن والقاعدة كانوا وراء ذلك، فما هو رأي السيد؟**

لقد شجبت هذا النوع من العمليات، لأني لا أعترف بشرعية مثل هذه العمليات، ولأن المسلمين في العالم لم يستفيدوا من ذلك، بل لقد ألحقت بهم ضرراً كبيراً.

■ **لقد رصدنا حالة من الضعف والتخلي في العالم الإسلامي نحو ما يواجه هذا العالم من مشاكل، فهل رصدنا دقيق لذلك؟**

في تصوري أن التهديد الأميركي ـ ومعه التحالف الذي أعطي عنوان التحالف في الحرب ضد الإرهاب ـ ربما كان سبب هذا الإحساس بالضعف، لا سيما أن المشرفين على الحكم في العالم الإسلامي والعربي ليسوا بمستوى المسؤولية، وليسوا منتخبين من الشعب انتخاباً حقيقياً.

إن أغلب المسؤولين في العالم العربي والإسلامي لا يمثلون شعوبهم، لأنهم يحكمون الشعوب بقوانين الطوارئ وأجهزة المخابرات.

■ **هل يصبو السيد فضل الله إلى رؤية حالة ديموقراطية في الدول العربية؟**

نحن ندعو إلى امتلاك الشعب لحريته في اختيار مسؤوليه، فنحن ضد الديكتاتورية.

■ **لكن لا شيء في الإسلام ضدّ الديموقراطية؟**

نحن مع الاستفتاء الشعبي وضد التسلط. وفي الإسلام يستطيع المسلم محاكمة الحاكم على كل شيء، أن ينتقد ويصوّب، وعلى الحاكم الاستجابة لذلك، وليس له أن يفرض نفسه على الشعب، فالشعب من حقه أن يسقط الحاكم الذي يسيء القيام بمسؤولياته تجاه شعبه. هذا هو الخط الإسلامي في مسألة الحكم، لكنّ التطبيق سيئ، لأن الذين يسيطرون على مقدّرات المسلمين هم ديكتاتوريون.

■ **هذا الوضع كيف صار؟ أي سيطرة هؤلاء على المسلمين؟**

لأن عصور التخلف والاستعمار أسقطت الوعي لدى الناس من جهة، ووظّفت بعض الناس للسيطرة على البلاد؛ إضافة إلى التعقيدات الدولية التي منعت من إسقاط هذا الحكم أو ذاك الحكم، ما أدى إلى ذلك.

فلسطين للفلسطينيين

■ **هل لإسرائيل الحق في أن تكون موجودة وقائمة؟**

إننا نؤمن ونعتقد أن فلسطين للفلسطينيين، وكانت مملوءة بهم، فالمسلمون كانوا على مستوى الأكثرية وإلى جانبهم أقليات مسيحية ويهودية، ولم تكن هناك أية مشاكل بين

المسلمين والنصارى واليهود. ولكن إسرائيل قالت إن فلسطين ملكها لأن أجدادهم كانوا يسكنون فيها، وهذا منطق غير إنساني وغير حضاري، لأن الشعوب على مدى التاريخ تنتقل من بلد لبلد. لذلك فإن فكرة إسرائيل هي استعادة سلطتها التاريخية على فلسطين بطرد الفلسطينيين من أرضهم والإتيان بيهود العالم إلى فلسطين مكانهم، وهذا أمر غير عادل وغير منطقي وغير إنساني، وإني أسأل: هل يقبل البريطانيون أن يأتي شعب آخر من كافة أنحاء العالم ليطرد البريطانيين من بلدهم بحجة أن أجداد الغزاة كانوا يسكنون بريطانيا؟ فهل يرى البريطانيون شرعية هذا المنطق؟!

بالطبع لا!

إذاً منطقنا هو منطق البريطانيين في جوابهم عن هذا السؤال.

اليهود وفلسطين

■ **بحسب نظرة سماحتكم، هل يمكن لأي إسرائيلي ـ البقاء في فلسطين؟**

إن اليهود الذين هم من سكان فلسطين منذ عشرات السنين ويملكون حقهم في البقاء، وفي مستقبل فلسطين إلى جانب المسلمين والنصارى. أمّا اليهود الذين قدموا من سائر أنحاء العالم، فعليهم الرجوع من حيث أتوا، وأن يقبلوا بعودة الفلسطينيين إلى ديارهم التي احتلها اليهود. إننا نتحدث بمنطق إنساني، فلا شرعية للأمر الواقع الذي يفرض بالقوة على الآخرين.

الغرب والإسلام

■ **إني كبريطاني، أؤمن أنهم في الغرب لا يفهمون الإسلام، وأؤمن أكثر من ذلك أن الغرب يسيء فهم الإسلام، ولديهم نوع من الهاجس أن الإسلام يفضي إلى التعصب، فهل مقوِّمات حصول هذه الحالة ممكنة؟**

إننا نسأل: هناك الكثيرون من الغربيين موجودون في البلاد الإسلامية، ولم نجد أيّ بلد إسلامي يتعرض للغربيين إلا في حالات بسيطة قد يحدث مثلها في الغرب، وهناك ملايين من المسلمين يعيشون في الغرب ولم يربكوا حياة الواقع الغربي، بل تعايشوا مع الغربيين بشكل طبيعي جداً. إن هناك متطرفين في المسلمين كما أن هناك متطرفين في الغرب. أليست هناك حالات عنصرية ضد الأجانب في الغرب؟ ولكنّنا لا نقول إن الغرب كله متعصّب أو عنصري، وكذلك هناك متعصبون في المسلمين حتى ضد المسلمين بعضهم مع بعض. ولكن لا نقول إن الإسلام عنصري أو متعصّب. وهناك آية

في القرآن تتحدث عن الأسلوب الذي يحوّل الأعداء إلى أصدقاء، وهي تخاطب اليهود والنصارى معاً ليأتوا مع المسلمين إلى الفكر الذي يلتقون عليه ثم للحوار في ما يختلفون فيه، فالإسلام يعترف بالآخر ويتعايش معه، وقد اعترف الإسلام باليهود وبالنصارى وتعايش معهم في كل تاريخه، وهو يؤمن بالحوار في ما يختلف فيه كل الناس، والإسلام لا يؤمن بفرض الفكر بالقوة، فليس ذلك واقعياً، ولا تستطيع تغيير فكر إنسان بالقوة، بل بالحوار والإقناع.

■ **في الغرب ينظرون للدولة الإسلامية أنها دولة محكومة بفكرة الدين، فهل هي كذلك؟**

إن هذه الدول تعيش الدين كوسيلة تأثير على الآخرين فقط، لأن أغلب الحكام يظلمون الناس والدين يدعو للعدل، كالكثيرين الذين يعطون لأنفسهم اسم الديموقراطية ولكنهم يستغلونها لحساباتهم الخاصة.

هل يمكن هزيمة إسرائيل؟

■ **هل من الممكن هزيمة إسرائيل وأميركا خلفها؟!**

من الصعب، ولكن لا يمكن هزيمة الشعب الفلسطيني.

■ **من الصعب جداً! هل يعني غير ممكن؟**

بحسب الواقع الخارجي، فحين ندرس أن الدول العربية متواطئة مع أميركا التي تعتبر أمن إسرائيل قبل أمن الإدارة الأميركية، فبحسب موازين القوى الحالية، لا يمكننا هزيمة أميركا وإسرائيل، ولكن من الممكن مستقبلاً إلحاق الهزيمة إذا تبدّلت الظروف، فليس هناك قوّة خالدة في التاريخ.

مشاعر الغرب تجاه المسلمين

■ **إنني كبريطاني أعبر عن شعوري بالأسف والندم لما لعبته بريطانيا من دور في المنطقة لسلب فلسطين وتشريد الشعب الفلسطيني؟ فماذا تقول سماحتك؟ وأعتبر أن سلب شعب معين أرضه وتقديمها لشعب آخر أمر بشع وحقير؟!**

أنا أشكر هذه المشاعر جداً، وأتمنى على بريطانيا، وهي من أقوى الدول الأوروبية، أن تبتعد عن أن تكون على هامش أميركا في سياستها. إننا في الشرق نشعر أن بريطانيا

فقدت استقلالها السياسي، وأنها كانت قادرة على قيادة الاتحاد الأوروبي لو ابتعدت عن أن تكون على هامش السياسة الأميركية. إن أميركا تستخدم بريطانيا لإضعاف أوروبا وهذا أمر لا يشرّف الشعب البريطاني. ونحن نتصور أن أوروبا معدّة لتكون أكثر إنسانية مع الشعوب في العالم الثالث من أميركا، فعلى بريطانيا لعب الدور الأوروبي بدل أن تلعب الدور الأميركي، ونحن مستعدون للانفتاح على أوروبا بشكل كبير جداً.

■ **لماذا تعتقد أن الغرب يملك القدر القليل من فهم الإسلام؟ وهذا الأمر خطأ مَنْ؟**

لا أعتقد أن الغرب كله كذلك، فهناك مثقفون في الغرب يفهمون الإسلام جيداً. فالأديب البريطاني السّاخر برنارد شو كان يتكلم عن الإسلام بإيجابية، بالإضافة إلى أكثر من مفكّر غربي ممن يفهمون الإسلام. ولكنّ المشكلة أنّ إدارات الدول الغربية اعتبرت أن الإسلام الداعي إلى الحرية قد يسيء إلى مصالحها. ولهذا اعتبر الحلف الأطلسي الإسلام العدوّ الجديد للغرب بعد سقوط الاتحاد السوفياتي، وهذا أمر ليس واقعياً.

■ **حتى الأشخاص العاديون في الغرب فهمهم للإسلام قليل؟**

صحيح، وهذا عائد لتقصير المسلمين في هذا المجال، وللإعلام المضادّ للإسلام، والدعاية المضادة.

■ **هل تلقى أفكار سماحتكم صدىً جديداً في إيران؟**

هناك الكثير ممّن يؤيدون الأفكار التي أتحدّث بها.

■ **أمامكم صورة الإمام الخميني، والغرب يعتبر أن الإمام الخميني ضدّه؟!**

أعتقد أن الإمام الخميني لم يكن ضدّ الغرب الإنسان، ولكن ضدّ سياسة الإدارات الغربية الرسمية، وعلينا أن لا نخلط بين الإنسان الغرب وبين الإدارات الغربية. فقد كانت هناك مشاكل بين غرب ألمانيا وغرب الحلفاء، مع أنهم كلهم غربيون نتيجة الاختلاف بالسياسة. ونحن نختلف بالسياسة كما يختلفون مع بعضهم البعض.

■ **ألا تعتقد أن الفتوى التي صدرت بحق سلمان رشدي كان لها أثر سلبي في نفوس الغربيين، علماً أنني ضد شخصية سلمان رشدي وغير معجب به؟!**

مشكلة سلمان رشدي أنه لم يتحدّث بطريقة علمية في نقد الإسلام أو تناول شخصية النبي، بل تحدّث بطريقة السّباب والشتائم، فأهان المسلمين جميعاً. وهذا ما يمثّل الخيانة العظمى التي يحاسب عليها في العالم كله. فالاعتداء على النبي(ص) من قبيل الخيانة العظمى. وهذا لا يتصل بحرية الفكر، فكثير من الناس انتقدوا الإسلام ولم تصدر فتوى بحقهم.

■ **بكل تحفظ واحترام ـ وهذا رأيي ـ لقد كانت الفتوى شيئاً خاطئاً؟!**

ليست الفتوى كذلك، ولكن ما حدث بعد الفتوى قد يكون أساليب خاطئة.

■ **لقد شعرت بقدر كبير من الراحة، والشكر للوقت الذي أخذناه من سماحتكم، فشكراً جزيلاً.**

إنني حاضر لكل ما يكشف الهدف باتجاه الحقيقة، وأرجو الدقّة في عرض الحديث المترجم.

١٣

أميركا توظف ضربة «١١ أيلول» لضرب الانتفاضة وتبرئة إسرائيل من جرائمها

رأى سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله أن أميركا اعتبرت نفسها بعد سقوط الاتحاد السوفياتي في موقع القيادة السياسية والاقتصادية والأمنية للعالم، وهي ربما تمارس الضغوط المتنوعة على روسيا واليابان والصين وتسعى كي تفرض نفسها على العالم الثالث للوصول إلى أهدافها السلطوية. وأكد أن الحرب ضد أفغانستان كانت حرباً يراد منها تنفيس الاحتقان لدى الشعب الأميركي ليشعر هذا الشعب باستعادة قوته وعنفوانه، وأن إدارته قادرة على حمايته.

وأضاف سماحته أن أميركا تسعى دائماً إلى إثارة القلق في كل المنطقة المحيطة، ولا سيما الشرق الأوسط، حتى لدى حلفائها والأصدقاء. وذلك لاجتذاب الكثير من التنازلات والمواقف المؤيدة.

وأكد أن أميركا حاولت أن تستفيد من أحداث ١١ أيلول من أجل محاربة كل المعارضين لسياستها، وهي تتهم كل جهة تريد التحرر من براثنها بتهمة الإرهاب.

مقابلة مع جريدة «**عكاظ**» السعودية.

وفيما يلي ننشر بينات النص الكامل للمقابلة التي أجرتها جريدة «عكاظ» السعودية مع سماحته بتاريخ ٩ آب ٢٠٠٢م، والتي جاء فيها:

أميركا واتهام الدول المستضعفة بالإرهاب

■ **إلا مَ تهدف السياسة الأميركية بعد ١١ أيلول، لا سيّما أنّها ترمي الكثير من الدول العربية والإسلامية، وتصنّف الكثير من المنّظمات بالإرهاب؟**

عندما ندرس أميركا في الذهنية التي تُسيطر على الإدارة الأميركية فإننا نلاحظ أنها قد اعتبرت نفسها بعد سقوط الاتحاد السوفياتي في موقع القيادة السياسية والاقتصادية والأمنية للعالم بالدرجة التي تخطط فيها للسيطرة على مقدّرات العالم بمختلف الوسائل حسب الظروف السياسية لهذه الدولة أو تلك.

إن أميركا تمارس الضغوط الاقتصادية على الاتحاد الأوروبي وربما تمارس بعض الضغوط السياسية الاقتصادية على روسيا واليابان والصين. كما تفرض نفسها في أكثر من جانب سياسي وأمني على العالم الثالث. وذلك بحسب الخطط التي تنظمها للوصول إلى أهدافها السلطوية.

في ضوء ذلك فإن الصدمة الكبيرة التي واجهتها أميركا في أحداث ١١ أيلول كانت صدمة قوية جداً لأنها اصابتها في العمق من هذا الجبروت والكبرياء في ما تجده وتصنعه أميركا لنفسها. ولهذا حاولت أميركا أن تتجاوز الأزمة، وتستفيد من الصدمة في إيجاد وضع عالمي متوتر يفسح لها المجال لإحكام سيطرتها على كل المواقع المعارضة في العالم تحت تأثير شعار الحرب ضد الإرهاب على أساس أن الإرهاب يمثل مشكلة حقيقية لها، كما توحي بأنه يمثل مشكلة حقيقية للعالم كله.

لقد استطاعت أميركا أن تجتذب أكثر من دولة كبرى ـ عالمياً ـ كالإتحاد الأوروبي وروسيا واليابان إلى خطتها الرامية بحسب الأهداف الأميركية إلى ضرب الإرهاب ظاهراً وتحقيق ما تريد من خلال ذلك ومستفيدة من دعم العالم لها.

إن أميركا عملت على إقناع الحلف الأطلسي لمشاركتها في الحرب ضد أفغانستان التي تتهمها من خلال حكومتها المسيطرة عليها ـ طالبان ـ بأنها تأوي الجهات المسؤولة عن

أحداث ١١ أيلول، وهي مجموعات القاعدة بقيادة بن لادن، من دون أن تعطي أي مجال لتحقيق قضائي موضوعي في طبيعة اتهامها للقاعدة بهذه الأحداث.. لأننا حتى الآن لا نستطيع أن نحكم حكماً قضائياً شرعياً قانونياً يجمع العناصر الإنسانية القانونية في هذا المجال لنشير بالاتهام إلى جهة محددة. مع ملاحظة أن بن لادن كان يعطي كلاماً حماسياً ربما إذا وضع في النطاق القانوني فإننا نجد فيه الكثير من الثغرات وقد لاحظنا أن هناك أصواتاً قد تحدثت عن الخلفيات اليهودية الإسرائيلية في هذا الموضوع، ولكنّ الستار أسدل عليها فجأة. إننا لا نريد أن نناقش هذه القضية، ولكننا نشير إلى الأسلوب الأميركي الذي بادر إلى الحكم قبل أن تتوافر كل عناصره وحيثياته في هذا المجال. إن الحرب ضد أفغانستان كانت حرباً يراد منها تنفيس الاحتقان لدى الشعب الأميركي من جهة ليشعر بأنه استعاد قوته وعنفوانه وأن إدارته قادرة عن حمايته، كما أن إدارته استطاعت أن تضرب هذه الضربة القاضية والقاسية على شعب مستضعف لا يملك أي قوة حقيقية مما تملكه الولايات المتحدة الأميركية لتخوف الشعوب الأخرى التي هدّدتها بمصير مماثل لأفغانستان. لقد بدأت أميركا توزع اتهاماتها على أكثر من طرف ومحور في المنطقة، حتى على حلفائها ـ ومنها السعودية التي تمثل علاقات تقارب علاقات التحالف مع الولايات المتحدة الأميركية، كأول دولة عربية في علاقات الصداقة والتحالف مع أميركا. وقد وزعت اتهامها على أساس أن هناك سعوديين شاركوا في أحداث ١١ أيلول وأن هناك بقايا من القاعدة هناك، بالرغم من نفي الحكومة السعودية لذلك. وقد أصدرت أكثر من بيان أنها تدين الإرهاب، وأن بن لادن ليس سعودياً إذ نزعت منه الجنسية السعودية وأنها تسيطر على كل مواقع القاعدة إذا وجدت. وعلى رغم ذلك نجد أن أميركا ومن خلال مسؤوليها، ومن خلال بعض إشارات الإدارة والصحف السعودية وبعض الخبراء الذي يمثلون عنصراً استشارياً في الإدارة تتكلّم عن السعودية بشكل سلبي.

أميركا تثير القلق في المنطقة

■ **هل وصف السعودية بأنها دولة معادية لأميركا أو دولة تحمي الإرهاب، نابع من مواقف ومواقع معينة برأيكم؟**

إني أتصور أن السياسة الأميركية تحاول دائماً إثارة القلق في كل المنطقة المحيطة ولا سيما الشرق الأوسط حتى لدى حلفائها والأصدقاء، لتفسح المجال لصوت يهاجم السعودية وبعض البلدان العربية من جهة، ثم تحاول من خلال مسؤوليها الإيحاء بأن هذا الصوت

شخصي لا يمثل أية إدارة أو موقف رسمي، لأنني أفهم أن المراد من هذه السياسة الأميركية هو إثارة القلق والإرباك في هذه الإدارة أو تلك لاجتذاب الكثير من التنازلات والمواقف.. لا سيما أن السعودية أعلنت أنها ليست مستعدة للموافقه على ضرب العراق، وليست مستعدة للمشاركة في الحملة الأميركية ضد العراق واستخدام القواعد الأميركية الموجودة في السعودية ضد العراق. إنني أربط هذا الموقف الأميركي المنافق بموقف السعودية من القضايا العربية ومنها القضية العراقية وتحديداً القضية الفلسطينية، لقد انتقدت السعودية الموقف الأميركي أكثر من مرة في ما يتعلق بالقضية الفلسطينية بالرغم من أنّ السعودية قد أطلقت مبادرتها التي تحولت إلى مبادرة عربية، وهذه المبادرة لم تتخذ أميركا موقفاً حاسماً منها بل اعتبرتها مجرّد مبادرة تشير إلى استعداد العرب للصلح مع إسرائيل من دون التأكيد على المفردات الأخرى في المبادرة.

إني أتصور أن أميركا حاولت أن تستفيد من أحداث ١١ أيلول من أجل محاربة كل المعارضين لسياستها، حتى من لا يعارضها معارضة عن الطريقة الإرهابية بل معارضة سياسية أو اقتصادية، لأنها تحاول أن تدفع كل جهة تريد التحرر بتهمة الإرهاب من دون أن تفسح المجال لمناقشة مفهوم الإرهاب ومدلوله ومصطلحه كما أراد العرب الذين طلبوا من أميركا أن يكون موضوع الإرهاب موضوعاً محدد المفهوم والخطوط من أجل التفرقة بين حركات التحرر كما في الحركة الفلسطينية من خلال الانتقاضة والحركات الإرهابية كما حدث في ١١ أيلول. لأن أميركا تريد توظيف هذه المسألة لضرب الانتفاضة الفلسطينية ولإظهار إسرائيل التي قام العالم بإدانتها على جرائمها على أساس أنها تقوم بالدفاع عن نفسها في مواجهة الحركات الإرهابية كحماس وجهاد وكتائب الأقصى.

لقد استطاعت أميركا أن تترك تأثيرها على الاتحاد الأوروبي في اعتبار حركات الانتفاضة حركات إرهابية، وحتى على روسيا بطريقة وبأخرى من خلال اللجنة الرباعية التي ضمت روسيا والاتحاد الأوروبي والأمم المتحدة بقيادة أميركا عبر وزير خارجيتها في هذا المجال.

إني أتصور أن أميركا قد حملت سيفاً ضد العالم كله، لتفتّش في كل مكان عن وجود معارضين خلقت معارضتهم من الموقف الأميركي في التأييد المطلق لإسرائيل ضد

الفلسطينيين بالمطلق، وضد العرب بالمطلق، ولا سيما في موقفها من العراق الذي نعرف جميعاً أن أغلب الدول العربية بل جميعها لا توافق على بقاء النظام العراقي الذي أدخل المنطقة في مشاكل لا عدّ لها ولا حصر وربما أدّى إلى هذه النتائج، ولكنهم لا يوافقون على ضرب العراق بالطريقة العسكرية التي ربّما تسيء إلى الشعب العراقي.

إن أميركا تحمل سيفاً أمام العالم لتقول: أنا القوة وأنا القائد والسلطة وعلى الجميع أن يخضعوا للسياسة الأميركية. ولذلك قلت معلقاً على أحداث ١١ أيلول، إنّ أميركا استفادت من أحداث ١١ أيلول بما لو أنفقت مئات المليارات من الدولارات لتحقق الإفادة التي حصلت عليها لما حصلت على ذلك.

ولهذا إن الذين قاموا بهذه الأحداث قد أعطوا أميركا مكسباً كبيراً جداً في أن تنفذ سياستها في السيطرة على العالم، بقطع النظر عما إذا كانوا واعين للنتائج سلباً أو إيجاباً أو غير واعين.

أميركا تراوغ في المسألة العراقية

- **إن أميركا تقول إنها تريد القضاء على أسوأ حاكم في العالم وهو صدام حسين.. كيف تفسر الرغبة الأميركية بالقضاء على هذا الحاكم في ظل معارضة كبيرة إذا ضربت أراضي العراق وشعبه؟ وكيف ستكون عملية السلام؟**

إنني أتصور أن أميركا هي التي قامت بحماية النظام العراقي في حرب الكويت لأنها هي التي أسقطت الانتفاضة التي قامت ضد النظام، ولأنها استفادت من هذا الواقع القلق الذي أحدثه النظام العراقي في المنطقة العربية، واستفادت في الضغوط على أكثر من دولة عربية ولا سيما الخليج، وابتزّت الكثير من مواقعها الاقتصادية والسياسية والأمنية، وقد كانت حاجة لها منذ البداية في ضرب إيران وحاجة لها في إيجاد حالة من القلق المتحرك في المنطقة الخليجية التي كانت تبحث عن الاستقرار وعن الأمن والسلام.

إن النظام العراقي ومنذ البداية يمثل قاعدة من قواعد السياسة الأميركية في المنطقة. ولعلنا نلاحظ أن أميركا قبل احتلال الكويت من النظام العراق لم تضع خطاً أحمر على الكويت، وهذا ما سمعناه في تصريح سفيرة أميركا «غلاسبي» آنذاك بأنها قالت للعراقيين: لن نتدخل في نزاعكم مع الكويت في هذا المجال ولذلك لم يسمح للكونغرس

بنشر تقرير «غلاسبي» الذي قدمته للكونغرس لأنه يشير أن السياسة الأميركية هي التي خطّطت وأعطت الضوء الأخضر للغزو العراقي بالهجوم على الكويت وإن انطلقت بعض الصواريخ البسيطة من هنا وهناك من قبل النظام العراقي.

إن الكثيرين من المحللين يعتبرون احتلال الكويت هو نوع من الخطة الأميركية لإيقاع النظام العراقي في هذا الفخ من أجل أن تستفيد منها في سياستها في المنطقة وفي تقوية مواقعها في المنطقة..

ليس عند أميركا مشكلة في أن يكون المسؤولون على درجة عالية من السوء، لأن كثيراً من حلفاء أميركا هم أسوأ المسؤولين. والمسألة عندها ليست أن هذا الحاكم سيئ بالنسبة إلى شعبه أو ليس كذلك، فالقضية هي قضيّة السياسية الأميركية بإعطاء ضوء أخضر لحاكم لمدة معينة فإذا انتهى دوره وانتهت مرحلته فإنها تعمل على تبديله بحاكم آخر قد يكون بحسب المرحلة من الذين يمنحون السياسة الأميركية قدراً أكبر في مصالحها. فلا بدّ أن نفرق بين الواقع الداخلي الذي يعانيه الشعب العراقي من نظامه الذي أضاف إلى هذه المعاناة الحصار الدولي الذي تحوّل إلى حصار للشعب العراقي بدلاً من أن يكون حصاراً للنظام الذي لم يخسر الكثير في أشخاصه ومسؤولية في هذا الحصار.

إن هذه القضية لا بدّ من معالجتها في طريقة حركة المعارضة العراقية مع بعض المساعدات العربية باعتبار علاقة المسألة بالواقع العربي في قضية تغيير النظام أو نحوه.

أما أميركا فإنها لا تخطط لحرب العراق لسواد عيون العراقيين ولتبديل هذا الحاكم الأسوأ بحكم أفضل أو أقل سوءاً، بل القضية هي أن أميركا تحاول السيطرة على مقدّرات العراق الاقتصادية والسياسية والأمنية، كما أنها تسيطر على استثمارات العراق وعلى أسواقه وربما تخطط للضغوط على أكثر من دولة في المنطقة لتطويعها بالسياسة الأميركية في المستقبل.

تكلفة الخطة الأميركية

- **هل هناك خطر على بعض الدول والحركات مثلاً: إنهم ينعتون حماس وحزب الله والجهاد الإسلامي ويهددون هذه الحركات في أماكن وجودها بالضرب، فهل**

الطريق إلى العراق وضربه أيضاً سيؤدي إلى سيطرة استعمارية على المنطقة عبر وضع الكثير من القواعد الأميركية في المنطقة؟

إننا عندما ندرس بعض السيناريوهات التي وضعت في قضية ضرب العراق، نجد أن هناك حديثاً حول تكلفة الحرب على العراق حيث إنها قد تكلّف عشرات بل مئات المليارات من الدولارات لأن من بين هذه الخطط أن تقيم القوات الأميركية في العراق مدّة «٥» سنوات وأن تشرف على كل الوضع العراقي سياسياً وأمنياً واقتصادياً مما يعني أن أميركا تخطط لإحكام قبضتها على المنطقة والاقتراب بطريقة وبأخرى من بعض الدول ولا سيما إيران في هذا المجال، ولتشديد قبضتها على الخليج الذي بدأت بعض شعوبه تتململ من الوجود العسكري الأميركي على أرضها. لهذا نحن نعتبر أن القرن الماضي كان قرن السياسة الأميركية التي تعمل على السيطرة على كل بترول المنطقة للإمساك بعنق اليابان والاتحاد الأوروبي الذي يمثل البترول الشريان الحيوي لاقتصادها حتى تملك كل هذا البترول ولتملك الضغط على أوروبا وعلى اليابان في هذا المجال أو ذاك.

لقد قلت في بعض مداخلاتي السياسية بأن أميركا تحاول محاربة الأمة العربية والإسلامية من خلال حربها على العراق؟!

محاولات أميركية لحصار إيران

■ **هل هناك استهداف لإيران؟ وهل يمكن أن تعزّز أميركا قبضتها على إيران؟**

إننا نتصور أن أميركا لن تدخل في حرب مع إيران ولكنها تريد حصار إيران جغرافياً بعد حصارها السياسي والاقتصادي في هذا المجال من أجل المزيد من الضغط على الساحة الإيرانية والواقع الإيراني، وعلى السياسة الإيرانية، وعلى الاقتراب من المواقع الداخلية الإيرانية لأجل خلخلة النظام الإسلامي في إيران.

■ **في ظل هذه الأجواء، الاتهامات للسعودية، حصار سورية، ضرب الانتفاضة، اتهام الحركات الجهادية، الجرائم المرتكبة..**

لقد قلت منذ البداية إن أميركا تعيش في داخل هذا العنفوان الجبروتي الاستكباري الذي يشعر في نفسه أنه القوة الأولى في العالم. إن أميركا بدأت تفكر أنه ليس هناك من يستطيع الاعتراض عليها، فالأمم المتحدة تحت قبضتها، فلا تستطيع إصدار أي قرار ضد إسرائيل أو ضد أي خط سياسي يختلف عن الخط الأميركي. حتى أن الدول الكبرى

التي تملك حق النقض (الفيتو) بدأت تشعر بأن الضغط الأميركي يمنعها من استخدام هذا الحق ضد السياسة الأميركية لأن مصالحها تتعرض للضغوط من جانب أميركا ولا سيما المصالح الاقتصادية.

إن أميركا أصبحت تتصرّف على أساس أن قراراتها هي القرارات التي يجب على العالم الموافقة عليها وأن يتقبلها حتى أنها أصبحت تشترع في داخل أميركا ما هو ضد الشعب الأميركي كثيراً من القوانين التي هي ضد حقوق الإنسان التي تطالب أميركا العالم بمراعاتها وتطبيقها والموافقة عليها. حتى قرأنا أخيراً أن هناك اعتراضات لدى كثير من القانونيين والسياسيين الأميركيين، وهي موجهة إلى وزارة العدل في عدم شرعية اعتقال هؤلاء الذين اعتقلتهم أميركا من أفغانستان أو من داخل أميركا بتهمة الإرهاب دون أن توجه إليهم تهمة محددة بالشكل القانوني من دون تقديمهم للمحاكمة، ومن دون أن تعطيهم أي فرصة للقاء بأهلهم ومحاميهم أو غيرهم، مما يتنافى مع أبسط حقوق الإنسان. إن أميركا بدأت تخطط لضرب حقوق الإنسان تحت عنوان الحرب ضد الإرهاب حتى أنها بدأت تطلب من الدول الأوروبية ومنها البريطانية أن تصدر قوانين تقيد حركة اللاجئين في بريطانيا أو حتى الذين أخذوا الجنسية البريطانية باسم الحرب ضد الإرهاب.

إن أميركا التي كانت تحارب دول العالم الثالث بأنها ضد حقوق الإنسان، ولا تلتزم حقوق الإنسان، ها هي تشرع لضرب حقوق الإنسان داخل بلدها وخارجه والعالم كله. وهكذا رأينا كيف أن أميركا جعلت العالم يسقط أمام كل الجرائم الإسرائيلية الموجهة ضد الشعب الفلسطيني مما لا يمكن أن يقبله عقل وضمير في العالم، ورأينا أن أميركا تتحدث بصوت عال ضد قيام الصرب بالأعمال الإرهابية ضد المسلمين في البوسنة ـ والهرسك أو في ألبانيا، كانت تصرخ بصوت عال في الوقت الذي نرى فيه إسرائيل تقوم بأعمال أخطر مما قام به الصرب أو غيرهم.

سايكس ـ بيكو جديد

■ **هل هناك استهداف للعراق من قبل الغرب، وللمنطقة العربية لاستعمارها من جديد؟ وهل هناك سايكس ـ بيكو جديد؟**

أعتقد أن سايكس ـ بيكو هو المشروع الذي لا يزال معمولاً به من دون أن تحركه أية

دولة، لأن المصالح الغربية مؤمنة حتى من هذا النظام، باعتبار أن أميركا حين تسيطر على المنطقة، بحسب خطّتها المرسومة فإنها لا تحتاج أن تقسم هذه الدولة، ولهذا أعلنت أكثر من مرّة أنها ضدّ تقسيم العراق وفي المقابل رأينا كيف أن قبرص المقسمة واقعياً لم تحصل على اعتراف بدولتين قبرصيتين في هذا المجال.

إنّ أميركا تريد السيطرة استعمارياً على طريقة الاستعمار الجديد، الذي يستولي على مقدرات هذه الشعوب من خلال الأجهزة التي تقود هذه الشعوب. ولهذا فإن الاستعمار الجديد قد يجنّب أميركا عملية الثورة ضد الاحتلال، لأن المطلوب هو السيطرة على المنطقة العربية باعتبار أنها تمثل مواقع استراتيجية ومنطقة بترولية واستثمارية وتسويقية وما إلى ذلك. إننا نتصور أن المرحلة التي تواجهها المنطقة العربية وبعض المناطق الإسلامية بما فيها باكستان وأفغانستان وإيران من أخطر المراحل التي مرّت عليها في تاريخها.

الدولة الفلسطينية قادمة

■ **كيف ترى ما يصار إليه من تسوية فلسطينية إسرائيلية وما شكل الدولة الفلسطينية برأيك؟**

إنني أتصور أن الدولة الفلسطينية قادمة من دون شكل لأن مسألة الدولة الفلسطينية دخلت في ضمير كل العالم ولكن أية دولة .. إننا عندما نستمع إلى وزير الدفاع الأميركي وهو يتحدث عن الأراضي المحتلة أو ما يسمى الأراضي المحتلة، ثم يتحدث أن إسرائيل ربحت هذه الأراضي بالحرب، ولم يكن لهذه الأراضي أي وضع قانوني بالمعنى السياسي للدولة الفلسطينية. كما أنه يقوم بالنيابة عن إسرائيل ليقول: إن إسرائيل لن تتنازل عن المستوطنات، كأنه يقول لإسرائيل لا تتنازلي عن المستوطنات لأنها موضوعة على أرض تستحقها إسرائيل برأيه.

إننا عندما نجد أن وزير الدفاع الأميركي يتحدث على خلاف السياسة الأميركية، وحتى على خلاف تصريحات بوش الذي تحدث عن الأراضي المحتلة في الـ١٩٦٧، فإن معنى ذلك أننا قد نفكر أن هناك تغييراً في السياسة الأميركية لمصلحة إسرائيل بحيث يعطي إسرائيل الفرصة والحجة القانونية لأن تكون الدولة الفلسطينية، أو لأن تسمح بدولة فلسطينية لا لون لها ولا طعم ولا رائحة ولا شكل، وأن ما قاله وزير الخارجية الأميركي بأنها زلة لسان ليست زلة لسان، لأننا نعرف ذهنية وزير الدفاع الأميركي بالإضافة إلى

ما يسمى بالصقور في الإدارة الأميركية، وكلهم صقور حسب الظاهر - حتى وزير خارجيتهم - لأنهم يسيطرون على الإدارة الأميركية.

لا حرب في لبنان

■ **الجو الطائفي الموجود في لبنان، هل هناك بوادر لحرب أهلية في لبنان؟ التجاذبات الحاصلة هل من شأنها أن تخرج بشيء؟**

لا حرب في لبنان في المستقبل المنظور، فقد أخذ لبنان حصته من الفتنة، ولقد كانت الحرب اللبنانية حرباً أميركية لتصفية القضية الفلسطينية من خلال تخطيط وزير خارجية أميركا السابق هنري كسنجر، ولم تكن حرباً لبنانية من خلال المعطيات اللبنانية الداخلية لأن كل الخلافات اللبنانية الداخلية لا تستطيع أن تنتج الحرب، إذا لم تكن هناك خطة دولية متوافقة مع خطة إقليمية في الحرب في لبنان على مدى تاريخ كل الحروب في لبنان.

إنّ كل هذه الأصوات المتحركة في مواقع طائفية بعناوين وطنية على أساس الحرية والاستقلال والتي تحاول أن تجعل المشكلة مشكلة عربية في لبنان - وسورية بالذات، وليست مشكلة إسرائيلية هي أصوات تتحرك في الهواء. وقد توجد بعض الإزعاجات والاهتزازات في المشاعر والأحاسيس الداخلية ولكنها لن تستطيع أن تحقق شيئاً، لأن الدور السوري لا يزال دوراً معترفاً به دولياً وعربياً. ولهذا فإن قضية الدور السوري هي قضية معادلة دولية وليست مجرّد قضية طارئة تتصل بالسياسة الداخلية اللبنانية، كما أن سورية بدأت تتحدث للبنانيين بأنها مستعدة للاستماع لكل الملاحظات على بعض القضايا المتهمة سورية فيها وبأنها مستعدة لحوار بينهم. وقد بدأت بحوار مع أكثر من فريق لبناني في هذا المجال ممن كانوا يعدون في المعارضة. ولهذا فمشكلة اللبنانيين أنهم يرمون المشاكل على الخارج ولكن مشاكلهم تتحرّك من داخلهم. ومشكلة الكثيرين من الطائفيين أنهم يعطون خطهم الطائفي عنواناً وطنياً وقد قال أحمد الصّافي النجفي الذي حاول أن يغيّر الحكمة القائلة: انظر إلى ما قيل لا من قال، فنظم:

كثر الخداع اليوم في أقوالنا ... فانظر إلى من قال لا ما قيل

لأن علينا دراسة هؤلاء المصّرحين كيف كانت تجربتهم في الحكم؟!

القسم الرابع:

العراق في المحرقة الأميركية

رحلة الإمساك بالعالم

١

مساندة أميركا في الحرب ضد العراق تؤدي إلى نتائج خطيرة

أوضح سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، أن الفتوى التي أصدرها أخيراً وحرّم فيها على المسلمين مساعدة الولايات المتحدة في ضرب العراق، «إنما حرمت ضرب الشعب العراقي وتدمير بناه التحتية»، مشيراً إلى أنه طالب مراراً الشعب العراقي بتوحيد معارضته لإسقاط نظام صدام حسين، حتى أنه أصدر فتوى أجاز فيها للمسلمين التعاون مع العلمانيين في سبيل ذلك. واعتبر أن «المعارضة العراقية خدعت أميركياً»، لافتاً إلى أنه يختلف مع المنطق الذي يتحدث فيه السيد هادي الحكيم ومفاده أن أميركا يمكن أن تحمي الشعب العراقي عندما يثور على حاكمه، «لأن أميركا ليست جمعية خيرية، بل دولة تريد السيطرة المطلقة على بترول المنطقة ومصادرة كل بترول العراق والاستفادة من موقعه الاستراتيجي لمحاصرة أكثر من دولة إسلامية وعربية».

واعتبر أن «هذه المسألة غير متفق عليها في إيران»، وقد تبلّغ أنّ القيادة العليا في إيران أعطت للمعارضين العراقيين حرية الذهاب إلى واشنطن أو عدمه، ورأى «أن هناك فرقاً بين مشروع الحرب ضد العراق عند احتلاله الكويت، ومشروع الحرب

جريدة «**الرأي العام**»، الأربعاء ٢٨ آب ٢٠٠٢م، العدد ١٢٨٥٢.

عليه الآن، لأنه في السابق دخل العرب في الحرب ضده لمساندة الكويت كدولة عربية، أما الآن فليست هناك مبررات دولية لضرب العراق»، وشدد على أن النظام العراقي «أربك شعبه والمنطقة من حوله».

ولاحظ فضل الله أن «أميركا استفادت من أحداث ١١ سبتمبر لتؤكد تحالفها الاستراتيجي مع إسرائيل في ضرب المسألة الفلسطينية في شكل وحشي، وامتدت خطوط الحرب على الفلسطينيين إلى أكثر من بلد عربي، وها هي تهدد السعودية ومصر، لأن المطلوب أن تكون إسرائيل الأقوى عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، كما أن أميركا لا توافق على عودة دور مصر القيادي في المنطقة، ولا أن يكون للسعودية القرار المستقل، مع ملاحظة أن كثيرين ممن تتهمهم بأحداث ١١ سبتمبر، سعوديون، وأن كثيرين من الشعب السعودي يؤيدون أسامة بن لادن، فضلاً عن الكره الذي يحمله هذا الشعب لأميركا».

وشدد على أن «رهان بعض اللبنانيين على أميركا ضد سورية خاسر، لأن دور سورية في لبنان معترف به أميركياً وأوروبياً وعربياً، وأكاد أقول إسرائيلياً»، واصفاً معارضة هذا الدور بـ «الصوتية»، ومشيراً إلى أنه يوافق غسان تويني على تشبيهه الحوار الجاري حالياً بـ «حوار الخرسان، بعدما كان يسميه حوار الطرشان، فهذا الحوار لن يؤدي إلى نتيجة».

ورأى أن «الطائفية في لبنان استطاعت أن تنتج الشخصانية، وأن ما يسمى المرجعيات الروحية هو الديكور الروحي للنظام الطائفي»، مشدداً على أن «لبنان لا يحكم من الداخل، والذين يأتون كقياديين لا يصلون بإرادة اللبنانيين، واللبيب من الإشارة يفهم»، واعتبر أن «الجنوب هو المشكلة المؤجلة حتى حلّ المسألة الفلسطينية».

مواقف العلامة فضل الله جاءت في حديث خاص إلى «الرأي العام» هنا وقائعه:

فصائل المعارضة خدعت أميركياً

■ **أصدرت قبل فترة فتوى تحرم على العرب والمسلمين مساعدة الولايات المتحدة في**

ضرب العراق، فيما كانت المعارضة العراقية في واشنطن تبحث في سبل التخلص من النظام العراقي؟

أصدرت هذه الفتوى التي أحرم فيها على الجميع من الناحية الدينية مساعدة أميركا في ضرب الشعب العراقي والسيطرة على مقدراته السياسية والاقتصادية والأمنية، ودعوت الشعوب الإسلامية إلى أن تغير أنظمتها أو أن تحل مشاكلها من الداخل، لأنني أعرف أن أميركا لن تصْدق في وعودها عندما تعطي الوعود، بل تحاول أن تأخذ شرعية عراقية من لقاء بعض فصائل المعارضة العراقية، وفي تصوري أنها لن تعطيهم شيئاً، ولعلنا نلاحظ كيف تتعامل أميركا الآن مع أفغانستان، فربما أفسحت في المجال لفريق أفغاني تابع لها مئة في المئة، من دون أن نجد أي اعتراض على المجازر التي تقوم بها تحت عنوان الخطأ وما إلى ذلك.

إنني أتصور أن هذه الفصائل من المعارضة العراقية خُدعت أميركياً، لأننا لا يمكن أن نحقق أي نظام ديموقراطي عبر الاستعانة بدولة كبرى تسقط كل الديموقراطيات في تعاملها مع الشعوب.

ليس دفاعاً عن صدام

- **البعض اعتبر هذه الفتوى دفاعاً عن نظام صدام حسين وضدّ إرادة الشعب العراقي لتغييره؟**

عندما تحدثت في هذه الفتوى، تحدثت عن تحريم ضرب الشعب العراقي، لأن الحرب الأميركية على العراق سوف تدمر الكثير من البنية التحتية لهذا الشعب، كما حدث في أفغانستان، بطريقة أو بأخرى، فهل يوافق هؤلاء المعارضون على ضرب الشعب العراقي؟ هذا سؤال. ثم إنني قلت في أكثر من حديث إذاعي وصحافي على مستوى الصحافة العالمية والعربية، إننا ضد نظام العراق، وإننا نطلب من الشعب العراقي أن يعمل بكل قواه وأن يوحّد معارضته في سبيل إسقاط هذا النظام، حتى أنني أصدرت فتوى أنه يجوز للإسلاميين أن يتعاونوا مع العلمانيين في سبيل إسقاط النظام العراقي، ولذلك كيف يمكن أن تحمّل هذه الفتوى أنها تأييد للنظام العراقي وأنها ضد الشعب العراقي؟ أن ما ذكرته في الفتوى هو ما صرح به الكثير من المعارضين الذين قالوا أننا ضد أي عمل عسكري ضد العراق، ونريد تغيير النظام عبر الوسائل الديبلوماسية أو عبر تنفيذ شروط مجلس الأمن وما إلى ذلك، المنطق الذي توحي به الفتوى هو المنطق الذي

يتحدث به المعارضون، فكيف تكون هذه الفتوى لتأييد النظام العراقي؟

لا نثق بأميركا

■ **كيف تفسر وجود السيد هادي الحكيم شقيق السيد محمد باقر الحكيم وابن خالتك، ضمن وفد المعارضة العراقية الذي زار واشنطن؟**

ربما يجد السيد الحكيم أن كل الأساليب التي مورست لإسقاط النظام لم تنفع، وأن الشعب العراقي أصبح شعباً مشرداً في الداخل وفي الخارج، ولذلك يرى أن أميركا هي التي حمت النظام العراقي عندما تحركت الانتفاضة الشعبية بعد حرب الكويت، ولذلك فإن منطق هذه المعارضة هو الطلب من أميركا أن تحمي الشعب العراقي عندما يثور على حاكمه. إنهم يتكلمون أن على أميركا أن تحمي الشعب العراقي عندما يقوم بانتفاضته الشعبية، ولا أدري كيف يتحقق ذلك.

إننا نختلف مع هذا المنطق لأننا لا نثق بأميركا، فهي ليست جمعية خيرية، بل دولة تريد أن تسيطر سيطرة مطلقة على بترول المنطقة، وتعمل على أساس أن تصادر كل بترول العراق وكل استثماراته وكل أسواقه، حتى أنها تريد أن تستفيد من الموقع الاستراتيجي للعراق الذي يمكن أن يحاصر أكثر من دولة إسلامية وعربية بطريقة وبأخرى. المشكلة أن الأزمة التي يعيشها بعض الناس تجعلهم يستغرقون في الزاوية ولا ينظرون إلى الأفق الواسع في المسألة السياسية التي تعتبر هذه الزوايا الصغيرة مجرد تفصيل من تفاصيل الخطة الاستكبارية الكبيرة.

إيران ضد ضرب العراق

■ **هناك تساؤلات حول الموقف الإيراني من هذه المسألة، وخصوصاً أن المعارضة العراقية أو معظمها موجود في إيران؟**

حدثني بعض المسؤولين الديبلوماسيين الإيرانيين، أن كل ما صدر عن القيادة العليا في إيران بالنسبة إلى بعض الفصائل المحسوبة عليها هو: خذوا حريتكم، باعتبار أنكم شعب عراقي ثائر ومعارض، ونحن لا نفرض عليكم شيئاً، بل عليكم أن تتحملوا مسؤولياتكم. سمعنا كلمات من بعض المسؤولين العراقيين ضد حضور الفصائل المعارضة في واشنطن، ما يدل على أن المسألة غير متفق عليها. أما السياسة الإيرانية، فقد عبر عنها وزير الخارجية قبل يومين بقوله أننا ضد ضرب العراق، وهذا ما تحدث عنه مع وزير الخارجية السعودي.

■ **هل اقتنعت بهذا التبرير؟**

هناك اقتناع في عمق الفكرة وهناك ديبلوماسية في الحديث عن الاقتناع.

الفرق بين مشروعين

■ **لكن عدداً كبيراً من الدول العربية شارك الولايات المتحدة في حرب الخليج بعد احتلال العراق للكويت؟**

هناك فرق بين مشروع الحرب ضد العراق الآن ومشروع الحرب عند احتلاله الكويت، لأن مسألة احتلال الكويت كانت موضوعة في دائرة أن نظاماً عربياً اعتدى على نظام عربي آخر، أو أن دولة عربية اعتدت على دولة عربية، لذلك، فإن العرب الذين دخلوا حرباً ضد العراق كانوا يعتبرون أنفسهم في نطاق مساندة الكويت كدولة عربية ضد عدوان دولة عربية أخرى، على أساس أن هذا يربك التوازن العربي، عندما تبدأ أي دولة عربية بضم بلد عربي آخر إليها بحجة أو بأخرى، ما يؤدي إلى فوضى في العلاقات العربية. لذلك، هناك مبرر للمسألة باعتبار أن المطلوب هو تحرير بلد عربي من احتلال بلد عربي آخر. أما الآن فالمسألة ليست مطروحة على هذا الأساس، المسألة الآن أن أميركا تريد أن تعلن الحرب على بلد عربي من دون أن تكون هناك مبررات دولية على أساس القانون الدولي، ما يوحي أن هذا قد ينشر الفوضى، لأن من الممكن جداً أن تنطلق أميركا بعد إسقاط النظام العراقي في طرح إسقاط النظام السوري أو المصري أو ما شابه ذلك، على أساس أنها لا ترضى عن هذا النظام أو ذاك. لذلك فإن مساندة أميركا في الحرب ضد العراق تؤدي إلى نتائج خطيرة على مستوى استقرار الدول العربية وغير العربية، فالخطة الأميركية الجديدة تعطي لنفسها الشرعية لإسقاط هذا النظام أو ذاك بطريقة عسكرية.

فروقات بين العراق وأفغانستان

■ **هناك من يقول إن نظام «طالبان» في أفغانستان كان صنيعة أميركا ضد السوفيات، ومع انسحاب السوفيات تحوّلت «طالبان» العدو الرقم واحد لأميركا، فماذا يمنع أن تستعين المعارضة العراقية بأميركا لإسقاط النظام العراقي، ثم تنقلب ضدها؟**

هناك فرق كبير إذا ما أردنا أن ندرس المسألة. نحن قلنا إننا ضد نظام طالبان، لأنه يشوّه الإسلام، واستطاع أن يسقط كل المعاني الإنسانية لدى الشعب الأفغاني، كما نرى أن النظام العراقي أربك شعبه والمنطقة من حوله. هذه مسألة محسومة في ما نراه من تقويم

النظام هنا أو هناك، ولكن المسألة التي لا بد لنا من أن نعالجها على طريقة القانون الدولي، أن مسألة الحرب على أفغانستان كانت من وجهة النظر الأميركية دفاعاً عن النفس باعتبار أنها اتهمت «القاعدة» في أحداث ١١ سبتمبر واتهمت الحكومة الأفغانية التي تشرف عليها طالبان بأنها تؤوي هؤلاء الإرهابيين، لذلك فالمسألة أن نظام أفغانستان أصبح نظاماً معتدياً على الولايات المتحدة ومشاركاً للقاعدة، وتلك هي الحجة التي قدمتها أميركا للحلف الأطلسي حتى يوافق على مساعدتها والدخول في الحرب ضد أفغانستان، استناداً إلى المادة الخامسة من نظام الحلف الأطلسي التي تقول: «إن أي دولة من دول الحلف يعتدى عليها، فمن حق الحلف أو من واجبه أن يساعدها». هذه المسألة كانت تتحرك داخل القانون الدولي. المسألة ليست أن نظام طالبان سيىء وأساء إلى شعبه ولا بد من تغييره، بل المسألة أن نظام طالبان هو المسؤول عن أحداث ١١ سبتمبر في شكل غير مباشر. أما بالنسبة إلى العراق فما هي المسألة؟ هناك مسألة أسلحة الدمار الشامل وهي موضع جدل الآن بين الأمم المتحدة والعراق، شروطاً وشروطاً مضادة. هناك فرق في المسألة إذا أردنا أن ندرس القضية في بعدها السياسي على أساس القانون الدولي.

■ **هناك قضية النظام العراقي وتعاطيه مع شعبه الذي أصبح مهجراً، بفعل التنكيل به، ولا سيما العلماء الشيعة؟**

هذا صحيح. قلت إنه عندما نريد أن نواجه مشكلة فالقضية ليست أن نحل المشكلة أو لا نحلها، ولكن ما هي آلية حلها، لأنك ربما تحل مشكلة لتواجهك ألف مشكلة عبر الحل. والسؤال: هل الشعب العراقي سوف يتمتع بالأمن من خلال الحرب الأميركية على العراق؟ وهل الحرب الأميركية على العراق سوف تتم في شكل سريع لا يدمر البنية التحتية للشعب العراقي، في الوقت الذي نعرف فيه أن السيناريو الذي يجري الحديث عنه للحرب الأميركية على العراق يلحظ أن أميركا لا بد من أن تبقى خمس سنوات في العراق، وفي حملة احتلال له حتى تستطيع أن ترتب شؤونه؟ وهل تثير أميركا إذا أسقطت النظام حرباً أهلية تماماً كما هي الحرب الأهلية التي كانت في أفغانستان؟ هناك كثير من علامات الاستفهام حول الحرب الأميركية المرتقبة ضد العراق، لنعرف ما هو المستقبل. القضية ليست على الطريقة اللبنانية «حُلّوها بقى»، وأخشى أن يكون الواقع الآن هو واقع بيت الشعر المعروف الذي يقول:

المستجير بعمر عند كربته ... كالمستجير من الرمضاء بالنار.

بعض الأخوة العراقيين يروون مثلاً يقول: «رامول موت يرضى بالسخونة»، وأنا قلت: «رامول موت بسرطان الرئة فيرضى بسرطان المعدة».

أميركا تنفذ تهديداتها

■ **نقترب من الذكرى الأولى لأحداث ١١ سبتمبر، خلال هذه السنة حصلت تطورات كبيرة جداً في العالم والمنطقة، والبارز أن العرب والمسلمين إجمالاً باتوا متهمين بالإرهاب، وجل ما يفعلونه هو رفع هذه التهمة عنهم؟**

لعل مشكلة أميركا من سياسة إدارتها الحالية، أنها استغلت أحداث ١١ سبتمبر من أجل أن تنفذ كل تعقيداتها السياسية ضد الذين يعارضون سياستها في العالم أو ضد الذين تدخل معهم في صراع خفي من حلفائها، لتعمل على إثارة التوتر في حركتها ثم تنفيذ مخططها السياسي. حتى أن هذه الإدارة تجاوزت الأعراف القانونية في تعاملها مع الذين اعتقلتهم تحت تأثير هذه التهمة، أو تحفظت عنهم ليبقوا مدة طويلة من دون محاكمة أو أي حقوق قانونية، ثم بدأت تطرح شعار الحرب ضد الإرهاب من أجل أن تخضع كل الدول التي قد تتحفظ عن بعض مواقع السياسة الأميركية، اقتصادياً وأمنياً، بحيث عملت على إثارة القلق في كل مكان في العالم ربما يختلف مع أميركا في بعض الخطوط السياسية ولا سيما إذا كان من العرب والمسلمين، وبدأت تتحدث عن الخير والشر لتضع بعض الدول في محور الشر، بطريقة ساذجة تبعث على الضحك أكثر مما تبعث على الجدية.

وهكذا، لاحظنا كيف استفادت من مسألة أحداث ١١ سبتمبر لتؤكد تحالفها الإستراتيجي مع إسرائيل في ضرب المسألة الفلسطينية بشكل وحشي على أساس أنها وضعت هذه المسألة في دائرة الإرهاب لتكون الحرب الإسرائيلية على الفلسطينيين حرباً ضد الارهاب. وبذلك امتدت خطوط الحرب على الفلسطينيين إلى أكثر من بلد عربي، باعتبار أنها تساعد المنظمات الإرهابية. ولاحظنا أيضاً كيف أنها فتحت من خلال العنفوان القيادي الجبروتي على العالم لضرب العراق، من دون أن تقدم أي مبرر لذلك عبر علاقته بأحداث ١١ سبتمبر، بقطع النظر عن طبيعة النظام الذي ربما يجد الكثيرون من جيران العراق وغيرهم أنه النظام الذي أربك المنطقة، وربما يربكها وقتاً طويلاً.

لكن السياسة الأميركية في هذه المسألة قد تخلق وضعاً جديداً في العلاقات الدولية، لأن ذلك يعطي أي دولة كبرى الشرعية في أن تشن الحرب على هذه الدولة أو تلك،

لأنها تريد أن تغير نظامها، باعتبار أنه نظام غير شرعي. إن أميركا استطاعت أن تثير الفوضى في العالم لتستفيد من هذه الفوضى اقتصادياً وأمنياً وسياسياً، عبر تنفيذ كل مخططاتها السياسية.

لذلك كنت أقول إن الذين قاموا بأحداث ١١ سبتمبر استطاعوا أن يخدموا أميركا خدمة لم تحلم بها في كل تاريخها، ولو أنها دفعت مئات المليارات للحصول على هذه النتائج في تنفيذ سياستها لما وصلت إلى ذلك، بقطع النظر عن الجهة التي قامت بهذه الأعمال، هل هي جهات إسلامية كما تقول أميركا، أم أنها جهات خفية وضعت في الدائرة الخفية بشكل او بآخر.

إسرائيل الأقوى

- **إضافة إلى العراق، الولايات المتحدة وجهت أنظارها شطر السعودية ومصر، وهما حليفتان لها، كيف تنظر إلى الضغوط الأميركية على هاتين الدولتين؟**

أتصور أن السياسة الأميركية على المستوى الاستراتيجي، عبر التحالف الأميركي ـ الإسرائيلي، مفادها أنه لا يراد لأي دولة عربية أن تكون قوية أمام إسرائيل. المطلوب أن تكون إسرائيل الأقوى عسكرياً وسياسياً واقتصادياً، لأن قوة إسرائيل ترتبط بقوة أميركا في المنطقة، ولهذا فإن أميركا لا توافق على أن يرجع دور مصر القيادي في المنطقة، كما أنها لا توافق على أن يكون للسعودية القرار المستقل في بعض الشؤون السياسية في المنطقة، ولا سيما أنها ومصر لم ترضخا الرضوخ الذي تريده أميركا في المسألة الفلسطينية، ولم تتجاوبا ـ على الأقل في العلن ـ مع الحرب على العراق، بالإضافة إلى أن أميركا تعاني مشكلة بالنسبة إلى السعودية، هي أن الكثيرين ممن تتهمهم بالضلوع في أحداث ١١ سبتمبر هم سعوديون، مع ملاحظة أخرى، هي أن كثيراً من أفراد الشعب السعودي بحسب بعض المعلومات، يؤيدون أسامة بن لادن. قد لا تكون المسألة خصوصية بن لادن، ولكن قد يكون الكره الذي يحمله الشعب السعودي، ككل الشعوب العربية لأميركا. لذلك فإن السلوك الأميركي الذي يتأرجح بين الحملة الإعلامية من جهة، وبعض تصريحات المسؤولين من جهة أخرى، وبعض الضغوط على مصر، مثل قضية محاكمة سعد الدين إبراهيم وما إلى ذلك، ربما يكون المطلوب منه الضغط على السعودية ومصر كي تتنازلا عن بعض مواقفهما الواقعية والمعلنة في المسألة الفلسطينية وفي المسألة العراقية، وربما في مسائل أخرى.

المطلوب هو إضعاف كل الدول العربية حتى على المستوى السياسي، لأن الاستراتيجية الأميركية هي ألا يكون في العرب قوي. ولعل وضع المنظمات الفلسطينية واللبنانية التي تعمل من أجل تحرير الأرض ضد إسرائيل يوحي بذلك، باعتبار أن هذه المنظمات في إصرارها على متابعة الجهاد ضد إسرائيل، تعطي لنفسها حجماً من القوة أمام إسرائيل، وخصوصاً عندما تصرخ الأخيرة من النتائج الأمنية والسياسية التي ترتبت على حركة هذه المنظمات ولا سيما انسحابها بهزيمة من لبنان، أو ما تقوم به الآن لمنع حركة حماس والجهاد وكتائب الأقصى من تنفيذ عمليات في مناطق عام ١٩٤٨، ونصب حاجز بين المنطقتين، ما يعني أن هناك مواقع قوة في الواقع الفلسطيني واللبناني والعربي، والمطلوب أن تسقط كل مواقع القوة لتكون إسرائيل هي الأقوى.

إن السياسة الأميركية بكل تعقيداتها وكل التواءاتها، تتحرك خططها في هذا الاتجاه، ونحن نعرف أن أميركا ليس لها أصدقاء في مستوى يشعرون فيه بالأمن مع صداقتها، وهناك مثل طريف يقول: «العداوة مع أميركا متعبة، ولكن الصداقة مع أميركا قاتلة».

■ **رغم ذلك، فإن العرب يتسابقون على كسب رضى أميركا، وحركتهم منذ ١١ سبتمبر تقتصر على رد الفعل؟**

هناك ضعف طبيعي في الواقع العربي والإسلامي، خصوصاً أن أغلب الأنظمة خاضع للسياسة الأميركية، إضافة إلى الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ولما جاءت أحداث ١١ سبتمبر كان الإحباط والسقوط والضعف. وأستحضر هنا بيتاً من الشعر للمتنبي يقول فيه:

مـن يـهـن يـسـهـل الـهـوان عـلـيـه   مـا لجرح بـمـيـت إيـلام

وسيلة ضغط على سورية

■ **هناك مشروع قانون أمام الكونغرس الأميركي بمحاسبة سورية والبعض في لبنان يؤيد هذا القانون؟**

أتصور أن هذا القرار الذي يفترض ألا ترتاح إليه الإدارة الأميركية، وإن كانت قد تشجع المناخ الذي يتحرك فيه، هو وسيلة من وسائل الضغط على سورية ولبنان معاً. المسألة ليست أن سورية لم تحقق المطالب التي تريدها أميركا بمقدار ما يتصل الموضوع بالمنظمات الفلسطينية واللبنانية في هذا المجال، وعبر دعم الفلسطينيين ودعم العراق،

ولكن اللبنانيين الذين يراهنون على ذلك لا بد من أن يعرفوا أن رهانهم خاسر، لأن دور سورية في لبنان رغم كل هذه التعقيدات معترف به أميركياً وأوروبياً وعربياً وأكاد اقول إسرائيلياً.

■ **ولكن هناك معارضة لبنانية لهذا الدور؟**

إنني أسمي هذه المعارضة المعارضة الصوتية. في لبنان يحبون أصواتهم جيداً، ويعتبرون أن العنفوان هو في كيفية أن يكون الصوت عالياً، وكيف يمكن إثارة الغرائز لخدمة هذا الصوت.

■ **ألا ترى أن هذه العلاقة تحتاج إلى تشذيب وتصحيح؟**

من الطبيعي أننا نعتقد أن هناك مشاكل في العلاقة اللبنانية ـ السورية، ومن الضروري جداً إصلاح هذا الخلل، حتى لا يستفيد منه الذين يصطادون في الماء العكر. ولكننا نتصور أن هناك أكثر من مشكلة في ترتيب الأوضاع في سورية مقارنة بترتيب الأوضاع في لبنان، مع ملاحظة أن بعض اللبنانيين حتى من أصدقاء سورية، قد يربكون سورية ولبنان معاً، لأنهم يحاولون أن يفسدوا في لبنان بالإيحاء للآخرين أن سورية تعطيهم القوة في هذا الإفساد، مع أننا نسمع من أكثر من مسؤول سوري أنهم ضد هذا النوع من الإفساد باسم سورية.

حوار الطرشان والخرسان

■ **نعيش هذه الأيام في لبنان همروجة حوار، كيف تنظر إلى هذه المسألة؟**

كنت أتحدث عن حوار الطرشان، وقرأت اليوم تعبيراً جديداً هو حوار الخرسان لـ«غسان تويني». لا أعتقد أن هذا الحوار يؤدي إلى أي نتيجة، لأن الحوار يحتاج إلى ذهنية حوارية، وهي أن يستعد المحاور هنا وهناك لأن يتقدم خطوة في اتجاه الفريق الآخر، ولكن المسألة هي أن المتحاورين في كل تاريخ الحوار يعيشون إرادة البقاء في أماكنهم على أن يتقدم الطرف الآخر.

■ **سبق الحوار عملية غسل قلوب بين أركان الحكم؟**

كنت أقول دائماً هناك ثلاث لاءات في لبنان هي: لا انهيار لا تقسيم ولا استقرار. المطلوب للبنان ألا يكون دولة كما هي الدول في الخطوط الثابتة للمؤسسات، ليبقى

مسألة أشخاص. الطائفية استطاعت أن تنتج الشخصانية، ليكون كل شخص رمزاً لطائفته، بحيث تكون محاسبته على كل سياسته محاسبة للطائفة. وهنا يدعو الناس بالثبور وعظائم الأمور لأن رمز الطائفة قد خدش أو ما شابه ذلك، المشكلة الآن ليست الطائفية ولكن الشخصانية، عندما يصادر كل واحد طائفته. قد تكون في لبنان ديموقراطية شكلية على السطح، في الجو العام، ولكننا نلاحظ أن ليست هناك ديموقراطية داخل كل طائفة.

■ **هذا يطرح سؤالاً حول دور رجال الدين أو المرجعيات الروحية في لبنان؟**
ما يسمى المرجعيات الروحية هو الديكور الروحي للنظام الطائفي في لبنان.

التوزيع الطائفي

■ **هذا اللبنان يعاني أزمة اقتصادية خانقة وديناً تجاوز الـ٣٠ مليار دولار، كيف تنظر إلى السياسة التي ينتهجها الرئيس رفيق الحريري في هذا المجال؟**
أتصور أن المسألة الاقتصادية هي من المسائل التي تتحرك من خلال طبيعة الخلل في الحكم، وأكاد أقول نظام الطائف، لأن المشكلة هي أن هذا التوزيع الطائفي في قيادة المؤسسات يعني أنك قد لا تجد في هذه الطائفة أو تلك شخصيات تملك حل المشكلة، والمفروض أن تقبل بهذا أو ذاك لأن ليس في الإمكان أبدع مما كان. لذلك، عندما لا يكون هناك نظام طائفي، يمكنك أن تأتي في رئاسة الوزراء أو رئاسة الجمهورية أو رئاسة المجلس النيابي أو الوزراء، بالأشخاص الذين يمثلون الكفاءة في حل المشكلة، ولكن المسألة هي أن النظام الطائفي يفرض أشخاصاً معنيين ولبنان لا يحكم من الداخل، لأن الذين يأتون إلى لبنان كقياديين في المؤسسات لا يصلون بإرادة اللبنانيين. واللبيب من الإشارة يفهم.

■ **كيف تنظر إلى الوضع في جنوب لبنان؟**
أعتقد أن الجنوب هو المشكلة المؤجلة حتى حلّ المسألة الفلسطينية. ليس هناك حل نهائي للجنوب، وسوف يبقى هذا الوضع، لأن اللعبة السياسية الدولية تفرض أن يبقى كل شيء مكانه.

٢

أميركا تمثّل الشر الأكبر في العالم

الحوار مع المرجع الكبير السيّد محمد حسين فضل الله دائماً يكون غنياً، نظراً لما يتمتع به «السيّد» من علم عميق واجتهاد واسع ورؤية ثاقبة للأحداث ونتائجها.

لم يتردّد في الإجابة عن جميع أسئلة «اللواء» في هذا الحوار المفتوح، خصوصاً أن موعد الحوار معه تناسب مع مرور عام على أحداث١١ أيلول ٢٠٠١ التي ضربت أهمّ موقع تجاري في أميركا «مبنى مركز التجارة العالمي في نيويورك»، كما ضربت موقع القرار العسكري لأكبر وأقوى دولة في العالم: «مقر البنتاغون في واشنطن»، وكادت أن تضرب موقع القرار السياسي الأميركي «البيت الأبيض في واشنطن»، هذه المناسبة فرضت تداعياتها على الحوار مع «السيّد»، الذي أشار إلى الحدث وتمايزه لأنه «أصاب أقوى دولة في العالم في الصميم، وأسقط عمق الإحساس الأميركي بالأمن في الداخل»، وذلك «بعدما كانت أميركا تتصوّر أنها تستطيع أن توزّع القلق على العالم، وإذا بأمنها في ١١ أيلول رغم أجهزتها يُصاب في أهمّ المواقع الاستراتيجية».

جريدة «**اللواء**»، الإثنين ٩ أيلول ٢٠٠٢م الموافق ٢ رجب ١٤٢٣هـ.

وحول حربها على العرب والمسلمين قال سماحته: «أميركا بإعلامها تقود الشعوب الغربية ضد الإسلام، وبسبب دين بن لادن اعتبرت جميع المواقع الإسلامية هدفاً»، و«أميركا تتعاون مع الهند وفرضت عقوبات على باكستان، وتحفظت على القنبلة النووية الباكستانية، لأنها ترفض أن تعطي قوة كبيرة لأي دولة إسلامية».

ولا يتردّد «السيّد» في القول إن: «أميركا في أفغانستان عملت للحصول على دعم الدول المحيطة، وعندما التقت مصالح إيران وأميركا حصل التعاون». وحول خطف الطائرات قال: «لا نعتبر أن العمل على قتل ركاب الطائرة أو تحويلهم إلى قنبلة أو ضرب الناس المتواجدين في مركز التجارة العالمي عملاً جهادياً». وحول تداعيات أحداث ١١ أيلول على القضية الفلسطينية قال السيّد فضل الله: «المتضرّر الأكبر من تداعيات أحداث ١١ أيلول هي القضية الفلسطينية، لأن أميركا سوّقت دولياً ولدى بعض الدول العربية أن ما تقوم به المقاومة الفلسطينية يُعتبر إرهاباً».

وحول مستقبل القوة الأميركية قال: «أميركا الآن تتميّز بغباء كبير من خلال سيطرة الذين يحسبون أن قوة أميركا هي في المزيد من المجازر والضغوط والاستفراد، وهي تسير بسرعة نحو الانحدار».

وحول العدوان الأميركي على العراق قال: «أميركا تعمل لاستكمال سيطرتها على المنطقة لتسيطر على بترول العالم، ولتأخذ بخناق أوروبا واليابان، ولتحكم الطوق على إيران، وبالتالي لتتحكّم بدول الخليج بيد حديدية». ويرى «السيّد» أن «الحرب على العراق ليست من أجل تقسيمه، وأن سايكس ـ بيكو ما زال مقدّساً دولياً، وأن إسرائيل ليست بحاجة إلى تقسيم الوطن العربي بعدما دخلت إلى غرف النوم العربية»، وأكّد أن «الشيعة لم يفكّروا حتى على مستوى الوهم في أن تكون لهم دولة على أساس تقسيم العراق»، وأشار إلى فتواه السابقة بتحريم مساعدة أميركا: «أميركا تمثّل الشرّ في العالم، وحربها على العراق ستتحوّل إلى حرب على الشعب، ولذلك أعلنّا فتوانا بتحريم تمكينها من ذلك».

وأعلن «السيّد» أنه «لا يوافق على تدخّل أميركا في بلد عربي أو إسلامي حتى لو على مستوى إسقاط النظام». وجاء في الحوار:

تداعيات أحداث ١١ أيلول

■ **بعد مضيّ عام على أحداث ١١ أيلول، كيف يقرأ السيد محمد حسين فضل الله الحدث وتداعياته على الصعيدين الدولي والإقليمي؟**

عندما نتابع التطورات التي أعقبت هذا الحدث الكبير، فإننا نجد أنه قد فتح لأميركا أبواب العالم بكل آفاقها، لأن المسألة المميّزة في هذا الحدث أنه أصاب أكبر دولة ـ في هذه المرحلة على الأقلّ ـ في الصميم، بحيث إنه مثّل إسقاط أي عمق للإحساس الأميركي بالأمن في الداخل من جميع الجهات، لأن أميركا كانت تتصوّر أنها تستطيع أن توزّع القلق على العالم، وأن تخلق المشاكل الأمنية لأية دولة تهدّد مصالحها دون أن تصاب بسوء، ولهذا فقد عاش الأميركي المواطن تحت تأثير هذه الحالة الأمنية التي يملكها الجهاز المخابراتي الأكبر في العالم، وهو الـ (سي آي إيه) C.I.A، أو الجهاز المحلي المرتبط به وهو الـ (أف بي آي) F.B.I، بحيث إنهما أوحيا إليه بأن ينام على حرير، وإذا بالمسألة ـ الحدث ـ قد اخترقت كل هذا الأمن، بحيث إنها اقتحمت أقوى مركز اقتصادي وأقوى مركز عسكري، وكادت أن تصل إلى أقوى مركز سياسي: البيت الأبيض أو الكونغرس الأميركي حسب الخطة التي كانت مرسومة.

١١ أيلول الصدمة اللامعقولة

ولعلنا نستطيع أن نقول كما قلنا في البداية إن أميركا الإدارة عاشت في حال انعدام الوزن وفي حالة غياب عن دائرة الضوء مدة ساعة، بحيث إنها كانت من دون حكم على الأقل في الواجهة. إن هذا الحدث مثّل الصدمة اللامعقولة في الوجدان الأميركي وبدأت أميركا تشعر ـ وهي الدولة القوية على كل المستويات، وتملك الأسلحة المتقدمة المتطورة والنووية ـ أنها تعيش في وضع داخلي لا يملك أي أساس للقوة، وهي التي كانت تستعرض عضلاتها الإنسانية أمام العالم بأنها دولة الحرية والديموقراطية التي لا نظير لها في العالم، فإذا بها تكتشف أنّ هذه الحرية استطاعت أن تسقط أي أساس للأمن، لأنها فتحت الأبواب لكل الذين يستغلونها في سبيل النفاذ إلى عمق الأمن الأميركي.

ولهذا بدأت الخطة الأميركية تتحرك لتعيد هذا العنفوان ـ عنفوان القوة ـ بالطريقة التي

تستعرض فيها عضلاتها العسكرية لتضرب الضربة التي ينخلع لها قلب الشجاع ـ كما يقولون ـ وكانت أميركا بحاجة إلى القيام بضربة قوية مستعجلة، وكانت أفغانستان هي الساحة، باعتبار أنها أضعف دولة في العالم، ما يمكّن أميركا من استخدام أسلحتها من دون مقاومة، مع ملاحظة أن الإعلام الأميركي استطاع أن يحمّل القائمين عليها مسؤولية ما حدث في أميركا، إن خطأً أو صواباً، واستطاعت أميركا أن تقنع الحلف الأطلسي بأن يدخل معها في هذه الحرب، لتوحي بأن القوة العسكرية الغربية هي في خدمتها، مع تأييد من قِبَل الاتحاد الروسي وغيره. وهكذا كان، وبدأت، ثم عملت في الجانب الآخر على أن تعيد النظر في كل قوانين الحريات، ما جعل أميركا التي تحاول أن ترجم أكثر من دولة بإساءتها إلى حقوق الإنسان، تركل حقوق الإنسان في قوانينها الداخلية برجلها تحت ذريعة حماية الأميركيين من أي عمل أمني. وهكذا تحوّلت أميركا في قوانينها الجديدة إلى دولة من دول العالم الثالث إن لم تزد عليها انتهاكاً لهذه الحقوق.

هذا في ما يختص بالمسألة الأميركية الذاتية، حيث بدأت أميركا تعمل على أساس أن تستفيد من هذه الضربة لتمسك العالم بيديها، بحيث تملك ـ في الخطة الجديدة ـ التدخل في أي بلد في العالم؛ في اقتصاده وسياسته وأمنه وحتى في ثقافته. ولما كان المتّهم الأول ـ وهو بن لادن ـ وتنظيمه (القاعدة) مسلماً، فإن أميركا اعتبرت المواقع الإسلامية هي الهدف الذي تحاول أن تضربه في أي موقع من المواقع باسم الحرب ضد الإرهاب، وقد احتاطت الإدارة الأميركية لنفسها، فلم تسمح لأحد، سواء في أوروبا أم في العالم الثالث، أن يناقش مفهوم الإرهاب. وفي ضوء هذا، فإن أميركا تحدثت بأنه ليس هناك إرهاب خيّر وإرهاب شرّير، وبدأت تستعرض عضلاتها أمام العالم: «إما أن تكونوا معنا وإما ضدنا»؟!

وهكذا استطاعت أميركا أن تقود الدول الكبرى تحت تأثير هذه الصدمة التي لم يمتلك أحد أن يعترض عليها، ليتحاشى تداعياتها النفسية، تماماً كأيِّ مصاب يُصاب بفاجعة ويأتي الناس ليقدموا إليه كل أساليب المواساة والاحتضان والرعاية، وهكذا استطاعت أميركا أن توظف عنوان الحرب ضد الإرهاب، لتستغل هذا العنوان في تخويف أية دولة غربية أو دولة كبرى كروسيا والصين وما إلى ذلك من هذا الإرهاب، وقد استطاعت بإعلامها أن تقود الشعوب الغربية في مواجهة الإسلام، وإن حاولت أن تتحدث «بأننا لسنا ضد الإسلام».

أميركا منعت التحقيق القضائي

■ **قلت إن أميركا عندما ذهبت إلى أفغانستان كانت بحاجة إلى ضربة قوية، فهل أنت تشكك في أن تنظيم القاعدة ليس مسؤولاً عن أحداث ١١ أيلول؟**

لقد قلت منذ البداية إن أميركا لن تسمح لأي تحقيق قضائي دولي أن يدرس هذه المسألة بالوسائل القضائية، التي تتحرّك بالعقل البارد الذي يلاحق الوثائق والمعطيات ويحلل الأحداث، وفي الوقت نفسه يدرس الإمكانيات ويحدد المتهم المستفيد من هذه الأحداث من خلال ما هو متعارف في القضاء. فقد يثار في الاحتمالات القضائية بأن إسرائيل هي المستفيد، وقد يثار في الاحتمالات القضائية، وإن كان بعيداً، بأن بعض صقور الإدارة الأميركية هم المستفيدون، لأن أميركا في الآونة الأخيرة فقدت هذا الوهج الذي يمنحها التحرّك نحو العالم، ما جعل دائرة المعارضة لها تتسع في العالم، وبدأ الاتحاد الأوروبي يتحرك من جهة والاتحاد الروسي من جهة أخرى، ومعنى ذلك أنه كان لا بد من صدمة. لذلك فإنني لا أستطيع أن أحكم بعقلية قضائية موضوعية بأن المتهم من قبل أميركا هو المجرم.

تطويق روسيا ومصالح أميركا

■ **هل تبدّلت الأهداف الحقيقية للوجود العسكري الأميركي في جنوب شرق آسيا (أفغانستان)، لا سيما بعدما باتت القوات الأميركية على حدود الصين وإيران وباكستان؟**

أنا لا أتصوّر أنها تبدّلت، لأن أميركا كانت ولا تزال تنتظر الأحداث والتطورات والوقائع السياسية في العالم من أجل أن تركز قواعدها العسكرية على كل الكرة الأرضية. وكانت هناك ثغرة في الجدار الأميركي بالنسبة لما يتعلق بمنطقة جنوب آسيا، لأن أميركا منذ سقوط الاتحاد السوفياتي تعمل على تجريد روسيا من كل مواقع القوة التي تجعلها دولة كبرى في المحيط الذي يمتد من منطقتها إلى شرق آسيا، وهذا ما لاحظناه عندما بدأت أميركا تغازل وتناصر وتساعد كل الدول التي انفصلت عن الاتحاد السوفياتي، والتي كانت في توق شديد إلى أن تحصل على علاقات جيدة مع أميركا، طمعاً في الحصول على المساعدات الأميركية التي يمكن أن تقدمها لها أميركا، ما جعل أميركا تعمل على حصار روسيا، وهذا الأمر يتطلب أن يكون لأميركا قواعد سياسية وأمنية واقتصادية. ولذلك أعتقد أن أميركا بدأت تنصب الجسر الآسيوي للعبور عليه إلى مصالحها في تطويق المنطقة وفي الحصول على ثرواتها الطبيعية وما إلى ذلك. ونحن

نعرف كيف بدأت أميركا تتدخل وتضغط على أذربيجان لتطل من خلال ذلك على مسألة بحر قزوين، ولهذا نعتقد أن أميركا بدأت الخطوة الأولى في مسافة الألف ميل. ولعلّ المشاكل الأمنية التي كانت تواجه أفغانستان، ربما كانت تملك بعض الضوء الأصفر من الوجود الأميركي هناك، ليكون له مبرر للتمدد وللبقاء طويلاً هناك.

إيران وأميركا مصالح مشتركة

■ **هل يمكن للدولتين الإسلاميتين: إيران وباكستان، الحد من خطورة الاستهدافات الأميركية في منطقة جنوب شرق آسيا، مع ملاحظة أن هاتين الدولتين أظهرتا مواقف مرنة، بل تعاونتا مع القوات الأميركية خلال العام الماضي، في الوقت الذي تنكّرت فيه واشنطن لإيجابيات هذا التعاون؟**

علينا أن نعرف حقيقة سياسية في السياسة الأميركية، وهي أن السياسة الأميركية هي سياسة براغماتية ليست لها مبادئ، بل إنها تتحرك من خلال الوقائع الموجودة أمامها أو الوقائع التي تخلقها، وتحاول أن تزاوج في أكثر من حالة بين التكتيك والاستراتيجية.

نحن نعرف أن أميركا كانت بحاجةٍ إلى دعم دولي، ولا سيما من دول المنطقة المحيطة بأفغانستان لاستكمال حربها على (القاعدة) وعلى طالبان، وقد التقت مصالحها هذه ببعض المصالح الأمنية لإيران، التي تملك حدوداً واسعة مع أفغانستان، وقد عاشت مشاكل أمنية حادة مع نظام طالبان، ولذلك عملت منذ البداية على دعم التحالف الشمالي. وفي ضوء هذا، درست مصالحها بحجم معيّن والتي التقت بطريقة أو بأخرى مع مصالح أميركا في هذا المجال، ولكن إيران لم تغيّر سياستها الاستراتيجية في رفض النفوذ الأميركي في السيطرة على إيران.

■ **ولكن هناك قضية مبدئية بالنسبة للثورة في إيران تستوجب عدم التعاون مع أميركا؟**

الصراع في أفغانستان بحسب طبيعة الواقع المحلي كان بين فريقين أفغانيين، هما التحالف الشمالي وطالبان. لذلك فإن القضايا المبدئية عندما تدرس، ليست قضايا مثالية، وإنما هي قضايا تتحرك في الأمر الواقع، فأنت عندما تكون معرّضاً في مرحلة معيّنة لخطر أمني كبير جداً يمتد إلى عمق أمنك، فمن الطبيعي أن تعمل على أساس تفادي هذا الخطر بالمستوى الذي يتطلبه حجم المرحلة، ثم تعود إلى ما أنت عليه في هذا المجال. لذلك

علينا أن ندرك أن المشكلة التي نواجهها في المفهوم الثقافي الإسلامي، هي أننا نتصوّر العناوين الإسلامية بالمطلق، يعني أن علينا أن نقف مع فريق إسلامي معيّن مثلاً حتى لو تدمرنا مائة بالمائة. هناك مفهوم نزعم فيه أننا دائماً نرى أن الحلول الإسلامية هي حلول واقعية وليست مثالية تعيش في الهواء الطلق، فالكذب في الإسلام حرام، ولكنه يصبح حلالاً إذا توقفت حماية الأمة أو حماية مؤمن عليه؛ أن تحلف بالله كاذباً كي تنجي أخاك من القتل. في ضوء هذا، يمكن لأية دولة إسلامية أن تدرس الخطورة التي تعيشها في مرحلة معيّنة لتعمل على أساس حماية نفسها ثم عندما ينتهي الظرف ترجع إلى قواعدها سالمة.

■ **ولكن هل ما كانت تقوم به القاعدة وطالبان على حدود إيران يعادل حجم الخطر الذي يمثله الوجود العسكري الأميركي على حدودها؟**

لقد شعرت إيران بأن الخطر الأميركي قادم لا محالة، وكانت إيران تفكر كيف يمكنها أن تخفف منه ولو مرحلياً، لأنها كانت تدرك من خلال هذه الهجمة العالمية على أفغانستان بأن المسألة دخلت في نطاق اللامعقول، بحيث لا مجال لأحد في تلك المرحلة أن يتحفّظ أو أن يواجه وما إلى ذلك.

■ **ولكن ألا تعتبر هذا التعاون رسائل إيرانية إلى أميركا؟**

عندما تتحدث عن التقديمات فإن عليك أن تنظر في القضايا على مستوى النتائج، فنحن نلاحظ أن أميركا التي رحّبت ببعض ما اعتبر تعاوناً مع إيران حول المسألة الأفغانية، بدت أكثر شراسة ضد إيران، لأنها شعرت بأن إيران بدأت تتدخل في أفغانستان من خلال الفريق الذي يؤيدها، وشعرت بأن إيران تريد أن تدعم سيطرتها على الواقع الأفغاني، حيث بقيت تقدم المساعدات الاقتصادية لأفغانستان، هذا في الوقت الذي امتنعت فيه الدول المتحالفة مع أميركا عن تقديم مثل هذه المساعدات، حتى أن أميركا وضعت إيران في «محور الشر» وبدأت تهددها، وفوق ذلك، فقد سحبت تعاطفها مع الرئيس خاتمي وبدأت تشجّع الملكية.

أما مسألة باكستان، فإننا نعرف أن أميركا ومعها إسرائيل لا تريد لأية دولة إسلامية أن يكون لديها قوة كبيرة جداً، ولهذا كانت تحفظاتها على القنبلة النووية الباكستانية وتوجيه العقوبات لباكستان، حتى أنها لم تفرج عن الطائرات التي اشترتها باكستان منها

ودفعت ثمنها، وهذا ما لاحظناه عندما رأينا كيف أنها قلبت لباكستان ظهر المجن وبدأت تقترب من الهند وتحوّلت إلى اتهام الفريق التحرري في كشمير بالإرهاب، وهي التي من المفروض أنها اعترفت بقرار مجلس الأمن بحق تقرير مصير الكشميريين، عادت لتتحدث عنهم أنهم إرهابيون. إن السياسة الأميركية في إطار علاقاتها بباكستان والهند، هي أنها تريد أن تجذب الهند إلى سياستها مع إبقاء باكستان هامشاً من هوامشها.

أميركا في أفغانستان متعبة

■ **بعد مضي عام تقريباً على الحرب التي قادتها أميركا للقضاء على (القاعدة) و(طالبان)، تؤكد الوقائع أن المواجهات ما زالت مستمرة. هل ما زلتم تعتقدون أن الوجود العسكري الأميركي سيواجه المصير ذاته الذي تعرّض له الوجود العسكري السوفياتي؟ وهل مقوّمات المقاومة متوافرة؟**

لا أتصوّر بأن الوضع بهذا الحجم، ولكن علينا أن نعرف أن هناك فوضى سياسية ـ أمنية داخلية بين فصائل التحالف على مستوى الصراع على السلطة في أفغانستان. وهذا ما جعل فلول الطالبان أو القاعدة تستفيد من هذه الفوضى الأمنية لمواجهة القوات الأميركية أو الأوروبية، بطريقة أو بأخرى. لن يحدث بحسب طبيعة موازين القوى ما حدث للاتحاد السوفياتي في أفغانستان، لأن أميركا ومعها الغرب كله كانوا مع المجاهدين ضد الاتحاد السوفياتي، بينما لا يملك الآن المعارضون لسياسة الوجود الأميركي مثل هذه القوة الدولية. ولكنني أتصوّر أن الوجود الأميركي سوف يكون مُتعباً في أفغانستان.

قضية الإرهاب

■ **الحرب التي أعلنتها إدارة بوش على ما تسميه إرهاباً، تشكل العنوان الكبير لتداعيات أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١، ما هي الحدود الفاصلة بين نهج الحركة الإسلامية وبين الإرهاب كمفهوم سياسي وثقافي؟ ولماذا لم يستطع المسلمون حتى الآن إيجاد القدرة الحقيقية على مخاطبة الآخر على الصعيد الدولي، حيث نهج التطرّف في كلا المعسكرين هو السائد وليس الاعتدال؟**

هناك واقعان في الحركات الإسلامية؛ هناك الواقع الذي يتمثل في المجازر التي يقوم بها بعض المحسوبين على الحركة الإسلامية كما في الجزائر، أو مما ينسب إلى (القاعدة) في أحداث ١١ أيلول. إن مثل هذه الأعمال بقطع النظر عن الفروق التي تفصل بين بعضها

البعض، تمثل عملاً إرهابياً في أكثر من موقع من مواقعها، لأننا لا نعتبر أن العمل على قتل كل ركاب الطائرة وتحويلهم إلى قنبلة من دون خيار أو ضرب الناس المتواجدين في مركز التجارة العالمي بقطع النظر عن جنسياتهم وأديانهم يمثّل عملاً جهادياً، مع ملاحظة النتائج السلبية على العالم الإسلامي كنتيجة لهذا الحدث. كما أن قتل النساء والأطفال والشيوخ والمواطنين إذا كانت نسبة هذا العمل إلى بعض من ينسبون إلى الإسلام صحيحة ولم تكن ناتجة من عمل أجهزة أمنية كما يتهم به البعض في الجزائر، فإنها تمثّل عملاً وحشياً إرهابياً بأقصى ما يكون الإرهاب.

الواقع الثاني هو واقع حركة القتال من أجل التحرير، وهذا ما يقوم به الفلسطينيون وما يقوم به الكشميريون في ذاته، هذا الذي يواجه عدواً محتلاً للأرض ومصادراً لحريات الشعوب. إن مثل هذا العمل هو عمل جهادي كفاحي تحريري يخضع لكل الموازين الحضارية الدولية في مسألة الحرية والحصول عليها، لأننا نلاحظ الذين قاتلوا لزوال الاستعمار البريطاني في العالم أو الذين وقفوا بمواجهة النازي في فرنسا كان عملهم عملاً تحريرياً. لذلك فنحن نعتبر أن العمل الذي يقوم به الفلسطينيون والعمل الذي قام به اللبنانيون هو عمل تحريري معترف به من كل بلدان العالم. ولكن سياسة أميركا ـ وهذا من تداعيات أحداث ١١ أيلول ـ المتحالفة مع السياسة الإسرائيلية، حاولت أن تسوّق مسألة الحرب ضد الإرهاب في داخل فلسطين، لتضع المنظمات الجهادية التحريرية كحماس والجهاد الإسلامي ثم الجبهة الشعبية وكتائب الأقصى، إلى آخر القائمة، وحزب الله في لبنان في دائرة الإرهاب، على أساس العمليات الاستشهادية أولاً باعتبار أنها ضد المدنيين، ولكن من دون أن تتهم الدولة العبرية بالإرهاب عندما تقتل المدنيين. ولذلك فإن المتضرر الأكبر من قضية أحداث١١ أيلول هي القضية الفلسطينية، لأن أميركا ومعها إسرائيل استطاعتا أن تقنعا الاتحاد الأوروبي والاتحاد الروسي، وحتى بعض الدول العربية، بأن المنظمات التي تقوم بالعمليات الاستشهادية أولاً ثم التي تقاتل إسرائيل حتى في مناطق احتلالها هي منظمات إرهابية.

العرب والضغط الأميركي

■ **ولكن المسلمين لم يستطيعوا إيجاد القدرة على مخاطبة الآخر؟**

أنا أعتقد أن المسألة ليست في أسلوب الخطاب، لأن المسلمين حاولوا أن يكونوا حضاريين في خطابهم إلى الحد الذي تحوّل الخطاب فيه إلى خطاب ذل، على طريقة

الشاعر بدوي الجبل الذي قال: «تأنّق الظلم حتى صار غفرانا». فالمسألة أن المسلمين سقطوا كدول، وخصوصاً الدول العربية، تحت تأثير التهويل الأميركي، وشعروا بأن التطورات تفرض عليهم أن يبرئوا أنفسهم من هذه التهمة: تهمة الإرهاب أو تهمة دعم الإرهاب، حتى أنها طاولت أكثر الدول ارتباطاً بأميركا ممن يعتبرون من الأصدقاء والحلفاء التقليديين لأميركا في العالمين العربي والإسلامي. لهذا فإن المسألة هي أن المسلمين لا تمثلهم وحدة سياسية، وأن منظمة المؤتمر الإسلامي لا تمثّل شعوبها.

■ **ولكن المنظمات الأهلية الإسلامية.. أين دورها؟**

المنظمات الأهلية الإسلامية أولاً مصادرة من قبل الأجهزة الأمنية والمخابراتية وأجهزة قوانين الطوارئ، ولذلك عندما نلاحظ المحاكمات العسكرية التي تواجه هذه التنظيمات السياسية على اختلاف انتماءاتها، فإننا نجد أن الأنظمة في البلاد العربية والإسلامية أصبحت موظفة لدى أميركا من أجل محاصرة وتحجيم وضغط كل القوى الإسلامية الأهلية. وأكثر من ذلك، فإننا نلاحظ أن كثيراً من الدول خضعت للضغط الأميركي، خصوصاً في موضوع التهديد الضمني بحجز الأرصدة التي يملكها الكثير من أهل الخير أو من الجمعيات الخيرية لحسابات وقيود على الطريقة الأميركية، حتى أن الخبراء الأميركيين قدموا إلى أكثر من بلد عربي وإسلامي ليشرفوا على التدقيق في حسابات الجمعيات الخيرية وفي الإيحاء بحصار كل رجالات الخير الذين يتبرعون بزكاتهم أو بمساعداتهم للأيتام والمعاقين وللمجاهدين الشهداء وما إلى ذلك. لهذا فإن ما يسمّى بالعالم الإسلامي والعربي هو عالم تُصادر فيه الشعوب ويحكمه العجز والفشل والهزيمة النفسية.

■ **ولكن التطرّف هو الأعلى صوتاً ولا يوجد اعتدال لدى الطرفين؟**

إنني أعتقد أن الطريقة الأميركية في ما يسمّى بالحرب ضد الإرهاب سوف تعمّق الإحساس بالقهر لدى الشعوب العربية والإسلامية إلى المستوى الذي يصل إلى حد اللامعقول في المنطقة، كما أنني أستطلع من خلال بعض المتابعات للاتحاد الأوروبي وبعض الدول الأخرى أنها أصبحت تشعر بثقل الضغط الأميركي على السياسة الدولية التي ترتبط بها مصالحها، وأضحت تواجه في الخطاب الأميركي نزعة أميركية في المسألة السياسية والأمنية تعمل على أساس التفرّد بالعالم ومحاولة اتباعه بها، وإذا كانت أوروبا أو روسيا بحاجة بفعل المصالح الحيوية إلى علاقات مميّزة مع أميركا، فإننا نعتقد أنها

تخطط للتحرر المستقبلي من هذه العلاقات حفاظاً على مصالحها، ولا سيما الاقتصادية، التي من أماراتها أننا نشعر بوجود حرب مريرة بين الاقتصاد الأميركي والاقتصاد الأوروبي.

مقاطعة البضائع الأميركية

■ **هل ترى أن المسلمين سيشكلون في المرحلة المقبلة حالة ضغط على المشروع الأميركي؟**

إنني أتصوّر أن بعض الظواهر الصغيرة التي بدأت تطفو على السطح الإسلامي في مقاطعة المسلمين للبضائع الأميركية ولو بحجم محدود جداً، يدلّ على أن الساحة الإسلامية يمكن أن تتطوّر في المقاطعة الشعبية العفوية كلما ازدادت أميركا ضغطاً على القضايا الإسلامية ولا سيما القضية الفلسطينية.

فلذلك نلاحظ أن أميركا بدأت تخصص ميزانيات كبيرة من أجل الدعاية الأميركية الموجهة إلى العالم الإسلامي لتحسين صورتها من خلال شرح سياستها ومساعداتها للعالم الإسلامي، ما يعني أنها تشعر بالخطورة في جانب المشاعر والأحاسيس الموجهة ضد السياسة الأميركية في العالم الإسلامي.

■ **إلى أين تقود أميركا العالم بتطرّفها؟ وما هي الأسباب التي تحول دون تبلور منظومات دولية حقيقية لمواجهة هذه القيادة العمياء للعالم؟**

برأيي أن الإدارة الأميركية الآن تتميّز بغباء منقطع النظير، من خلال سيطرة بعض الذين يحسبون أن قوة أميركا هي في المزيد من المجازر ومن القتل ومن التفرّد في العالم. ولذلك فإنني أتصوّر أن أميركا التي تعمل على أن تصعد نحو القمة نجد أنها تسير بسرعة نحو الانحدار.

■ **أين أصبح دور منظمة الأمم المتحدة؟ وما هي العوامل التي أطاحت بالدعوة إلى مؤتمر دولي يحدد مفهوم الإرهاب؟**

إنني أعتقد بأن المنظمات الدولية أصبحت في قبضة أميركا، لا سيما أن الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن لسبب ولآخر لا تجرؤ على مواجهة الموقف الأميركي في أية قضية، ولعل قضية الصراع الفلسطيني ـ الإسرائيلي أبلغ شاهد على ذلك، حيث لم

يستطع مجلس الأمن أن يقوم بأية إدانة للمجازر الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، بالرغم من أن كثيراً من مسؤولي هذه الدول يقفون مواقف حادّة ضد التصرفات الإسرائيلية.

المحور: العرب وأميركا

■ **أميركا تحضّر لعدوان على العراق بحجة تغيير نظامه. برأيكم، ما هي الأهداف الحقيقية لهذا العدوان؟ هل هو نفط العراق، أم تقسيم العراق تمهيداً لإعادة النظر بالخريطة العربية الراهنة لصالح الجغرافيا الإسرائيلية؟**

أولاً، إن السياسة الأميركية هي التي تصنع الأنظمة، حتى إذا استنفدت كل أغراضها منها عملت على إسقاطها. لقد استطاعت أميركا أن تصنع هذا النظام بالطريقة التي استطاع أن يدمّر فيها شعبه، وأن يربك الواقع العربي، وأن يخوض حربين دمّرتا الاقتصاد العراقي والخليجي والإيراني، وأسقطتا الكثير من القضايا العربية، ولا سيما في ميدان الصراع العربي ـ الإسرائيلي، وأعتقد أنه استنفد أغراضه لأنه لم يعد صالحاً لخدمة الأغراض الأميركية بعد الآن، لأنه فقد أية مصداقية في الداخل وفي الخارج، وإذا كانت هناك بعض العواطف والمشاعر العربية التي تقف مع هذا النظام الآن، فإنها تتحرّك على طريقة المثل القائل: «لا حبّاً بعلي ولكن بغضاً بمعاوية»، لأننا نعرف أن العرب مثقلون بهذا النظام بكل مواقعهم، ولكنّ هناك ظروفاً معيّنة تفرض عليهم ذلك، هذا أولاً.

وثانياً، إن أميركا تخشى من أن تؤدي هذه الأوضاع الحادة المتوترة داخلياً والتي تحيط بها أوضاع متوترة إقليمية إلى نظام جديد لا يكون على صداقة مع السياسة الأميركية، وهذا ما لاحظناه عندما انتهت حرب الكويت وبدأت الانتفاضة الشعبية في العراق، وخيّل للجميع بأن هذه الانتفاضة سوف تنتصر، وأن لإيران دوراً كبيراً فيها، تدخّل الجيش الأميركي في إمداد النظام العراقي بما يحتاج إليه من البترول لآلياته أو لبعض الآليات من أجل إسقاط الانتفاضة.

أميركا والنظام العراقي

■ **هل هذه معلومات؟**

هذه معلومات دقيقة، حتى أن مسؤولاً أميركياً قال: «قلنا لهم دافعوا عن وطنكم»، والعراقيون كلهم يعرفون أن الانتفاضة الشعبية سقطت تحت تأثير مساعدة أميركا للنظام، ولعلنا نعرف جميعاً من خلال الإعلام الاستهلاكي أن الرئاسة الأميركية والقيادة

العسكرية صرّحتا «بأننا لا نريد إسقاط النظام بصراحة»، ويمكن مراجعة الأرشيف بهذا الشأن.

وثالثاً، إن أميركا تريد، مع هذه الملاحظات، أن تستكمل سيطرتها على المنطقة، لأن القرن العشرين كان قرن البترول في السياسة الأميركية التي تريد أن تسيطر على بترول العالم لتأخذ بخناق أوروبا واليابان، وإذا كان النظام العراقي قد أفسح المجال لأميركا لأن تشتري النفط، فإن أميركا تريد أن تسيطر على سياسة النفط، وهذا ما فعلته عندما كانت ترتفع أسعار النفط، وذلك من خلال سيطرتها على أكثر دول «أوبيك» التي كانت تتحرك مع السياسة الأميركية في تخفيضها لأسعار النفط وتسويقه وما إلى ذلك. هذا من ناحية، ومن ناحية ثانية، فإنها تريد أن تحكم الطوق على إيران، لا لتضرب إيران عسكرياً ـ فهذا غير وارد في حسابها ـ ولكن من أجل أن تضغط على إيران أكثر، ومن خلال فصائل المعارضة للنظام الإسلامي في إيران.

ومن ناحية ثالثة، فإن الخليج بدأ يقلق أميركا، باعتبار أنه في كثير من مواقعه يؤيّد بن لادن، حتى أن بعض المواقع الرسمية متهمة بأنها كانت تؤيّده ولا تزال، ولذلك فإن أميركا تريد من خلال السيطرة على العراق أن تسيطر على الخليج بيد أكثر حديدية.

تقسيم العراق

■ **هل تريد أميركا تقسيم العراق؟**

بالنسبة لقضية التقسيم، لا عراق ولا تركيا ولا إيران، إن سايكس ـ بيكو هو القانون المقدّس حتى الآن دولياً.

■ **ولكن يقال إن هناك سايكس ـ بيكو جديداً لصالح الجغرافيا الإسرائيلية؟**

لا ليس هناك سايكس ـ بيكو جديد، لأن إسرائيل ليست بحاجة إليه، كانت إسرائيل بحاجة في الخمسينيات والستينيات لتقسيم العالم العربي إلى دويلات، ولكنها الآن دخلت غرف النوم العربية، فهي ليست بحاجة إلى سايكس ـ بيكو جديد.

■ **ولكن المعارضة العراقية بكلّ ثقلها أعلنت موافقتها على قيام فيدرالية في العراق؟**

حتى الآن لم تنضج الفكرة. صحيح أن المعارضة العراقية التي انفتحت على المسألة الكردية تحدثت عن الفيدرالية في ظل وحدة عراقية، أو اتحاد عراقي، ولكن هذا الطرح ليس وارداً في المطبخ الدولي، على الأقل في المرحلة الراهنة. إن أي تحرك للوضع الكردي في أي منطقة سوف يربك أكثر من دولة في المنطقة، ولا أعتقد أن المسألة الكردية بلغت من النضج حداً يبرر ذلك، خصوصاً أن الوجود الكردي في تركيا هو أضخم من الوجود الكردي في العراق أو في إيران.

■ **هناك مقولة بشأن التقسيم بإنشاء دولة شيعية في الجنوب وسنيّة في الوسط وكردية في الشمال؟**

الشيعة لم يفكّروا حتى على مستوى الوهم في أن تكون لهم دولة على أساس تقسيم العراق، لا على المستوى الشعبي ولا على مستوى الحركات السياسية. ثم إن معنى وجود دولة شيعية في الجنوب يعني أنها كادت تكون دولة ملحقة بإيران، لأنها تقع على الحدود الإيرانية، وهذا مما لا يوافق عليه لا دول الخليج ولا السياسة الأميركية، لذلك فهذا ليس وارداً في هذا المجال، كما أن مسألة تقسيم العراق ليس لها أي عمق في الواقع الشعبي العراقي لا السنّي ولا الشيعي.

■ **ولكن عملياً هناك في الشمال تقسيم الآن؟**

كلا، إن تقسيم الشمال الآن تماماً كتقسيم لبنان في أيام الحرب. إن هذا التقسيم هو طريق الوحدة، لأن الغرب يعرف أنه لن يستطيع أن يحلّ مشكلاتنا.

■ **تقولون إنه ليس هناك مشروع لإقامة دولة شيعية في الجنوب؟**

إنني أستطيع القول إن الشيعة يريدون فقط أن يعيشوا في وطن يتساوون فيه كمواطنين مع الآخرين، في العراق، في لبنان، وفي أي بلد آخر.

■ **ولكن إذا كان هناك فيدرالية في العراق؟**

إن الشعب العراقي لا يملك قرار الفيدرالية، إن قرار الفيدرالية عندما يحدث هو قرار دولي متآخٍ مع قرار إقليمي، وهذا ليس وارداً في الحساب حتى الآن. ونحن لا نتحدث في السياسة بالمطلق، لكن نقول إن المعطيات الموجودة بين أيدينا لا تدل على أن هناك فيدرالية.

أميركا تمثّل الشر ومساعدتها محرّمة

■ **أصدرتم فتوى تحرّم مساندة أميركا في عدوانها على العراق. ما الذي دفعكم إلى إصدار هذه الفتوى في الوقت الذي كانت المعارضة الإسلامية العراقية تشارك في اجتماعات تنسيقية مع الإدارة الأميركية في واشنطن؟**

أولاً، ليست كل المعارضة الإسلامية ممثّلة في الوفود التي ذهبت إلى واشنطن، بل هناك معارضة إسلامية تمثّل أقوى المعارضات على أرضها، ألا وهو حزب الدعوة الإسلامية الذي يرفض العلاقات مع أميركا.

وثانياً، إنني أعتبر أن أميركا تمثّل الشر في العالم، وأن حربها على العراق سوف تتحوّل إلى حرب على الشعب العراقي. ولقد كانت الفتوى بأنه لا يجوز مساعدة أميركا في ضرب الشعب العراقي وتمكينها من السيطرة على مقدّراته الاقتصادية والسياسية والأمنية. أما قضية النظام، فإننا معارضون للنظام، ونحن نشجّع أية حركة شعبية لإسقاط هذا النظام، حتى أنني أصدرت فتوى جواباً عن سؤال قدّم لي من بعض فصائل المعارضة العراقية: هل يجوز للإسلاميين أن يتعاونوا مع العلمانيين على إسقاط النظام؟ فقلت: يجوز ذلك إذا توقف إسقاط النظام عليه.

لا للتدخّل الأميركي

■ **يعني القوى الداخلية العراقية؟**

نحن لا نوافق على تدخّل أميركا في أي بلد عربي أو إسلامي، حتى على مستوى إسقاط النظام لحساب مصالحها الخاصة، لأننا نريد للبلاد العربية والإسلامية أن تكون حرّة في قراراتها السياسية، وأن لا يفرض عليها ذلك.

ثم هناك نقطة استراتيجية على مستوى التوازن السياسي في العالم، وهي أننا لو أفسحنا المجال لأميركا أن تسقط نظاماً، بقطع النظر عن طبيعته، لمجرد أنها لا ترتاح له، فسوف تتحوّل المسألة إلى فوضى دولية، لأنه يصبح هناك حق لكل دولة كبرى في أن تسقط أي نظام إذا لم يعجبها وتتفرّد بإسقاطه.

■ **هل أنتم في هذه الفتوى على تناقض مع علماء العراق الإسلاميين في قضية التعاون مع أميركا لتغيير النظام في العراق؟**

لهم رأيهم ولنا رأينا، ربما كانوا يفكّرون ـ وقد صرّحوا بذلك ـ أنهم ضد حرب أميركا في العراق، وقالوا بأنهم طلبوا من أميركا أن تحمي حركتهم في إسقاط النظام، وأن لا تقوم بتجربتها السابقة في إسناد النظام ضد الانتفاضة الشعبية، هذا هو منطقهم. إذاً منطقنا لا يتعارض مع منطقهم.

■ **هم يقولون نطلب حماية الشعب العراقي وتفعيل القرارات الدولية.. ألم يروا ماذا فعلت أميركا بالقرارات الدولية في فلسطين؟!**

بإمكانك أن توجّه السؤال إليهم.

إيران والعدوان على العراق

■ **لم تبدِ القيادة الإيرانية أيّ اعتراض على مشاركة بعض الفصائل الإسلامية العراقية في اجتماعات واشنطن. ما هي أسباب ذلك؟ وهل لدى إيران تطمينات أميركية بأن تداعيات حربها على المنطقة لن تشملها؟ وهل تستطيع إيران اليوم تجنّب أخطار الغد الأميركية؟**

إنّ الإيرانيين يقولون إنهم لا يتدخّلون في قضايا العراقيين، فهم قالوا لهم لكم حريتكم ونحن لا نمنع أحداً، وبإمكانك أن تجري حديثاً معهم.

■ **ولكن الكل يعلم أن المجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق يتواجد بقدراته العسكرية والسياسية في إيران؟**

أنا أفهم ذلك، وقد قلت لهم ذلك، وموقفي هو ملاحقة أميركا بحجمي الصغير الصغير جداً في أي مكان في العالم، فلقد علّمنا الله أن على المستضعفين أن لا يتحركوا في خطط المستكبرين، قال الله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾، يعني تحصلوا على القوة، ﴿فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيرا﴾.

■ **هل هناك بعض التطمينات بأن أميركا لن تمدّ يدها بالشرّ إلى إيران بعد العراق؟**

أنا أعرف أن أميركا لا يمكن أن تقوم بأي حرب ضد إيران، لأن ذلك سوف يقلب الأوضاع في الخليج رأساً على عقب. ولكن أميركا تحاول بكل جهدها أن تربك النظام الإسلامي في إيران.

العرب والمواجهة

■ **ما هو تقييمكم للموقف العربي الحالي في مواجهة الهجمة الأميركية، وما هي الوسائل العربية المتاحة للمواجهة؟ وهل يملك العرب حقاً وسائل ضغط على أميركا؟ لأن الأميركان يقولون إن العرب يصرّحون بشيء ويقولون لنا شيئاً آخر؟!**

ولعلّ الأمر كذلك، إنني أتذكّر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم وإنّما نحن مستهزئون﴾. هل بلغ العرب مرحلة اليأس من إعادة الموقف الأميركي إلى اعتداله المطلوب كراعية للنظام الدولي الحالي؟

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرحٍ بميتٍ إيلام

■ **ما هي قدرة الموقف الأوروبي على تخفيف الاندفاعة الأميركية الحالية تحت شعار محاربة الإرهاب؟**

إنني أتصوّر أن المسألة ليست في الموقف الأوروبي الذي لا يملك فاعلية في لجم أميركا إلا من خلال بعض المواقف، ولكن علينا أن نحدد هل يرضخ العراق لشروط الأمم المتحدة بالسماح بعودة المفتشين أم لا؟ فإذا سمح بذلك فإن هذا يُربك الموقف الأميركي.

■ **هناك من يقول إن النتائج الأساسية للهجمة الأميركية في ١١ أيلول ستكون على حساب قضية الشعب الفلسطيني؟**

لعلّ الدلائل تشير إلى ذلك، ولكن صمود وقوة الشعب الفلسطيني هما اللذان يحددان النتائج ويربكان هذا التصوّر. نحن نراهن وندعو الله أن يعطيهم القوة، نراهن على استمرار هذا الصمود، وأعتقد أن الشعب الفلسطيني الذي شعر بأنه ليس لديه ما يخسره الآن، موقفه هو ما ينسب إلى طارق بن زياد: «البحر وراءكم والعدو أمامكم، وليس لكم والله إلا الصدق والصبر».

٣

أدعو إلى حالة طوارئ ثقافية إسلامية

أكد سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله أن الوضع الأمني الذي تسببت به التهديدات الأميركية استتبع وضعاً اقتصادياً سلبياً شغل العالم الإسلامي، بحيث إن المسألة الثقافية أصبحت مسألة تعيش في الشوارع الخلفية للذهنية العامّة للإنسان المسلم أو الإنسان العربي، وبحيث أصبحت مسألة التوعية مسألة لا تخلو من صعوبة، باعتبار أن الناس تعيش همّها وخبزها اليومي في الأمن وفي السياسة وفي الإعلام والاقتصاد وما إلى ذلك. ورأى أنه لا تزال هناك فرصة كبرى للطليعة المثقفة، من علماء دين أو مثقفين وخطباء وكتّاب وأدباء وسياسيين ومسؤولين، في القيام بحملة نوعية لإبراز خلفيات هذه الحرب ضد الإسلام والمسلمين والعرب والعروبة، وفضح الخطط التي تخطط من أجل إسقاط العالم الإسلامي والعربي تحت تأثير السياسة الأميركية في السيطرة على العالم، وفي استكمال تأكيد نفوذها على كلّ مواقع الثروة والأمن والسياسة في العالم. جاء ذلك في لقاء أجرته جريدة «المدينة السعودية» مع سماحته ومما جاء في الحوار:

أحمد الزغبي، جريدة «**المدينة**» السعودية، ٢٠٠٢/٨/٢٢م.

صدمة سياسية وتحدٍ ثقافي

■ **بداية، ما الذي غيّرته أحداث الحادي عشر من أيلول في وعي العرب والمسلمين وعلاقتهم بالعالم؟ وما هي حالُ ثقافتنا بعدها؟ بمعنى أدقّ، هل ثمّة عصر ثقافي جديد بدأت فصوله؟**

إن أحداث الحادي عشر من أيلول ربّما شكلت صدمة سياسية انفتحت على تحد ثقافي كان مثاراً ومتحركاً قبل ذلك، ولكن بطريقة عادية، فتحوّل بفعل أحداث «١١ أيلول» إلى ما يُشبه الزلزال السياسي المنفتح على اهتزازات ثقافية.

إنّنا نعرف أنه كان هناك جدلٌ في العالم الإسلامي والعربي بالذات حول مسألة التطرف والاعتدال، ومسألة الإرهاب بشكل وبآخر، ومسألة الطروحات التي تحمل الكثير من العناوين، وفي مقدّمتها عنوان«الأصولية» الذي أصبح تهمة لأكثر من حركة إسلامية، على أساس أنّ القضية هي إلغاء الآخر واعتبار «العنف» الوسيلة الوحيدة للتغيير من خلال المصطلح السائد «للأصولية» في الغرب.

وكانت المسألة تُثار بين وقت وآخر لتتوجّه إلى منظمة هنا ومنظمة هناك مما كان يعيشه العالم العربي والإسلامي. كما كانت توسم بعض الحركات الإسلامية في هذا الاتجاه بالإرهاب، وفي مقدمتها ما كان يحدث في الجزائر، أو في عمليات الخطف التي كانت تحصل في لبنان، أو في التفجيرات التي كانت تحدث بين وقت وآخر في لبنان أو غير لبنان من العالم، ممّا كان يدور الجدل فيه على المستوى السياسي والأمني. ومن الطبيعي أن ذلك كله كان يرتكز على قاعدة ثقافية. حتى هنا كانت المسألة تتحرك بشكل هادئ يملك بعض الحرارة في هذا البلد أو ذاك تبعاً لطبيعة المشاكل التي تحدث من خلال منظمة تتخذ العنف هنا والعنف هناك.. حتى جاءت أحداث «١١ أيلول»، التي أدت إلى حالة أشبه بالزلزال، لضخامة الحدث أولاً، وللأسلوب الذي استخدم في التفجير مما لا سابق له في العالم، حيث تنطلق الطائرات لتتفجّر في مركز التجارة العالمي أو البنتاغون، ولتخطط للتفجير للكونغرس الأميركي والبيت الأبيض. ثم ثانياً إن المستهدف هو أميركا التي تقف على رأس الهرم في القيادة السياسية للعالم بحسب الأمر الواقع.

أميركا جيَّشت العالم ضد الإسلام

ومن الطبيعي أنّ هذه الصدمة العنيفة لأميركا جعلتها تفتش عن المتهم في هذا المجال،

لأن الإدانة كانت جاهزة لديها، باعتبار شخصية بن لادن الذي كان متهماً أو مسؤولاً عند أميركا في التفجيرات للسفارات الأميركية في «نيروبي» وفي تنزانيا «دار السلام»، وبدأت المسألة في التخطيط السياسي الأميركي تتجاوز «بن لادن» إلى كل الحركات التي تتحدّى السياسة الأميركية بالأسلوب العنيف.

وهكذا بدأت أميركا تفتش عن كل مواقع هؤلاء، وفي ضوء ذلك، طرحت بطريقة وبأخرى أن الإسلام هو المتهم، وإن لم تشر إلى ذلك، وغلّفت ذلك بطريقة دبلوماسية، وأن العرب هم المتهمون. وبذلك حاولت أن تجيّش العالم من حلفائها وأصدقائها والزاحفين إليها والخائفين منها، حول مسألة الإسلام والعرب في هذا المقام تحت عنوان «الحرب ضد الإرهاب»، والتي حاولت من خلالها أن تعطي عناوين «الإرهاب» للحركات الإسلامية المعارضة للسياسة الأميركية في العالم، ما أدّى إلى إدخال المسألة الفلسطينية في دائرة الإرهاب. لتكون إسرائيل حليفة لأميركا في الحرب ضد الإرهاب، وبذلك أوجدت أميركا حالة من القلق العالمي، وخصوصاً في العالم الإسلامي، بحيث بدأت أميركا ترشّ القلق على أكثر من موقع، لتثير الخوف هنا والحذر هناك والتراجع هنا وهناك، وهكذا كان.

أسئلة وخطوط

كلّ هذا أدّى إلى هزة سياسية على مستوى العالم الإسلامي كله، وفي مقدمته العالم العربي، وترك تأثيراته السلبية فوق العادة على المسألة الفلسطينية، حيث أعطيت إسرائيل كل الحرية في تدمير الشعب الفلسطيني في بنيته التحتية وانتفاضته وشؤونه تحت عنوان الحرب ضد الإرهاب. وبدأت المسألة تتّخذ منحى يؤدي إلى اهتزاز ثقافي: هل الإسلام يشجّع الإرهاب أم لا؟ هل العمليات ضدّ المحتل بالطرق غير المألوفة، كالعمليات الاستشهادية، هي مشروعة إسلامياً أم لا؟ هل يجوز قتل المدنيين حتى في حال حرب التحرير أم لا؟ ثمّ ما هو مفهوم الإسلام للشهادة؟ والخلفيات التي تكمن وراء الاستشهاديين؟ هل يخضعون ـ كما أثاروا ـ لعمليّة غسيل دماغ تجعلهم يفكّرون بالجنّة دون وعي للواقع؟ وما هو مفهوم الموت عند المسلمين؟ وبذلك أدّت هذه الهزة الثقافية إلى خطّين: خط إيجابي وخط سلبي.

أمّا الخطّ السلبي، فهو الحملة ضدّ الإسلام والمسلمين وضدّ العرب، والتي انعكست على

الشارع العربي بشكل عام، حيث بدأ الشارع الغربي وبطريقة عشوائية يقوم باضطهاد المسلمين والعرب وبطريقة بدائية غير حضارية تختزن الحقد الذي ينطلق من خلال حرب إعلامية وسياسية وخلفيات دينية ولا سيما يهودية وما إلى ذلك.

وأمّا الخطّ الإيجابي، فهو أنها فتحت عقول العالم على الإسلام، ولذلك بدأ العالم الذي لا يعرف عن الإسلام شيئاً، وخصوصاً في الغرب، يبحث عن الكتب التي تعالج الإسلام عقيدة ومنهجاً ومفهوماً وشريعة ووسيلة وهدفاً.

ومن الطبيعي أنّ المكتبة الإسلامية في الغرب هي مكتبة متنوّعة، بين كتب تتحدّث عن الإسلام سلباً وأخرى تتحدّث عن الإسلام إيجاباً. ثم زحفت هذه الحملة لتثير جدلاً حول الإسلام في العالم العربي والإسلامي، فقد بدأ بعض المثقّفين ينحو باللائمة على الإسلام من خلال بعض المفاهيم «القلقة» التي ربّما لم يدرسوها جيّداً، وبدأنا من خلال الكثيرين منا محاولة التخفف من هذه التهمة بخطوات تراجعية وإنكار بعض الأساليب، حتى رأينا الفتاوى تنطلق ضدّ العمليات الاستشهادية، ورأينا الدعوات إلى أن نقدّم أنفسنا للغرب ليعرف أننا أمة مسالمة ولسنا دعاة حرب وغير ذلك - كأي ضعيف يضبط متلبساً بتهمة معينة من قبل القوي، فيحاول أن يثبت براءته أمام القوي. وبهذا أوجدت أميركا حالة من الفوضى الثقافية السياسية في العالم كله عامة والإسلامي خاصة، ولكنها أنتجت كثيراً من حالة التركيز الثقافي العلمي، لأن المفكرين المسلمين بدأوا حملتهم المضادة، وبدأوا التركيز في المفاهيم الإسلامية بطريقة تعطيها الكثير من الوضوح، وتزيل عنها الكثير من الضبابية والغموض، بما أعطى شيئاً من نقاط الإشراق هنا وهناك. وأعتقد أنّ هذا يمثل عنصراً إيجابياً في منحى الثقافة الإسلامية، لأنه جعل المفكرين المسلمين يكتشفون الثغرات الكثيرة في طريقة دراسة الإسلام، وطريقة تقديم الإسلام، والذهنية التي تسود بعض الحركات الإسلامية، وحتى الحركات القومية التي كانت تعتبر العنف أساساً بفعل تأثرها بالفلسفة الماركسية التي طبعت كل الحركات السياسية في العالم العربي من الأربعينيات وحتى وقت متأخر بطابعها الصدامي والثوري الذي يتميز بأسلوب العنف في مواجهة التحديات السياسية.

أميركا تذرعت بالتفجير لإطلاق مقولة الإرهاب

أمّا بالنسبة إلى التداعيات الفلسطينية، فإننا نكتشف أن التحالف الاستراتيجي بين أميركا

وإسرائيل جعلهما يخططان معاً: كيف يمكن أن يستفيدا من أحداث «١١ أيلول» في جعل القضية الفلسطينية في هذه الدائرة. وكانت أوّل خطوة في هذا المجال هي امتناع الولايات المتحدة الأميركية بشخص رئيسها وإدارته عن بحث «مفهوم الإرهاب» ومصداقيته في الواقع، مما كانت تنادي به بعض دول الاتحاد الأوروبي أو روسيا، وبعض الدول العربية، «لنحدّد مفهوم الإرهاب»، فكانت الخطة الأميركية/ الإسرائيلية الامتناع عن ذلك، لإدخال الانتفاضة الفلسطينية والمقاومة في لبنان في دائرة الإرهاب، حتى يسهل ضربهما من خلال شعار الحرب ضد «الإرهاب» الذي أطلقته أميركا بالطريقة التي ينسى العالم فيها القضية الفلسطينية تحت تأثير هذه الصّدمة التي هزت الواقع والعالم، والتي جعلت العالم يزحف إلى أميركا معزّياً محتجاً مواسياً، بحيث يعمل على ألا تصاب بحالات الحزن أو الشعور بعدم العطف. فانطلت هذه الحيلة والحالة على العالم كله، بما فيه الاتحاد الروسي والأوروبي والأمم المتحدة، ما سهّل إدخال «حماس» و«الجهاد» في دائرة «الإرهاب»، وكرّت المسبحة إلى «الجبهة الشعبية» و«كتائب شهداء الأقصى» «إلى المقاومة الإسلامية في لبنان» وما إلى ذلك.. وتقبّل العالم ذلك. وفي ضوء هذا، ارتبكت القضية الفلسطينية، فصار المطلوب من السلطة الفلسطينية أن تقمع كلّ هؤلاء لتثبت أنها تعمل من أجل السلام لا الحرب. ولا تزال التفاعلات بحيث تحوّلت القضية الفلسطينية إلى مسألة أمنية بدلاً من أن تكون مسألة سياسية، وتحوّلت إلى مسألة يُراد منها تأمين الأمن الإسرائيلي بدلاً من معالجة مسألة الاحتلال الإسرائيلي للشعب الفلسطيني. أصبحت إسرائيل أولاً وأصبح كل الشعب الفلسطيني والقضية الفلسطينية والقضية العربية التي هي خلف القضية الفلسطينية على هامش الأمن الإسرائيلي.

لذلك أصبح النظر في مسألة إصلاح جهاز الإدارة في السلطة الفلسطينية، من أجل إيجاد وضع يضمن الأمن الإسرائيلي، وأصبحت مسألة تغيير جهاز الأمن الفلسطيني تحت رعاية المخابرات المركزية الأميركية والأوروبية والمصرية، لمصلحة الأمن الإسرائيلي.. فلم تعد هناك قضية فلسطينية في المنظور العالمي، بل أصبحت هناك قضية إسرائيلية لا بدّ من دراسة كل ما حولها عربياً وفلسطينياً وحتى إسلامياً لمصلحتها.

إنّنا نعتقد أن أميركا استفادت من أحداث ١١ أيلول، بحيث إنها استطاعت أن تجعل العالم كله في قبضتها، وأن توظف كل الأوضاع السياسية والأمنية والاقتصادية في العالم لضرب كل المعارضين لها. وهكذا رأينا كيف أنها فتحت قضية العراق لمصالحها

الخاصة، لا «لسواد عيون» الشعب العراقي، على أساس أنها بدأت تخطّط لتركّز في وجدان شعوب منطقة الشرق الأوسط كلها أن القضية أصبحت قضية المصالح الأميركية في المنطقة التي لا يسمح لأحدٍ أن يضعفها أو أن يتحدّاها، بل إن الخطة الأميركية أن يخضع الجميع لتأمين المصالح الأميركية، لتكون مصالح الشعوب على هامش المصلحة الأميركية العليا، سواء في مصادر الثروة العربية والإسلامية واستثمارات البلاد العربية والإسلامية أو في أسواقها ونتاجها. هذه هي القضية والمسألة.

١١ أيلول بين الثقافة والسياسة

■ **سيدي، الجانب الأول كان في ما يخص الجانب الأميركي من داخله، حيث استفادت الإدارة الأميركية من «أحداث ١١ أيلول». أما سؤالنا في ما يخص العالم الإسلامي داخلياً: ما هو دور المثقف والإمام والداعية وصنّاع الوعي وكلّ النخب العربية والإسلامية في هذه المرحلة؟ وبرأيكم ـ سيّدي ـ هل ما زالت هذه النخب تصنع الوعي وتحرس الهوية في ظل هذه المتغيرات وردّات الفعل؟!**

من الطبيعي أن الصدمة الكبرى هزّت الأمن العربي والإسلامي تحت تأثير التهديدات الأميركية التي حاولت أن تعطي نموذجاً للقوّة المستعلية المستكبرة من خلال حرب أفغانستان التي استعملت فيها أقوى الأسلحة، حتى أنها أدخلت الكثير من الأسلحة في دائرة التجارب لأنها لم تكن قد جرّبت قبل ذلك. إن هذا الاستعراض للعضلات العسكرية لأميركا ومعها الحلف الأطلسي، كان رسالة موجهة إلى العالم الإسلامي: إن عليه أن لا يشعر بالأمن إلا على أساس الخضوع للسياسة الأميركية في العالم.

إن هذا الوضع الأمني استتبع وضعاً اقتصادياً سلبياً على أساس الاهتزاز الاقتصادي في عملية الضغط على مصادر التمويل للجمعيات الخيرية الإسلامية، أو للحركات الإسلامية، ما جعل أميركا تدعو هذه الدولة إلى أن تجمد أرصدة هذه الجهة أو تلك وتهدّد بالويل والثبور وعظائم الأمور إذا لم تقم الدولة بهذا أو ذاك، بالإضافة إلى الحرب الإعلامية التي شكلت في جانب منها حرباً نفسيّة من أقوى أنواع الحروب.

إنّ هذا قد شغل العالم الإسلامي، بحيث إن المسألة الثقافية أصبحت مسألة تعيش في الشوارع الخلفية للذهنية العامّة للإنسان المسلم أو الإنسان العربي، وبحيث أصبحت مسألة التوعية مسألة لا تخلو من صعوبة، باعتبار أن الناس تعيش همّها وخبزها اليومي

في الأمن وفي السياسة وفي الإعلام والاقتصاد وما إلى ذلك. ولكننا في الوقت نفسه نعتقد أنه لا تزال هناك فرصة كبرى للطليعة المثقفة، من علماء دين أو مثقفين وخطباء وكتّاب وأدباء وسياسيين ومسؤولين، في القيام بحملة نوعية لإبراز خلفيات هذه الحرب ضد الإسلام والمسلمين والعرب والعروبة، وفضح الخطط التي توضع من أجل إسقاط العالم الإسلامي والعربي تحت تأثير السياسة الأميركية في السيطرة على العالم، وفي استكمال تأكيد نفوذها على كلّ مواقع الثروة والأمن والسياسة في العالم.

حالة طوارئ ثقافية

إنني أتصور أن دور الطليعة الواعية المثقفة، سواء أكانت دينية أم علمانية، هو القيام بتأصيل المفاهيم الإسلامية وإعطائها الخطوط الواضحة التي يمكن للعالم الإسلامي أن يعرف الصحيح منها والصواب من الخطأ، ويكتشف مواقع التخلف في بعض الذهنيات والأساليب التي تقوم بها هذه الحركة المحسوبة على الإسلام أو تلك، ليعرف العالم الإسلامي أنّ هذه التهمة الموجهة إليه كلمة حقّ يراد بها باطل، باعتبار أنّ هناك واقعاً إسلامياً متخلّفاً في العالم الإسلامي، ولكنه لا يمثل الإسلام ولا يمثل كل الواقع الإسلامي في هذا المجال.

إنّ من واجبنا أن نقوم بحملة واسعة، وأن ندرس كل مواطن الخلل في ذهنيتنا الثقافية أو في طريقتنا في معالجة الأمور العامة، سواء في خطباء المساجد أو المعلقين والباحثين والدارسين والمفكرين.

إنني أدعو إلى حالة طوارئ ثقافية إسلامية، لا لتكون ردّ فعل لما أثاره الآخرون حول الإسلام والأمة، ولكن لتكون فعلاً يبحث ذاتياً عن نقاط الضعف ونقاط القوّة، من أجل أن يضع الفاصل بين الجانب السلبي والجانب الإيجابي، باعتبار ما يستقبل وباعتبار تحصين العالم الإسلامي من السقوط تحت تأثير الاتهامات الاستهلاكية، حتى لا يعيش العالم الإسلامي عقدة الذنب والشعور بالذنب والمسؤولية تحت تأثير هذه الحرب الإعلامية، ليعرف العالم الإسلامي أنه إذا كانت لدينا نقاط ضعف فإن للآخرين نقاط ضعف، وإذا كانت للآخرين نقاط قوّة فإن لنا نقاط قوّة، وعلينا ألا نسقط تحت تأثير نقاط الضعف عندنا، بل إن علينا أن نعمل على تحويلها إلى نقاط قوّة وما إلى ذلك.

أن تكون هذه الصدمة انطلاقة من أجل أن يعود الإنسان إلى الذات، حتى يفهم ذاته من جديد من خلال اكتشافه لبعض مواقع الخلل فيها، بقطع النظر عمّا إذا كان الآخرون هم الذين اكتشفوا بعضها أو لم يكتشفوا بعضها.

مراجعة نقدية

- **سيدي، في السياق نفسه حول ردّات الفعل والتداعيات في ما يخص العالم العربي والإسلامي، هل تسبّب هذا الحدث في إيجاد حركة نقدية للثقافة الإسلامية في كلّ تجلياتها النظرية والسياسيّة والفكريّة والدعويّة؟ وإلى أيّ اتجاه تسيرُ بوصلتنا النقديّة في هذه المرحلة؟**

إنني أعتقد أنها استطاعت ـ وهذه من إيجابيات هذه الحركة ـ أن تحدث حالة نقدية تتوزّع بين أسلوب يتّخذ التشنج وسيلة من وسائل التنفيس عن هذا الشعور السلبي أمام الواقع الإسلامي، وأسلوب يتحرك في منحى حركة نقديّة علميّة موضوعيّة تدرس الواقع الإسلامي كله، حيث نجد أن هناك من الدارسين الإسلاميين والعلماء والمثقفين من بدأوا يقومون بعملية مسح للمواقع الإسلامية الحركية أو المواقع الإسلامية التقليدية من سلفية أو غير سلفية، ليتعرفوا طبيعة التخلف هنا والتخلف هناك، وليكتشفوا بعض مواقع القوة في هذا الجانب وذاك، ليدرسوا كلّ نقاطه والطريقة التي يستطيعون فيها أن يتخفّفوا من مواقع التخلّف، سواء في منهج الدراسات أو في الذهنية الخرافية التي تسيطر على القائمين على شؤون الإسلام والمسلمين، أو في الأساليب والوسائل الحركية هنا وهناك.

إنني أتصور أن هذه الصدمة استطاعت أن تهزّ الذهنية الثقافية في عملية دراسة نقدية ربّما خلقت حالة من الصراع بين مواقع التقدّم والوعي ومواقع التخلف، بحيث إن مواقع التخلّف بدأت تستعيد قوّتها لتقمع ولتضعف مواقع التقدّم والوعي. ولكننا نتصوّر أن المعركة لا تزال مستمرة، وأرى أن الجميع، حتى الذين كانوا يحتضنون الحركات السلفيّة ويحرسون مواقع التخلّف، أصبحوا مضطرين بفعل بعض العناوين السياسية والصّدمات الأمنية أن يتخفّفوا من بعض مواقع التخلّف حتى لا يضبطوا متلبّسين بالإرهاب.

٤

بالوعي والوحدة نحبط مخطط تدجين الإسلام

تحت عنوان: «مصير الوحدة الإسلامية في واقعنا المعاصر»حاضَرَ سماحة العلامة المرجع السيّد محمد حسين فضل الله، وذلك في النّدوة الفكريّة الإسلاميّة التي عُقِدَت في «أَزهر البقاع» تحت عنوان: «الدّعوة إلى الله تعالى مناهج متنوّعة لغايةٍ واحدة» ـ صباح الأحد ٢٢ رجب ١٤٢٣ هـ ٢٩ أيلول ٢٠٠٢. وقد شارك في النّدوة كُلٌّ مِنْ: مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس، والشيخ المستشار فيصل المولوي، والشيخ الدكتور محمد راتب النابلسي (سورية).

حضر النَّدوة لفيفٌ من العلماء، وحشدٌ من الحضور السياسي والاجتماعي.. واستُهلّت بآيات من القرآن الكريم كانت بعدها كلمة مفتي زحلة والبقاع الشيخ خليل الميس والتي جاء فيها: المتكلِّم تحت هذا العنوان أئمّةٌ وقادةٌ وحكماء.. والكلمة لها ثمن تجديداً وتغييراً، والكلمة لا بُدّ لها من رجال، فكما في لبنان والعالم الإسلامي، هناك من رفع الكلمة واللواء ودفع الثمن لحمل اللِّواء، وقد يسقط شخصيات، ولكن المهم ألا يستشهد اللواء.. والكلمة دعوة، وللدعوة رجالها وقادتها.

إن الإسلام مظلة المجتمع، وهو وحيُ السّماء. فأزهر البقاع اليوم يستقبل ثلاثة من

قادةِ الإسلام ومجتهدي الفكر. إنّنا حين نرفَعُ الإسلام لواءً لا نلغي الأَوطان.
ثُمَّ ألقى سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله كلمة جاءَ فيها:

التحدي الثقافي

الحديث عن الوحدة الإسلامية ومصيرها في واقعنا المعاصر ينطلق من الحديث عن الإسلام، ومن حركة الإسلام في الواقع ودوره في هذه الحركة، لأنّ المسألة أنّهُ لم يمرّ في كل تاريخنا الإسلامي مرحلةٌ في خطورة هذه المرحلة المختزنة في داخلها حالة الاهتزاز الذي يصيب العقل والقلب والشعور، وهو يتعاظم حتّى تهتزّ الأرض من تحت أقدامنا.

إنّ المسألة الآن هي أن التحدّي للإسلام هو التحدّي الذي يطال المسألة الثقافية، حيثُ بدأت كُلّ مواقع الثقافة في العالم ـ بغضّ النظر عن طبيعتها ـ تتحدّث عن مفاهيم الإسلام. وينطلق الاستكبار الثقافي ليضع آلاف علامات الاستفهام على هذا الموقف أو ذاك، أو على هذه الشريعة أو تلك. ثمَّ التحدّي الاجتماعي الذي يحتضن التحدّي الأخلاقي فيما نواجهه في عالمنا الإسلامي من كل هذه المتاهات التي يُراد لنا أن نسير فيها في محاولة لصنع أخلاق جديدة باسم الحريّة الإنسانيّة، وباسم الكثير من العناوين التي يُرادُ لها اجتذاب مشاعرنا لتحُرِّف مفاهيمنا عن مواقعها.

ولن نتحدّث عن التحدّي الاقتصادي الذي يُرادُ من خلاله مصادرة كُلّ مواقع الاقتصاد في العالم الإسلامي ليكون اقتصادهم هو الأصل واقتصادنا هو الهامش على جميع المستويات، ليصبح اقتصادنا على هامش اقتصادهم.لقد بدأ الاستكبار يعتبرُ أن كُلّ اقتصادنا هو اقتصاده: في أسواقه واستثماراته ومقدّراته.

التحدي السياسي

ثمّ يأتي التحدي السياسي الذي يُرادُ من خلاله إسقاط كُلّ معنى للاستقلال السياسي في كُلّ مواقعنا، من خلال أكثر من وسيلة تسعى لتمزيق الأمة وخلق الخطوط والتيارات التي يتحوّل فيها الإسلام السياسي ـ كما يتحدّثون عنه ـ إلى جريمة، ويتحول فيه تطبيق الشريعة الإسلاميّة إلى تهمة وتخلّف وصدمة للحضارة، حتّى من الذين يتحدّثون رسمياً باسم المسلمين. وتطوّرت المسألة السياسيّة، فأصبحنا نلاحق كُلّ من يعيش عزّة الإسلام مقابل الذين يريدون مصادرة حريته، فاستحدثوا كلمات «الإرهاب والتطرّف».

إن المعركة تشمل الإسلام كُلّه، فلم يبقَ جانب في كيان الإسلام لم يخطط له الآخرون من المستكبرين وحلفائهم الكافرين معهم، ولم يتركوا موقعاً إلا استهدفوه بالخطة التي يُرادُ فيها تدجين الإسلام، حتى يمكن توظيفه لخدمة بلاط هنا وموقع استكباري هناك، ليعطي فتوى بحرب تتحرك في خطط المستكبرين هنا، وبسلم يتحرك هناك.

في هذا المناخ تبرزُ مسألة الوحدة الإسلاميّة، لتنطلق في حركة ارتباط عضوي بالإسلام، فأن تكون مسلماً يعني أن تكون وحدويّاً، لأن القضية التي تواجهنا هي تجميع النقاط لا تسجيل النقاط، حيثُ تكون المسألة كيف يمكن أن نعزل بعضنا عن بعض، وكيف يمكن أن نرمي اتهامات التكفير والتضليل، لا بين المذاهب فحسب، بل حتّى في المذهب الواحد، لأننا كنّا معنيين بالذاتيات الضيقة تارةً والواسعة أخرى.

مذهبيتان

لقد بدأت المذهبيّة تأخذُ مكان الإسلام في حياتنا. وللمذهبيّة عنوانان: المذهبيّة الطائفيّة والمذهبيّة الفكريّة. فالمذهبيّة الفكريّة غنىً للإسلام والاجتهاد غنىً للإسلام، لأنّ مسألة أن يكون لك مذهب في فهم الإسلام هو غنىً: دراسةً وتفكيراً وحواراً.. يمكن من خلال الالتزام بخط الفكر أن نسهل التقارب إن لم نصل إلى الوحدة.

إنَّ الفكر لا يتعصّب، ومن يلتزم مذهب الفكر لا يتعصّب، أمّا الغريزة فتتعصّب، والمتعصبون هم الذين لا يملكون عمق الفكر ورحابته وامتداده. والعصبية تضيِّقُ فكرك وصدرك وحياتك وساحتك.

فالتعصب والحقد جاءا من المذهبيّة الطائفيّة، وحين نتحدّث عن الوحدة، فإنّنا نتحدّث عن الإسلام الوحدة والغنى الفكري، المنفتح على الكتاب والسّنة، والمنفتح على النّص الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ومن خلفه، ينفتح لا ليتجمد عنده، كما يتهمنا الآخرون بالجمود أمام النّص. إنّ النص ككلمات وأصوات وحروف ثابت، ولكنّ المضمون متحرك. فالعدل مثلاً يتحرك في كل المجالات، ويمكنك أن تفكر في العدل شريعةً وأسلوباً وحركةً وسياسةً واقتصاداً وأمناً. هو كلمة في عدة حروف، ولكنها كلمة تشتمل على مكنونات العالم كله.

الحوار في مسألة الوحدة

في ضوء هذا، قد نحتاج إلى أن ننفتح على هذا الجانب ونحن نعالج مسألة الوحدة الإسلامية في واقعنا المعاصر من حيث المصير، لنلتقي بقضية أخرى، وهي مسألة الذهنية الموضوعية. والذهنية الموضوعية هي الذهنية العقلانية التي تنطلق إلى الفكرة كما لو لم تكن هناك أية مسبقات لها، سواء في الجانب الذاتي أم في الجوانب المحيطة بالبيئة وغيرها.. وأن لا تكون لها أيضاً في المجال الآخر نظرة إلى النتائج السلبية المسبقة، أن تنظر إلى المسألة كما لو كانت حقيقة ضائعة تريد أن تكتشفها مع الآخر. وهذا هو المنهج القرآني للحوار الذي سبق كلّ مناهج الحوار في الجانب الثقافي للحوار، ولم يقترب منه أي منهج حوار آخر بالرغم من تطور أساليب التخاطب والحوار في العالم.

إنّ الحوار في العالم يرتكز على أساس أن تقتنع بنسبة كبيرة أنك على حقّ وتعطي الآخر فرصة صغيرة ونسبة ضئيلة أنه على حق. هناك ذاتية في النظرة إلى رأيي ورأي الآخر. أما القرآن الكريم في حديث الله تعالى لرسوله(ص) وفي خطاب الرسول (ص) للآخرين: ﴿وإنّا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين﴾، فهل كان النبي شاكاً وهو الذي جاء بالصدق وصدق به، وهو الداعية إلى الله؟! ولكنّ للحوار منهجه وأسلوبه، وهذا المنهج يقول: قد أكون على ضلال وقد أكون على هدى، وقد تكون أنت على ضلال أو على هدى، فهناك حقيقة ضائعة بيننا، علينا أن نترافق في رحلة البحث عن الحقيقة. ليس هناك ذاتية في المنهج القرآني الرسالي، بل هناك موضوعية عقلية لم يرق إليها منهج آخر.

فإذا كان النبي(ص) يخاطب الكافرين والمشركين بهذا المنطق، أفلا نخاطب بعضنا بعضاً بهذا المنطق، ونحن نلتقي على ألف موقع للقاء في هذا المجال. فالموضوعية هي أن نعيشها في أي موضوع حواري؛ رفقة في رحلة البحث عن الحقيقة. وإذا كنت تملك ما تعتقد أنه عناصر الحقيقة وأملك عناصر البحث عمّا أعتقد أنه الحقيقة، فسنلتقي، لأن الذات لن تدخل في الجوّ الحواري، ولأنّ العصبية لا مجال لها في هذا الجوّ، فلماذا نبتعد وأمامنا الأساليب القرآنية في الدعوة للقاء والحوار والبحث عن مواقع اللقاء مع الآخر. فكم بيننا وبين النصارى في المسألة العقيدية وحدود التوحيد ونحو ذلك من التفاصيل الكثيرة، ومع ذلك فإن الله تعالى يقول: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من

دون الله﴾ ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم﴾.

أن نلتقي عند مواقع اللقاء لنعيش مناخ اللقاء، فهذا المناخ اللقائي الحواري إذا عشناه وانتقلنا إلى مواقع الخلاف، كانت روحيّة اللقاء هي التي تحكم الحوار. هذه هي الروحية التي لا يكفي أن تنطلق في عقول العلماء والمثقفين، بل لا بدّ أن تكون حالة ذهنية شعبية، أن نثقف بها قواعدنا الإسلامية، حتى نستطيع أن نعيش المنهج القرآني الذي ربّما يمتد حتى إلى بيوتنا وإلى مواقعنا السياسية والاجتماعية والأمنية وغير ذلك. وإنني أخشى أن كلّ ما أطلق من محاضرات ونداءات وشعارات ومؤتمرات حول الوحدة الإسلامية كان يتحرّك في السطح لافي العمق. وكانت المجاملة هي التي تسيطر عليه.. وربما في بعض المواقع ـ ولا أريد أن أسجل اتهاماً لأحد ـ ربما كان التكاذب هو الذي يتحرّك. لا أريد أن أستشهد بآية أنزلها الله في المنافقين، لأن المسلمين فوق ذلك كله. ﴿..وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنّا معكم إنما نحن مستهزئون﴾. نتكلّم بالوحدة، وينطلق كلّ واحد إلى قاعدته المذهبية ليتحدّث أننا مضطرون أن نتحدّث بهذه الطريقة وبهذا الأسلوب، لأن الوضع يقتضي ذلك ويفرض حديث الوحدة في مؤتمر الوحدة الإسلامية. وهكذا بقي الواقع الإسلامي يعيش التعقيدات الكبيرة. إننا بحاجة إلى أن نفكر بطريقة شعبية في هذا الموضوع، إن عصبيات مذهبياتنا في أي جانب إسلامي لم تخلق معنا، فليست عضواً من أعضائنا، وإنما ورثناها في ما يرث الناس من عصبيات، أو اخترناها في ما يختار الناس من مذاهبهم. هي ليست شيئاً ذاتياً فينا، بمعنى أن الخروج عنه هو خروج عن الذات. هو فكر ورثناه أو فكر اخترناه. فحين تكون المسألة في هذا الإطار، لماذا نصر على أن يظل كل واحد منا واقفاً مكانه والآخر كذلك. وليس مستعداً لحوار الآخر أو التقدم معه خطوة واحدة إلى الأمام، ويبقى الحوار قائماً على ما يعرف بقاعدة حوار الطرشان.

وإلا لماذا، رغم آلاف الكتب والدروس على مرّ السنين، لم يستطع أحد أن يتقدّم نحو الآخر، وزادت التعقيدات عقدة... وإنني لا أريد الحديث عن صورة سوداء للمسألة، فهناك نقاط من الضوء، ولكن أريد الحديث عن واقع نريد الخروج منه. فلقد أراد الله لنا ألا نعتقد أن الظلام دامس مئة بالمئة، فهناك نقاط ضوء تطرد الليل، وهي موزعة في أنوار الكواكب التي تشير إلى أن وراء هذه الليالي فجراً، وحين تأتي الليالي البيض نشعر من خلال ضياء القمر بمعنى الفجر داخل الليل.

الاستكبار وقضايانا السياسية

إن هناك نقطة نواجهها الآن، وهي إدخال المسألة السياسية التي لا تتصل بنا تماماً، وإنما تتصل بالمسألة الاستكبارية. فحين يحدث حدث وتتخذ بعض الدول الإسلامية المتمذهبة بمذهب معين هنا أو هناك، أو عندما تتحرك بعض المنظمات والحركات الإسلامية لتتخذ موقفاً هنا وهناك ربما يخالف موقفاً آخر لحركة متمذهبة بمذهب آخر، فرأساً تثار المسألة المذهبية، وقد تكون الدولة والحركة والمنظمة منطلقة من مصالحها، ومتحركة من خلال فهمها السياسي لهذه المسألة، ولكنّ المسألة أنّ ما يقال: إنّ هذا الموقف ضد الشيعة من السنة أو ضد السنة من الشيعة، ولا علاقة للتشيع والتسنن بالموضوع كله... وإنما هناك بعض المنظمات أو الحركات الإسلامية تعتبر العنف الوسيلة الوحيدة أو المُثلى للتغيير وبعضها لا تعتبر ذلك. فالمشكلة بعدما حصل في أفغانستان أو غيرها أننا ركبنا الموجة، مع أنّ الكثيرين هم ممن لا يوافقون على ما يسمى بأساليب العنف أو التطرف أو الإرهاب، ولكن ليس معنى ذلك أن يتحوّل العالم الإسلامي إلى فرع من جهاز المخابرات الأميركية يلاحق كل مسلم ينفتح على إسلامه من خلال انفتاحه على حريته واستقلاله.. فماذا هناك الآن؟ إن أغلب الدول الإسلامية تلاحق المسلمين والإسلاميين في كل مكان، حتى على مستوى الاحتمال الموهوم بالعلاقة مع «القاعدة»، وأصبحنا مجانياً فرعاً من فروع المخابرات المركزية الاميركية نقدّم المعلومات ونلاحق ونقتل ونسجن.. وكل ذلك لا لاقتناعنا بذلك، بل لنعتقل ونسلّم المعتقلين إلى أميركا لتحاكمهم، فما معنى ذلك؟ وهذه مسألة من أخطر المسائل. ولعلّ الصورة التي نواجهها في العالم الإسلامي والعربي تتحرك في هذا الاتجاه، والقضية هي السعي كي يخرس كل صوت إسلامي يحمل حرارة الحرية في تصوره للإسلام.

نقول لا مانع لدينا أن نختلف، وقد صرحنا أننا نختلف مع طالبان في فهمها للإسلام، وما حدث في أميركا في ١١ أيلول، لأنه أساء إلى الواقع الإسلامي أكثر مما خدمه ولو كان مبرراً في ذاته، ولكنْ هناك فرقٌ بين مواجهة هذا التيار في داخل الحركة الإسلامية أو الواقع الإسلامي، أو أن نكون الوكلاء عن أميركا في ملاحقة كل حركة إسلامية ومسلم يعيش التوتر الإسلامي في هذا المجال.

تفعيل روحية الحوار والوحدة

أعتقد أننا بحاجة إلى هذه الروح «التوتر الإسلامي»، ولكن علينا معالجة المضمون لهذا

التوتر، فقد يكون الإنسان المتوتر مخلصاً للإسلام وهو يخطىء في أسلوبه وعمله. لهذا فنحن نتحسس الآن أن هناك وحدة إسلامية شعورية على المستوى السياسي، وهو ما لاحظناه في المواقف الشعبية الإسلامية على مستوى قضية أفغانستان، وقبلها قضية البوسنة والهرسك، وهذه الوحدة تتجلى الآن في القضية الفلسطينية التي يقف كل العالم الإسلامي ـ على الأقل على مستوى الشعوب ـ مع الانتفاضة ومواجهة إسرائيل، هي وحدة إسلامية شعورية حقيقية، نرجو أن تتحول إلى وحدة إسلامية سياسية على مستوى حركة الواقع السياسي، ولا أقصد من الوحدة السياسية الوحدة الاندماجية، إن علينا الاستفادة منها وتقويتها، وأن لا نبعد الصفة الإسلامية عنها، لأن كثيراً من الدعوات تنطلق لإبعاد الصفة الإسلامية عن هذا الموقف، ونحن نعتقد أنه حتى بعض العلمانيين الحركيين يتحركون من الرواسب الإسلامية الموجودة داخل نفوسهم. إن علينا ألا نجعل الإسلام يفقد هذا العنصر وهذا الموقف. كما أننا نعتقد أن هذه اللقاءات التي تحدث في المؤتمرات الإسلامية على مستوى الدول ومستوى الحركات الإسلامية، وعلماء المسلمين من سائر المذاهب، وبين الحركيين المسلمين، أوجدت نوعاً من التفاهم والتقارب إذا لم يستطع أن يلغي الكثير من الفروق فإنه استطاع أن يقلّصها، واستطاع أن يوجد نوعاً من العلاقات الشخصية والثقافية. ونحن نعتقد أن لبنان يمثل البلد الذي استطاع أن يوجد نوعاً من الوحدة على المستوى الشعبي لا نجده الآن في أيّ بلدٍ إسلامي آخر، ولعلّنا نلاحظ قضيّة التزاوج بين المسلمين ومن مختلف المذاهب كيف امتدت على مستوى لبنان، وتجربة تجمع العلماء المسلمين التي ندعو لتفعيلها وتحريكها ولقاءات الحركات الإسلامية التي نريد أن لا تقتصر على المسألة السياسية، بل يجب تخطّيها إلى الجوانب الثقافية، ولا سيما في لبنان، ما يفعّل عمل هذه الحركات أكثر ويتنسّق القضايا بشكل أشمل وأعمق. وبهذا نتخلص من مقولات العلمانيين أنّ الإسلام صار إسلامات متعددة، فعلينا إثبات الإسلام الواحد، وأنّ هناك تنوّعاً في الوحدة واجتهادات في فهم الإسلام. ﴿قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني﴾ فلنبدأ الخطوة الأولى، لأن الكفر كله قد برز إلى الإسلام كله، فعلى الإسلام كله أن يبرز للكفر والاستكبار كله، فلنعتصم بحبل الله جميعاً ولا نتفرق ونعدّ نعمة الله علينا، حيث جعلنا إخواناً وكنا على شفا حفرة من النار فأنقذنا منها.

علينا أن ندرس الواقع، وكيف يمكننا تغييره من خلال تغيير الكثير من ذهنياتنا في فهمه

والانطلاق معه، وعلينا التحديق بكلّ الواقع الإسلامي، ولا سيما في قضايانا الحيوية في فلسطين والعراق وغيرهما.. ومواجهة الهجوم الأميركي والفرعونيّة الجديدة الساعية لإسقاط الواقع الإسلامي كله.

٥

العراق في دائرة الاستهداف الأميركي

في حديث خاص إلى مجلة «اليقظة»، اعتبر سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله أن الفتوى التي أصدرها وحرم فيها على العرب والمسلمين مساعدة أميركا في ضرب العراق، انطلقت من شعوره بالمسؤولية أمام كل قضايا المسلمين وفي مقدمتهم العرب، وأنه يعتقد أن ضرب العراق هو ضرب للشعب العراقي وليس للنظام.

ومن خلال دراسته للواقع السياسي في المنطقة العربية والإسلامية، تبين له أن الولايات المتحدة الأميركية تريد السيطرة على الثروات البترولية في الدول العربية، وأن أميركا تتحرك في تحالف استراتيجي مع إسرائيل لتؤكد للعرب أن الطريق إلى أميركا تمر بإسرائيل.

ويعتقد سماحته أن مشروع القانون الموضوع أمام الكونغرس الأميركي لمحاسبة سورية سوف يواجه بعض الصعوبات في الإدارة الأميركية، لأن مصلحة أميركا هي بعدم السماح بأي ضغط غير عادي على سورية.

بيروت ـ رياض علاء الدين، مجلة «**اليقظة**»، ٥/١٠/٢٠٠٢م، العدد ١٧٥٢.

وعن الحالة العراقية ـ الكويتية وموضوع الأسرى الكويتيين، اعتبر سماحته أن المشكلة باقية، ولا سيما في موضوع الأسرى، لأن العراق لم يقدم أي شيء، ولم تحدد الدول العربية أي لجنة لمتابعة القضية ولحل جذور الخلاف. كل هذه الأمور ومواضيع أخرى كان للعلامة السيد محمد حسين فضل الله رأي فيها في هذا الحوار:

المسؤولية الشرعية

- **تتصاعد التهديدات الأميركية بشن حرب على العراق لإطاحة النظام العراقي، وتتصاعد في المقابل التصريحات المناهضة للحرب وخاصة في العالم العربي، ومنذ فترة أصدرت فتوى تحرم على العرب والمسلمين مساعدة أميركا في ضرب العراق، لذلك نريد أن نعرف من سماحتك لماذا أصدرت هذه الفتوى، وما قراءتك لتلك التهديدات؟**

الفتوى انطلقت من شعورنا بالمسؤولية أمام كل قضايا المسلمين وفي مقدمتهم العرب، وأن المرجعية الدينية لا تتأثر بإطار إقليمي خاص، بل تحاول أن تعيش مسؤوليتها في كل ما يصيب العالم الإسلامي، وتعمل بحسب إمكاناتها من أجل توعية المسلمين ودرء الأخطار عنهم في الإطار الذي تتحرك فيه. إنني منذ انطلقت في دراستي للواقع السياسي في المنطقة العربية والإسلامية، وأنا أرى أن الولايات المتحدة الأميركية تريد أن تسيطر على مقدرات المنطقة كلها، ولا سيما الثروات البترولية التي تمثل ـ حتى الآن على الأقل وفي المستقبل المنظور ـ الشريان الحيوي للاقتصاد العالمي، بذلك فإن الذي يسيطر على منابع البترول يسيطر على الاقتصاد العالمي. ونحن نعرف أن هناك صراعاً خفياً على المستوى الاقتصادي بين أميركا وأوروبا واليابان، حيث إن أميركا تعمل على منع أوروبا واليابان من أن يكون لهما اقتصاد قوي فاعل، لذلك فسيطرتها على بترول العالم يمثل السيطرة على الجانب الحيوي في الاقتصاد الأوروبي الياباني. وهكذا تعمل أميركا على احتواء كل المواقع السياسية بما فيها المراكز المسؤولة الكبرى في المنطقة لتتحول إلى ما يشبه المزرعة الأميركية.

- **التحالف الأميركي ـ الإسرائيلي**

وفي ضوء هذا، نلاحظ من ناحية أخرى أن أميركا تتحرك في تحالف استراتيجي يشمل كل الجوانب مع إسرائيل. فأميركا تتحالف مع إسرائيل ولا سيما في منطقة الشرق

الأوسط، اقتصادياً وسياسياً وأمنياً، ولذلك فإن إسرائيل من خلال هذا الحلف الاستراتيجي تحاول أن تيسر لأميركا الكثير من القضايا التي قد تسبب لها مشاكل من خلال ما تملك من ضغوط على المنطقة، كما أن أميركا تحاول أن تفتح لإسرائيل الساحات التي تسيطر عليها، وهذا ما لاحظناه من الفكرة المعروفة لأكثر دول العالم الثالث، ولا سيما الشرق الأوسط، في أن الطريق إلى أميركا تمر بإسرائيل، وهذا ما تابعناه أيضاً في هذا الارتباط العضوي غير العادي بين تركيا المسلمة وبين إسرائيل منذ الخمسينيات، لأن المسيطرين على الحكم في تركيا أرادوا أن يرتبطوا بأميركا، فقيل لهم إن الارتباط بأميركا يفرض الارتباط بإسرائيل. وقد سمعت من أحد حكام الدول العربية في تفسيره لعلاقته بإسرائيل، على الرغم من أن الدول العربية لم تصالح إسرائيل، موافقته على فتح مكتب إسرائيلي في بلده بالرغم من قرارات المؤتمر الإسلامي وقرارات مؤتمرات القمة العربية بإغلاق هذه المكاتب، بأنه يريد أن يحمي نفسه من بعض العلاقات الإقليمية الضاغطة عليه، وقيل له إن العلاقة بأميركا تمر بإسرائيل.

لذلك لاحظت من خلال الخطة الأميركية في المصالح الأميركية والخطة الأميركية الإسرائيلية في التحالف الاستراتيجي بينهما، وفي هذا التأثير المطلق غير المعقول في تأييد أميركا لإسرائيل في ضرب الشعب الفلسطيني وتدمير بنيته التحتية والهجوم عليه بكل وسائل الحرب من دون أن تحرك أميركا ساكناً، سوى بعض الكلمات الضبابية المائعة التي تقدمها لهذا المسؤول العربي أو ذاك، وبعض كلمات الأسف والاحتجاج التي لا تعني شيئاً، من دون أن تقوم بأي ضغط على إسرائيل... من خلال هذا كله لاحظت أن سبب غضب أميركا وتهديدها بالحرب ضد العراق ليست هي مسألة الحاكم، الحاكم العاق باعتباره رجل الشر، أو باعتباره الشخصية التي تهدد العالم وتمثل خطراً على الولايات المتحدة الأميركية وما إلى ذلك، إن المسألة الأساسية هي أن تسيطر أميركا على كل العراق، لا سيما أنه يتميز باحتياط بترولي قد لا يكون موجوداً عند أحد، وأنه يقع في المرتبة الثانية في الدول العربية أو الإسلامية النفطية، إن اعتبرنا أن السعودية في المرتبة الأولى.

أميركا تريد الإمساك بالبترول

لذلك تريد أميركا أن تمسك بكل بترول العراق، لا بالطريقة التي يتحدث بها البعض بأن تشتري البترول، بل أن تسيطر عليه تماماً، بحيث لا يتمكن أحد من أن يتحرك

بقضية إنتاجه أو أسعاره أو توزيعه إلا من خلال السياسة الأميركية الضاغطة، وهذا ما أربك دول «أوبك» في كثير من الحالات وعطّل الكثير من قراراتها. وهكذا تعمل أميركا للسيطرة على أسواق العراق وعلى استثماراته وعلى موقعه الاستراتيجي الذي تحاول من خلاله استكمال الضغط على المنطقة الخليجية، بحيث تجعلها لا تملك أي فرصة للتمدد السياسي أو الاقتصادي. هذا بالإضافة إلى إحكام الطوق على إيران ومحاصرتها بمجموعة من الدول المتحالفة مع أميركا في شكل مباشر أو غير مباشر. لذلك لاحظت أن هذه الحركة الأميركية لا تريد أن تسقط النظام على أساس ما يمثله من إرباك لشعبه ولمنطقته وللعالم حسب المنطق الأميركي، لأن أميركا هي التي قامت بحماية هذا النظام، وهي التي أعطته القوة ليخوض الحرب ضد إيران، وهي التي أعطته الضوء الأخضر ليخوض الحرب ضد الكويت، لتحصل على نتائج هذه الحرب وما حصلت عليه بعد ذلك. وهكذا أميركا هي التي أسقطت الانتفاضة الشعبية العراقية بعد حرب الكويت، وهي التي أعطته القوة حتى يضرب شعبه، ويضرب تلك الانتفاضة، والتي ساهمت من خلال مخابراتها في إعطائه المعلومات ضد الذين يحاولون إسقاطه أو اغتياله. لهذا فإن الحملة الأميركية تريد احتلال العراق جملةً وتفصيلاً، وهذا ما صرحوا به أخيراً: إننا سنبقى في العراق طويلاً وسنرتب أوضاع العراق، تماماً على الطريقة التي يتعاملون بها مع أفغانستان. وهكذا نلاحظ أن هذه الحرب سوف تدمر الكثير من بنية الشعب العراقي إذا كانت حرباً على الطريقة التي قامت بها في أفغانستان، حيث استعملت أكثر الأسلحة تطوراً، حتى أنها جربت أسلحة لم تستعملها من قبل.

حصار للشعب العراقي وليس للنظام

إنني أعتبر أن الحصار الأميركي للعراق هو حصار عانى منه الشعب العراقي، ولم يعان منه النظام العراقي، بل إن النظام العراقي يعيش في أفضل حالاته. وأما مسألة أن هذا الضغط على الشعب من أجل أن يضغط على الحاكم، فنحن نعرف أن الأنظمة الدكتاتورية لا يملك شعبها وسيلة للضغط إن لم يكن له أي إمدادات من دولة أخرى تسانده. لذلك نحن مع الشعب العراقي بإسقاط نظامه، لأنه من أكثر الأنظمة وحشية ودكتاتورية في العالم، إنه أربك شعبه وأربك المنطقة والعالم العربي. ولكننا نعتقد أن المسألة ليست مسألة إسقاط النظام، بل هي مسألة إسقاط العراق، لذلك فقد حرمنا مساعدة أميركا لضرب الشعب العراقي، لأننا نعتقد أن الذي سوف يضرب هو الشعب من أجل السيطرة على كل مقدراته وتحويله إلى شعب يعيش على هامش السياسة

الأميركية، وبالتالي على هامش السياسة الإسرائيلية، وهذا ما قرأناه منذ مدة أن إسرائيل أفسحت المجال بقواعدها العسكرية من أجل الأسلحة الأميركية لتستعملها في ضرب العراق. ونحن نعرف أنها عندما تستعمل القواعد الإسرائيلية فإنها تستعمل الجيش الإسرائيلي وذلك لإيجاد غطاء أو غشاء خفيف لضرب العراق، وهذه سابقة خطيرة. كما أن شعار استعداد أميركا للتفرد بإسقاط نظام عربي، بقطع النظر عن طبيعة هذا النظام، يمثل سابقة تجعل الواقع الدولي في حالة فوضى، لأن ذلك سوف يعطي المبرر لأي دولة كبرى أن تتحرك بمفردها لإسقاط نظام هنا أو هناك. وإنني أتساءل: من الذي يمنع أميركا غداً أو غيرها من أن تعمل لإسقاط نظام عربي آخر بحجة أنه لا يتماشى مع المصالح الأميركية أو مع المصالح الغربية أو ما إلى ذلك؟! هذه الخطة سوف تحول العالم إلى ما يشبه الفوضى السياسية.

إن أميركا تعمل الآن من أجل أن تدجن الشعب الأميركي وتوحي إليه من ناحية الحملة الإعلامية التهويلية بأن العراق يمثل خطراً على الشعب الأميركي، تماماً كما هي قضية «بن لادن». وهكذا تحاول أن تدجن العالم السياسي باعتبار ما تحاول إثارته من تقديم الدلائل على خطورة بقاء النظام العراقي، تماماً كما قدمت هذ المعطيات للحلف الأطلسي عندما أرادت له أن يعاونها في ضرب أفغانستان. ونلاحظ أنه في الجانب الآخر توجد مصالح دولية، لا سيما لدى الاتحاد الأوروبي أو الاتحاد الروسي بالإضافة إلى الإحراج العربي، لأنني أعتقد أن في الواقع العربي، هناك ظاهر وباطن في السياسة العربية، لكن هناك كلاماً عربياً رافضاً لهذا المعنى لأن ضرب العراق يمكن أن يؤدي إلى إيجاد زلزال في العالم العربي كله، وهذا ما يفكر به المسؤولون العرب.

ضغوط أميركية للموافقة على ضرب العراق

■ **كيف تنظر إلى الضغوط الأميركية على بعض الدول العربية من أجل الموافقة على ضرب العراق؟**

إن أميركا تعمل على أن تحصل على شرعية عربية إسلامية لضرب العراق، ومن أجل تسوية ذلك إسلامياً في العالم العربي وأيضاً أميركياً وأوروبياً، على أساس أن صدام يمثل مشكلة للعالم العربي، وأن العالم العربي يستغيث بها لإنقاذه من هذا الرجل الطاغي.

إن المسألة تتحرك بهذا الاتجاه، وربما تعمل أميركا على محاولة توريط أكثر من بلد عربي

في الحرب ضد العراق، معتقدة بإمكانية ذلك كما حصل في حرب تحرير الكويت عندما دخلت بعض الدول العربية الحرب. ولكن الفرق بين المرحلتين هو أن هناك دولة عربية اعتدت على دولة عربية أخرى، ما يعطي لأي دولة عربية مبرراً للتدخل، بينما هذه القضية ليست كذلك.

الموقف من سورية

■ **هناك مشروع قانون أمام الكونغرس الأميركي بمحاسبة سورية، كيف ترى سماحتك هذا المشروع وما تأثيره على المنطقة؟**

أنا أتصور أن الإدارة الأميركية بحسب سياستها في المنطقة تعتبر أن للدور السوري أهمية كبرى في تثبيت الواقع السياسي والسيطرة على بعض الحركات الراديكالية والأصولية بطريقة وبأخرى، لأنه ليست هناك أي دولة عربية تملك من الانفتاح السياسي على الاتجاهات السياسية القومية والإسلامية كالدولة السورية، مع بعض التحفظات، لذلك فإن السياسة الأميركية تعمل على إبقاء العلاقة مع سورية وعدم السماح بأي ضغط غير عادي عليها. إن أميركا تضغط على سورية من أجل أن تضغط سورية بدورها في شكل مباشر أو غير مباشر في هذه المرحلة على المنظمات التي تعتبرها أميركا «إرهابية»، سواء أكانت فلسطينية أم لبنانية. ولكن هذا الضغط يبقى بدرجة محدودة جداً. لهذا فإنني أعتقد أن الإدارة الأميركية سوف تعمل بكل نفوذها من أجل منع الكونغرس من أن يصدر هذا القرار «قرار محاسبة سورية»، لأن ذلك سوف يفرض على الإدارة الأميركية الدخول في وضع سلبي مع سورية من خلال بعض العقوبات وبعض الضغوط التي ليست في مصلحة أميركا في المنطقة. ولهذا فأنا أتصور أن هذا القانون المطروح في الكونغرس سوف يواجه بعض الصعوبات على الأقل.

صدقية أميركا تجاه فلسطين

■ **ما رأي سماحتك بدور أميركا وصدقيتها تجاه ما يجري في الأراضي الفلسطينية؟**

إن إميركا في الأراضي الفلسطينية هي إسرائيل، ولكن بطريقة أكثر إسرائيلية من إسرائيل، ونحن لا نزال نتذكر كلمة «الرئيس» كلينتون عندما كان يخاطب الإسرائيليين: إنكم تجازفون في تنازلاتكم وسوف نمنعكم من المجازفة. إننا عندما ندرس حركة الإدارة الأميركية نجد أن رئيسها يتميز بالمزيد من الغباء السياسي، والعمل بالذهنية التي تحاول أن تمزج بين ما هو الديني والسياسي بطريقة متخلفة وعصبية.

إننا نلاحظ أن أميركا أعطت إسرائيل كل الحرية في قتل الشعب الفلسطيني وتدميره إلى مستوى الاستسلام، والإدارة الأميركية تسعى إلى تحقيق نصر كبير لإسرائيل على الفلسطينيين على المستوى السياسي والاقتصادي والأمني.

وقد لاحظنا أن الرئيس الأميركي تقدم بمشروع إعطاء مئتي مليون دولار لإسرائيل من أجل مساعدتها في حربها ضد الإرهاب، وخمسين مليون دولار للفلسطينيين من أجل الجوانب الإنسانية، وكأن أميركا تعطي إسرائيل هذا المبلغ من أجل قتل الفلسطينيين، أما الخمسون مليوناً فإنها من أجل دفن هؤلاء القتلى، أو من أجل تضميد جراحاتهم بطريقة أو بأخرى! لهذا فإنني أعتقد أنه ليست هناك مصداقية أميركية في المسألة الفلسطينية، حتى أن الرئيس الأميركي خلال لقائه المسؤولين العرب كان يعطيهم كلاماً ضبابياً، وحديثه عن الدولة الفلسطينية هو حديث عن دولة دون أي آلية.

نحن نعرف أن كل العالم بما فيه الاتحاد الأوروبي والروسي يرى كيف أن إسرائيل تمارس إرهاب الدولة، حتى أن البرلمان الأوروبي في وقت من الأوقات قدم اقتراحاً لفرض عقوبات على إسرائيل من جهة هذا الوضع الإرهابي الذي تمارسه ضد الفلسطينيين. لذلك نحن لا نثق بأميركا لا في المسألة الفلسطينية ولا في المسألة العربية.

قضية الأسرى الكويتيين

- **في القمة العربية الأخيرة نوقشت الحالة العراقية ـ الكويتية، وقيل الكثير عن تنازلات ومصالحات. برأي سماحتك، كيف تنظر إلى هذه الحالة وقضية الأسرى الكويتيين في العراق؟**

لقد كانت مبادرة القمة العربية في بيروت علاجاً لمسألة العراق والكويت على طريقة تبويس اللحى. ذلك أنها لم تبحث القضايا التي تمثل جذور المشكلة الباقية، وفي مقدمتها المسألة الإنسانية السياسية وهي الأسرى الكويتيون، بينما العراق لم يقدم أي شيء. ولم تحدد القمة العربية أية لجنة فاعلة في الدول العربية لمتابعة هذه القضية التي تمثل الجرح العميق بالنسبة إلى كل كويتي وكويتية، لأنها مسألة تتصل بالواقع الإنساني، وهي المسألة التي تمثل بقاء حرب العراق على الكويت حتى الآن، لأنها من إفرازات نتائج تلك الحرب. ولهذا فإنني أعتقد أن العلاقات بينهما لم تصل إلى المستوى الذي نستطيع من خلاله أن نقول إن هناك حالة طبيعية في العلاقات كأي علاقة ين دولة

عربية وأخرى، لأننا نعتقد أنه بالإضافة إلى الجوانب السياسية والأمنية التي تسود العلاقات العراقية ـ الكويتية، تبقى قضية الأسرى المسألة التي لا يستطيع مسؤولو الكويت أن يتنازلوا عنها ولا يمكن للشعب الكويتي أن ينساها.

الطائفة الشيعية في لبنان

■ **نجد أن الحالة الشيعية في لبنان غير مستقرة في النهج السياسي والتشريعي عند الطائفة الشيعية، وعند أي هزة يتفرق الشيعة، برأيك إلى أين ستصل الطائفة الشيعية في لبنان بعدم توحيد كلمتها؟**

مشكلة الشيعة في لبنان وربما في العالم، أنهم لم يتحولوا إلى طائفة بالمعنى السياسي للطائفة التي ترسم حدوداً لها في كل مجتمع يعيش فيه الشيعة، أو تبحث عن هوية شيعية سياسية تحلم باستقلال ذاتي هنا أو هناك. لذلك كان الشيعة على مدى التاريخ، ولا سيما التاريخ السياسي الحديث وفي لبنان، يمولون كل المنظمات والعناصر وفي بعض الأحيان القيادات، لأن الشيعة يتطلعون دائماً إلى نموذج المثل الأعلى في مسألة رفض الظلم، فهم عاشوا الظلم وما زالوا يعيشونه على مستوى الحقوق الطبيعية في هذا الوطن أو في غير الوطن، أو على مستوى الضغوط التي تمارس في شكل مذهبي على المستوى الديني أو في شكل سياسي أو ما شابه، وهذا كله منع الشيعة من تكوين قيادة موحدة.

وفي المسألة الفقهية وعلى مدى التاريخ الشيعي، هناك مرجعيات متعددة ومتنوعة،ما يجعل المسألة محصورة بين السلبي والإيجابي، باعتبار أن هناك نقاطاً مضيئة ونقاطاً مظلمة في هذا المجال. ولذلك فإن الشيعة في لبنان هي ككل اللبنانيين، مع الحفاظ على بعض المسار التاريخي الذي كانت فيه بعض الأقليات الدينية في لبنان، تعيش وحدة معينة نتيجة الوضع السياسي في مسألة الأقليات في المنطقة. أما الشيعة فإنهم كانوا خارج نطاق التاريخ لأنهم كانوا معزولين.

وكانت بعض الظروف التاريخية تمارس عزل الشيعة عن الواقع السياسي، ولهذا عندما دخل الشيعة الواقع، لم يكن مستقراً لهم، وهذا ما سبب لهم نوعاً من القلق ولا سيما في لبنان. وأتصور أن الشيعة حتى في هذا النوع من الاهتزاز السياسي لا يفكرون في أن تكون لهم دولة، لذلك نحن أكدنا في كل أحاديثنا الإعلامية أن هناك حديثاً عن تقسيم العراق، يحصل فيه الشيعة على دولة شيعية في الجنوب، وهذا أمر لم يفكر فيه أحد.

كما أن الحديث في لبنان عن أن الشيعة كانوا يفكرون في دولة شيعية في الجنوب أو في بعلبك، وهو أيضاً أمر لم يفكر فيه أحد. الشيعة يفكرون بالعيش كمسلمين في المجتمع الإسلامي كبقية المسلمين. حقوقهم الإنسانية والسياسية والاجتماعية موجودة في تعاون أبناء الوطن كله لحماية الوطن كله.

وإن التطورات السياسية في لبنان وفي المنطقة سوف تؤدي إلى مخاض نرجو أن ينتج نتاجاً معقولاً. أما بالنسبة إليّ، فإنني منذ أن انطلقت وقد ولدت في العراق وعشت فيه مدة طويلة، لم أفكر محلياً، فعندما جئت إلى لبنان من العراق عام ١٩٥٢ لأول مرة، ألقيت قصيدة في ذكرى أربعين أحد العلماء رفضت فيها الخطط الاستعمارية وكنت أفكر إسلامياً، وفي ظل التفكير الإسلامي، عربياً، ومن خلال الإسلام، عالمياً، ولذلك لم أسجن نفسي في دائرة طائفية مذهبية، ربما لهذا واجهتني بعض المشاكل من داخل الطائفة، لأنني حاولت أن أكون حراً في فهم التاريخ وحراً في فهم الإسلام.

٦

البعد الأخلاقي لعمليات الانتفاضة العسكرية

أجرت مجلة «الآداب» في عددها الأخير حواراً هاماً مع سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، حول البعد الأخلاقي للعمليات المسلحة في فلسطين المحتلة، وجاء في التقديم:

هو أحد مراجع الشيعة في العالم، وواحد من كبار فقهائها، وُلد في النجف الأشرف من أسرة لبنانية، هاجر إلى لبنان، وهو من أبرز الشخصيات الجهادية المؤثّرة في «الحالة» الإسلامية. تعرض لمحاولات اغتيال عدّة، كان أبرزها تلك التي أقرّت بها الـ(سي.آي.أي) وسقط فيها حوالى ٨٠ شهيداً. له عشرات الكتب في الفقه والسياسة والشعر.

وفيما يأتي نصّ الأسئلة المتصلة بالبعد الأخلاقي:

١ ـ أمِنَ الضروري أن يُؤخذ هذا البعد في الاعتبار، بل هل هو ذو صلة بهدف التحرير أصلاً؟ أم أنّ عليه أن يُعتبر ثانوياً قياساً إلى الاعتبارات القانونية والعملية؟

٢ ـ إذا عرّفنا الإنسان المدني في أيّ وضع طبيعي (أي غير محكوم بالاحتلال) بأنه كل شخصٍ لا يَعمل في أي مجال من مجالات الخدمة العسكرية، فكيف تعرِّفون/ وتميِّزون الإنسان المدني في وضعِ محكومٍ بالاحتلال؟

ملاحظة: في الأسئلة أدناه يُعرَّف الطفل بأنه شخص في الثامنة عشرة من العمر أو أصغر. إنه/ إنها، تعريفاً، إنسان مدني، إلا أن يُدفَع إلى الخدمة العسكرية.

٣ ـ في السياق الفلسطيني ـ الإسرائيلي، يقوم «المستوطنون» الإسرائيليون (وهم محتلّون بالغون يسكنون الأراضي التي تعدّها الأمم المتحدة أراضي محتلة) بانتهاك القانون الدولي (ولا سيما اتفاقية جنيف الرابعة) وذلك لمجرّد سكنهم في الضفّة الغربية (بما فيها القدس الشرقية) وغزّة. أتعتبرون هؤلاء المستوطنين أناساً مدنيين، أم هم أعضاء في مجموعاتٍ شبه عسكرية، أم ينطبق عليهم الأمران معاً؟ ولماذا؟

٤ ـ ذات مرّة قام أحد المستوطنين في إحدى المستوطنات (المستعمرات) الإسرائيلية اليهودية في الضفة الغربية بالاحتجاج أمام أحد مراسلي التلفزيون الإسرائيلي بالقول: لماذا يَعتبرنا بقية الإسرائيليين أشخاصاً منبوذين، في حين أنّ كلّ مشكلتنا هي أننا سكنّا هذه الأرض بعد اليهود الآخرين الذين سكنوا عام ١٩٤٨ قرى ومدناً كانت عربية في تل أبيب وحيفا؟ أيّ فرقٍ بيننا وبينهم من حيث المبدأ؟ أوَ ليست هذه الأرض برمّتها «أرض إسرائيل» التي ينبغي على الشعب اليهودي أن يُعتقها؟
ما هو رأيكم في هذا؟ أثمة زمنٌ معيّن ينبغي على المرء أن يقضيه في البلد ليصبح مواطناً أصلياً؟ أيمكن اعتبار اليهود الإسرائيليين مواطنين «طبيعيين» في فلسطين التاريخية، شأنهم في ذلك شأن «الأصليين»؟ إذا كان الجواب نعم، ففي أيّ ظروف يكون ذلك؟ ولماذا؟ وإذا كان الجواب لا، فلماذا أيضاً؟

٥ ـ إذا استولى أحدهم على منزلك بشكلٍ غير شرعي (سواء بالعنف، أو باقتحامه حين كنتَ خارجه)، ثم قام برميك على قارعة الطريق، أفيكون مبرَّراً لك أن تسعى إلى استعادة منزلك وطردِ المحتلين الجدد؟ وماذا لو مضت سنوات طويلة على ذلك الاقتحام، ووُلِد في المنزل جيلٌ جديد؟ ما هي المدة الزمنيّة «الكافية» لجعل مطلبِكَ العادل بالعودة إلى منزلك منتهي المفعول؟ وإذا أُعطيتَ منزلاً بديلاً إلى حدّ معقول، أفيكون مبرّراً لك أن تُصرّ على استعادة بيتِكَ الأصلي، ولماذا؟ وإذا جرّبت القنوات القانونية المتاحة أولاً وفشلتَ في مسعاك، فهل يكون مقبولاً أن تستخدم وسائل عنفيّة كملاذٍ أخير؟ ولماذا؟

٦ ـ تأمّل الحالة التالية: باصٌ مليء بالمستوطنين اليهود يعْبر شارعاً في الضفّة الغربية مساءً وعليه إشارات واضحة تدلّ على أنه يخصّ مستوطنين. ولوجود سجلٍ طويلٍ من الاعتداءات الدامية والانتهاكات التي قام ويقوم بها المستوطنون، فإنّ غالبيةَ الفلسطينيين تعتبر أنّ كل ما له علاقةٌ بالمستوطنين تعبيرٌ واضحٌ عن الاحتلال العسكري لأرض الفلسطينيين، بل تهديد مشؤوم لسلامتهم.

أ ـ أيكون مبرّراً أن يقوم أحد الفلسطينيين أو الفلسطينيات بمهاجمة ذلك الباص من باب «الضربة الوقائية» أي من أجل حماية نفسه أو نفسها ممّن يُعتبرون في نظرهما متعصّبين محتلّين مسلّحين؟ لماذا؟ الرجاء شرح ذلك.

ب ـ إذا كان بعض راكبي هذا الباص من الأطفال، فهل يُعتبر الهجوم عليهم عملاً مشروعاً من أعمال المقاومة؟ ومَنْ هو المسؤول في حال وقوع إصابات في صفوف الأطفال: أهلُهم الذين عرّضوهم لهذه الإصابات حين أصروا على أن يستوطنوا أراضي غيرهم، أم المهاجمون، أم الطرفان معاً؟ أيمكن عدّ الولايات المتحدة مسؤولة بشكلٍ جزئي عن هذه الإصابات، لأنّ المستوطنات الإسرائيلية ما كانت ستوجد أصلاً من دون دولارات أميركا ومن دون استخدام الفيتو الأميركي مراراً وتكراراً ضد قرارات مجلس الأمن الدولي؟ وأخيراً، وبغضّ النظر عن المسؤول، أيمكن اعتبار إصابة أحد الأطفال بالمصادفة «ضرراً ملازماً» collateral damage يمكن قبوله؟ أهي «شرٌ لا بدّ منه» في أيّ عمل كان سيكون مشروعاً باستثناء تلك الإصابة؟ ولماذا؟

ج ـ أعِد السيناريو أعلاه، ولكن أبدِل كلمة «الأطفال» بكلمة «النساء»، أستكون إجاباتُك مختلفة، ولماذا؟ أيمكن اعتبار النساء من الأبرياء، كالأطفال، سواء بسواء؟ ألَسْنَ أناساً بالغين وعقلاء، ومعظمهنّ (باستثناء المتديّنات جداً وبعض المجموعات الأخرى) يخْدمن في الجيش الإسرائيلي؟ فإذا تعرّضن لهجوم مسلّح، أيمكن القول إنهنّ «جنَيْنَ على أنفسهن» لأنهنّ عبَرْنَ عمداً، وبوصفهنّ مستوطنات، في أراضٍ محتلة، وتحدياً للقانون الدولي ولحقّ الفلسطينيين في أرضهم؟ الرجاء أن تشرحوا وجهة نظركم.

د ـ أعِدِ السيناريو أعلاه، مُحِلاًّ كلمة «الشيوخ» مكان «الأطفال» و«النساء»، علماً أن هؤلاء «الشيوخ» يُحتمل أن يكونوا قد اضطلعوا يوماً بأعمال عسكرية إسرائيلية أو خدَموا في جيش الاحتلال الإسرائيلي، هل تغيِّر إجاباتك السابقة؟ ولماذا؟

٧ ـ هل استهداف باصاتٍ إسرائيلية غير عسكرية في تل أبيب أو ناتانيا أمرٌ مشروع، ولماذا؟ وإذا كنت متيقناً أنّ غالبية ركّاب أحد الباصات هم جنود إسرائيليون، فهل يكون استهدافه أمراً مقبولاً؟ وماذا عن «المدنيين» الأقلية الموجودين فيه؟ أهُم «ضررٌ ملازم» لا بد منه، ولماذا؟

٨ ـ ثمة عبارة شائعة لدى الفلسطينيين تقول: «حسناً، إنهم لا يتردّدون لحظة في قتل مدنيّينا، بل وأطفالنا أيضاً، وبوتيرة أعلى بكثير، فلماذا لا نستطيع نحن أن نقتل مدنيّيهم وأطفالهم»؟
كيف تنظر إلى مبدأ «العين بالعين» أو إلى مبدأ الثأر في مثل هذه الصراعات الأخلاقية؟ أليس هذا المبدأ واحداً من أقدم أشكال «العدالة» الذي لم تشجبه الأديان السماوية؟ أيمكن اقتصاص الثأر من أيّ فرد في معسكر الخصم، ولماذا؟

٩ ـ بيّنت استطلاعات عدّة مؤخراً أنّ معظم الإسرائيليين يؤيّدون الجرائم التي ترتكبها حكومتهم ضدّ السكان المدنيين الفلسطينيين (من اغتيالات، وحصاراتٍ خانقة، وإطلاق نارٍ غير مبرّر على المدنيين بمن في ذلك الأطفال، وهلمّ جرّاً)، فهل يبرّر هذا استهداف الإسرائيليين عشوائياً في أيّ عمل ضدّ الاحتلال؟ وهل آراءٌ متطرفة لإسرائيلي ما تسوّغ أن يقوم الفلسطينيون بالهجوم الجسدي عليه؟ وماذا لو كان هذا الإسرائيلي منخرطاً في حملة عنصرية سامة تحضّ على استخدام العنف ضدّ الفلسطينيين، كما كان شأن مئير كاهانا ورحبعام زئيفي؟ بل ماذا لو جرى التحريض في صفوف المستوطنين في الضفة وغزة، أيبرّر هذا استهداف الإسرائيلي المحرِّض؟ ولماذا؟

١٠ ـ خُذِ الحالة التالية: في الخليل عام ١٩٩٦ قام مستوطنٌ إسرائيلي بضرب الصبي الفلسطيني حلمي شوشة، البالغ من العمر ١١ عاماً، بعقب مسدّسه، فقتله. القاضي الإسرائيلي برّأ القاتل أول الأمر، زاعماً أن الطفل «مات من تلقاء نفسه نتيجة لضغط نفسي»، وبعد استئنافات عديدة وضغطٍ من المحكمة العليا، التي وصفَت الحادث بـ«القتل الخفيف»، أعاد القاضي النظر في قراره السابق ـ وكانت الانتفاضة الجديدة محتدمة ـ فحكَم على القاتل ستة شهور يقضيها في الخدمة الاجتماعية وبغرامةٍ قدرُها بضعة آلاف من الدولارات. والدُ الصبي اتّهم المحكمة

بإصدار «إذنٍ بالقتل». ووثّقت منظمة «بتسليم» الإسرائيلية عشرات الحالات المشابهة التي بُرّىء فيها مرتكبو الجرائم أو تلقّوا أحكاماً طفيفة، فإذا قرّرت أمّ حلمي يوماً أن تُنزِل «حكم العدالة» بذلك المستوطن المجرم، فأطلقتِ الرصاص عليه حين كان يقود سيارته قرب أرضها، أفيكون عملُها مبرراً، ولماذا؟

١١ - في تشرين الثاني ٢٠٠١، قُتل خمسة أطفالٍ فلسطينيين نتيجة لانفجار سبّبه جهازٌ وضعه الجيش الإسرائيلي قرب خان يونس. وادّعى هذا الجيش أن الجهاز كان مُعداً لقتل ناشطين فلسطينيين كانوا يستخدمون هذا الطريق، ولم يأخذ الجيش في الاعتبار حقيقة أن أطفال مخيم خان يونس يسلكون الطريق نفسها سيراً على الأقدام في كلّ يومٍ مدرسة. شاوول موفاز، رئيس الأركان الإسرائيلي، وصف هذا الحادث بأنه «خطأٌ عملانيّ فاضحٌ ومُحْزِن» ولكنه قصّر عن مجرد تأنيب الضبّاط المسؤولين عن ذلك الحادث. أتعتبرون ما حدث شكلاً من أشكال الإرهاب، أم هو عمل حربيّ «متهوّر» ولكنه مبرّر؟ وهل تهمّ النوايا المعلنة؟ وهل استهداف سيارةٍ تنقل، في مَن تنقل، ناشطاً «مطلوباً» عملٌ حربي مشروع وإن كان مؤسفاً (أي: شراً لا بد منه)، أم هو عملٌ إجرامي يكشف استهتاراً مقزّزاً بحياة الفلسطينيين؟ ولماذا؟

١٢ - حتى لو اعتبرتم أنّ المقاومة الفلسطينية المسلّحة مبرّرة أخلاقياً وقانونياً، فهل تتخوّفون من أنها ستكون على المدى الطويل ذات أثرٍ مفسدٍ على نفسيات الفلسطينين وعلى مجتمعهم؟ أعَلى هذه المقاومة أن تكونَ دوماً محكومةً بالمبادئ الأخلاقية والقانونية؟

أما أجوبة سماحة العلامة المرجع السيد محمد حسين فضل الله، فقد جاءت على الشكل التالي:

١ ـ عن أهميّة هذا البعد

عندما نريد أن نتحدث عن البعد الأخلاقي لأيّ موقع من المواقع التي يتحرّك فيها الإنسان، فإنّ علينا أن نسأل: هل الأفق الأخلاقي ينطلق في عالم تجريديّ ينفتح على العنوان ليحرّكه في كلّ مفرداته بعيداً عن حركيّة الواقع؟ أم أنّ الأخلاق مهما انطلقت في عالم المثال فإنها تبقى ضمن حركة الإنسان في الواقع، بحيث لا يمكننا أن نُبعدها عن هذا الواقع لأن الإنسان هو نتاجه في كل وجوده؟

لو أردنا أن ننظر إلى الحرب نظرةً تجريدية في المفهوم الأخلاقي، فإننا نرى أنها عملية غير أخلاقية، لأنها تؤدي إلى قتل أكبر عدد من الناس وإلى تدمير اقتصادهم وتدمير كثير من جوانب حياتهم، الأمر الذي يمثّل قيمة سلبية في حياة الإنسان. ولكننا حين نضع الأمور في ظروفها الواقعية نجد أن شرعية الحرب تنطلق من دراسةٍ مقارنةٍ بين النتائج الإيجابية والنتائج السلبية، وخصوصاً إذا عرفنا أن عالمنا ـ أي عالَم الوجود الإنساني ـ هو عالم المحدود لا المطلق، فلا يمكنك أن تربح شيئاً إلا إذا خسرت شيئاً في مقابله.

إن أخلاقية الحرب، تبعاً لذلك، ستأخذ شرعيتها من غلبة الجوانب الإيجابية في مصلحة الإنسان على الجوانب السلبية، بحيث تصغر هذه الجوانب أمام تلك. وهذه هي حال كلّ الأمور التي يقف فيها الإنسان بين عنصر سلبيّ وآخر إيجابي. إن الحرب تأخذ شرعيتها من شرعية الأهداف الكبرى التي تترتّب عليها: فكلما كان الهدف كبيراً، بما يعني إنسانية الإنسان، كانت الحرب شرعية.

في ضوء هذا ندخل إلى المسألة الفلسطينية لنطرح السؤال التالي: هل مسألة تحرير فلسطين هي مسألة أخلاقية، أم هي ضدّ الأخلاق؟ ربما يجد اليهود في الجواب عن هذا السؤال الفكرة التي تقول إن فلسطين هي أرض الميعاد، وهي أرض يهودية منذ القِدَم ـ على أساس الأساطير اليهودية ـ احتلها العرب، والواجب الأخلاقي تحريرها من العرب لا اليهود. ولكن في الواقع الإنساني البعيد عن تهاويل الأساطير يمثّل تحرير فلسطين قضية أخلاقية بالنسبة إلى الفلسطينيين والعالم العربي والإسلامي، انطلاقاً من أنّ هذه الأرض كانت أرضاً مملوءة بالشعب، لا أرضاً بدون شعب كما كان يتحدث اليهود قبل احتلالهم فلسطين. إن هؤلاء الناس الذين كانوا يسكنونها كانوا متجذّرين فيها على مستوى القرون، وليست هناك أيّ قيمة حضارية ترى أنّ سكنى شعب من الشعوب قبل آلاف السنين تبرّر لهم أن يطردوا الناس الذين يسكنونها كانوا قبل مئات السنين ـ هذا إن كانت فكرة اليهود الصهاينة في الأساس صحيحة ـ لأنها قد لا تكون صحيحة في معناها السكاني والإنساني.

إن مسألة استعادة الفلسطينيين لأرضهم التي عاشوا فيها هي مسألة إنسانية/أخلاقية، لأن من حقّ الإنسان أن يبقى في أرضه وأن يعود إليها وأن يحكمها ويعيش فيها إنسانيته وعزّته وكرامته. ولذا فإن حركة الحرب، في كل مفرداتها وخطوطها، تخضع لحاجات

الهدف الكبير، لأن مفردات الحرب تأخذ شرعيتها من خلال شرعية الهدف الكبير. ولذلك فإنّ كل مفردة تتصل بالنتائج الحاسمة لتحقيق الأهداف الكبيرة تعتبر مفردةً أخلاقية، بالرغم من السلبيات التي قد تنتج آلاماً إنسانية هنا ومشاكل إنسانية هناك؛ ذلك لأن المسألة ـ كما ذكرنا ـ هي المقارنة بين السلبيات والإيجابيات في ما هي العناوين الكبرى للقضية التي تعطي للأشياء شرعيتها.

إننا نعتقد أن الأخلاق لا بدّ أن تدخل في قيمة كلّ عملٍ إنساني، ولكنّ القاعدة الأخلاقية ليست في المطلق، بل في المحدود، والمحدود ينفتح على المقارنة بين السلبيات والإيجابيات، فكلما كانت الإيجابيات أكثر كان العمل أخلاقياً؛ وكلما كانت السلبيات أكثر كان العمل غير أخلاقي.

٢ ـ عن ماهيّة المدني

إنّ الإنسان المدني هو الإنسان الذي لا يُشارك في عملٍ عسكري بشكل مباشر أو غير مباشر، ولا يؤيّد بالوسائل السياسية والاجتماعية والمالية العمل العسكري، بحيث يكون واحداً من جيش اجتماعي احتياطي للجيش العسكري. نقرأ في بعض الكلمات المأثورة عندنا في كلمة للإمام علي(ع): «الراضي بفعل قومٍ كالداخل فيه معهم، وعلى الداخل إثمان: إثمُ الرضى وإثمُ العمل».

وورد عندنا في بعض الأحاديث: «الظالم والراضي بالظلم والمعين له شركاء ثلاثتهم». ونقرأ في نصّ للإمام علي(ع) يقول: «إن ما يجمع الناس الرضى والسخط، وإنّ من عقر ناقة ثمود رجلٌ واحد فعمّهم الله بالعذاب لما عمّوه بالرضى». فقال: ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾.

إن الإنسان الذي يؤيّد محتلاً ويشارك في عملية تأييده بكل الوسائل هو إنسان مشارك للمحتلّ. ولعلنا نأخذ فكرةً مما نقرأ عنه من استطلاعات الرأي في الكيان الصهيوني، التي تؤيّد ما تقوم به الحكومة الصهيونية من أعمال وحشية ضد الفلسطينيين، فنرى أنها هي التي أعطت القوة للحكومة الصهيونية وللجيش الصهيوني، وبذلك تكون مشاركةً له مشاركة فعلية. ولذا نحن نعتبر أن كل من يشارك في دعم حكم الاحتلال وجيش الاحتلال بمختلف الوسائل السياسية والاجتماعية والمادية هو إنسان غير مدني. هذا من

جهة، ومن جهة ثانية فإننا نعرف أن أغلب اليهود الموجودين في فلسطين المحتلة (ما عدا الأطفال) هم جنودٌ في الجيش الإسرائيلي: إما جنود فعليون أو جنود احتياط. ولهذا فإن ٧٠ أو ٨٠٪ من اليهود الموجودين هناك عسكريون لا مدنيون.

٣ ـ عن ماهيّة المستوطنين

أولاً الطفل عند اليهود هو من كان أقلّ من ١٣ سنة. ولذلك لا يعتبرون الفلسطينيين الذين يزيد عمرهم على ١٣ سنة أطفالاً. هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن هؤلاء المستوطنين قد احتلوا أرضاً فلسطينية، وطردوا بمساعدة حكومتهم أهلها. ونحن نعتبر أن الاحتلال عملٌ عسكري، وأن كل من يمارس الاحتلال الفعلي على الأرض هو شخص عسكري. فإذا أضفنا إلى ذلك أنّ المستوطنين كلّهم أو في أغلبيتهم مسلّحون كجنود احتياطيين للجيش الإسرائيلي فإن ذلك يعني أننا لا نستطيع اعتبارهم مدنيين.

٤ ـ عن الفرق في المبدأ بين المستوطنين ويهود ٤٨

إن هذا المستوطن الذي تذكرونه في سؤالكم يحاول أن يتحدث عن المسألة بحسب الأيديولوجيا اليهودية التي تعتبر كل فلسطين أرضاً يهودية. ولكنّ معظم اليهود المقيمين في أراضي الـ ٤٨ يعتبرون أنّ إسرائيل هي هذه الأراضي فقط؛ وأما الأراضي المحتلة عام ١٩٧٦ فإنهم أو معظمهم لا يعتبرونها ـ على الأقل من ناحية رسمية ـ أرضاً إسرائيلية، بل هي أرض محتلة أو أرض متنازعٌ عليها. إن المستوطِن في سؤالكم يحاول أن يرجِع المسألة إلى الجانب التوراتي الذي لم تعد له واقعية في ذهن أغلب اليهود في مناطق الـ ٤٨ هذا من جهة، كما أن أغلب هؤلاء يعتبرون المستوطنات عبئاً عليهم يكلّفهم الكثير من الضحايا، والكثير من اقتصادهم وسياستهم وأمنهم. حتى إننا رأينا بعض المسؤولين من الجيش الإسرائيلي ومن السياسيين الإسرائيليين يتحدثون عن المستوطنات فيقولون إنها أصبحت مشكلة لإسرائيل بدلاً من أن تكون حلاً لها. أما بالنسبة إلى الفكرة الأخيرة التي أثارها السؤال فإننا نعتقد أن مرور الزمن، ولو بلغ مئات السنين، لا يُعطي شرعية للغصْب.

٥ ـ عن الحق في استرجاع البيت السليب، الآن أو لاحقاً، وفي استخدام العنف

ليست هناك أية مدة زمنية تُسقط حقي في منزلي، وإذا كنا نتحدث عن المنزل فالأمر نفسه ينطبق على الوطن. نحن نعرف في عالم الحضارات أن احتلال بلدٍ معين من قبل قوة أخرى لا يسقط حقّ أهل هذا البلد في تحرير بلدهم حتى لو مضت عشرات

السنين. ومن حقّي أن أصرّ على منزلي لأنه يمثل الحق الإنساني والقانوني والشرعي، واستبداله بمنزلٍ آخر كاستبدال وطني بوطن آخر. إن ملكية الإنسان لمنزله، أو حق شعب في وطنه، مسألة ليس لها أيّ بديل لا في القانون ولا في الحضارة، إلا برضاه. بل نحن نعتقد أن الإنسان إذا كان من حقّه أن يتنازل عن منزله فليس من حق الشعب أن يتنازل عن وطنه، لأن الوطن ليس ملك الناس في هذه المرحلة الزمنية أو تلك، بل هو ملك الأجيال كلها.

كما أنّ تنازل إنسان عن منزله للمحتل مقابل منزلٍ آخر لا يجوز إذا كان ذلك يؤدّي إلى إضعاف مسألة التحرير. وقد ورد عندنا في بعض الكلمات المأثورة في تفسير قوله تعالى: ﴿ولله العزة ولرسوله والمؤمنين﴾ عن الإمام جعفر الصادق(ع) أنه قال: «إن الله فوّض إلى المؤمن أموره كلّها ولم يفوِّض إليه أن يذلِّ نفسه». ليس من حقّك أن تُذلّ نفسك من خلال إنسانيتك أو من خلال ارتباط عزّتك بعزة أمتك. ولذلك فإن بيع أي فلسطيني أرضه ومنزله لليهود يمثّل خيانة للأمة باعتبار أن منزله وأرضه جزء من الأرض الفلسطينية التي لا بد للجميع أن يحافظوا عليها، لأنّ أي قضْم لهذه الأرض ولو بطريقة تجارية يؤدّي إلى قضْم الأرض كلها. إن المسألة هي في المبدأ لا في التفاصيل.

٦ ـ عن الباص المليء بالمستوطنين

أ ـ قلنا إن الاستيطان حالة احتلال من قبل المستوطنين، وبذلك يكون المستوطنون حالة عسكرية. وحين ندرس المسألة ونرى أن الطريقة الوحيدة لإقناع هؤلاء المستوطنين بالجلاء عن المستوطنات هي إفقادهم الأمن في مستوطناتهم، فإنّ المسألة تتصل بأخلاقية مسألة التحرير. وعند ذلك لا تكون ثمة مشكلة في العمل العسكري المذكور في سؤالكم. إن المجاهدين الذين يقصفون هذه السيارة لا يريدون قتل المستوطنين فيها، بل قتل أمن المستوطنين، كما تفعل إسرائيل بقتل أمن الفلسطينيين.

ب ـ لا أعتقد أن قتل الأطفال بالذات، إذا كانت السيارة سيارة أطفال أو طلاب، مبرر في نفسه، لأن هؤلاء لا ذنْبَ لهم في ذلك الاستيطان. ولكن يمكن إيجاد بعض الأجواء التي تُشعِر المستوطنين بأن أطفالهم ليسوا في مأمن، كأن يتم تعطيل السيارة أو تهديدها من دون أن يُقتل الأطفال فيها.
أما المسؤولون ـ في حال إصابة أحد الأطفال ـ فهم الإسرائيليون لأنهم هم الذين

احتلوا المستوطنات، ونقلوا الناس بأطفالهم ونسائهم إلى هذه الأرض، فأدخلوهم في حركة الحرب بين المحتل والمجاهدين.
أما بالنسبة إلى سؤالكم عن دور أميركا، فإنني أعتقد أنها تتحمل مسؤولية كلّ جرائم إسرائيل، سواء في احتلالها أراضي الـ ٤٨ أو في كلّ سياستها الاستيطانية، بالرغم من صدور بعض الكلمات الحييّة الخجولة التي تستنكر بناء المستوطنات ولكنها لا تمارس عليها أيّ ضغط بالمستوى الذي تمارس فيه الضغوط ضد السلطة الفلسطينية. إن أميركا دولة منافقة في المسألة الفلسطينية، فهي تعطي المواقف الداعمة والأسلحة الفتاكة للإسرائيليين، وتعطي العرب والفلسطينيين الكلمات!
أما إذا أصيب أحد الأطفال مصادفة في عملية من عمليات التحرير، فذلك يكون أمراً طبيعياً في حركة الحرب. وهذا أمر تتحدث به كل حضارات العالم، بشرط ألا يكون قتلُ الأطفال متعمداً.

ج ـ قلت إنّ المدني هو الذي لا يشارك في دعم العمل العسكري مباشرة أو غير مباشرة، أو في دعم العمل السياسي الذي يؤدي إلى إطلاق العمل العسكري. ولهذا يصعب جداً أن نجد امرأة في الكيان الصهيوني أو المستوطنات لا تمثّل حالة عسكرية.

د ـ لا أغيّر إجاباتي السابقة بالنسبة إلى «الشيوخ»، ولا سيما أن أكثر الشيوخ كانوا شباناً مقاتلين، وربما هم يعطون الخبرة للشباب. أليس شارون وبيريز من الشيوخ؟ بل إن أغلب الذين يحكمون الكيان الصهيوني هم من الشيوخ الذي تلطّخت أيديهم بدماء عشرات الألوف من العرب والمسلمين. حين نتحدث في العادة عن عدم إصابة الشيوخ فالمقصود الشيوخ المسالمون الطيّبون الذين يعيشون في عزلةٍ عن ساحة الصراع.

٧ ـ عن استهداف المدنيين داخل مناطق الـ٤٨، وما إذا كان المصابون «ضرراً ملازماً»

حين نضع هذه المسألة في الدائرة السياسية، وهي أن إسرائيل تملك قوة عسكرية تفوق قوة المنطقة بأسرها، ونرى أنها تستعمل هذه القوة ضد الفلسطينيين بحيث تحاصرهم من جميع الجهات بآلياتها العسكرية من أجل أن تقتل كل الأمن الفلسطيني لدفع

الفلسطينيين إلى الاستسلام وإلى القبول بـ«الدولة» الميشخ، فإن الخطة الفلسطينية هي قتل الأمن الإسرائيلي وإفهام الناس في الكيان الصهيوني أن حكومتهم لن تستطيع أن تجلب لهم الأمن ولن يحصلوا عليه في واقعهم المدني والعسكري. عند ذلك ترتبط هذه المسألة بمسألة الحرب على الأمن الإسرائيلي ولا ترتبط بقتل المدنيين هنا أو هناك ـ إن كان هناك مدنيون ـ.

إنّ ثمة مسألة لا بد أن نلاحظها، وهي أن الفلسطينيين حُوصروا في زنزانة أمنية لا يملكون التحرك في داخلها. ولذلك فإن حركتهم في العمليات الاستشهادية داخل مناطق الـ٤٨ هي حركةٌ من أجل التخلّص من حالة الانطواء بهدف الدفاع عن أمنهم وذلك بإسقاط الأمن الآخر. إن المسألة هي مسألة حرب؛ ونحن نقرأ: ﴿فمن اضطرّ غير باغٍ ولا عادٍ فلا إثم عليه﴾ كما جاء في كتاب الله، ونقرأ في السنّة: «ما من شيء إلا وقد أحلّه الله لمن اضطرّ إليه».

٨ ـ عن مبدأ «العين بالعين»

إن مسألة «العين بالعين» تتصل بالجانب الشخصي. فلو افترضنا أن شخصاً قتل مدنياً منا فليس لنا أن نقتل مدنياً لا علاقة له بقتل ذلك المدني. إن عملية العين بالعين هي عملية القِصاص، والقصاص يتصل بالجانب الشخصي، لا بما يتجاوز الشخص المجرم. لكن العبارة التي نطق بها الفلسطينيون في سؤالكم تمثل خطأً سياسياً. فقد كان عليهم أن يقولوا: إنهم يقتلون أمننا، فمن حقنا أن نقتل أمنهم. وإذا كانوا يعتقدون أن قتل مدنيينا مبررٌ من باب مقتضيات الحرب، فعليهم أن لا يتعقدوا من قتل مدنييهم بحسب مقتضيات الحرب أيضاً. إننا نحارب حرب تحرير، فمن الطبيعي أن حرب التحرير قد تسقط المدنيين من هنا وهناك.

إن علينا أن نُحسن الكلمة التي نقولها، حتى في المسألة السياسية والأمنية، لكي لا يجد العدوّ مبرراً لكي يحاربنا بكلماتنا. يقول الله تعالى: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن﴾. إن الحرب السياسية والإعلامية هي أعلى أنواع الحرب، وعلينا أن نحسن حربنا ضدهم في المسألة الإعلامية والسياسية كما نحسن حربنا ضدهم في المسألة العسكرية. ولعل مشكلة العرب أنهم لم يحسنوا الحرب الإعلامية والسياسية، بل كانوا يطلقون كلماتهم عشوائياً بما يجعل للعدو فرصة لأن يثير العالم ضدنا بسبب بعض العبارات التي

توحي بخلفيات غير إنسانية (مثل: رمي اليهود في البحر، وإبادة اليهود..)، إن معركتنا حضارية مع اليهود، ولذلك لا بد أن نختار أسلحتنا الإعلامية والثقافية كما نختار أسلحتنا العسكرية.

٩ ـ عن استهداف الإسرائيليين المتطرّفين

لقد أجبنا عن هذا السؤال. ونضيف: إن كل من يحارب، وكل من يحرِّض، وكلّ من يؤيِّد ويدعم، هو عسكري يشارك ويدعم ويقوّي عملية الاحتلال، ولذلك فمن حقنا أن نحاربه.

١٠ ـ عن أمّ حلمي الآخذة بالثأر

إنّ عملها سيكون شرعياً لأنّ الله يقول: ﴿ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب﴾. ويقول أيضاً: ﴿فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم﴾. وخصوصاً أن القضاء في إسرائيل يستبطن في داخله أن لا احترام لأيّ فلسطيني، حتى لو كان طفلاً. ولذلك فإنّ الأحكام التي تصدر بطريقةٍ مخفّفةٍ أو ما أشبه ذلك إنما هي لذرّ الرماد في العيون وللإيحاء أمام العالم بأنّ هناك «قضاء» في إسرائيل.

١١ ـ عما إذا كان قتل أطفال فلسطينيين يسلكون طريقاً لـ«الإرهابيين» عملاً مبرراً

إنني أعتقد أن ما تعرَّض له أولئك الأطفال شكل من أشكال الإرهاب، بل إن كل ما قامت به إسرائيل إرهاب. نحن لا نعتبر أن حرب إسرائيل بوضع العبوة للناشطين أو للأطفال حرب مشروعة، وإنما هي حرب إرهابية لأنها ضدّ الفلسطينيين الذين يدافعون عن أرضهم. إن وضع إنسان عسكري عبوةً ناسفة في أرض يلعب فيها الأطفال بشكل عام استهداف للأطفال ولو بنسبة ٧٠ أو ٨٠٪. إنه ليس خطأً بل عملٌ متعمد، لأن على الإنسان أن يحتاط للأطفال إذا كان لا يريد قتلهم.

١٢ ـ عن تأثير المقاومة المسلحة على الفلسطينيين

من الطبيعي أن المقاوم حين يضع في حسابه مسألة تحرير أرضه التي تمثّل تحرير إنسانه فإن كل ما يقوم به يمثّل عملاً أخلاقياً في وجدانه الإنساني. أما ماذا يحدث في المستقبل بعد تحرير الأرض، فالفلسطينيون بشرٌ كبقية البشر، وهم جنود تحرير كجنود

التحرير في البلدان الأخرى: قد يخطئون وقد يصيبون، وقد ينحرفون وقد يستقيمون. ومن الطبيعي أن تترك الحرب آثاراً سلبية أو إيجابية. ولكن مهما كانت النتائج في المستقبل فإن ذلك لا يمنع أن نعتبر أن عملية التحرير بكل مفرداتها عملية أخلاقية/ إنسانية.

خلاصة حديثنا هي أن الآخرين حين يثيرون أمامنا الأبعاد الإنسانية في الوقت الذي يمسكون فيه بخناقنا؛ وحين يتحدثون عن القيم التي سحقوها وعن الأخلاق التي أهدروها؛ حين يفعلون ذلك كله فإننا نقول لهم: نحن ننطلق من القاعدة الأخلاقية ولكن الواقعية التي لا تعيش في المثال، لن نسمح لهم أن يقيّدونا بأخلاقنا وقيمنا، بل نريد أن نؤكد أن أخلاقنا لا تبتعد عن الواقع ولكنها لا تسقط أمام الأمر الواقع!

بيروت

المؤلفات

العلامة المرجع سماحة آية الله العظمى السيد محمد حسين فضل الله

صدر له:

قضايانا على ضوء الإسلام، دار الملاك، ط٧، بيروت ١٩٩٦.
خطوات على طريق الإسلام، دار التعارف للمطبوعات، ط٥، بيروت ١٩٨٦.
الإسلام ومنطق القوة، الدار الإسلامية، ط٣، بيروت ١٩٨٦.
أسلوب الدعوة في القرآن، دار الملاك، ط٥ بيروت ١٩٩٤.
الحوار في القرآن، دار الملاك، ط٥، بيروت ١٩٩٦.
من وحي عاشوراء، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٦.
تأملات في آفاق الإمام موسى الكاظم(ع)، دار التعارف، ط١، بيروت ١٩٩٥.
في رحاب دعاء الافتتاح، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٧.
في رحاب دعاء كميل، دار الملاك، ط٣، بيروت ٢٠٠٠.
بينات، دار الملاك، ط١ بيروت ١٩٩٩.
في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٨.
دنيا الشباب، مؤسسة العارف، ط٤، بيروت ١٩٩٨.
دنيا المرأة، دار الملاك، ط٤، بيروت ١٩٩٨.

فقه الحياة، مؤسسة العارف، ط٥، بيروت ١٩٩٩.
تأملات إسلامية حول المرأة، دار الملاك، ط٧، بيروت ٢٠٠١
من عرفان القرآن، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٨.
للإنسان والحياة، دار الملاك، ط٣، بيروت ٢٠٠١.
المعالم الجديدة للمرجعية الشيعية، دار الملاك، ط٤، بيروت ١٩٩٨.
الزهراء القدوة، دار الملاك، ط١، بيروت ٢٠٠٠.
صراع الإرادات، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٥
تحدي الممنوع، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٢.
حوارات في الفكر والسياسة والاجتماع، دار الملاك، ط٢، بيروت ٢٠٠١.
قضايا إسلامية معاصرة، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٣.
الزهراء (ع) نموذج المرأة العالمي، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٨.
خطاب الإسلاميين والمستقبل، دار الملاك، ط٣، بيروت ٢٠٠١.
الحركة الإسلامية هموم وقضايا، دار الملاك، ط٣، بيروت ٢٠٠١.
على شاطئ الوجدان (ديوان شعر)، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت ١٩٩٠.
قصائد للإسلام والحياة (شعر) دار الملاك، ط٢، بيروت ٢٠٠١.
أحاديث في قضايا الوحدة والاختلاف، دار الملاك، ط١، بيروت ٢٠٠٠.
يا ظلال الإسلام (شعر)، دار الملاك، ط٣، بيروت ٢٠٠٠.
دنيا الطفل، دار الملاك، ط١، بيروت ٢٠٠١.
حديث عاشوراء، دار الملاك، ط٢، ١٩٩٨.
المسائل الفقهية، ج١وج٢، دار الملاك، ط٣، ١٩٩٧.
الإسلاميون والتحديات المعاصرة، دار الملاك، ط١، ١٩٩٥.
الفتاوى الواضحة، ج١، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٨.
مناسك الحج، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٨.
كتاب الندوة (٧ مجلدات)، دار الملاك، ط١، بيروت ٢٠٠٠.
في رحاب أهل البيت(ع)، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٨.
حركة النبوة في مواجهة الانحراف، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٧.
تحديات المهجر، دار الملاك، ط١، بيروت ٢٠٠٠.
إرادة القوة، دار الملاك، ط١، بيروت ٢٠٠٠

الفقيه والأمة، دار الملاك، ط٢، بيروت ٢٠٠٠.
كتاب **الجهاد**، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٨.
رسالة **في الرضاع**، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٥.
كتاب **النكاح**، ج١، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٧.
كتاب **الوصية**، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٧.
كتاب **الإجارة**، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٨.
كتاب **القرعة والاستخارة**، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٧
كتاب **النذر واليمين والعهد**، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٦.
كتاب **الصيد والذباحة**، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٨.
فقه الشريعة، دار الملاك، ط٣، بيروت ٢٠٠١.
رسالة **في قاعدة لا ضرر ولا ضرار**، دار الملاك، ط١، بيروت ٢٠٠٠.
كتاب **المواريث**، دار الملاك، ط١، بيروت ٢٠٠٠.
من **وحي الصحيفة السجادية (مجلدان)**، دار الملاك، ط١، بيروت ٢٠٠٠.
من **وحي القرآن، (٢٥ مجلداً)**، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٨.
خطب الجمعة التي ألقيت في مسجد بئر العبد ومسجد الإمامين الحسنين(ع)
الجمعة منبر ومحراب، دار الملاك، ط٢، بيروت ١٩٩٧.
صلاة الجمعة ـ الكلمة والموقف، دار الملاك، ط١، بيروت ١٩٩٨.
أمراء وقبائل، خفايا وحقائق لبنانية، دار رياض الريّس للكتب والنشر ط١، ٢٠٠١.

فهرس الأعلام

ط

ع

غ

ف

ق

ك

ل

م

ن

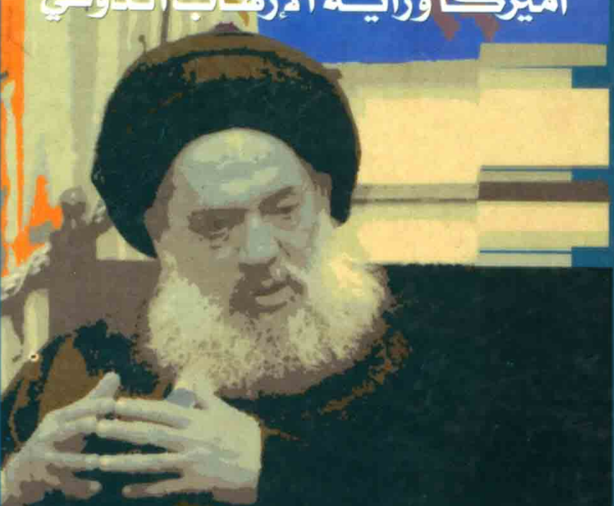
فهرس الأماكن

أ

السيد محمد حسين فضل الله

المدنّس والمقدّس

أميركا وراية الإرهاب الدولي



تتصدر مفردة الارهاب معظم لافتات الحرب التي ابتدعتها الولايات المتحدة وبريطانيا منذ مطلع القرن الواحد والعشرين، بحيث تحول هذا الشعار إلى مفتاح سحري لدخول غمار المواجهات المتعددة الأبعاد مع كل الدول والتنظيمات والجهات التي تعارض توجهات وسياسات الولايات المتحدة في أربع رياح العالم.

في هذا الكتاب، يعيد السيد محمد حسين فضل الله تعريف الإرهاب وإعادة وصف من وجهة نظر إسلامية لما تسميه أميركا أعمالاً إرهابية، وإعادة تصويب لمجمل مسيرة المواجهات التي حصلت منذ ١١ أيلول بين الولايات المتحدة والقوى الإسلامية والعربية على اختلافها وتنوعها وصولاً إلى الحرب على العراق ومروراً بالحرب على فلسطين.

رياض الريس للكتب والنشر
RIAD EL-RAYYES BOOKS

ISBN 9953-21-137-X
9 789953 211374